الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

الرقم التسلسلي :26/DS/2022

رقم التسجيل : 02/Ar/2022

السّيميائيات السّردية في الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر من سنة 1990 إلى سنة 2014.

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث والمعاصر.

إعداد الطالب:

عبد الله عباسي

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد الصالح خرفي

أعضاء لجنة المناقشة: 27/03/2022

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د يوسف وغليسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الإخوةمنتوري – قسنطينة1–	رئيسا
أ.د محمد الصالح خرفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–	مشرفا ومقررا
أ.د عبد السلام صحراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الإخوةمنتوري – قسنطينة1–	عضوا مناقشا
أ.د محمد كعوان	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة(آسيا جبّار)–قسنطينة–3–	عضوا مناقشا
أ.د ليندة خرّاب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الإخوةمنتوري – قسنطينة1–	عضوا مناقشا
أ.د مختار ملّاس	أستاذ التعليم العالي	جامعة لمين دباغين – سطيف2–	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021م ـــــــ 1444/1443هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

إلى "أنسـام"، صغرى بناتي وأمّها وأخواتها وأخيها "رائد" والقريبين من القلب، أهلاً وأصدقاء وزملاء.

مقدّمة

شهدت ثمانينيات القرن الفارط انفتاح النّقد الجزائري على المناهج النّسقية بعد عشريّتين كاملتين من المناهج السّياقية التي هيمنت على المنجز النّقدي الجزائري منذ عام 1961 تاريخ صدور كتاب "أبي القاسم سعد الله" "محمد العيد آل خليفة رائد الشّعر الجزائري في العصر الحديث"، وكان المنهج التّاريخي فاتحة تلك المناهج وأكثرها هيمنة على الدّراسات والأبحاث النّقدية الأكاديمية الجزائرية بُعَيْد الاستقلال، وربّما كان السّعي إلى جمع التّراث الأدبي الجزائري وتصنيفه ودراسته وراء هذه الهيمنة، أمّا مرحلة السّبعينيات فتعدّ أخصب فترات النّقد الاجتماعي الذي كان يمتح من الإيديولوجيا الإشتراكية المهيمنة آنذاك على سياسة الدّولة وتوجّهات النّقاد وإبداع المبدعين، وفي السّياق ذاته كانت الصّحف والمجلاّت تُفرد صفحاتها لألوان مختلفة من النّقد الانطباعي التّأثّري ترويجًا لأسماء ودحضًا لتوجّهات، وقراءة لآثار أدبية قائمة في الغالب على الذّوق الشّخصي الذي لا يتجاوز التّعبير عمّا أثاره النّص في القارئ وما ترتّب عن هذه القراءة من استحسان أو استهجان.

إنّ تلك المناهج السياقية على وفرة ما قدّمته من بحوث ودراسات عاجزة –بحكم آلياتها وجهازها الاصطلاحي واهتمامها بخارجيات النّص وسياقاته– عن الإمساك بجماليات النّص واكتشاف أدبيته وشروط تحقّق دلالاته، كما أنّها تفرض على النّص في الغالب قراءة وحيدة خاضعة لتوجّهات النّاقد الإيديولوجية وحمولته المعرفية والثقافية، فكان لابدّ –والحال هذه– من الانفتاح على المناهج النّسقية التي أعادت الاعتبار للنّص بغضّ الطّرف عن سيّاقاته الخارجية ومؤلّفه ، فلم يعد اهتمام النّاقد منصبًّا عمّن قال، وماذا قال، بل أصبح السّؤال الجوهري كيف قال النّص مضمونه وكيف تشكّلت دلالات القول وما مستويات الكشف عنها؟

وقد كان المنهج البنيوي أوّل المناهج النّسقية ظهورًا في المدوّنة النّقدية الجزائرية المعاصرة المكتوبة باللّغة العربيّة، وكان هذا الظّهور أكاديميًّا –شأن أوليات النقد السّياقي– إذ يكاد النّقاد يُجمعون على أنّ بحث النّاقد "عبد الحميد بورايو" الموسوم بـ"القصص الشّعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية" هو أوّل عهد النّقد الجزائري المعاصر بالمنهج البنيوي، وقد ناقش النّاقد هذا البحث بالقاهرة عام 1978 وأشرفت عليه الناقدة المصرية المتخصّصة في الأدب الشّعبي "نبيلة إبراهيم"، لكنّ هذا البحث لم يُطبع في كتاب سوى في سنة 1986، وقد صرّح الباحث في مقدّمة بحثه بتوظيفه للمنهج البنيوي وإن لم يكتف به بل رفده بمناهج أخرى كالبنيوية التّكوينية والسّيميائية السّردية والتّحليل الوظائفي البروبي ...

ويُبوّيء باحثون آخرون النّاقد "عبد الملك مرتاض" الرّيادة من خلال كتابه "النّص الأدبي من أين وإلى أين"؟ وهو عبارة عن محاضرات ألقاها صاحبها على طلبة الدّراسات العليا بجامعة وهران في الموسم الجامعي 1981/1980م، وطُبع بديوان المطبوعات الجامعية سنة 1983م.

ورُغم ترجيح عديد النّقاد لكفّة "القصص الشّعبي في منطقة بسكرة" في ميزان الرّيادة، فالاتفاق ثابت على أنّ هذه الرّيادة أكاديمية فرضتها ظروف وملابسات يأتي على رأسها، سعي النّاقد الجزائري إلى علمنة الدّراسة النّقدية وتجاوز النّقود الانطباعية الذّاتية وترسّم خطوات النّقاد الغربيين والعرب في الطّرق الحديثة المنتهجة لمساءلة النّصوص وتحليلها، وتجدر الإشارة إلى أنّ تلقّي النّاقد الجزائري للمناهج السّياقية كان بوساطة النّقد المشرقي، أمّا تلقّيه للنّقد النّسقي فكان مباشرًا من اللغة الفرنسية وعبر مسارب مختلفة منها التّلقي المباشر لهذه المعرفة النّقدية من أفواه روّاده الفرنسيين عن طريق التّتلمذ وعن طريق الكتاب بلغته الأصلية أو مترجما إلى العربية، إضافة إلى المجلات والدّوريات التي ما فتِئت تخصص لهذه المناهج أعدادًا وملفّات ودراسات.

ويتّفق الدّارسون على أنّ المنهج السّيميائي السّردي كما تجلّى عند روّاد "مدرسة باريس السيميائية" غريماس وتلامذته، من أكثر المناهج النّقدية النّسقية انتشارًا في المدوّنة النّقدية العربية المعاصرة جملة والنّقد الجزائري بصفة خاصّة، وكان لهذا الانتشار أسباب عديدة لعلّ أهمّها تخلّصه من الانغلاق البنيوي ونجاعته التّطبيقية لدى روّاده الغربيين، وتلقّي النّقاد الجزائريين المتبنّين له لأصوله ومناهجه من روّاده الفرنسيين مباشرة والذين يأتي على رأسهم "غريماس" وتلامذته "جان كلود كوكي"، "جوزيف كورتيس"، "آن إينو" وغيرهم.

وقد وُسم هذا البحث بعنوان "السّيميائيات السّردية في الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر من سنة 1990 إلى سنة 2014"، والمقصود بالسّيميائيات السّردية مُنجز "غريماس" وتلامذته دون غيره من الاتجاهات السيميائية المعاصرة، بحكم أنّ النّقاد الجزائريين كانوا أكثر تفاعلا مع هذا الاتجاه مقارنة بالاتجاهات السيميائية الأخرى. وكان تفضيل صيغة الجمع "السيميائيات" إشارة إلى تعدّد مناحي هذه السيميائيات فقد خضعت في حياة مؤسّسها وبعد وفاته للكثير من المراجعة والتّطوير والنّقد، ومن جهة أخرى ترسّم البحث خطى النّاقد "رشيد بن مالك" في وسمه لعناوين كتبه بصفة الجمع هذه نحو: "من المعجميات إلى السيميائيات" و"السيميائيات السّردية".

وقد نسبت هذه السّيميائيات إلى "باريس" لأنّ روّادها كانوا منتمين لجامعات العاصمة الفرنسية ومؤسساتها العليا، وكانوا تلامذة "ألجيرداس جوليان غريماس"، وقد اتّخذ هذا الأخير مدرسة الدّراسات العليا في العلوم الاجتماعية (L’école des hautes études en sciences sociales) بباريس مقرًّا لنشاطه فعُرفت مدرسته بـ "مدرسة باريس السيميائية"، وقد توحّدت جهود الأستاذ وطلبته في محاولة استكشاف القواعد التي تتحكّم في توليد المعنى في الخطابات بشتّى أنواعها، وكان الطّلبة الجزائريون الذين التحقوا بالجامعات

الباريسية في ثمانينيات القرن الفارط من تلامذة هؤلاء الرّواد ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر "رشيد بن مالك"، "عبد الحميد بورايو"، "السعيد بوطاجين"، "حسين خمري"، "إبراهيم صحراوي" وغيرهم ...

وقد فضّل البحث استخدام مصطلح سيميائية بصيغتيه الإفرادية والجمعية، لأنّه المصطلح الذي استقرّ في المدوّنة النّقدية العربية المعاصرة خلافًا للمصطلحين الآخرين "سيميوطيقا" و"سيميولوجيا"، إضافة إلى انصراف مصطلح "سيميائية" في الغالب إلى الممارسات التّطبيقية عكس مصطلح "سيميولوجيا" الذي يتمحّض للبحوث النّظرية.

والمقصود بالخطاب النّقدي الجزائري المعاصر، المنجز النّقدي الجزائري الذي تبنّى المنهج السّيميائي السّردي بمختلف تجلّياته ومستوياته التّحليلية والنّظرية، من خطاب التّأسيس والتّعريف إلى خطاب التّرجمة إلى خطاب النّقد والتّقويم مرورًا بخطابات الممارسات التّطبيقية في مقاربة القصّة القصيرة والرّواية والحكاية الخرافية، إضافة إلى خطاب التّأليف القاموسي وما اعترض هذه الخطابات من إشكالات منهجية واصطلاحية.

وقد حُصِر الحيّز الزّمني للبحث بين سنتي 1990 و2014 وهي مدّة تقارب الرّبع قرن وتسلخ عشر سنوات من القرن العشرين وأربعة عشر سنة من القرن الواحد والعشرين، وكانت بداية التّسعينيات نقطة انطلاقنا على اعتبار أنّ كتاب "عبد الملك مرتاض" "ألف ليلة وليلة دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمّال بغداد" صدر في طبعته الأولى عن دار الشّؤون الثقافية العامة ببغداد سنة 1989 وهو من الدّراسات السّيميائية الأولى في المدوّنة النّقدية العربية عامّة والجزائرية على وجه الخصوص، وجعلنا سنة 2014 نهاية الإطار الزمني لمدوّنة الاشتغال لأنّها السنة التي تمّ تسجيل هذا البحث فيها وقبوله، وقد تمّ اللّجوء إلى هذا الحصر والتّحديد اجتنابًا للتّعميم واحترازًا من التّورط في مغبّة الاتّساع الزّمني وما ينجرّ عن ذلك من اتّساع للمدوّنة وصعوبة السّيطرة عليها قراءة وتحليلاً واستيعابًا.

ويتنزّل موضوع هذا البحث ضمن اختصاص نقد النّقد، مادام الاشتغال فيه على المنجز النّقدي الجزائري الذي اتّخذ من السيميائيات السّردية منهجًا وهو اختصاص محفوف بالمزالق يتوزّع فيه اهتمام الباحث على ثلاثة اتّجاهات، اتّجاه يستجلي المنهج في أصوله من حيث روافده المعرفيّة واصطلاحاته وممارساته التّطبيقية، واتّجاه ثانٍ يستجلي الممارسات النّقدية التي تبنّت هذا المنهج في البيئة المستقبلة، واتّجاه ثالث يقع على الأثر المنقود، فلا سبيل لاختبار فعالية منهج ما وكفاءته الإجرائية دون قراءة عميقة متفحّصة للأثر موضوع النّقد.

ولا ندّعي أبدًا أنّنا مارسنا نقد النّقد في هذا البحث بكلّ ما يعنيه المصطلح من دلالة، فقد كان دأبُنا وصف المنجز النّقدي الجزائري في اختصاص السيميائيات السّردية في حدود المدوّنة المختارة المؤطَّرة زمانيا وتحليل

هذا المنجز ورصد مدى تمثّل النّاقد الجزائري للمعرفة السّيميائية ومدى تحكُّمه في هذا المنهج وقدرته على استثماره في تحليل النّصوص وتطويعه لاستكناه دلالاتها المضمرة، دون إقصاء لجمالياتها بحجّة الصّرامة المهجية والدّقة الاصطلاحيّة. وعليه يسعى البحث إلى مقاربة الإشكالية التالية: هل استطاع المنجز النّقدي الجزائري المعاصر أن يتمثّل أُسس وقواعد المنهج السّيميائي السّردي ويطبّقها بنجاعة وفعالية على نصوص تمتلك خصوصيّاتها اللغوية والبنيوية والحضارية المغايرة لتلك التي طبّق عليها هذا المنهج في بيئته الأصلية؟ وتتولّد عن هذه الإشكالية الرّئيسة جملة من الأسئلة منها:

– لماذا شاع هذا المنهج في المنجز النّقدي الجزائري المعاصر أكثر من غيره من المناهج، وما الإضافة التي قدّمها للمدوّنة النّقدية الجزائرية خصوصًا والعربية بصفة عامّة؟

– هل كان النّاقد الجزائري في مقارباته التّطبيقية يصغي إلى ما يقوله النّص، أم كان يطبّق آليات المنهج تطبيقًا ميكانيكيًّا آليًّا؟

– كيف واجه النّاقد الجزائري إشكالات المنهج والمصطلح التي يعانيها النّقد العربي بصفة عامّة على أساس ارتهانه نظريًّا وتطبيقيًّا للمنجز النّقدي الغربي؟

– هل ترسّم النّاقد الجزائري صِنوَهُ الغربي في خطوات التّحليل ومستوياته وهل التزم حدود المنهج في مقارباته التّطبيقية أم لجأ إلى المزاوجة بين المناهج بحجّة عدم كفاية منهج واحد للإحاطة بكليات النّص وخصوصياته؟

– ما مدى إلمام النّاقد الجزائري بالمتغيّرات الطّارئة على سيميائيات "مدرسة باريس" وما مدى مواكبته لمستجدّاتها باعتبارها مشروع تحر جماعي دائم السّيرورة والتّحول؟

– هل قدّمت السيميائيات السّردية الإفادة المرجوة للحركة النّقدية الجزائرية المعاصرة وساهمت في تطوير المعرفة النّقدية والرّقي بالأعمال الإبداعية؟

– هل استطاع المؤسّسون الأوائل لهذه المعرفة من النّقاد الجزائريين أن يُكرّسوا اتّجاهًا في مسار النّقد الجزائري المعاصر ترسّمه تلامذتهم فأضافوا وتجاوزوا ولم يبقوا حبيسي الأطر التي صنعها الرّواد؟

وفي سبيل الإحاطة بمناحي هذه الإشكالية واقتراح إجابات عن الأسئلة المتولّدة عنها تأطّر البحث بخطة توزّعت عناصرها كما يلي:

مقدّمة، أردناها نافذة مفتوحة على متن هذا البحث تضع القارئ في سياقه وتوضّح إشكالاته وتشير إلى البحوث الأخرى المشاكلة له وتسوّغ خياراته المنهجية.

بعدها انقسم البحث إلى ثلاثة فصول، وسمنا الفصل الأوّل بـ "روافد السّيميائيات السرديّة وآليات التحليل السيميائي في مقاربةالنّص السردي"، فالروافد المختلفة التي غذّت المنهج السّيميائي السّردي كانت في أغلبها روافد لسانية، إذ تدين المناهج النّسقية النّقدية المعاصرة للّسانيات منهجًا ومصطلحًا وإجراءً. وإذا تعلّق الأمر بسيميائيات "مدرسة باريس" فقد نهلت من لسانيات "دي سوسور" ومن "مدرسة كوبنهاغن" بقيادة اللّساني الدّانماركي "لويس هيلمسليف" ومن مخطّط التّواصل وعناصره الذي اقترحه "رومان جاكبسون" ومن "النّحو التّوليدي التّحويلي" الذي يحوز "نعوم شومسكي" قصب السّبق في نظرياته، ولم تقتصر الرّوافد التي أمدّت السّيميائيات السّردية بالمصطلح والإجراء وآليات التّحليل على اللّسانيات فحسب، فهناك روافد معرفية أخرى تأتي على رأسها تأثيرات "فلاديمير بروب" من خلال كتابه "مورفولوجية الحكاية الشّعبية" الصّادر عام 1928، فقد تدارك "غريماس" النّقائص التي لاحظها في تحليلات "بروب" للحكاية الشّعبية وحوّر مصطلحاته واستلهم من عناصر تحليليه الوظائفي نموذجه العاملي، أمّا "كلود ليفي شتراوس" فقد اشتغل هو الآخر على كتاب "بروب" وانصبّ انتقاده على عدد الوظائف وتتابعها وهي الفكرة التي طوّرها "غريماس" واستفاد منها في صياغة نموذجه التّحليلي، ولا ننسى في هذا السّياق المسرحي "إتيان سوريو" الذي اهتمّ بدراسة العوامل داخل المسرحية والدراما وفق منظور سيميائي فلكي يقوم على ستّة عناصر تتشابه إلى حدّ بعيد مع عناصر "النموذج العاملي" عند "غريماس"، واستلهم هذا الأخير من البنيوي الفرنسي "تنيير" فكرة "العامل" التي تتجاوز مفهوم الشّخصية لتمثّل الكائنات والأشياء والأشخاص والمجرّدات، أمّا "جورج دوميزال" –وهو ميثولوجي فرنسي تخصّص في دراسة ديانات وآلهة الشعوب الهندوأوروبية– فقد استلهم منه "غريماس" صفات "العامل" المستوحاة من تصوّر تلك الشّعوب لفكرة الإله، فهو مصدر للفعل والحركة المتّصف بصفات الكمال الأخلاقي وهي ذاتها صفات العوامل كونها تؤدّي أفعالاً ووظائف وتمتلك مؤهّلات تمكّنها من تحقيق ما تصبو إليه من قيّم.

وقد تصدّرت "آليات التّحليل السّيميائي في مقاربة النّص السّردي" الفصول الثّلاثة لضرورة منهجية على علاقة وطيدة بموضوع نقد النّقد، فلا يمكننا مساءلة الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر الذي اتّخذ من السّيميائية السّردية منهجًا، دون أن نُلمّ بمستويات تحليلها، وعن طريق هذه المستويات يمكننا تفحّص مدى توافق الاشتغال النّقدي الجزائري مع الأصول النّظرية التي يمتح منها ومدى تمثّل النّقاد لمستويات هذا المنهج وآليات تحليله، ورصدنا من خلاله مبحثين يتعلّقان بمستويي التّحليل بِدءًا بمستوى البنية السّطحية بمكوّنيها السّردي والخطابي، فالمكوّن السّردي يقوم أساسًا على تلك التّغيرات الطّارئة على حالة الفواعل في علاقتها بموضوع القيمة اتّصالاً وانفصالاً ولأنّ أفعال الفواعل تتحقق بمقتضاها السّردية، رصَدنا في عنصر النّموذج العاملي العناصر السّتة التي تسهم في

تنظيم الخطاب السّردي وفهم مساره وهي: المرسِل والمرسَل إليه والذّات والموضوع والمساعد والمعارض، أمّا في عنصر التّحليل السّردي فرصدنا حركية الحالات والتّحويلات التي يتشكّل بمقتضاها البرنامج السّردي بمراحله الأربعة الأساسية وهي التّحريك والكفاءة والإنجاز والجزاء، ولأنّ المعنى لا يتشكّل من خلال المكوّن السّردي فحسب، بل من خلال وحدات معجمية ومفردات لغوية وأساليب بيانية تحيل إلى أنظمة صورية وتجمعات خطابية، فلأجل ذلك تتم دراسة المكوّن الخطابي بعناصره المذكورة سابقًا إضافة إلى الموضوع والدور الموضوعاتي والممثّل والبنيتين الزّمنية والفضائية.

أمّا مستوى البنية العميقة الذي أفردنا له المبحث الثاني من هذا الفصل فيستهدف أساسًا الكشف عن ظروف إنتاج المعنى وطرق بنائه وتشكّله من خلال رصد الوحدات الدّلالية الصّغرى، ثمّ كشف النّظائر التي تساهم في تحقيق انسجام النّص وصولاً إلى البنية الأساسية للدّلالة التي تتجسّد في المربّع السّيميائي.

ووُسم الفصل الثّاني بعنوان: "المستويات النّظرية للخطاب السّيميائي السّردي في النّقد الجزائري المعاصر" وانقسم إلى ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول استقبال الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر للمنهج السّيميائي بداية من ثمانينيات القرن الفارط وما صاحب هذا الانفتاح من جدل حول الرّيادة والأسبقية، ثمّ أوضحنا المسارب التي انتقل عبرها المنهج السّيميائي السّردي من منبته الفرنسي إلى النّقد الجزائري المعاصر، وقد حصرنا هذه المسارب في البعثات العلمية والتّرجمة والكتاب بلغته الأصليّة أو مترجمًا، إضافة إلى الدّوريات العربيّة التي ما فتئت تخصّص أعدادًا وملاحق لمناقشة قضايا السيميائيات وإضاءة إشكالاتها وملاحقة جديدها.

وخصّصنا المبحث الثاني لخطاب التّأسيس والتّعريف، إذ اشتغل روّاد هذا المنهج من النّقاد الجزائريين على هذا الخطاب رغبة في وصل القارئ العربي عامّة والجزائري خاصّة بهذه المعرفة الجديدة المستعصية على المتلقّين حتى في منبتها وبين منتجيها، وقد اضطلع بهذا الخطاب، ثُلّة من النّقاد الجزائريين يأتي على رأسهم "رشيد بن مالك" و"عبد الحميد بورايو" لاسيما في كتبهم الأولى على غرار "مقدمة في السيميائية السّردية" و"منطق السّرد".

وقد تفحّصنا هذه المؤلّفات تفحّصًا دقيقًا فكشفنا محتوياتها وسبرنا أغوارها وقارنا بينها وبين ما أنجزه تلامذة هؤلاء الرّواد الذين واصلوا مسار أساتذتهم فأضافوا ونوّعوا وأغنوا صنيع "نصر الدين بن غنيسة" في كتابه "فصول في السّيميائيات" و"نادية بوشفرة" في كتابها "مباحث في السّيميائية السّردية" وغيرهم.

ويتعلّق المبحث الثالث بخطاب التّرجمة والتّعريب وهو خطاب يسعى إلى تشرّب المعرفة السيميائية من مظانّها ليصل القارئ العربي بأسسها ومرتكزاتها المعرفية عن طريق مترجمين أكْفَاء تمثّلوا المنهج السّيميائي الغربي تأصيلاً وتنظيرًا وتطبيقًا، وحاولوا نقله بأمانة إلى الثّقافة العربية، ولعلّ النّاقدين "رشيد بن مالك" و"عبد الحميد بورايو" هما رائدا

هذا الخطاب فقد نقلا عن اللّغة الفرنسية بحوثًا قيّمة لـ"غريماس" وتلامذته رغبة منهما في فتح آفاق جديدة أمام النّاقد العربي ووصله بالمعرفة السّيميائية.

وقد اتّسع هذا الخطاب ليضمّ مترجمين آخرين اهتمّوا أساسًا بمنجز تلامذة "غريماس" صنيع المترجم والباحث "جمال حضري" الذي ترجم كتابي "مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية" و"سيمياء اللّغة" لـ"جوزيف كورتيس" وكتاب "الوجيز في السّيميائية العامة" لـ"جان ماري كلينكنبرغ"، وختمنا الفصل الثّاني بمبحث رابع موسوم بـ"خطاب النّقد والتّقويم"، فالسّيميائية السّردية رغم انتشارها وشيوعها وكثرة المتبنّين لمشروعها النقدي لا تخلو من نقائص، وقد رصد نقّاد غربيون كثيرون هذه النّقائص كما رصدها نقّاد جزائريون سواء في تطبيقاتها العربية أم في نسختها الغربية الأصليّة صنيع "رشيد بن مالك" و"عبد الملك مرتاض" و"عبد القادر شرشار" و"نادية بوشفرة" و"قادة عقاق، والملاحظة اللاّفتة في هذه النّقود أن أكثر المشتغلين بهذه السّيميائيات في المدوّنة النّقدية الجزائرية هم الأقل انتقادًا لها، فلا يكاد "رشيد بن مالك" و"عبد الحميد بورايو" يذكرانها بسوء، أمّا أقل الموظّفين لآلياتها واصطلاحاتها في مدوّنتهم النّقدية فهم أكثر المنتقدين لها المستصغرين لفعالية مقارباتها ومستويات تحليلها شأن "عبد الملك مرتاض".

وخصّصنا الفصل الثالث من هذا البحث للممارسات التّطبيقية لسيميائيات "مدرسة باريس" في الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر، وقد تضمّن هذا الفصل خمسة مباحث، تناول المبحث الأوّل "سيميائية التّأليف القاموسي" حيث قدّمنا قراءتين لقاموسين سيميائيين جزائريين أوّلهما "قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص" لـ"رشيد بن مالك"، وثانيهما "معجم السّيميائيات" لـ"فيصل الأحمر"، ووازنّا في سياق هذه القراءة بين القاموسين وكشفنا الإضافة النّوعية التي قدّماها للدّرس النّقدي السّيميائي الجزائري خاصّة والعربي عامّة.

أمّا المبحث الثّاني فخُصّصَ لـ"سيميائية القصّة القصيرة" ورصدنا من خلاله الاشتغال النّقدي الجزائري السّيميائي على القصّة القصيرة صنيع "رشيد بن مالك" في قراءته لقصّتيّ "العروس" لـ"غسان كنفاني" و"عائشة" لأ."أحمد رضا حوحو"،و"عبد الحميد بورايو" في قراءته لمدوّنة قصصية جزائرية لكلّ من: "اسماعيل غموقات" و"أحمد منور" و"بوعلي كحال" و"عبد الملك قجور" في تحليله لقصّة "في المقهى" لـ"محمد ديب".

وأفردنا المبحث الثّالث لـ"سيميائية الخطاب الرّوائي" وهو الخطاب الأكثر اتّساعًا في المدوّنة النّقدية الجزائرية المتبنّية لهذا المنهج وقد اختلفت متون هذه المدوّنة في أحجامها ومقارباتها والسّياقات التي قدّمت فيها، فمنها ما ضمّ كتابًا كاملاً ومنها ما ضمّ فصلاً من كتاب ومنها ما قدّم في ملتقيات أكاديمية ومنها ما كان أطروحات جامعية ومن النّقاد من اتّخذ من النّص الجزائري مدوّنة اشتغال، ومنهم من انفتح على نصوص لروائيّين عرب، كما أنّ هذه

المقاربات تختلف من حيث العناصر التي سلّطت عليها أضواء الاشتغال النّقدي فبعض الدّراسات اكتفت بجزئيّة واحدة كالفضاء، وبعضها اقتصر على دراسة عنصر واحد من عناصر المكوّن السّردي هو "البنية العاملية" وبعضها زاوج بين سيميائية "غريماس" ووظائفية "بروب" في دراسة واحدة وهلمّ جرًّا.

أمّا المبحث الرّابع، فخُصّص لـ"سيميائية الحكاية الخرافية والنّص التّراثي" وقدّمنا فيه قراءات للمنجز النّقدي الجزائري الذي تناول الخرافة والنّص التّراثي صنيع "عبد الحميد بورايو" في مقاربته لخرافة "ولد المتروكة" من التّراث الشّعبي الجزائري، ومقاربته الأخرى لحكاية "التّاجر والعفريت" من "ألف ليلة وليلة" ومقاربته الثّالثة لخرافة "الحمامة المطوّقة" من كتاب "كليلة ودمنة"، إضافة إلى منجز "رشيد بن مالك" في قراءته لنصّ "الحكاية الإطار" في كتاب "كليلة ودمنة" لـ"ابن المقفع" وقراءته لكتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمّة" لـ"المقريزي".

وختمنا هذا الفصل بمبحث خامس تطرّقنا فيه إلى إشكالية المنهج والمصطلح في المتن النّقدي الجزائري المتبنّي للمنهج السّيميائي وكيفية تجلّيها وسبل تجاوزها.

أمّا المنهج المعتمد في هذا البحث فهو المنهج الاستقرائي الذي ينتقل من المعطيات الجزئية إلى ما هو عام وشامل من أجل بلورة رؤية كلّية تحيط بالخطابات النّقدية النّظرية والتّطبيقية في ميدان السيميائيات السّردية في الجزائر، وقد طعّمنا هذا المنهج بإجرائي الوصف والتّحليل، فكلّما عاينّا خطابًا من الخطابات نشرع في تقديم قراءة واصفة لمحتوياته مشفوعة بالتّحليل الذي يستجلي الخصائص والسّمات ويستخلص النّتائج.

وقد استعنّا ونحن ننجز هذا البحث بمجموعة مصادر ومراجع تأتي على رأسها مؤلّفات روّاد هذا المنهج في النّقد الجزائري المعاصر مثل "مقدمة في السّيميائية السّردية" و"البنية السّردية في النّظرية السّيميائية" لـ"رشيد بن مالك" و"منطق السّرد" لـ"عبد الحميد بورايو" و"الاشتغال العاملي" لـ"السعيد بوطاجين" و"مباحث في السّيميائية السّردية" لـ"نادية بوشفرة"، كما استعنّا بمراجع متخصّصة نذكر منها كتابي النّاقد العراقي "محمد فليح الجبوري" "تجليات النّقد السّيميائي في مقاربة السّرد العربي القديم" و"الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي الحديث" إضافة إلى كتاب "في المعنى" لـ"غريماس" وكتاب "التّحليل السّيميائي للنّصوص" من تأليف "فريق إنشروفرن" وغيرها.

ومن المراجع السّابقة التي تتقاطع مع بحثنا هذا نذكر دراسة "قادة عقاق" "الخطاب السّيميائي في النّقد المغاربي" وقد أفادتنا هذه الدّراسة أيّما إفادة في تحديد المستويات النّظرية والتّطبيقية لهذا الخطاب ولكنّها بحكم اتّساع مدوّنتها لم تُضء هذه الخطابات بالقدر الكافي إذ تغاضت عن ذكر مؤلّفات وتجاوزت أسماء تعدّ علامات بارزة في مسار النّقد السّيميائي في الجزائر.

ومن الدّراسات الأكاديمية التي تتقاطع مع بحثنا هذا أيضا، بحث "شرشار فاطمة زهرة" الموسوم بـ"تجلّيات المنهج السّيميائي في خطاب النّقد الأدبي العربي المعاصر" وبحث "حمزة بسو" "إشكالية المنهج في النّقد الجزائري المعاصر قراءة في مشاريع: عبد الحميد بورايو، عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك"، وبحث "هامل بن عيسى" "إشكالية الخطاب السّيميائي في النّقد المغاربي دراسة في نقد النّقد". والملاحظ أنّ هذه البحوث –على أهميّتها– لا تتمحّض للنّقد الجزائري من جهة وتهتم بجانب واحد من جوانب الخطاب السّيميائي، ورغم ذلك أمدّت هذا البحث بالكثير من الأفكار والتوجيهات.

ومن الصعوبات التي اعترضت سبيلنا ونحن ننجز هذا البحث ظروف الوباء وما فرضته من تضييق للحركة وغلق للمكتبات الجامعية وتأجيل للملتقيات واللقاءات الأكاديمية التي كان من شأنها إضاءة بعض المواضع المعتمة بما تتيحه من إمكانات المطارحات العلمية والحوار المثمر البنّاء ولكنّنا –بحمد الله– تجاوزنا هذه العوائق وأنجزنا ما استطعنا إنجازه بتوجيهات أستاذنا المشرف الدكتور "محمد الصالح خرفي" الذي كان نعم المحفّز والموجّه والنّاقد والمثمّن فله منّا جزيل الشّكر والامتنان، والشّكر موصول أيضا للجنة المناقشة التي تكبّدت مشقّة قراءة هذا البحث ومناقشته فجزاها الله عنّا خير الجزاء.

الفصل الأوّل: روافد السّيميائيات السّرديّة وآليات التحليل السّيميائي في مقاربة النّص السّردي

المبحث الأوّل: روافد السّيميائيات السّرديّة

1- الرّوافد اللّسانية

2- الرّوافد المعرفية

المبحث الثاني: آليات التّحليل السّيميائي في مقاربة النّص السّردي

1- مستوى البنية السّطحية.

2- مستوى البنية العميقة.

وفَدت المناهج النّقدية الحديثة إلى الثقافة العربيّة من الغرب، واختلف النّقاد العرب في استقبالها وتلقّيها بين مُبارك ومُرحّب ورافض ومُعرض، وكان لكلّ فئة من الفئتين مبرّراتها وحُججها، ويبدو أنّ كفّة المرحّبين قد رجحت أخيرًا، فقد اصطبغ النّقد العربي المعاصر بصبغة غربيّة في منطلقاته النّظرية وآلياته الإجرائية وجهازه الاصطلاحي وأصبح همّ النّاقد العربي منحصرًا في تمثّل منجزات الآخر والتّوفيق في تطبيقها، وقلّما ساءل هذه المنجزات وحاورها رغم أنّها عُرضة لكلّ أنواع المساءلة في البيئة المنتجة لها، ولكي تغدو هذه المناهج فعّالة بين يدي النّاقد العربي ينبغي أن يُحكم الصّلة بأسسها الفلسفيّة وأصولها النّظرية، ويتمثّل منجزاتها التّطبيقية، ويحاول وهو يستثمر آلياتها في مقاربة النص العربي أن يُصغي إلى ما يقوله هذا النّص أوّلا، فلا طاعة لمنهج في معصيّة النّص كما يقول أستاذنا —عبد الحميد بورايو–.

وإذا كان الغرب مصدر هذه المناهج، فلا يعني ذلك أبدًا أنّه خزّان المعرفة البشرية ومصدرها الوحيد وتتجلّى هذه الفكرة ساطعةً إذا تعلّق الأمر بالسيميائيات، فالتّفكير في "العلامة" ليس مقصورًا على أمّة دون أخرى ولم يبدأ مع "دي سوسور" (De Saussure) و"بيرس" (Peirce)، بل إنّ فلسفة العلامة لا تنفصل عن فلسفة اللّغة بشكل عام، فما اللّغة سوى علامات وما الإنسان سوى مصنع علامات بها يتواصل وعن طريقها يستدل ويعرف ويؤول ويكتشف لذا تتماهى إشكالات العلامة بإشكالات اللغة «فإنّ اللّغة مكوّن للسّيميولوجيا إذ يستحيل بناؤها ما لم تكن اللغة عنصرًا بنائيًّا فيها»[1].

فالسيميائية إرث إنساني، تشاركت في بناء صرحه مختلف الأمم والأجناس، إلاّ أنّ الموضوع السيميائي لدى هذه الثقافات المتغايرة كان يردُ في سياق مباحث تتعلّق بالمنطق والفلسفة والبلاغة، ولم تستقل بنظرية قائمة بذاتها إلاّ في العصر الحديث مستلهمة روافدها المعرفية من مناهل شتى كاشفة من خلال منطلقاتها النّظرية وتطبيقاتها «عن الطّريقة التي من خلالها يتسلّل المجتمع إلى العلامات ويستوطنها ويحوّلها إلى مستودع لأحكامه وتصنيفاته، بل ووجدانه أيضا، فالسيميائيات طريقة جديدة في فهم الظواهر وتأويلها وهي أيضا طريقة جديدة في التّعامل مع المعنى»[2].

ولأنّ ظواهر الكون ومظاهره علامات، والكون ذاته علامة كبرى تستدعي التّأمّل والقراءة، فقد تعدّدت زوايا النّظر إلى هذه العلامات دراسة وتأويلا، فنشأت اتجاهات سيميائية متعدّدة يهتم بعضها بالكلام وبعضها بالصّورة وبعضها الآخر بالثقافة، وبعضها بالسّرد باعتباره ظاهرة كونية تتجاوز السّرد الحكائي لتنفتح على مجالات

[1]– حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1987، ص75.

[2]– سعيد بنكراد، السيميائيات، النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 35، يناير– مارس 2007، ص12.

أخرى وَجدت لها مكانًا في مختبرات الاشتغال السيميائي السّردي، كالخطاب الإشهاري والموكب الجنائزي وخطاب الإضراب وخطابات كتب الطّبخ ...

وربّما كانت "السيميائيات السّردية" من أكثر هذه الاتّجاهات رواجًا في المتن النّقدي المغاربي بصفة عامّة، والجزائري بصفة خاصة، فقد امتدّ أثرها —عبر روافد متعدّدة– إلى المتن النّقدي الجزائري بداية من ثمانينيات القرن الفارط فتبنّاها ثُلّة من النّقاد اجتهدوا في تكريسها تعريفا وتأسيسًا وترجمة وتطبيقا، ثمّ أورثوها لتلامذتهم فتكرّست مقياسًا دراسيّا واشتغالا أكاديميًا في المعاهد والجامعات.

وربّما كان لهذا الرّواج علاقة وطيدة بخصوصيات هذه النّظرية متمثّلة في مرونتها وانفتاحها ووضوح أهدافها، فهي كما يؤكّد مؤسّسها "غريماس" (Greimas): «ليست فرعًا من فروع الفلسفة، إنّما مجرّد تأمّل عملي في الخطاب، أي خطاب، حتى ولو لم يكن جملة قوليّة وهي في عنايتها بالقيم والدّلالة تحرص على الكشف عن الدّلالة المتوارية تحت السّطح في محاولة للوصول إلى معنى الحياة نفسها»[1].

فالنّظرية السيميائية منفتحة على شتّى أنواع الخطابات قوليّة وغير قوليّة، حريصة على كشف المعنى عن طريق كشف شبكة العلاقات المكوّنة للخطاب وفنون التّأليف بينها.

وفي سبيل الإحاطة بالمعنى في مختلف الأفعال والخطابات الإنسانية نهلت السيميائيات السّردية من روافد متعدّدة لسانية ومعرفيّة استثمرتها في صياغة مستويات تحليلها وآلياتها وجهازها الاصطلاحي وسنحاول تفصيل هذه الرّوافد فيما يلي:

1– الرّوافد اللّسانية:

1–1– جهود "دي سوسور": De Saussure

تُعدُّ اللّسانيات البنيويّة السوسورية رافدًا هامًّا من روافد السيميائيات السّردية بما كرّسته من مفاهيم واصطلاحات، استفادت منها حقول معرفيّة مختلفة في صياغة نظرياتها ومقارباتها التّطبيقية «وفي الحقيقة لم تظهر البنيوية Structuralisme إلى حيّز الوجود إلاّ حين أدرك علماء الأنثروبولوجيا ونقّاد الأدب وغيرهم، أنّ الاقتداء بعلم اللّغة يمكن أن يساعدهم في توسيع ما كانوا يرغبون في إنجازه داخل فروع معارفهم الخاصّة وإثبات

[1]– برونوين مارتن، فليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقا، تر/ عابد خزندار، مراجعة محمد بريري، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2008، ص7.

شرعيته، ولذلك فبمجرّد أن بدأ هؤلاء في التّسليم بعلم اللّغة بوصفه نموذجا لفروع معارفهم الخاصّة، تيقّنوا من أنّهم لم يكونوا يقومون في الواقع سوى بتطوير "علم العلامات" الذي اقترحه "دو سوسور" منذ زمن بعيد»[1].

ومعلوم أنّ "دي سوسور" أوّل من تنبّأ بظهور هذا العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية وتكون اللّسانيات مجرّد فرع منه، واقترح له اصطلاح "علم العلامات" يقول: «وإذن فإنّه من الممكن أن نتصوّر علما يدرس حياة الدّلائل في صلب الحياة الاجتماعية، وقد يكون قسما من علم النّفس الاجتماعي وبالتّالي قسما من علم النّفس العام ونقترح تسميته Sémiologie أي علم الدّلائل وهي كلمة مشتقّة من اليونانية Sémeion بمعنى دليل. ولعله سيمكّننا من أن نعرف ممّ تتكوّن الدّلائل والقوانين التي تسيّرها. ولمّا كان هذا العلم غير موجود بعد فإنّه لا يمكن أن نتنبّأ بما سيكون، ولكن يحقّ له أن يوجد، ومكانه محدّد سلفًا وليست الألسنية سوى قسم من هذا العلم العام»[2].

فقد أمدّت، إذًا، لسانيات "سوسور" نقاد الأدب وعلماء الأنثربولوجيا بنموذج معرفي استوحوا معطياته النظرية في بحوثهم ومقارباتهم وساهم ذلك في التّأسيس لعلم العلامات فقد «ساعد استخدام علم اللّغة –كما اقترح دو سوسير– بوصفه نموذجًا لعلم العلامات على لفت الانتباه إلى الطبيعة الاصطلاحية للعلامات والطبيعة الاختلافية للمعنى»[3].

ولعلّ الطبيعة الاختلافية للمعنى هي المظهر الأبرز لتأثير لسانيات "سوسور" في سيميائيات "غريماس" السّردية، فالبنية الأساسية للدّلالة في هذه السيميائيات تتأسّس على علاقة خلاف بين عنصرين والافتراض الأول لهذه السيميائيات هو أنّه لا توجد دلالة بدون اختلاف، كما لا يوجد "أعلى" بدون وجود "أسفل" و"ساخن" بدون "بارد" و"خير" بدون "شر" كما يقول "غريماس" نفسه: «نحن ندرك الاختلافات وبفضل هذا الإدراك يتّخذ العالم شكله أمامنا، من أجل ما نستهدفه»[4].

ولا يقتصر تأثير لسانيات "سوسور" في السيميائيات السّردية على مبدأ الاختلاف فحسب، فقد ارتبط هذا التّأثير بمفاهيم أخرى مثل: «التّفرقة بين لغة Langue وكلام Parole، والفصل بين المنطورين "التزامني" و"التعاقبي"، وتصوّر اللّغة بوصفها نسقًا من العلامات التراصفيّة Syntagmatique، والاستبدالية

[1]– جوناثان كيللر، فردينان دوسوسور وتأصيل علم اللّغة الحديث وعلم العلامات ترجمة وتقديم/ محمود حمدي عبد الغني، مراجعة/ محمود فهمي حجازي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، دط، 2000، ص112.

[2]– فردينان دي سوسور، دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدّار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، دط، 1985، ص37.

[3]– جوناثان كيللر، فردينان دوسوسور وتأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، ص122.

[4]– برونوين مارتن، فليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقا، ص17.

Paradigmatic بمستوياتها التّصاعدية المختلفة، حيث يمكن وصف الإسهامات التي قدّمها علم اللّغة الحديث على أقل تقدير، بأنّها دارت في الغالب حول التّفاصيل الدّقيقة لتلك المفاهيم والمعاني الخاصّة بها، ولذلك فإنّ دراسة هذه المفاهيم يمكّننا من فهم إلى أيّ حدّ نجح "سوسوسور" في طرح الأسئلة الأصلية التي أحيت علم اللّغة الحديث»[1]

ويمكن اعتبار تأثيرات "سوسور" في العلوم الإنسانية برُمّتها "نظرية للمعرفة"، «ففي مقاله الصّادر سنة 1956 "راهنيّة النّزعة السوسيريّة" يرى "غريماس" ضرورة استفادة العلوم الإنسانية من ثنائيات "سوسير" بحيث يشير إلى كون أصالة مساهمة سوسير في تحوّل نظريّته الخاصّة التي تخُصّ فهم العالم باعتباره شبكة من العلاقات أو باعتباره بناءً لأشكال ذات معنى، إلى نظرية للمعرفة أو منهاجيّة لسانية»[2]

ويمكن من خلال ماسبق تلخيص تأثير "دوسوسور" في سيميائيات "غريماس" في نقطتين:

1- استفادة العلوم الإنسانية عامّة من التّفكير اللّساني السوسوري المنبني على ثنائيات قائمة على التفريق بين اللّغة والكلام، والآنية والزّمانية، والعلاقات التراصفية والاستبدالية، واعتبار اللّغة شكلاً وليست مضمونًا.

2- اعتماد "غريماس" على مبدأ "الاختلاف" السوسوري، الذي ينُصّ على أنّ المعنى لا يكون إلاّ بالاختلاف وبحضور عنصرين تربطهما علاقة.

1-2- لويس هيلمسليف (Louis Hjelmslev) ومدرسة "كوبنهاغن":

انفتحت السيميائيات السّردية على مدارس لسانية عديدة أغنت مستوياتها التّحليلية وأسسها النّظرية على السّواء، ولعلّ أبرز تأثير لمدرسة "كوبنهاغن" بقيادة "هيلمسليف" يتمثّل في الدّعوة إلى مبدأ التّحليل المحايث «والمقصود بالتّحليل المحايث أنّ النّص لا يُنظر إليه إلاّ في ذاته، مفصولاً عن أيّ شيء يوجد خارجه، والمحايثة بهذا المعنى هي عزل النّص والتخلّص من كلّ السّياقات المحيطة به. فالمعنى ينتجه نص مستقلّ بذاته ويمتلك دلالاته في انفصال عن أيّ شيء آخر»[3]

ومبدأ المحايثة الذي دعا إليه هذا اللّساني هو الذي نقل الدراسات النّقدية من السّياق إلى النّسق فأصبحت هذه الدّراسة تنطلق من النص لتعود إليه «ولقد كانت السيميائيات السّردية، خاصّة تحت تأثير

[1]- جوناثان كيللر، فرديناند دوسوسور وتأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، ص96.

[2]- سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية، جريماس نموذجا، مجلة "سمات" البحرين، مجلد 01، عدد 01، ماي 2013، ص49.

[3]- سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط3، 2012، ص255.

يالمسليف، الذي كان يقول بضرورة دراسة اللّسان دراسة محايثة بعيدًا عن كلّ العناصر الخارجية، سبّاقة إلى الاستفادة من المردودية المعرفيّة والتّحليلية لهذا المبدأ في تحديد مستويات الدّلالة وأنماط تشكّلها»[1].

إنّ التّحليل السيميائي ينطلق من فرضيّة أنّ النّص مترابط داخليًّا وأنّه يُنتج معناه من خلال العلاقات الشّكلية بين بُناه، ومن ثمّ لم يَعُد المحلّل يتساءل عمّن قال وماذا قال، بل ينصبُّ اهتمامه على محاولة الإجابة عن السّؤال: كيف قال؟

ولم يكُن مبدأ المحايثة هو التّأثير الوحيد لمدرسة "كوبنهاغن" في السيميائيات السّردية الغريماسية فقد «أنشأ النّظرية النّسقية وتُسمّى أيضا الشّكلية، لأنّه يُعطي الشّكل الأولوية المطلقة في دراسة اللّسان، واتّجه بها اتّجاهًا خاصًّا حيث لم يعتمد في دراسة الوحدات اللّسانية على مبدأ التّقابل، وهو المفهوم الأول لدى سوسير، لأنّ هذا المبدأ يؤدي بنا إلى منح صفة الإيجابية لتلك الوحدات، بينما يعتبر هيلمسليف الوحدة في غاية من السّلبية مادامت لا تحدّد نفسها بنفسها، بل بمجموع العلاقات الشّكلية التي تُقيمها مع بقيّة وحدات اللّسان، فهو يبحث أساسًا عن طبيعة العلاقات التّناسقية لصنف العناصر اللّسانية التي تشكل منها النّص أو الخطاب على مستوى التّعبير والمضمون»[2].

فالوحدة اللّسانية ليس لها قيمة دلاليّة إلاّ إذا انتظمت في نسق وارتبطت ببقية الوحدات التي تشكّل منها النّص، فالدّراسة المحايثة التي دعا إليها هذا اللّساني واعتنقتها المناهج النّقدية، إنّما تتأسّس على تلك العلاقات الشّكلية التي تنشأ بين وحدات الخطاب.

ومن الإضافات الجديدة التي قدّمها "هيلمسليف" إلى البحث اللّساني تجديد مفاهيم "سوسير" وفق رؤية جديدة ومصطلحية خاصّة «فقد استبدل بـ"الدّال" مصطلح "التّعبير" Expression واستبدل بـ"المدلول" مصطلح "المحتوى" Contenu، ثمّ رأى أنّ كلاّ من التّعبير والمحتوى يتضمّن مستويين: مستوى الشّكل (Forme) ومستوى المادّة (Substance)، فمادة المحتوى هي الواقعة الدّلالية (الأفكار والأحاسيس...) ومادة التّعبير هي الواقعة الصوتية (الأصوات)، وكلاهما —حسب هيلمسليف– ليست له طبيعة لسانية. أمّا شكل المحتوى فيكمن في العلاقات التي تنتظم المادة الدّلالية (العلاقات الشّكلية للدّلالات)، وأمّا شكل التّعبير فهو الشّبكة العلائقية التي تحدّد الوحدات الصوتية (العلاقات الشّكلية للأصوات)»[3].

---

[1]– سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص256-257.

[2]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2008، ص11.

[3]– عبد الواحد المرابط، مدخل إلى السيمياء، الأسس اللسانية والامتداد المعرفي، مركز الأبحاث السيميائية والدراسات الثقافية، المغرب، ط1، 2018، ص64-65.

ومن خلال ما سبق يمكن توضيح العلامة في تصوّر "هيالمسليف" في الخطاطة التالية:

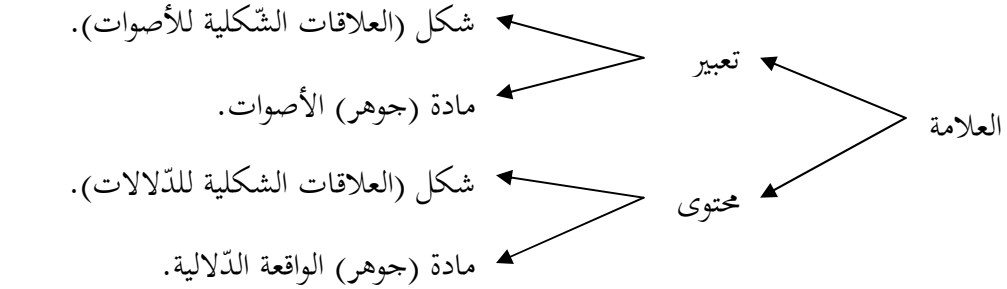

وانطلاقًا من هذه التّقسيمات ركّز "غريماس" على «شكل (المحتوى) وعدَّه موضوع علم الدّلالة. وقد ميّز ضمن "شكل المحتوى" نفسه مكوّنين: مكوّن مورفولوجي يتعلّق ببنية الوحدات الدّلالية، ومكوّن نحوي يتعلّق بتوليف هذه الوحدات الدّلالية فيما بينها، يتمفصل المكوّن المورفولوجي في مستويين: مستوى عميق ومستوى سطحي»[1].

فالمستوى السّطحي إذن بمكوّنيه السّردي والخطابي والمستوى العميق بمعانيه وتشاكلاته هي نتائج قراءة "غريماس" للسانيات هيلمسليف «ومنه فقد ظلّ "غريماس" مخلصًا للنّظرة المحايثة قصد بناء مشروع علمي للمعنى كما أظهر إمكانات مفاهيم "هيلمسليف" اللّسانية ومرونتها داخل جهاز المفاهيم السيميائية»[2].

يمكن –من خلال ما سبق– تحديد استفادة سيميائيات غريماس من لسانيات "هيلمسليف" في مبدأ المحايثة، والاهتمام بشكل المحتوى واعتباره موضوع السيميائية.

1–3– رومان جاكبسون "Roman jackobson" وحلقة "براغ":

اهتمّ لسانيو "حلقة براغ" بالجوانب الفونولوجية للتّواصل اللّغوي والتي تعني «دراسة أصوات اللّغة من حيث وظائفها وخضوعها لقواعد معيّنة، فحتى يتألّف التّنظيم الصوتي الفونولوجي، لابُدّ من مجموعة من العلاقات تظهرها إلى الوجود إشارات معيّنة، تميّز تلك الأصوات بين الظاهرة النّطقية والوظيفة اللّغوية وتُسمّى هذه بالفونيمات (Les phonémes)»[3]. تميّز هذه الفكرة كلّ عنصر صوتي عن غيره، وقد استعاد "غريماس" هذه الفكرة واستثمرها حين إعداده للبنية الأساسية للدّلالة المشكّلة للمربّع السيميائي، فمثلما تتميّز الأصوات بناءً

[1]– عبد الواحد المرابط، مدخل إلى السيمياء، الأسس اللسانية والامتداد المعرفي، ص68.

[2]– جريوي آسيا، السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة –دراسة في ثلاثية "حكاية بحار– لحنا منية، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د: بن غيسة نصر الدين، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم الأدب العربي، السنة الجامعية: 2012–2013، ص34.

[3]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص13.

على اختلاف فونيماتها أي الوحدات المشكلة لها، كذلك تتولّد الدّلالة عن طريق علاقة التّضاد بين سيمين (معنمين) مختلفين.

غير أنّ نظرية "جاكبسون" حول التّواصل اللّغوي هي أبرز تجلّيات هذه المدرسة وأوضحها تأثيرا في سيميائيات "غريماس"، ومن المعلوم أنّ "جاكبسون" ضبط عمليّة التّواصل من خلال ستّة عناصر[1]، هي المرْسِل والمرسل إليه والرّسالة والسّياق والقناة والنّظام (code)، وتتولّد عن كل عنصر من هذه العناصر وظيفة من وظائف اللّغة، فالوظيفة التّعبيرية "La fonction expressive" تركّز على المرسِل والوظيفة الإفهامية أو التّأثيرية "fonction impressive" تطفو على سطح الخطاب عندما تتجه الرّسالة إلى المرسَل إليه، أمّا الوظيفة الانتباهية "La fonction phatique" التي تركّز على القناة فإنّها «تؤدّي وظيفة المحافظة على سلامة جهاز الاتّصال والتّأكد من استمرار مرور سلسلة الرّسائل الموجّهة إليه على الوجه الذي أُرْسِلَتْ به»[2] أمّا الوظيفة المرجعيّة "La fonction Référentielle" فتتجلّى وتُهيمن على الخطاب عندما تتّجه الرّسالة إلى السّياق وتركّز عليه، أمّا الوظيفة التي يسعى من خلالها المتخاطبان إلى التّأكد من الاستعمال الصّحيح للسّنن الذي يوظفان رموزه فسمّى: وظيفة مارواء اللّغة La fonction Métalinguistique فهي كلام عن الكلام، وتركّز الوظيفة الشّعرية La fonction poétique على الرّسالة ذاتها، وتجدر الإشارة إلى أنّ حديث "جاكوبسون" عن هذه الوظيفة وحالات هيمنتها هو ما يشكّل صلب نظريته حول الشعر، ولكن، كيف استفادت السيميائيات السّردية من مخطط التّواصل الذي اقترحه "جاكوبسون" والوظائف المتولّدة عنه؟

«لقد أخذ "غريماس" من نموذج التّواصل لـ: "رومان جاكبسون" مسألة التّنافس بين المرسِل والمرسَل إليه في مضمار القول (النّص) حول الرسالة إذ أسقط ذلك في المسار السّردي، فجدّد صراع الذّات والذّات المضادة حول الموضوع، فالرّسالة تمثّل الموضوع المرغوب فيه بين الذوات، كما أنّه استفاد من مفهومي المرسِل والمرسَل إليه اللّذين استعارهما من نموذج التّواصل، غير أنّ المرسِل بالنّسبة إلى "غريماس" لا يُبلِّغ المرسل إليه رسائل بل يقوم بدور تحريك الذّات نحو تحقيق الموضوع إلى المستفيد وهو المرسَل إليه»[3].

[1]- ينظر: الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص35.

[2]- المرجع نفسه، ص42.

[3]- جريوي آسيا، السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة، دراسة في ثلاثية حكاية بحار –لحنا مينه، ص41.

فقد استعار "غريماس" مصطلحي، المرسِل والمرسَل إليه من مخطّط التّواصل لـ"رومان جاكوبسون"، لكنّه حوّر دلالتهما لتتناسب مع ترسيمته العامليّة، فالمرسِل هو الحافز الذي يُحرّك الذات لتحقيق موضوع القيمة ويكون المرسَل إليه في هذه الحالة هو المستفيد من موضوع القيمة.

1-4- تأثيرات "تشومسكي": Chomsky

تعدّدت الرّوافد اللّسانية التي متحت منها السيميائيات السّردية؛ بحيث تحيل بعض اصطلاحاتها إلى مدارس لسانية بعينها، كما هو الحال بالنّسبة لمصطلحات البنية السّطحية والبنية العميقة والكفاءة اللّغوية والأداء الكلامي وهي مصطلحات ترتبط ارتباطا وثيقًا بنظرية النحو التّوليدي التّحويلي كما عُرفت عند اللّساني الأمريكي "نوام تشومسكي" (Noam Chomsky).

فالبنية العميقة في مفهوم "تشومسكي" «هي التّركيب الباطني المجرّد الموجود في ذهن المتكلّم وجودًا فطريًّا وهي أوّل مرحلة من عمليّة الإنتاج الدّلالي للجملة، إنّها التّركيب المستتر الذي يحمل عناصر التّفسير الدّلالي لـ"L'nterprétation sémontique"، أمّا البنية السّطحية، فهي تتمثّل في التّركيب التّسلسلي السّطحي للوحدات الكلاميّة الماديّة المنطوقة أو المكتوبة، إنّها التّفسير الصّوتي للجملة Son interprétation phonétique».[1]

فالبنية السّطحية تتجسّد ظاهريًّا عبر التّتابع الخطّي للكلمات الصّادرة عن المتكلّم، أمّا البنية العميقة فهي بنية مجرّدة كامنة في ذهن المتكلّم، إنّها القواعد التي أوجدت هذا التّتابع وشكّلت دلالة الجملة واستعمالاتها الممكنة، واعتمادًا على رؤية "تشومسكي" انبنى التّحليل المستوياتي الغريماسي على بنيتين، عميقة وسطحية تشتمل البنية العميقة «على القوانين التي يخضع لها العالم السّردي ... أمّا البنية السّطحية فتظهر عنده على سطح النّص وبُناه أو ما يُسمّى بالبُنى النّصية أو الكلامية (Les Structures discursives)، إذ ينطلق التّحليل السّردي في هذا المستوى من الخصائص التّعبيرية والملفوظات السّردية للنّص، وكلّ ما يتعلّق بالخصائص الشّكلية له ضمن مكوّنين أساسيين هما المكوّن السّردي والمكوّن الخطابي، إذْ يتمّ في الأوّل تفحّص العوامل والوظائف ويتم في الثّاني مقاربة الصّور والتّشكلات الخطابية».[2]

---

[1]- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004، ص52-53.

[2]- سحنين علي، السيميائيات السّردية، نظرية غريماس، الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية، مجلة "أيقونات"، منشورات رابطة "سيما" للبحوث السيميائية، سيدي بلعباس، مجلد 03، العدد3، ماي 2012، ص47.

كما استوحى "غريماس" مصطلحي الكفاءة والأداء من "تشومسكي" أيضًا، ويُقصد بالكفاية اللّغوية المقدرة على إنتاج الجمل وتفهّمها، أمّا الأداء الكلامي فهو الاستعمال الآني للّغة ضمن سياق معين[1]. فعن طريق الكفاية اللّغوية التي يمتلكها المتكلّم يستطيع التّمييز بين الجمل الخاضعة لقواعد لسانٍ ما، والجمل اللانحوية غير المنسجمة مع قواعد ذلك اللّسان، أمّا الأداء الكلامي فهو الاستعمال الفردي للغة في سياق خاص «وتؤدّي ثنائية "الكفاءة/الأداء" في النّحو التوليدي دورًا شبيهًا بالدّور الذي تؤدّيه ثنائية "اللّسان/الكلام" داخل النّظرية السوسيرية، إذْ يرى "سوسير" بأنّ اللّسان هو نسق من العلامات، أمّا "تشومسكي" فهو يرى بأنّ الكفاية تتضمّن الأهليّة لإنشاء الجمل وتكوينها، حيث يؤلّف التّركيب محور النّظرية اللّسانية».[2]

وقد وظّف "غريماس" مفهومي الكفاءة والأداء ضمن مراحل البرنامج السّردي، فالكفاءة هي المؤهلات التي تمتلكها الذّات لتحقيق الإنجاز، والإنجاز هو مرحلة التّنفيذ، وسنقف عند هذين المصطلحين بمزيد من الشرح والإيضاح في عنصر "مستويات التّحليل السيميائي".

حاولنا —من خلال ماسبق– رصد التّأثير اللّساني في سيميائيات "غريماس" السّردية، بِدءًا بثنائيات "سوسور" ومبدأ الاختلاف المكوّن للمعنى ومرورًا بانحصار موضوع السيميائية في رحلتها لاكتشاف المعنى في شكل المحتوى كما نصّ عليه "هيالمسليف" وانتهاءً باستثمار "غريماس" لفكرة "الفونيم" في علم الأصوات لتأسيس البنية الأولية للدّلالة وتحوير دلالات الرّسالة والمرسِل والمرسَل إليه في نظرية التّواصل لجاكبسون واستثمارها في تشكيل الترسيمة العاملية، واستثمار مصطلحات تشومسكي بإخضاعها لمفاهيم جديدة نحو: البنية السّطحية والبنية العميقة والكفاءة والأداء.

وللإحاطة بالرّوافد الكثيرة التي غذّت سيميائيات "غريماس" سنعرّج في العنصر الموالي على الرّوافد المعرفية التي نهلت منها هذه النّظرية في بناء منظومتها المفاهيمية والاصطلاحية.

[1]– ينظر، ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1986، ص7.

[2]– ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر/ عبد القادر فهيم الشيباني، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007، ص29–30.

2- الرّوافد المعرفية:

لئن كانت اللّسانيات من أهم المصادر التي أمدّت السيميائية بالقواعد التي ارتكزت عليها، فإنّ باحثين آخرين في ميادين سردية مختلفة أغنوا نظرية "غريماس" بدراساتهم وأفكارهم منهم:

2-1- فلاديمير بروب: Vladimir propp

صدر كتاب "مورفولوجيا الحكاية الشّعبية" لـ"فلاديمير بروب" عام 1928، ويعدُّ هذا الكتاب علامة مضيئة في مسار التّحليل البنيوي للسّرد، فقد ركّز "بروب" في تحليله للحكاية الشّعبية الروسيّة على وظيفة الشّخصيات، لا الشّخصيات في حدّ ذاتها فـ«معرفة ما تقوم به الشّخصيات هو السّؤال الوحيد المهم في دراسة القصّة، فأمّا من يقوم بالشّيء وكيف يقوم به، فإنّها أسئلة لا تطرح إلاّ بشكل ثانوي»[1]. والوظائف هي المكوّنات البنيوية للخرافة وتتحدّد عند "بروب" بكونها «فعل الشّخصية مُتصوّر بمعزل عن الشّخصية التي تُنجزه وعن الطّريقة التي يُنَفَّذُ بها، وعن الوسائل التي يُنجز بواسطتها»[2]. والعناصر الثّابتة في الخرافة هي أفعال الشّخصيات أو ووظائفها وليس الشّخصيات في حدّ ذاتها «ونستطيع استباقا أن نقول إنّ عدد الوظائف غاية في القلّة، في حين لا حصر لعدد الشّخصيات، وهذا ما يُفسّر الوجه المزدوج للقصّة العجيبة، فمن جهة هناك تنوّعها المدهش وريشتها الحافلة بالألوان، ومن جهة أخرى هناك رتابتها ووحدة شكلها التي لا تقلُّ إدهاشًا عن سابقتها»[3].

فالخرافة إذًا، تجمع بين الرّتابة والتّنوع، رتابة في الوظائف، وتنوّع في الشّخصيات وعددها، وقد حصر "بروب" عدد الوظائف في إحدى وثلاثين وظيفة مع إشارته إلى إمكانية افتقاد بعضها في بعض الخرافات وكذا عدم إلزاميّة ورودها وفق ترتيب ثابت.

وفضلاً عن ذلك فإنّ هذه الوظائف الواحدة والثلاثين قام "بروب" باختزالها إلى سبع دوائر للفعل هي: «1-دائرة فعل الشّرير، 2-دائرة فعل المانح، 3-دائرة فعل المساعد، 4-دائرة فعل الأميرة، 5-دائرة فعل المرسِل، 6-دائرة فعل البطل، 7-دائرة فعل البطل المزيّف»[4].

---

[1]- فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر/ د.عبد الكريم حسن، ود.سميرة بن عمّو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996، ص37.

[2]- دليلة مرسلي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص-صورة)، تر/ عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1995، ص44.

[3]- فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، ص37.

[4]- المرجع نفسه، ص159.

وبحسب هذه الدّوائر تتحدّد الشّخصيات وتتموقع وتنتظم لحظات ظهورها داخل الحكاية، وبديهي أنّ هذه الدّوائر لا تمثّل شخصيات بقدر ما تمثّل أفعالا، فدائرة فعل الشّرير مثلا تتضمن «الإساءة والقتال وأشكال الصّراع ضد البطل والمطاردة»[1] وهكذا بالنّسبة لبقية الدّوائر.

ويهدف "بروب" من وراء هذا الفعل إلى «تفريغ هيكل الشّخصيات من تجسيدها العياني الذي يمثل في شخصيات الحكاية الواحدة، ولإضفاء طابع العموم على هذا الهيكل كي يكون متوافقًا مع ما ذهب إليه في موقفه من الوظائف، جاءت هذه الهيكليات المتمثّلة في المعتدي والبطل وغيرها من الشّخصيات كي تكون علامات دلالة على أدوار تقوم بها شخصيات لا تحظى باهتمام بروب، بقصد تعميم فهمه لمجمل النّص الخرافي وليس لمتن واحد»[2]

وقد استفاد "غريماس" من منجزات "بروب" في بناء نموذجه العاملي، انطلاقا من الانتقادات التي وجّهها لهذا المنجز فـ«خضوع الحكايات الخرافيّة لدى "بروب" لنمط وظائفي محدّد وتتابع زمني ثابت، يؤدّي إلى تشكّل حكاية خرافية واحدة؛ بحيث تنتظم كلّ الوظائف المعروفة للحكاية نفسها داخل حكاية واحدة، كما أنّ التطبيق الآلي للمثال الوظائفي البروبي، لا يمكن أن يتلاءم مع النّصوص الأدبية والسّردية الأكثر تعقيدًا، وهو ما جعل غريماس يجتهد أكثر في تبسيطه وتعديله عن طريق اختزال عدد الوظائف بطريقة ازدواجية، كأن تكون وظيفة صراع تستدعي انتصار ووظيفة منع تستدعي خرقًا له»[3]. ونتج عن ذلك ستّة عشرة وظيفة، فالخداع يقابل الخضوع والنّقص يقابل تعويض النّقص، والاضطهاد يقابل العون وهكذا دواليك ...

واستنادًا على دوائر الفعل السّبعة التي اكتشفها "بروب" حدّد "غريماس" نموذجه العاملي المشكّل من العوامل السّت المعروفة "المرسِل والمرسَل إليه، والذات، والموضوع والمساعِد والمعارض".

«ويمكن أن نلخّص الصّياغات الجديدة التي قدّمها "غريماس" للمشروع البروبي في النّقاط التّالية:

- الملفوظ السّردي بدل الوظيفة.
- العامل بدل الشّخصية.
- البنية العميقة والبنية السّطحية بدلاً من السّطحية.

[1]- محمد فليح الجبوري، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السرد العربي القديم، منشورات ضفاف، لبنان، دار الأمان، الرباط، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016، ص33.

[2]- محمد فليح الجبوري، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السرد العربي القديم، ص35.

[3]- سحنين علي، السيميائيات السردية، نظرية غريماس، الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية، ص51.

– التّرسيمة العاملية بدلاً من التّتابع الوظائفي»[1].

لقد حاول "بروب" أن يضع نموذجًا تجريديًّا شكليًّا لدراسة وتحليل الحكاية الشّعبية، وحاول "غريماس" تعديل هذا النموذج بما يتلاءم مع كلّ أشكال السّرد «ولعلّنا لا نجانب الصّواب إذا ما قلنا إنّ "غريماس" لم ينجح إلاّ حيث فشل "بروب" الذي عجز عن بناء "أنموذج" لمخطط تجريدي، تشترك فيه جميع نصوص الحكايات العجيبة، انطلاقًا من الشّكل فحسب دون المحتوى، فيما أثبت "غريماس" نظريته على البنية العميقة لتحديد الخصائص الدّلالية المشتركة للنّصوص»[2]. وعن طريق هذا الجدل المثمر بين الأفكار والتّصورات تتبلور النّظريات وتتحاور المعارف.

2-2- كلودليفي شتراوس: (C.Levi-strauss)

استثمر هذا الباحث كشوفات "دي سوسور" في مجال اللّسانيات وطبّقها على دراسة الأساطير، فالظواهر الأنثربولوجية والميثولوجية هي أيضًا لُغات لها نظامها وبنيتها، ومن ثمّ وجد "شتراوس" مجالاً جديدًا لتطبيق المقاربة البنيوية الألسنية «وقد أخذَ على عاتقه تعرّف العناصر المؤلفة للسّلوك الثّقافي الذي درسه وكأنه ظاهرة لُغويّة وفي سبيل البحث عن البنية الدّلالية (النظام اللّغوي) "Langue" التي تنهض عليها الثقافة، فقد اتّجه إلى الاهتمام بالأساطير، وقام بتحليل أساطير من ثقافات مختلفة، واكتشف عددًا من العناصر المشتركة متكرّرة الحدوث سمّاها "ميثيم" (METHEMES) كمقابل لـ (Phoneme) الصّوتيم (الجزيء الصّوتي) وMorpheme (الصرفيم أو الوحدة الصّرفية)، وكذلك الوظائف التي تؤدّي عملها كعناصر لبناء دلالي شمولي»[3].

إنّ بنية الأسطورة حسب "شتراوس" هي بنية اللّغة ذاتها، ومن ثمّ فإنّ منهجيّة دراستها وتحليلها تخضع لقوانين دراسة اللّغة باعتبارها نظامًا «معنى ذلك أن تُفسّر الأسطورة من داخلها، أن يُسمح للنّظام ذاته أن يُملي معناه عليك إن صحّ التّعبير. ومن هنا يتّضح كيف يمكن للبنيويّة أن تمتدّ لتدرس الأدب أو سواه من أنواع الكتابة فهي تمارس أوّلاً وقبل كلّ شيء نقدًا من النوع "الكامن" وترفض أن تنظر خارج النّص أو مجموعة النّصوص التي تتناولها للبحث عن تفسير لبنيتها»[4].

---

[1]– سحنين علي، السيميائيات السردية، نظرية غريماس، الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية، المرجع السابق، ص50-51.

[2]– سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية، ص274.

[3]– برونوين مارتن وفليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقا، ص12.

[4]– جون ستروك، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، تر/ محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، فبراير 1996، ص20.

إنّ تفسير الأسطورة يخضع في الأساس لبنيتها، إنّه تفسير محايث يعتمد بالدّرجة الأولى على شبكة العلاقات المنسوجة داخلها ومن ثمّ، فإنّ التّحليل البنيوي للأسطورة يمكن أن يُعمّم لتحليل الأدب بفنونه المختلفة «فقيمة شخصيّة من شخصيات مسرحية ما على سبيل المثال، تُقدّر بالطّريقة التي قد يستخدمها المرء لتقدير كلمة في لغة ما، أي بمقارنتها لا بالعالم الذي يقع خارج المسرحيّة بل بشبكة العلاقات القائمة داخل المسرحيّة ذاتها، بالشخصيات الأخرى التي تضمّها»[1].

والأنظمة الرّمزية على اختلافها وتنوّعها لا يتولّد معناها إلاّ عن طريق شبكة العلاقات التي تنتظمها شأنها شأن الخطابات اللغويّة.

ولكن، كيف استفاد "غريماس" من بنيوية "كلودليفي شتراوس"؟

قام "شتراوس" بترجمة كتاب "مورفولوجيا الحكاية العجيبة الروسية" لفلاديمير بروب سنة 1958، بعد ثلاثين سنة من نشره[2]، وأدرك النّقص الذي يسِمُ المشروع البروبي خاصّة في عدد وظائفه وتتابعها، «فعدد كبير من هذه الوظائف قابل للمزاوجة وقابل لأن يشكّل وحدة ضمن ثنائية لا يمكن أن يذكر فيها الأول دون ذكر الطرف المقابل ... وبناءً عليه فإنّ الحديث عن وظيفة "رحيل البطل" مثلا، يستدعي مباشرة استحضار وظيفة "عودة البطل"، وهو ما يصدق على وظيفة "الحظر"، التي لا يمكن تصوّرها دون تصوّر ما يقابلها أي خرق الحظر وهكذا يرى ليفي شتراوس أنّ الزّوجين التاليين:

الرحيل (م) العودة.

المنع (م) الخرق.

لا يشكّلان أربع وظائف (الرحيل + العودة + المنع + الخرق)، وإنّما هما وظيفتان ضمن ثنائية قابلة للإدراك من خلال الإجراء الاستبدالي»[3]

والأمر هنا لا يتعلّق بتلخيص عدد الوظائف، بل بتكسير تتابعها «الأمر الذي سيقود إلى رفض التّعريف الذي يعطيه بروب للحكاية باعتبارها تتابُعا لواحدٍ وثلاثين وظيفة، وهذا التكسير يُعدُّ، في عمقه تدميرًا للبعد الكرونولوجي للحكاية»[4]

[1] – جون ستروك، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ص21.

[2] – ينظر، نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص17.

[3] – المصدر نفسه، ص33.

[4] – ينظر، جريوي آسيا، السيميائية السردية، من البنية إلى الدلالة، ص48.

ويتّضح جليًّا من خلال ما سبق أنّ نقطة التّقاطع التي تربط بين "بروب" و"ستروس" و"غريماس" هي دراسة الوظائف فقد أخذ "غريماس" فكرة مزاوجة الوظائف من "ستروس"، وهي الفكرة التي طوّرها لتصير نواة نموذجه العاملي.

2-3- إتيان سوريو: (E,Sourieau)

مثلما استفاد "غريماس" وزملاؤه في مدرسة "باريس" السيميائية من كشوفات "بروب" في ميدان "الحكاية الشّعبية"، وكشوفات "شتراوس" في ميدان "الميثولوجيا"، فقد استفادوا من منجزات "سوريو" في ميدان دراسة النص المسرحي، فقد عمد هذا الأخير إلى رد دراسة العوامل داخل المسرح والدّراما من خلال منطق سيميائي فلكي في كتابه "مائتا ألف موقف درامي"[1]. ولا يبتعد عمله هذا كثيرا عمّا قام به "بروب" فقد «استخلص العوامل نفسها التي توصّل إليها "بروب" واقترح تسميّتها بالوظائف حفاظًا على اصطلاحيتها في علم التّركيب التّقليدي في البداية تردّد بين ست وسبع وظائف، لكنّه في الأخير حصرها في العدد الأول»[2]. وتتمثّل هذه الوظائف السّت في:

«1- الأسد: لتمثيل القوة الموضوعيّة الموجّهة.

2- الشمس: لتمثيل الخير المرغوب فيه والقيمة الموجّهة.

3- الأرض: لتمثيل ما يحصل على الخير الذي يعمل من أجله الأسد.

4- المريخ: لتمثيل العارض أو العائق.

5- الميزان: لتمثيل الحكم الذي يهب الخير.

6- القمر: لتمثيل المساعد الذي يُعزّز إحدى القوى السّابقة»[3]

ومن خلال هذه الوظائف السّت التي رصدها "سوريو" تتضّح إمكانية تطبيق النموذج العاملي على النّص المسرحي أيضا، كما يتجلّى التّشابه بين هذه الوظائف وشخصيات "بروب" الخرافية، والنّموذج العاملي لغريماس مما يكشف تعدّد الرّوافد المعرفية التي نهلت منها السيميائية السّردية، ويمكن رصد التّشابهات بين منجز هؤلاء

[1]- يُنظر، جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، دط، 2013، ص69.

[2]- محمد الدّاهي، سيميائية الكلام الرّوائي، شركة النّشر والتوزيع، الدّارس، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص160.

[3]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء، ص69.

الثلاثة في الجدول التالي*:

النموذج العاملي Greimas	شخصيات الحكاية الشعبية vladimir propp	شخصيات المسرح Sauriau
– الذّات.	– البطل.	– القوة الموضوعاتية الموجّهة.
– الموضوع.	– الشخص المرغوب فيه.	– ممثّل الخير والقيمة الموجّهة.
– المرسِل.	– أبو الشخص المرغوب فيه (المنتدب).	– الحَكَم، واهب الخير.
– المرسَل إليه.	– البطل المزيّف.	– المتحصل المفترض على هذا الخير.
– المساعد.	– الواهب.	– المساعد.
– المعيق.	– المعتدي.	– المعيق.

ويتّضح من خلال هذا الجدول ثبات عدد الشّخصيات عند هؤلاء الثلاثة وإن اختلفت تسمياتها، وكذا ثبات وظيفتها والمتمثّلة أساسًا في حصر العوامل المؤثّرة في مسار النّص السّردي.

2-4- تنيير: (L,Tesniére)

عُرف "تنيير" بكتابه "عناصر التركيب البنيوي" الذي ألّفه عام 1959، تضمّن الكتاب تعريفًا بمفهوم الوظيفة النّحوية، وتجاوز مفاهيم البنيويّة وأخذ ببعض مبادئ النّحو التحويلي عند "تشومسكي"[1].

وقد استفاد "غريماس" من "تنيير" في ضبطه لمفهوم "الملفوظ" «فالملفوظ عنده فرجة دائمة: هناك فاعل وهناك فعل وهناك مفعول به. إنّ هذه الفرجة تتميّز بعنصر بالغ الأهميّة يكمن في التوزيع الثّابت والدّائم للأدوار فقد تتغير المحافل التي تقوم بالفعل، وقد يتنوّع الفعل كما قد يتغيّر المفعول به، لكن العنصر الضامن لاستمرارية الملفوظ (الفرجة) هو هذا التوزيع بالذّات»[2]. فالفواعل عند "تنيير" ثلاثة، «من يقوم بالفعل، أي الفاعل في النحو التقليدي، من يتحمّل الفعل أو الموضوع وأخيرا من يستفيد من الفعل أو من يَضُرّ به الفعل، وهو من يعبّر عنه بالفاعل الثالث، أمّا الفضلة فتشير إلى الزّمان والمكان والحال»[3].

بنى "غريماس" نظريته في العوامل انطلاقًا من نظرية "تنيير"، «فالوظائف بمثابة أدوار تقوم بها الكلمات داخل الجملة، تكون فيها الذّات فاعلاً، والموضوع مفعولاً، وتصبح الجملة أيضا –وفق هذا التّصور– عبارة

*– نقلا عن: لطيفة الحبي، الخطاب السّردي، مقاربة سيميائية، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس، المملكة المغربية، ط2، 2016، ص18.

[1]– ينظر، جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص71.

[2]– المرجع نفسه، ص71.

[3]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي وقضايا النّص، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2009، ص105.

عن مشهد، وهكذا يستخلص "غريماس" عاملين أساسيين يقوم عليهما الملفوظ البسيط، يضعهما في شكل متعارض كالآتي:

- الذّات ≠ الموضوع.

- المرسِل ≠ المرسَل إليه»[1]-

واستعار "غريماس" من "تنيير" مصطلح العامل Actant «واقترح مفهومًا جديدًا تُعرّفُ من خلاله العوامل بكونها الشّخوص أو الأشياء التي تشارك بدرجات متفاوتة في القضية»[2]-.

وواضح من خلال ماسبق، أنّ جهد "تنيير" كان منصبًّا على الجملة، وانطلاقا من مكوّناتها ووظائف هذه المكوّنات، استوحى "غريماس" فكرة النموذج العاملي، كما أنه تجاوز الرّبط بين العامل والشّخص وعمّم فكرة العامل لتشمل كلّ مشارك في الحدث من بشر وأشياء.

وهكذا، «انطلق "غريماس" من أعمال "تنيير" في النّحو، و"بروب" "propp" في الحكاية الخرافية و"سوريو" في المسرح (Sourieau) ليحدّد العوامل في الميثولوجيا والقصّة، فسعى إلى تأطيرها في مصطلحات محدّدة وإلى وضع قواعد أوليّة لها، فتتقابل العوامل عنده ثنائيا، الذّات تقابل الموضوع والمرسِل يقابل المرسَل إليه والمساعد يقابل المعارض، وبذلك تحدّدت لديه عناصر النموذج العاملي»[3]-

2-5- جورج دو ميزيل: (George Dumézil)

تعدّدت مناهل "غريماس" في صياغته للنموذج العاملي، انطلاقًا من "بروب" ومرورًا بـ"سوريو" و"تنيير" وانتهاءً بـ"دو ميزيل"، هذا الأخير هو أحد علماء الميثولوجيا الفرنسيين الذين تخصّصوا في دراسة الشعوب الهندوأوروبية بالتّركيز على دياناتها وآلهتها الأسطورية، وأبطالها الملحميين وكهنتها، متّبعًا منهج المقارنة ومطبّقا منهج البنيوية اللسانية على تاريخ الأديان وقد مكّنه ذلك «من إعادة ربط الميثة والطقس الديني بالمجتمع، من خلال الوعي بمقدرة البنية الذّهنية على التّحكم في إنتاج باقي البنى الاجتماعية والمادية»[4]-

---

[1]- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب/ بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص33.

[2]- سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، دار سمر للنشر والتوزيع، تونس، دط، ديسمبر 2009، ص49.

[3]- سحنين علي، السيميائيات السردية، نظرية غريماس، الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية، ص53-54.

[4]- ياسين اليحياوي، البنية الذهنية ونظرية الوظائف الثلاث عند جورج دوميزيل، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد 19، شتاء 2017، ص136.

ناقش "غريماس" أعمال هذا الأسطوري، وبالخصوص بحثه المتعلّق بوصف العالم الإلهي، واكتشف مستويين للوصف:

«1- اختيار إله مُعيّن باستظهار أفعاله ووظائفه يشكّل عاملاً في حدّ ذاته.

2- التّطرق إلى صفاته التي تميّزه عن الآلهة الآخرين من خلال أسمائه أو نعوته وتبيان السّمة الأخلاقية التي يتّصف بها»[1]

ومن خلال هذين المستويين، خرج "غريماس" بنتيجة مؤداها أنّ ثمّة تعريفان للإله:

«التّعريف الأول، يعتبر الإلـــه مؤدّيا لوظيفة الفعل لما له من فعاليّة أسطورية، في حين نجد التّعريف الآخـــر يُموقعه باعتباره عاملاً منظورًا إليه من حيث تصوّر الجماعة لأخلاقه»[2]

فالإله، -حسب التعريف الأول- مصدر الفعل والحركة، فهو نموذج للفاعل الحق، وهو من جهة أخرى – حسب التعريف الثاني- يتّصف بصفات الكمال الأخلاقي، ومن هذا التّصور استلهم غريماس عوامله التي تؤدّي أفعالاً ووظائف، وتمتلك مؤهّلات تمكّنها من بلوغ القيم التي تصبو إلى تحقيقها.

ويعترف "دو ميزيل" بعدم إدراكه للفارق بين الأسطورة والحكاية، ولم يهتد إلى التّفريق بينهما، «حتى أتى غريماس بالمقاييس الدّقيقة التي تصنّفهما، لتنفرد كلّ واحدة بمميّزات وخصائص، فالأسطورة تتسم بالتّجسيد التصويري للعوامل في التركيب السردي تحت شكل قائمين بالفعل –شخوص-، بعكس الحكاية التي تفضّل أن يظهر هؤلاء على شكل موضوعات سحرية»[3]

نستنتج من خلال ما سبق، تعدّد الرّوافد اللسانية والمعرفية التي نهلت منها السيميائية السردية ومن الضّروري معرفة هذه الرّوافد فهي تعيد المصطلحات إلى مهدها الأوّل وتمدُّ المحلّل بخلفية نظرية يؤسس انطلاقا منها وعيه المنهجي الذي يمكنّه من محاورة النّص واكتشاف آليات تشكّل المعنى فيه.

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص15-16.

[2]- المصدر نفسه، ص16.

[3]- المصدر نفسه، ص26.

المبحث الثاني: آليات التحليل السّيميائي في مقاربة النّص السّردي

1- مستوى البنية السّطحية:

لا يهتمّ الناقد السيميائي وهو يُحلّل النصوص السّردية بمن قال النّص، ولا بالذي يقوله هذا النّص، إنّ السؤال الجوهري الذي يسعى للإجابة عنه هو: كيف يقول هذا النّص ما يقوله؟ وبعبارة أبسط، كيف يقول هذا النّص معناه؟ ذلك أنّ المعنى في السيميائيات السّردية ليس مُعطى جاهزا ينطبع في ذهن القارئ بمجرّد القراءة الأولى، إنّما يتشكّل عبر حركيّة ومسار يروم المحلّل السيميائي رصدهما وتفسيرهما، «إنّ السيميائي عند "غريماس"، لا يختلف في عمله عن كلّ الذين يقدّمون أدوات تساعد على تركيب محرّك أو تشغيل آلة أو شرح نظريات في الفيزياء أو الرياضيات، وليس غريبًا أن يستعير من الفيزياء الكثير من مفاهيمها من قبيل: التناظر والنّظير والتوتير ... إلخ إنّ المحلّل لا يستثير معنى من داخله بل يبحث عمّا وضعه المؤلّف في النّص بوعي منه أو بدونه»[1]. ويتقيّد المحلّل السيميائي وهو يُنقب عن المعنى عبر طبقات النص، بالنّص ذاته دون اعتبار لأي علاقة يقيمها مع مؤلّفيه أو سياقاته الخارجية.

وقد اجتهد "غريماس" وتلامذته والسّائرون في فلكهم في وضع آليات ومستويات يستند إليها المحلل وهو يقارب النص السردي «ومن المناسب هنا الإشارة إلى أهمية المستويات التي تنظّم القوانين التي يخضع لها إنتاج المعنى، فبناء هذه المستويات والتوافقات التي تتمّ فيما بينها لا تسمح فقط بالتّعرف على النّسق الذي يمكن أن تنبثق منه المدلولية بل يسمح أيضا بإحاطة أفضل باستخدامات النصوص التي نحلّلها»[2].

والملاحظ أن مستويات التّحليل -رغم ثباتها النّسبي- تشهد تباينًا واختلافًا من محلّل لآخر «مما يحمل على الاعتقاد أنّ تقسيم الدّراسة مراتب يكتسي مدى إجرائيا وظيفيا أكثر من استجابته لحقائق موضوعية قارّة»[3].

ولئن اختلفت مستويات التّحليل من حيث تصنيف عنصر من العناصر في هذا المستوى أو ذاك أو تقدّمت البنية السطحية عن العميقة أحيانا وتقدّمت البنية العميقة عن السّطحية حينًا، فإنّ ذلك لا ينتقص

---

[1]- سعيد بوعيطة، سؤال المعنى في سيميائية غريماس السردية، مسارب أدبية، مجلة ثقافية أدبية شهرية جامعة تصدر إلكترونيا، بريدها الإلكتروني (masarebart2019@gmail.com)، العدد 10، يونيو 2020، ص62.

[2]- فريق إنتروفرن، التحليل السيميائي للنصوص، مقدمة، نظرية، تطبيق، ترجمة وتقديم: حبيبة جرير، مراجعة: أ.د عبد لحميد بورايو، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دط، 2012، ص37.

[3]- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية غريماس (greimas)، الدار العربية للكتاب، تونس، دط، 1991، ص12.

من فعالية الإجراءات التّحليلية للنّظرية وقدرتها على استكناه آليات توليد المعنى «ذلك أنّ تطوّر نظرية ما لا يُقاس بتنوّع مفاهيمها الإجرائية، ولا بتنوّع خلفياتها، ولا بصدقية نتائجها، وإنّما يُقاس بدرجة تماسك بنائها النّظري وانسجام فرضياتها وملاءمة أدواتها لموضوع البحث»[1].

ولعلّ تماسك الجهاز النّظري للسيميائيات السّردية، ودقّة مصطلحاتها، ووضوح آلياتها الإجرائية وراء هيمنتها على السّاحة النّقدية الفرنسية في ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم وامتداد صداها إلى مختلف الثقافات واللّغات ومنها الثقافة العربية بدايةً من ثمانينيات القرن الفارط، ولكنّها في مسارها وصيرورتها ظلّت محافظة على منطلقاتها ومبادئها مستجيبة للنّقد والتّوجيه والإضافة هادفة إلى «إبراز آلية النّص في خلق المعنى وتبليغ صداه، والسّبيل إلى ذلك كشف شبكة العلاقات القائمة في صلب النّص، وفنون تأليف الوحدات الدّالة»[2].

وفي سبيل كشف الوحدات الدّالة المكوّنة للنّص، تعتمد المقاربة السيميائية تطبيقا وممارسة خطوات منهجية متكاملة يمكن رصدها من خلال مستويات وعناصر.

فالبنية السّطحية بتعريف "غريماس" هي «المستوى الظّاهر للسّرد، حيث تخضع تجلياته المختلفة للضرورات الخاصّة بالمواد اللّسانية التي يظهر من خلالها»[3]. فالسّرد يتجلّى عبر بنيات لسانية «وتشكّل هذه البنيات نحوا سيميائيًا أي مجموعة من القواعد التي تقوم بتنظيم المضامين القابلة للتّجلي في أشكال خطابية خاصّة»[4].

وتتجلّى البنية السّطحية من خلال مكوّنين هما:

1-1- المكوّن السّردي:

«ويقوم أساسًا على تتبّع سلسلة التغييرات الطارئة على حالة الفواعل»[5]. وهذه التغييرات لا تعدو أن تكون حالات وتحويلات تتعلّق بحالات الاتّصال والانفصال بين العامل وموضوع القيمة «بمعنى أنّ السّردية هي بمثابة تعاقب حالات وتحولات داخل سياق خطابي ما، تكون مسؤولة عن إنتاج المعنى، ومن هنا فالتّحليل السّردي هو الذي يهتم برصد تلك الحالات والتّحولات داخل النّص السّردي»[6].

---

[1]- محمد بادي، سيميائيات مدرسة باريس، المكاسب والمشاريع، (مقاربة إبستيمولوجية)، مجلة "عالم الفكر"، مجلد 35، عدد 03، يناير- مارس 2007، ص292-293.

[2]- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية قريماس (Greimas)، ص30.

[3]- ألجيرداس جوليان غريماس، في المعنى، دراسات سيميائية، تعريب: أ.د نجيب غزاوي، مطبعة الحداد، اللاذقية، سوريا، دط، دت، ص12.

[4]- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، الرباط، دط، 2001، ص45.

[5]- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية قريماس، ص31.

[6]- جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، مكتبة المثقف، مؤسسة المثقف العربي، سيدني، أستراليا، ط1، 2015، ص74.

تنجز العوامل أفعالاً ووظائف بمقتضاها تتحقّق السّردية، وينبغي إبعاد فكرة المطابقة بين العامل والشخصية، فقد يكون العامل «شخصًا أو فكرة أو حيوانًا أو شيئًا أو جمادًا»[1].

1-1-1- النّموذج العاملي:

تتجلّى فيه الأحداث وتنتظم في خطاطه تلخّص الانتظامات الدّاخلية للحكاية، وقد استوحى "غريماس" النموذج العاملي من الدّوائر السّبع التي تأسّس عليها تصور "بروب" للحكاية الشّعبية وهي: المعتدي Agresseseurs والمانح Donateur والأداة L'auxiliaire والشخصية المفقودة، الأميرة مثلا ووالدها Le personage recherché et son père، المفوّض Mondateur، البطل Héros والغادر Traitre الذي عادةً ما يُسمّى بالبطل المزيّف.[2]

وقد زاوج "غريماس" بين هذه المفاهيم والشخصيات وفق المعادلات التالية: الأداة + المانح = العامل المساعد Adjuvant.

- المعتدي + الغادر = المعارض Opposant.

- البطل يتجسّد في دور الفاعل Sujet ويتولّى البحث عن مشروع القيمة.

- والد الأميرة يأخذ صفة العامل المرسِل Destinateur ويقابله المفوّض في صفة المرسَل إليه Destinataire.[3]

ويتّضح من خلال هذا الصّنيع أنّ مشروع "غريماس" ينهض «على أساس إعادة النّظر في مشروع "بروب"، بمعنى من المعاني من خلال تعديله واختزال وظائفه وتنقيح تحديداته واستيعابه ضمن إطار أشمل، لكن هذا المنحى لا يُقلّل من أهميته بل بالعكس سيؤشّر على انسلاله إلى جذور النّظرية الغريماسية»[4]. وهكذا تأسّس النّموذج العاملي على ستّة عوامل: المرسِل، والمرسَل إليه، الذات، الموضوع، المساعد، المعارض، وتساهم هذه العوامل في تنظيم الخطاب السّردي وفهم مساره، وإن كان هذا النموذج قابلا للتّطبيق على مختلف النصوص والخطابات فهو يقوم على وجود «مرسِل، قد يكون شخصًا أو فكرة "جهاد، حب، كراهية، انتقام ..." ومرسَل إليه مستفيد، كما أنّه لابُدّ من وجود موضوع مرغوب فيه ذي قيمة كبرى، وذات بطلة تتصارع من أجل تحصيل

[1] - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء، ص53.

[2] - ينظر، نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، دط، 2008، ص47.

[3] - ينظر، المصدر نفسه، ص48.

[4] - محمد بادي، سيميائيات مدرسة باريس، المكاسب والمشاريع، ص298.

ذلك الموضوع، كما أنّ البطل في حاجة إلى مجموعة من العوامل والمؤهلات المساعدة، سواء أكانت ماديّة أم معنويّة لتحقيق الإنجاز، كما قد تعترضه عوائق وموانع وحوائل تعرقل مساره الإنجازي»[1].

وتنتظم العوامل السّت انطلاقا من العلاقات القائمة بينها في ثلاث أنواع من المحاور:

1- محور الرّغبة، بين الذّات والموضوع.

2- محور التّواصل، بين المرسِل والمرسَل إليه.

3- محور الصّراع، بين المساعد والمعارض.

فإذا مثّلنا لفكرة الرّسالة الإسلامية ببنية عاملية فإنّها تتجسّد في المجسّم التّوضيحي التّالي:

1- محور التّواصل:

المرسِل .... المرسَل إليه

↓ ↓

الله البشريّة

2- محور الرّغبة:

الذّات ..... الموضوع

↓ ↓

الرسول (ص) نشر الإسلام.

3- محور الصّراع:

المساعد ..... المعاكس

↓ ↓

المهاجرون والأنصار الكفار.[2]

ففي محور التّواصل المعقود بين المرسِل والمرسَل إليه «يقوم المرسِل في وضع أوّلي بعمل المحرّك (D.Manipulateur)، وفي وضع نهائي بعمل المقوّم (D.Judicateur)، تكمن وظيفته في منظومة من القيم (Système axiologique) بالحكم في الأفعال سلبا أو إيجابًا، وبتبليغها إلى المرسَل إليه –الفاعل (Destinataire Sujet)، ليقوم بتنفيذ ما أملي عليه، وجوب الفعل- مما يفسّر عنصر التبعيّة غير المعكوسة

[1]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء، ص55.

[2]- المرجع نفسه، ص53.

(Subordination irréversible)، يحتل فيها المرسِل المركز الفوقي، ليترأس المرسَل إليه ويخضعه له، حيث يوكّلُهُ بمهمة الحفاظ على تلك القيم وضمان استمرارها»[1]

فالمرسِل هو الباعث على الفعل الحامل لقيم يسعى لتبليغها إلى المرسل إليه الذي يتجلّى في صورة المستفيد، وقد يدلّ اتّساعا على "طالب الحاجة"[2]

2- محور الرّغبة "الذّات – الموضوع": تُعدّ العلاقة بين مكوّني هذا المحور العمود الفقري داخل النموذج العاملي «إنّها مصدر للفعل ونهاية له، إنّها تُعدُّ مصدرًا للفعل لأنّها تشكّل في واقع الأمر نقطة الإرسال الأولى لمحفل يتوق إلى إلغاء حالة ما أو إثباتها أو خلق حالة جديدة»[3]

فالمحكي يتأسّس انطلاقا من سعي الذّات إلى عقد صلة بموضوع القيمة أو إحداث فصلة عنه ومن ثمّ فالعلاقة بينهما استتباعية «فحضور الأوّل –الفاعل- يفترض حضور الثاني –الموضوع- بل ويستوجبه»[4]

وكلّ من الذّات والموضوع مجرّد مفهومان أو دوران يرتبط أحدهما بالآخر، وينتج عن علاقة الفاعل (الذات) بالموضوع ما يُسمّى بملفوظ الحالة، ويتجسّد في شكلين:

- ملفوظ حالة منفصل، أي أنّ (فا) و"م" هما في علاقة فصلة باعتبار (V) رمزًا للفصلة، ويُكتب هذا الشكل من ملفوظ الحالة: (فا V م).

"فقد الرّجل كلَّ ذهبه" (فا V م) إذا مثّل (فا) "الرجل" ومثّل (م) الذّهب.

- ملفوظ حالة متّصل، أي أنّ (فا) و(م) هما في علاقة وصلة وباعتبار (∧) رامزًا للوصلة، يُكتب هذا الشّكل من ملفوظ الحالة: (فا ∧ م).

"يملك الصّديق قليلا من الذّهب" (فا ∧ م) إذا مثّل (فا) الصّديق ومثّل "م" الذّهب[5].

3- محور الصّراع "المساعد – المعاكس"، يُساعد المساعد الذّات من أجل تحقيق هدفها، في حين يخلق المعاكس أو المعيق صعوبات وعراقيل تحول دون ذلك، وقد يكون المساعد أو المعاكس مجرّد عوامل مادية أو معنوية وتتجسّد صورتهما في الحياة اليومية وفي الحكاية الشّعبية على السّواء «فوفق السّير العادي لحكاية شعبية ما، فإنّ البطل يقوم برحلة البحث عن موضوع قيمة، وأثناء تلك الرّحلة يُصادف كائنات (أشخاص أو حيوانات

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص51.

[2]- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية قريماس، ص45.

[3]- سعيد بن كراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، ص78.

[4]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص50.

[5]- فريق إنتروفرن، التحليل السيميائي للنصوص، ص43.

أو عفاريت) تقوم بمساعدته للوصول إلى أهدافه، إلاّ أنّه يصادف في الآن نفسه معيقين يحولون بينه وبين الوصول إلى هدفه النّهائي، وليس من العسير أن نجد مُرادفًا لهذه الصور البسيطة في الحياة العادية لكلّ يوم، فداخل المجتمع هناك صورة للمعيق وأخرى للمساعد، بِدءًا من حالة الطّقس وانتهاءً بالقوى الاجتماعية وضروب الصّراع بين مكوّناتها»[1]

ويتجسّد النموذج العاملي الغريماسي في الخطاطة التالية:

مرسِل ← موضوع القيمة ← مرسَل إليه.

↑

معارض ← فاعل → مساعد.[2]

1-1-2- التّحليل السّردي بين الحالات والتّحويلات:

تتشكّل السّردية عبر سلسلة من الحالات والتّحولات المتتابعة بين الفاعل وموضوع القيمة، ويهتم التّحليل السّردي بتبيان الفرق بين الحالة والتّحويل:

«فالحالة يُعبّر عنها بفعل من نوع "الكينونة" أو "الملكية":

- كان السّاردُ أو لم يكن حزينًا.

- زوجة الرّجل ذو المخ الذّهبي لم يَكُن لديها ثُمّ أصبح بحوزتها شيء ثمين.

يُعبّر عن التّحول بفعل من نوع "فَعل"، اشترى الرّجل شيْئًا ثمينًا»[3]

ومن خلال علاقة الذّات بالموضوع ينتج ملفوظ الحالة –كما أشرنا سابقا- وقد يكون ملفوظ حالة متّصل أو ملفوظ حالة منفصل، وبانتقال حالة أولى إلى حالة ثانية مُغايرة تُقلب مجرى الأحداث في نص سردي، يتشكّل التّحويل ولدينا شكلان منه: "التحوّل الوصلي: يتم من خلاله الانتقال من حالة الفصلة إلى حالة وصلة ... ويُمثّل هذا التّحول بما يلي:

(فا ∨ م) ← (فا ∧ م).

[1]- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص85.

[2]- ينظر، نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص49.

[3]- فريق إنتروفرن، التحليل السيميائي للنصوص، ص42.

– التّحول الفصلي يتم من خلاله الانتقال من حالة وصلة إلى حالة فصلة ويتم بالطّريقة التالية:

(فا ∧ م) ← (فا ∨ م)"[1].

ومن حركية هذه الحالات والتحويلات داخل النص السردي يتشكّل البرنامج السّردي.

1-1-3- البرنامج السّردي:

«يطلق اسم برنامج سردي (ب س) على سلسلة الحالات والتحولات التي تتتابع على أساس علاقة (فا) ب (م) وتحولها، ويحوي البرنامج السّردي إذن العديد من التّحولات المتمفصلة والتراتبية»[2]. معنى ذلك أنّ تتابع الحالات والتّحولات التي ترتبط بالذّات والموضوع هي التي تشكّل البرنامج السّردي «ويعني هذا أنّ هناك فاعلاً وموضوعًا مرغوبًا فيه، فيقوم الفاعل الإجرائي بالانتقال في علاقته الإنجازية بالموضوع من حالة إلى أخرى سَلباً أو إيجابًا، اتّصالاً أو انفصالاً، بمعنى أنّ فاعل الحالة قد يملك الموضوع المرغوب فيه اتّصالا وقد يفتقد هذا الموضوع المرغوب فيه انفصالاً، فيعني الاتصال –هنا– ربحًا، وافتقاده يعني خسارة للفاعل»[3]

وطبقًا للبرنامج السّردي فالفاعل، فاعلان:

«– فاعل أوّل متعلّق بملفوظ الحالة، لذلك يُسمّى بفاعل الحالة (Sujet d'état) وهو الحافظ للقيم.

– فاعل آخر مرتبط بملفوظ الفعل ويُسمّى فاعل الفعل أو الفاعل العملي (Sujet de faire/ sujet opérateur) وهو العنصر الحيوي ذو النّشاط الفعّال والذي يكتسب ملكة القدرة على التّغيير بأداء يوحي بوجود مؤهلات عالية وكفاءة مميّزة»[4]

ومن المفيد الإشارة إلى أنّ البرامج السّردية تتعدّد داخل النّص الواحد «فالنّص السّردي قد يتضمّن برنامجا سرديًّا واحدًا، أو مجموعة من البرامج السّردية المتناقضة، للذّات البطلة برنامجها، وللذّات المضادّة برنامجها الآخر وكلّ برنامج يقوم في ضوء معايير إيديولوجية وقيميّة ومعرفيّة وتداوليّة»[5]

ويميّز الدّارسون بين نوعين من البرامج السّردية؛ البرنامج السّردي القاعدي والبرنامج السّردي الاستعمالي فالأول «أساسي لتعيين الإنجازات المستهدفة، لتحقيق تحويل رئيسي في العلاقة الحالية بين الفاعل والموضوع»[6].

---

[1]– فريق إنتروفرن، التحليل السيميائي للنصوص، ص44.

[2]– المرجع نفسه، ص44.

[3]– جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص38.

[4]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص55.

[5]– جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص81.

[6]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص57.

والثّاني: «وهو الذي نجده وسيلة أو ذريعة، مدرجًا ضمن البرنامج الأساسي، لذلك فهو يُعدُّ برنامجًا ثانويًّا، يحقّق إنجازًا فرعيًّا»[1].

والبرنامج السّردي الاستعمالي ضروري لتحقيق البرنامج الرّئيسي «لأنّه سابق عنه ومؤدّي إليه، ونضرب لذلك مثالاً عن القرد الذي ينبغي لهُ لكي يصل إلى الموز، أن يبحث أوّلاً عن العصا، وهذه العملية (أي البحث عن العصا) تمثّل برنامجًا سرديًّا ثانويا مؤدّيًّا إلى البرنامج القاعدي (الأساسي) وهو الوصول إلى الموز»[2]

1-1-4- المقطوعة السّردية ومراحل البرنامج السّردي:

يتضمّن البرنامج السّردي أربع مراحل أساسية هي: التّحريك، الكفاءة، الآداء (الإنجاز)، الجزاء.

أ-التّحريك: ويُقصد به خلق صيغة "فعل الفعل" (أي الفعل الذي يدفع إلى إنجاز فعل)، «أي الدّفع بالذّات إلى القيام بفعل ما أو الإقناع بهذا الفعل»[3]

إنّ المرسل في الغالب «هو الذي يدفع الفاعل إلى تنفيذ مهمّة في ضوء المؤهلات والإمكانات المتوفّرة لديه، ويضطلع المرسِل بمهمّة الإقناع والتّأثير والشّرح»[4]

وتكتسي مرحلة التّحريك أهميّة بالغة في مسار البرنامج السّردي لما تتضمّنه من «إعلان لانطلاق القصّة تيماتيكيًّا (تشكل دلالة النّص) وإيديولوجيًّا (توجّهات المرسِل ورؤيته الكُليّة أو الجزئية إلى العالم، أو تشكّل ما يُسمى بالعالم الإيديولوجي) وثقافيًّا (خصوصية النّص داخل ثقافة معيّنة، وانتماء الشّخصية إلى وسط ثقافي واجتماعي مُعين) وفضائيا (تموقع النّص داخل المكان والزّمان)»[5]

إنّ التّحريك إذًا، لا يعدو أن يكون دفع المرسِل للذّات من أجل تنفيذ برنامج مُعطى، وبهذه الخطوة يتشكّل المحكي القصصي بعناصره السّردية ومساراته وتوجّهاته.

ب-الكفاءة: يقترح "غريماس" أن تُعرّف الكفاءة على المستوى السّردي بأنّها «إرادة فعل الذّات و/أو قدرتها على الفعل و/أو معرفتها الفعل الذي يتطلّبه فعل الأداء، وفي الواقع، لقد أصبح من العادي تقريبًا أن نقول أنّ

---

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص57.

[2]- سحنين علي، مستويات تحليل الخطاب السردي من منظور السيميائية السردية، نظرية "غريماس"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، العدد2، ديسمبر 2014، ص195.

[3]- لطيفة الحبّي، الخطاب السردي مقاربة سيميائية، منشورات مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس، المملكة المغربية، ط2، 2016، ص45.

[4]- ينظر، جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية، "التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية"، ص86.

[5]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص41.

ممارسة الكلام في أي نظام سيميائي يتطلب الوجود المسبق للغة وأنّ أداء الذّات الدّالة تفترض الوجود المسبق لكفاءة التّعبير»[1]

فامتلاك الذّات للكفاءة شرط من شروط الإنجاز، كما أنّ امتلاك اللّغة شرط من شروط الأداء الكلامي، ومعنى هذا أنّ الذّات لا تستطيع القيام بالأفعال المسندة إليها إلاّ إذا توافر لها عنصر الكفاءة، وتستند الذّات لكي تقوم بالمهمّة المسندة إليها إلى أربعة مقوّمات، ثلاثة منها من اقتراح "غريماس" وهي، إرادة الفعل والقدرة على الفعل ومعرفة الفعل، والرّابعة من إضافة تلامذته وهي وجوب الفعل، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه المقوّمات «ليس من الضّروري توفّرها دفعة واحدة، فقد يتم الحصول على هذه الصّيغ تباعًا وعلى مراحل»[2].

تحتاج الذّات أوّلاً للقيام بالفعل إلى:

- إرادة الفعل vouloir-faire.

- وجوب الفعل devoir-faire.

«وأي فعل يفترض مُسبقا الرغبة أو الضّرورة في الإتيان به، فاتخاذ قرار —على سبيل المثال- بالبحث عن كنز في جزيرة مجهولة، ينبغي أن يكون الباعث عليه حاجة أو رغبة معيّنة، وقد يكون العوز هو الذي يضطرنّي إلى الشّروع في البحث، كما هو الحال في معظم القصص الخُرافية»[3]

ويمكن دراسة مقوّمات أو موجّهات الكفاءة بشكل ثنائي، ومن ثم فالثّنائية السّابقة (إرادة الفعل ووجوب الفعل) تندرج ضمن "موجّهات الإضمار Modalités de virtualité و«ترتكز هذه الموجّهات على قوّة الفاعل بحكم استباقها للفعل، من خلال الوجوب والإرادة الممهّدين لتحقيق الفعل، لذلك أتت في سياق مضمر كامِن قبل النّشاط الذي يؤدّيه الفاعل»[4]

وليس بوسع الذّات أن تحقّق رغبتها اعتمادًا على هذه الثنائية فحسب فهي في هذه الحالة ذات افتراضية «ولكي تتحول إلى ذات فاعلة وتصبح قادرة تمامًا فإنّها يجب أن تمتلك على الأقل واحدة من الشروط التالية:

- القدرة على الفعل Pouvoir-faire.

---

[1]- ألجيرداس جوليان غريماس، في المعنى، دراسات سيميائية، ص109.

[2]- لطيفة الحجي، الخطاب السّردي، مقاربة سيميائية، ص52.

[3]- برونوين مارتن، فليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقيا، تر/ عابر خزندار، مراجعة محمد بريري، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2008، ص59.

[4]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص62.

- معرفة الفعل Savoir-faire »[1]-

وتندرج هذه الثنائية الأخيرة ضمن موجّهات التّحيين "Modalités de l'actualisation" وتعتبر هذه الموجّهات «امتداد لموجّهات الإضمار، لأنّها تعرّف بمدى قدرة الفاعل على إنجاز الفعل. نلحظ هذا الامتداد من خلال تطوّر سردي معلن عنه، باكتساب الفاعل للقيم الموجّهة قصد تحقيق العملية»[2]-.

وبتضافر موجّهات الإضمار وموجّهات التّحيين تتمكّن الذّات من إنجاز ما تصبو إليه «ففي مسعاي للبحث عن الكنز المفقود مثلا، فإنّني أحتاج إلى سفينة أو وسيلة أخرى للانتقال، والخرائط والأدوات مثل الفأس قد تكون معينة لي وتزوّدني بالقدرة اللاّزمة، والكيفيات الأربعة يمكن أن تعتبر أشياء يجب على الذات أن تحصل عليها من أجل أن تقوم بما يتعيّن عليها أداؤه»[3]-. ويمثّل الانتقال من موجّهات الإضمار إلى موجّهات التّحيين حدوث تطور في مسار النّص السّردي.

جـ- الأداء (الإنجاز): وهو العنصر الثالث في الخطاطة السّردية، «وهنا نتحدث عن مرحلة التّنفيذ والإنجاز والفعل والإجراء المتعلّقة بالفاعل الإجرائي أو الإنجازي، الذي ينفّذ ما يطلب منه المحفّز أو المرسِل عمليًّا وميدانيًّا. هنا، اختبار إنجازي تحقيقي ميداني رئيس وحاسم، تترجمه مجموعة من العمليات المنطقية، كالإثبات، والنّفي والتّضاد، والتّناقض، والاتّصال والانفصال»[4]-

وينقسم الأداء انطلاقا من علاقة الفاعل بموضوع القيمة اتّصالا وانفصالا إلى:

- إنجاز اتّصالي Performance conjonctive: يتجلّى في امتلاك الفاعل لموضوع القيمة بعدما كان منفصلا عنه: ف ت: (ف1) ⇐ [(ف1 ∨ م) ← (ف1 ∧ م)]

- إنجاز انفصالي Performance disjonctive: يتمثّل في ذلك الانفصال الحاصل في علاقة الفاعل بموضوع القيمة بعدما كان متّصلا به، ويمكن التّمثيل لهذه العلاقة بالصّفة التالية:

ف ت: (ف1) ⇐ [(ف1 ∧ م)] ← (ف1 ∨ م)][5]-.

وفي هذا السّياق، نميّز بين فاعلين أو عاملين، فاعل الحالة والفاعل الإجرائي، فالأول «يترابط بموضوعه اتّصالاً وانفصالاً، مثل: اشترى أحمد سيارة (يتّصل الفاعل هنا بالموضوع المرغوب فيه اتّصالا)، أو خسر علي

[1]- برونوين مارتن، فليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقا، ص59.

[2]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص63.

[3]- برونوين مارتن، فليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقا، ص60.

[4]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص43-44.

[5]- ينظر، نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص66.

سيارته (يتّصل الفاعل هنا بالموضوع المرغوب فيه انفصالاً)، لكن الفاعل الإجرائي هو الذي يحقّق تحوّلا من حالة أولى إلى حالة ثانية، مثل: خسر علي سيارته في مراهنة، فاستعادها من جديد، ويعني هذا المثال أنّ هناك تحوّلا قام به الفاعل الإجرائي، وذلك بالانتقال من حالة الانفصال إلى حالة الاتّصال»[1]. ولكي يحقّق الفاعل إنجازه، يمرُّ بثلاثة اختبارات:

1- الاختبار التّأهيلي: وفيه تكتسب الذّات القدرة التي تؤهّلها للقيام بالفعل المتمثّل في أداء البرنامج السّردي «فعلى سبيل المثال: إذا كنت تنوي أن تصوّب نحو إنسان، وتصيبه فيجب أن تمتلك بندقية ودور البندقية هنا، هو القيام بدور المعين، حيث تزوّدك بالقدرة اللاّزمة لتحقيق الفعل»[2]

2- الاختبار الرئيسي (الحاسم): «وهذا يشكّل الواقعة أو الحدث الرئيسي الذي من أجله أخذت الذّات أهميتها وحيث يكون الهدف المطلوب في خطر، وفي قصص المغامرات أو المقالات الصحفية فإنّ الاختبار الحاسم غالبًا ما يتّخذ شكل المواجهة أو الصّراع بين الذّات والذّات المضادة»[3]

3- الاختبار التمجيدي: «وهنا تتّضح نتيجة الواقعة ويتبيّن ما إذا كان الاختبار الحاسم ناجحًا أو فاشلاً وتمجّد الذّات أو تعاقب، وبكلمات أخرى، إنّها النّقطة التي يتم عندها تقييم أداء الذّات وتقديرها بواسطة المرسِل-الحكم»[4]

د- الجزاء: وهو «تثمين لعمل الذّات البطلة وتمجيد لمهماتها، أو قد يكون قدحًا مشينًا في ما قامت به من أفعال وأعمال لا ترضي المرسِل في ضوء ما تمّ إبرامه من عقود مشتركة»[5]

فالجزاء إذًا، هو المرحلة التي تقدّم فيها الذّات الفاعلة النّتائج التي توصّلت إليها في ضوء الاحتكام إلى التّعاقد المبرم بينها وبين المرسِل، وعليه «فالتّحريك باعتباره أصلا للفعل يُمهّد للكفاءة ويؤدّي إليها، والأهلية كفعل تحييني تؤدّي إلى الإنجاز، والإنجاز كأداء للفعل يؤدي في الأخير إلى التّقويم، بمعنى الحكم على الأفعال المنجزة»[6]

وفي الأخير لابُدّ من التّأكيد على أنّ مكوّنات الخطاطة السّردية متكاملة فيما بينها ويصعب فصلها وتمييز مستوياتها.

---

[1]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص44.

[2]- برونوين مارتن، فليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقا، ص52.

[3]- المرجع نفسه، ص52.

[4]- المرجع نفسه، ص52.

[5]- جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، ص82.

[6]- سحنين علي، مستويات تحليل الخطاب السردي من منظور السيميائية السردية، نظرية غريماس، ص200.

1-2- المكوّن الخطابي:

لا يتشكّل المعنى من خلال المكوّن السّردي بعناصره المذكورة سابقًا فحسب، بل يتحقّق كذلك «نتيجة الصّور والأساليب البيانية الموظّفة لإكساء النّظام السّردي وتجسيده في مظهره الخارجي، ولما كانت هذه الصّور متولّدة من مفردات لغويّة وفنون تأليفها وجب ضبط حدود هذه المفردات وخاصياتها»[1]

فالمفردات المعبّر بها في النّص هي التي تحيل إلى بنائه الدّلالي وعليه يُدرس المكوّن الخطابي «انطلاقًا ممّا تُقدّمه البنية السّطحية للنّص السّردي من وحدات معجميّة ومفردات لغويّة وأساليب بيانية تحيل إلى مجموعة من الصّور والمفاهيم وإلى المعنى في الوقت نفسه»[2] فماذا تعني الصّور وما علاقتها بالمسارات الصّورية والتّجمعات الخطابية؟

1-2-1- الأنظمة الصوريّة:

أ- الصّور:

تُعدُّ أساس المكوّن الخطابي و«يوردها المعجم على شكل مفردات لغويّة للتّعبير عن رؤية مشتركة تجسّد النّواة المركزية التي تحوم حولها تلك المفاهيم»[3].

فمفردة "عين" مثلا قد تدُلُّ في القاموس على حاسّة البصر المعروفة، ولكن للكلمات دلالات أخرى تختلف باختلاف السّياق، فقد تدلّ على الجاسوس وعلى مصدر الماء وعلى عين الإبرة ... هذه المعاني الحافّة الكثيرة تلتمّ في صور جوهريّة تنتظم حول: "دائرية الشّكل والشّفافية والرّؤية"، هذه الصّور الجوهرية يسمّيها "غريماس" "الصّورة النّواتية Séme nucléaire[4]

وتُحيل الصور في الغالب إلى العالم الطّبيعي مثل «الأشياء والشّخصيات والديكورات، والتي تقود إلى العالم الممسوس المشخّص، والمصوّر بتلوينات ثقافية خاصّة، وتعدُّ الصّورة بمثابة وحدات المضمون الثابتة»[5]. ومن ثمّ فهي لبنة أساسية في بناء العالم الدّلالي للنّص السّردي.

---

[1]- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية قريماس (Greimas)، ص76.

[2]- سحنين علي، مستويات تحليل الخطاب السردي من منظور السيميائية السردية، نظرية "غريماس"، ص202.

[3]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص80.

[4]- ينظر، محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية غريماس، ص76.

[5]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص103.

ب- المسارات الصّورية والتّجمعات الخطابية:

يعني المسار الصوري ذلك التسلسل في الصّور المنضمّة إلى بعضها في تلاحم شديد، يحيل على بعضها الآخر، فالإخوة والأخوات والأبناء والأجداد والأعمام والأخوال تؤلّف في مجملها مسارًا صوريًّا بعنوان "علاقة القرابة"، وعند تجمّع المسارات الصوريّة والتقائها في أوجه مشتركة يتشكّل التّجمع الخطابي (configuration discursive) فالعائلة تجمع خطابي يلم شمل المسارات الصّورية "علاقة القرابة"[1].

ويتّضح من خلال ما سبق بأنّ الإمساك بالمعنى والوقوف على طرق تشكّله وانتظامه، يُدرك انطلاقا من التّجمعات الخطابية والمسارات الصورية كليهما إلاّ أنّ «المسارات الصوريّة محقّقة ظاهرة للعيان، بينما التّجمعات الخطابية فهي بعكس ذلك مجرّدة نتطلّع عليها من خلال تجسيدنا إيّاها بالاقتراب من الفكرة العامّة المقولبة للخطاب»[2]

1-2-2- الموضوع والدّور الموضوعاتي:

قد يعبّر الموضوع الواحد عن صور مختلفة فموضوع الإثارة مثلا، قد يحيل على إثارة الضّحك أو إثارة الشّك أو إثارة الحماس ... إلخ.

كما أنّ الصّورة الواحدة قد تعبّر عن موضوعات مختلفة باختلاف المعتقدات والتّأويلات، فصورة السّحر مثلا، قد يعتبرها العلماء مجرّد شعوذة ويعتبرها البسطاء طريقة من طرق العلاج ويعتبرها رجال الدّين شرك بالله ... وقد تعبّر صورة واحدة عن موضوع واحد كصورة الحمامة الرّامزة إلى السّلام.[3]

إنّ تبنّي شخصية ما في نص سردي لمسار صوري يجعلها قائمة بدور موضوعاتي، ويمتلك الممثل دورًا موضوعاتيا «إذا طُبّق عليه وصف مرتبط بسمة أو موضوع، مثل الطبيب والمدرّس والنّجار والزّوجة، وهذه السّيمات محدّدة اجتماعيًّا، كما أنّها وظائف نمطيّة، فشخصية تقوم ببناء منزل تملك الدّور الموضوعي للبنّاء»[4]. وعليه فالأدوار الموضوعاتية تميّز الوظائف المنسوبة إلى الشّخوص و«على الدّارس أن يرصد الأدوار الغرضية التي تتبناها شخصية وتضطلع بها حتى يحدّد منها صفاتها ووظائفها على امتداد الخطاب السّردي ويجلوها من ثم في كثافتها الدّلالية»[5]

[1]- ينظر، نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص83.

[2]- المصدر نفسه، ص84.

[3]- ينظر، المصدر نفسه، ص84-85.

[4]- برونوين مارتن، فليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقا، ص188.

[5]- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية "قريماس"، ص82.

1-2-3- القائم بالفعل (الممثّل):

يجمع القائم بالفعل بين دورين، دور عاملي على مستوى المكوّن السّردي ودور غرضي على مستوى المكوّن الخطابي «وقد أوجد قريماس مصطلح "القائم بفعل" لتعيين الدّور الغرضي والدّور العاملي مجتمعين»[1]. ومن ثمّ فهو يمثّل نقطة تقاطع هذين المكوّنين فالبنى السّردية تربط البرامج السّردية بأدوار عاملية، والبنى الخطابية تقلّص المسارات التّصويرية إلى أدوار موضوعاتية[2].

وتجدر الإشارة إلى أنّ عاملاً واحدًا قد يتجسّد في أكثر من ممثّل (قائم بالفعل) وقد يتجسّد ممثّل واحد في أكثر من عامل، فالعامل المساعِد الذي يمكّن الفاعل الذّات (الفريق) من إحراز النصر في مباراة في كرة القدم قد يتعدّد ويتجسّد في أكثر من ممثل (المدرّب، دكّة البّدلاء، الجمهور ...).

المساعد (عامل) ←→ ممثل1 – المدرب.
المساعد (عامل) ←→ ممثل2 – دكّة البدلاء.
المساعد (عامل) ←→ ممثل3 – الجمهور.

وقد يتجسّد ممثّل واحد في أكثر من عامل، فالمعلم قد يتولّى دور المرسِل ودور الفاعل ودور المساعِد.

المعلم (ممثل) ←→ عامل1 – مرسِل.
المعلم (ممثل) ←→ عامل2 – فاعل (ذات).
المعلم (ممثل) ←→ عامل3 – مساعد.

1-2-4- البنيات الزّمنية*:

يتجسّد كلّ عمل سردي من خلال أفعال الفواعل أو الأحداث والشّخصيات ومن ثمّ لابُدّ من إطار زماني ومكاني تتحرك ضمنه وتدرك من خلاله، وقد تعامل "غريماس" مع بنية الزّمن من خلال بُعدها السّردي «وربطها بلحظات التّعاقب والتّحول ضمن لحظتي، قبل وبعد، ويعني هذا أنّه ربط التّزمين بالمكون السّردي والخطاطة السردية القائمة على التّحبيك وتسريد الخطاب زمنيا، تعاقبًا وسببًا، ويساهم التّزمين في تحديد المؤشّرات الزمنية لتطويق البرامج السردية ظرفيًّا وزمنيًّا وسياقيًّا»[3].

---

[1]- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية "قريماس"، ص83.

[2]- فريق أنثروفرن، التحليل السيميائي للنصوص، ص137.

* تتغاضى بعض البحوث والدراسات عن الإشارة إلى البنيات الزمنية والفضائية (محمد الناصر العجيمي في كتابه، في الخطاب السردي، نظرية قريماس"، وتخصص لها بعضها حيّزا مستقلاً بعد البنية العميقة، (نادية بوشفرة في كتابها مباحث في السيميائية السردية)، وقد حذونا حذو سعيد بنكراد في كتابه السيميائيات السردية حين أدرج المبحثين المذكورين ضمن المكوّن الخطابي.

[3]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص120.

والملاحظ أنّ "غريماس" وتلامذته لم يولوا أهميّة كبيرة للبنيات الزّمانية والفضائية، مما يجعل اجتهادات "جيرار جينيت" في هذا السّياق كفيلة بتغطية هذا النّقص في نظرية "غريماس" السّردية، ولدراسة الزّمن في نص سردي «يمكن أن نستعين بجميع المعينات والقرائن والمؤشرات الزمنية الدّالة على تجذير الذّات في واقعها ضمن سياق مرجعي وزمني معين، ويعني هذا أنّ القرائن الزمنية تشير إلى اندماج وتجذير زمني وتاريخي للمثل أو الشخصية السردية»[1]

ورغم هذه المؤشرات الزمنية التي تعين لاشك في دراسة الزّمن داخل النص السردي إلاّ أنّها «لا تمدّنا بأدوات إجرائية تسمح لنا بتحديد موقع العنصر الزمني داخل النص، كما لا تمكّننا من تحديد الدّور الذي يلعبه التوزيع الزّمني في إنتاج المعنى»[2]

1-2-5- بنية التّفضية:

تتحرّك الأحداث والشخصيات والأفعال والأزمنة في بنيات فضائية فـ«القرائن المكانية وأسماء أعلام الأماكن والإشارات الأخرى الدّالة على المكان، ماهي في الحقيقة إلاّ تجذير للذّات في المكان ضمن سياق ظرفي مُعيّن»[3]

وتجدر الإشارة إلى أنّ التحديدات الفضائية والزّمانية من منظور سيميائي «لا تخضع في مجملها لأيّ إكراهات واقعية، فهي محكومة بقواعد تُعد من صلب النّص ومحدّدة وفق المرجعيّة الدّاخلية التي تنظر إلى النّص باعتباره حاملاً لكون قيمي»[4]

وقد قسّم "غريماس" الأمكنة وفق منظور سيميائي إلى:

- الفضاء الخارجي Espace hétérotopique: وهو المكان الذي تجري فيه الأحداث، ويكون في العادة نقطة انطلاق البطل بدايةً وعودته في نهاية القصّة أو الحكاية.

- فضاء الفعل: ويصنّف فضاء الفعل (Espace Topique) إلى قسمين هما:

- الفضاء الجانبي Espace paratopique: وهو الفضاء الذي تكتسب فيه الكفاءة ويُمارس فيه الاختباران التّأهيلي والتمجيدي.

---

[1]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص121.

[2]- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص137.

[3]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص120.

[4]- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص138.

- الفضاء الوهمي Espace utopique: ويكون مؤطّرًا للاختبار الرئيسي، ويراه وهميًّا لأنّه غير محدّد، ولا يتعلّق أصلا بمكان معيّن، وتتوضّح هذه الأمكنة في الجدول التالي:[1]

الحالة الابتدائية	تحقيق الإنجازات			الحالة النهائية
	فضاء الفعل			
	فضاء جانبي	فضاء وهمي	فضاء جانبي	
فضاء خارجي	إ تأهيلي	إ رئيسي	اختبار تمجيدي	فضاء خارجي

يتكوّن المستوى الأوّل للتّحليل إذًا من البنية السّطحية التي يتجلّى فيها البناء الخارجي للنّص الحكائي بمكوّنيه السّردي والخطابي، ولكي تكتمل مستويات التّحليل لابُدّ من الإحاطة بالبنية العميقة المولّدة للبنية السّطحية باستقراء مكوّناتها التي تُعدّ العناصر الأوليّة المشكّلة للمعنى.

2- مستوى البنية العميقة:

نستهدف من خلال دراستنا للبنية العميقة، الكشف عن ظروف إنتاج المعنى وطرق بنائه وتشكّله، لأنّ «الدّلالة ليست مضمونا قائم الذّات بوسعنا النّفاذ إليه بيُسر، إنّما تُستخلص بدراسة الشّكل وتَعَرُّف ضروب العلاقة المنتظمة بين الوحدات المكوّنة للنّسيج الدّال»[2]

ومن خصائص البنية الدّلالية العميقة، أنّها «تشتغل كشكل سابق عن أي تجلّي لساني أو غير لساني ذلك لأنّها قابلة للتّجسيد وفق أشكال خطابية متنوّعة، هي في الأصل تمظهر وتشخيص لبنية دلاليّة مجرّدة»[3]

ولأجل النّفاذ إلى هذه البنية العميقة، لجأ "غريماس" وتلامذته إلى إجراء التّقطيع إلى وحدات دلالية صُغرى يمكن رصدها فيما يلي:

2-1- السّيميم (المعنم):

و«المعنم هو الوحدة الدّلالية الدّنيا، صيغ على وزن "فونيم" "الوحدة الصّوتية الدّنيا" وهو مفهوم كلمة أو معناها الخاص»[4]

---

[1]- يُنظر، نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص115.

[2]- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية قريماس، ص87.

[3]- سحنين علي، مستويات تحليل الخطاب السردي من منظور السيميائية السردية، ص205.

[4]- ألجيرداس جوليان غريماس، في المعنى، ص214.

ولا يكتسب السيميم دلالته إلاّ إذا قوبل بسمات أخرى فهو «لايكتسب قيمته في حدّ ذاته، إنّما تتحقّق هذه بإدراجه في علاقات بسمات أخرى، والاختلاف الحاصل بينها هو الذي يقوم بإنتاج ضروب المعنى (effets de sens) على أنّها هي التي تساعد على انصهار الدّلالة لتنبثق من منبع مكمنها كي يرصدها الدّارس في عملية استقراء دقيقة انطلاقا من الظروف الحافّة بإنتاجها»[1]. فإذا مثّلنا بالمفردتين، الرّجل والمرأة، نجدهما يتفكّكان إلى وحدات سميّة كما يلي:[2]

الرّجل: +/ إنساني/+/ذكر/+/بالغ/-/أنوثة/-/طفولة/.

المرأة: +/إنساني/+/أنوثة/+/بالغة/-/ذكورة/-/طفولة/.

والسّيمات نوعان:

2-1-1- السّيم النّواتي:

يدخل في تشكيل المكوّن الخطابي المنتمي إلى مستوى السّطح ويحاول «الاقتراب من الصّورة لتعرّفها من خلال الإحاطة بالمقوّمات الدّلالية لها ...»[3]

فالسمات النّووية لصورة المسجد مثلا هي: واسع، نظيف، عامر، معلوم، مُضيء ...

2-1-2- السّيم السّياقي:

يظهر عند وضع الصّور في سياق، ويتمّ تحديده انطلاقًا من السّياق الذي ورد فيه وكمثال توضيحي «يحوي مصطلح "عاصفة" كنواة سيمية مجموعة من السّيمات نستطيع تمييزها بـ/اضطراب/+/عنف/.

بتوظيف هذا المصطلح في سياقين نحصل على:

- "هناك عاصفة بين هؤلاء النّاس".
- "هناك عاصفة في الجبل".

يحدُث التّوافق الذي يجمع صورتي "العاصفة" و"هؤلاء النّاس" في الحالة الأولى عن طريق الوحدة المعجميّة السّياقية "إنساني" تحدث هذه الصّلة في الحالة الثانية عن طريق وحدة معجمية سياقية من النّوع الطبيعي»[4]

فصورة "عاصفة" في المثالين، أنتجت سيمين مختلفين (إنساني، طبيعي) لاختلاف السّياق.

«ويلاحظ أنّ السيميمات تدخل في إطار علاقات اختلافية وتضاديّة في شكل ثنائيات جوهرية تشكّل

---

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص92-93.

[2]- يُنظر، جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص109.

[3]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص94.

[4]- فريق إنتروفرن، التحليل السيميائي للنصوص، ص163.

البنية الأساسية للدّلالة، ويعني هذا أنّ هذه الثّنائيات الجوهرية هي التي تتحكم في تكوين المربّع السّيميائي، كما تبيّن لنا نظام الوجود، ومن ثمّ، تشتغل ضمن البنية العميقة لتعضيد النموذج التّأسيسي أو المربع السيميائي»[1] فالسّيميمات إذًا بنوعيها لا تتحدّد دلالاتها إلا باقترانها بسيمات أخرى وهي تمتلك طاقة توليد الدّلالات والكشف عن البنية الأولية للدّلالة التي تتجسّد في المربع السيميائي.

2-2- النّظيرة أو القطب الدّلالي (التّشاكل):

يقصد بهذا المصطلح «بمجموعات السّيمات المتكرّرة التي يؤدّي وجودها إلى تثبيت الدّلالة في انسياب النّص، وعلى هذا فالنّظائر –على سبيل المثال- تمكّننا من الاستمرار في حلّ شفرة نص ما، وغيابها من النّاحية الأخرى يُفضي إلى خلخلة الدّلالة الذي يمكن أن يكون بالطّبع ما يحاول المؤلّف أن يحققه»[2]. وعليه فالنّظائر سيمات سياقية متكرّرة داخل النص، تساهم في تحقيق انسجامه بتوضيح مقاصده وتأمين وحدته والحدّ من غموضه، وتُظهر النظائر في المستوى التّجريدي «القاسم المشترك الذي ينبني عليه المستوى العميق للدّلالة»[3]

والتّشاكل نوعان:

2-2-1- التشاكل الدلالي:

يقوم هذا النّوع من التّشاكل «على المقولات التّصنيفية أو التّصنيفات الماديّة الكونيّة أو التّصنيفات الفكريّة والذّهنية الفلسفية الخارجيّة أو تواتر المقولات الكلاسماتيكية السّياقية مثل (اقتصادي+ إنساني+ طبيعي+ جنسي ...»[4]

فالإشارات المتكرّرة في نص ما إلى الفجر والليل والنهار والغسق تجسّد تشاكل دلالي زمني.

2-2-2- التشاكل السيميائي:

يقوم على تواتر السّيمات النّووية أو المقولات النّووية، فإذا أخذنا صورة "الكنز"، فإنّ «سيمته النّواتية نجدها في كونه "ثمين" مع أنّه يمكننا التّوصّل إليها واكتشافها في صور مختلفة "كالقطع الذّهبية" على الصّعيد النّقدي –المصرفي- هذا الاقتراب بين الصورتين هو الذي يشكّل لدينا النّظيرة السّيميائية (الاقتصادية)، حيث يقع سيم "ثمين" على حدّ سواء ونعثر عليه في الاستعمال الوارد في العلاقات الحميمية فصورة "كنز" قد تظهر في

[1]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص111.

[2]- برونوين مارتن، فليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقا، ص110.

[3]- المرجع نفسه، ص111.

[4]- جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، ص91.

حكايات الغرام، كما أنّها قد تظهر أيضا في الموارد المالية للاستثمار»[1]

ويمكن تجسيد هذا النّوع من التّشاكل انطلاقا من صورة "الكنز" فيما يلي:

الصّورة	السّيم النواتي	النّظيرة السّيميائية
كنز	ثمين ← نقدي ثمين ← عاطفي	– اقتصادية. – حميمية.

2-3- البنية الأساسية للدّلالة:

تتشكّل الدّلالة بناءً على الاختلافات القائمة بين الوحدات الدّالة، فالأشياء تدرك في ضوء ما يُقابلها «تلك هي خصوصية العقل الاستنباطي الشّاملة للمعرفة الإنسانية، فكما لا يحصل الحضور إلاّ بمقابلته للغياب كذلك يُدرك معنى الحياة بمقابلته للموت ومعنى الموجب بمقابلته للسّالب والدّنيوي بالأخروي»[2]. فلا تقوم الدّلالة إذًا، إلاّ بوجود سيمين متضّادين بينهما علاقة تُسمّى "المحور الدّلالي "Axe sémantique".

«فالمحور الدّلالي الجامع للثّنائية الدّلالية: الحياة – الموت هو الوجود، بينما تجتمع ثنائية العلم والجهل في محور المعرفة، وثنائية أبيض- أسود في محور اللون»[3]

وانطلاقا من محور دلالي مُعيّن يمكن الحصول على علاقة تقابلية مع عنصر آخر وهكذا، «نأخذ على سبيل المثال لا الحصر، ثنائية الرّجل والمرأة التي تشترك في محور دلالي واحد هو "إنساني" منظور إليه في علاقة التقابل بينه وبين "حيواني" على أنّ ما يجمع بينهما هو محور "الحي" هذا الأخير يقابله "الجامد" ليشكّلا معا محورًا دلاليًّا هو "الوجود" ومعنى الوجود هو الآخر مرتبط بـ"العدَم"..

رجل / امرأة
إنساني / حيواني
حي / جامد
وجود / عدم ...»[4]

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص97.
[2]- المصدر نفسه، ص98.
[3]- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية "قريماس"، ص93.
[4]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص98-99.

وفي ضوء هذه البنية الأساسية القائمة على التّفاعل، يمكن «أن نؤسّس نموذجا منطقيًّا يُنظم بشبكة من العلاقات بين وحدات دلاليّة متولّدة عن البنية المذكورة، نُسمّي هذا النّموذج "المربّع العلامي»[1]. والمربّع العلامي هو ذاته المربّع السيميائي ويُصاغ كما يلي:[2]

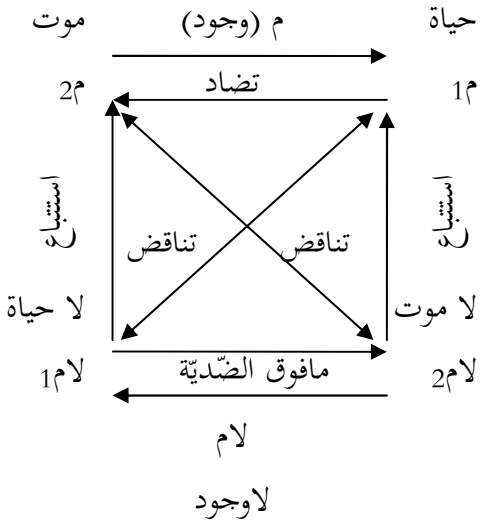

وتتوضّح العلاقات القائمة بين أركان هذا النموذج فيما يلي:

- فالعلاقة بين م1 وم2 هي علاقة تضاد.
- والعلاقة بين م1 وم من جهة وم2 وم من جهة ثانية هي علاقة تدرّجية أو تراتبية relation hiérarchique وهي العلاقة ذاتها المحقّقة بين لا م1 ولام من جهة ولام2 ولام من جهة ثانية.
- العلاقة بين م1 ولام1 من جهة وبين م2 ولام2من جهة ثانية هي علاقة تناقض.
- العلاقة بين لام2 وم1 هي علاقة استتباع أو تضمين Implication وهي العلاقة ذاتها بين لام1 وم2.
- العلاقة بين لام1 ولام2 يسمّيها "غريماس" مافوق الضدية Sub contrariété .

وتجب الإشارة إلى أنّ «هذا النموذج شكلي وأنّ وظيفته لا تعدو استقراء حركية المعنى وتحوّلُه من طور إلى طور بصرف النّظر عن العالم الخارجي الذي لا تربطه باللّغة، وتبعا لذلك بالنص، علاقة انعكاسية آلية، إنّما هو –أي العالم الخارجي– مُؤوّل على وجوه تختلف من لغة إلى أخرى»[3]

[1] – محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية قريماس، ص95.
[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص95.
[3] – المرجع نفسه، ص97.

والأضداد التي يتولّد عنها المعنى تتموضع في الخطاب وعليه «يتمثّل التحليل السيميائي لنص ما بالضبط في إعداد المقابل المفيد في هذا النّص (أو مجموعة التقابلات المفيدة)، ويتعلّق الأمر إذن برصد، يعني استخراج وبناء الثنائية الضّدية المولّدة للمدلولية والمنظّمة لها في آن واحد»[1].

وجملة القول أنّ المربّع السيميائي بنية دلالية منطقية تتموضع في المستوى العميق للنص وهو بمثابة ضابط للعلاقات المنطقية بين الوحدات الدّلالية التي تنظم دلالة النص سطحا وعمقًا.

ختامًا، يتأسّس التّحليل السيميائي على جملة مسارات تتضافر فيها البنية السّطحية بمكوّنيها السّردي والخطابي ومستوى البنية العميقة وما يتبعه من علاقات منطقية مجرّدة لرصد آليات تشكّل المعنى وطرق انبثاقه في الخطاب السّردي خاصّة.

[1]- فريق أنثروفرن، التحليل السيميائي للنصوص، ص177.

الفصل الثّاني: المستويات النّظرية للخطاب السّيميائي السّردي في النّقد الجزائري المعاصر.

المبحث الأول: استقبال الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر للمنهج السّيميائي.

المبحث الثّاني: خطاب التّعريف والتّأصيل.

المبحث الثّالث: خطاب التّرجمة والتّعريب.

المبحث الرّابع: خطاب النّقد والتّقويم.

انفتح النّقد الجزائري المعاصر على المناهج النّقدية النصّانية الغربية في بداية ثمانينيات القرن الفارط، وكان المنهج السيميائي السّردي بمرتكزاته اللّسانية والمعرفية ونجاعته التّطبيقية وثراء مدوّنته الاصطلاحية ومرونة إجراءاته وفعاليتها، من أهم المناهج النقدية التي استقطبت اهتمام النّاقد الجزائري نظريّا وتطبيقيًا، فانبرى يَعُبُّ من مناهل هذا النّقد تحذوه الرّغبة في علمنة المعرفة النّقدية والدّراسة الأدبية وتخليصهما من الأحكام الانطباعية والذّاتية والإصغاء أكثر إلى ما يقوله النّص بمعزلٍ عن السياقات المحيطة بإنتاجه.

ومادامت المدوّنة النّقدية العربية المعاصرة مستهلكة للمعرفة النقدية الغربية دون إضافة تذكر، وكان النّقد الجزائري جزءًا لا يتجزأ من هذه المدوّنة، فمن المفيد تخصيص هذا الفصل لإضاءة المستويات النظريّة للخطاب السيميائي السردي في النقد الجزائري، بعد توضيح مسارب وملابسات استقبال هذا الخطاب، بادئين بخطاب التّأسيس والتّعريف، فخطاب الترجمة والتّعريب، ثمّ خطاب النّقد والتّقويم الموجّه لهذه المدرسة (مدرسة باريس السيميائية) من لدن النّقاد الغربيين والجزائريين على السّواء.

وقد تطرّقت بعض البحوث الأكاديمية الجزائرية التي اشتغلت على "سيميائيات مدرسة باريس" إلى هذه المستويات، بدْءًا بالدّراسة التي أعدّها "قادة عقاق" لنيل شهادة الدّكتوراه والموسومة بـ: "السّيميائيات السّردية وتجلياتها في النّقد المغاربي المعاصر، نظرية غريماس، نموذجا"* وقد صَدرت هذه الدّراسة بعد ذلك في كتاب** بعنوان "الخطاب السّيميائي في النقد المغاربي، دراسة"، وقد أفرد المؤلّف الباب الأول من الكتاب لهذه الخطابات ووسمه بـ: "تجليات الاتجاه الغريماسي في خطاب الممارسة النّظرية المغاربية"[1]، وقسّمه إلى أربعة فصول: -الفصل الأول: خطاب التأسيس والتأصيل والتعريف، -الفصل الثاني: خطاب التّرجمة والتّعريب. والفصل الثالث: خطاب التّقعيد والتّنظير، والفصل الرابع: خطاب النّقد والتّقويم.

وقد ترسّمنا خطاه في هذا التّقسيم، مع تحفّظنا —شأن دارسين آخرين- على وَسم الفصل الثالث ومحتواه وهو خطاب التّقعيد والتّنظير لأسبابٍ شتّى هي:

أولا: إقرار الباحث في صدارة هذا الفصل، بأنّ النّقاد العرب المعاصرين"همْ شرَّاح ومُفسّرون ومترجمون، لا منظّرون".[2]

*- نوقشت هذه الأطروحة بجامعة "سيدي بلعباس" في الموسم الجامعي: 2004-2005 وكانت تحت إشراف: د/ رشيد بن مالك.

**- صدر الكتاب عن دار الألمعية، في طبعته الأولى عام 2014.

[1]- يُنظر: قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2014، ص51 وما بعدها.

[2]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص127.

وهي الفكرة ذاتها التي يُؤكّدها الباحث المغربي "علي صديقي" حين يقول: «إنّ غاية ما يسعى إليه النّاقد العربي هو تملك المناهج الغربية واستيعاب مفاهيمها، فهو لا يملك الجُرأة الكافية لمراجعة هذه المناهج ومُساءلتها ونقدها وبيان قصورها وكشف تحيّزاتها ممّا جعل هذه المناهج تتمتع لديه بمطلقيّة وشمولية لا تتمتع بهما حتى لدى أصحابها الذين تكبّدوا عناءَ إنشائها».[1]

ثانيا: عَدَّ الباحث لفت بعض النّقاد العرب النّظر إلى «محدوديّة بعض النّظريات الغربية –وبخاصّة حينما تحاول تجاوز إطار ما أو نص مُعيّن إلى آخر غيره– أو الكشف عن مواطن ضعفها وقصورها حتى لا نُفتتنَ بها ونتّخذها على أنّها السّبيل الأوحد والأنجع لحلّ مشاكلنا»[2] من قبيل خطاب: التّنظير، ومن الأجدى أن يُصنّف ضمن خطاب النّقد، فالكشف عن قصور نظريّة نقديّة ما وتهافت منطلقاتها وانتفاء نجاعتها التّطبيقية من صميم نقد النّقد.

ثالثا: ممّا يُضعف موقع هذا الخطاب، مقارنةً بالخطابات الأخرى تمثيل الباحث لهُ ببعض الآراء الواردة في كتابي "منطق السّرد"لـ"عبد الحميد بورايو" و"مقدمة في السيميائيات السّردية" لـ"رشيد بن مالك" ففي هذا الكتاب الأخير مهّد النّاقد لدراسته التّحليلية لقصّته "عائشة""لأحمد رضا حوحو" بمهادٍ نظري يتمحور حول عنصرين:

أ–مكانة البحوث السيميائية من الدراسات النقدية العربية المعاصرة.

ب–الفوضى المصطلحية والحلول الممكنة لتجاوزها.

وقد رصد النّاقد من خلال هذين العنصرين، وضع السيميائيات السّردية في العالم العربي في ظل الإشكالية الاصطلاحية وغياب استراتيجية علميّة تُفعّل الترجمة لأجل التّأسيس لخطاب نقدي يُحدث القطيعة مع الممارسات التّقليدية، وهو خطاب نقدي يستشرف بدائل منهجية تؤسّس لرؤية نقدية مغايرة للسّائد.

وإذا عدنا إلى بعض البحوث الأخرى التي ضمّنت هذه الخطابات ضمن فصولها ومباحثها، نجدها تكتفي بخطابي التأصيل والتأسيس والترجمة والتعريب، ولا تكاد تلتفت إلى خطاب التقعيد والتنظير*.

---

[1]– علي صديقي، المناهج النقدية الغربية في النقد العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد 41، العدد 4، أبريل – يونيو 2013، ص136.

[2]– قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص129–130.

*– منها مثلا: حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، قراءة في مشاريع "عبد الحميد بورايو، عبد المالك مرتاض، رشيد بن مالك"، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة –محمد لمين دباغين– سطيف، قسم اللغة والأدب العربي، السنة الجامعية 2018–2019، ص271 وما بعدها، ومنها أيضا: لعجال لكحل، المقاربة السيميائية عند "رشيد بن مالك" أطروحة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، قسم اللغة والأدب العربي، السنة الجامعية 2016–2017، ص86 وما بعدها.

وقد قامت "شرشار فاطمة زهرة" في بحثها "تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد العربي المعاصر"، بتخصيص مبحث في المدخل المنهجي لـ: «خطاب التأسيس والتنظير والترجمة للمنهج السيميائي»[1] ولكنّها اكتفت في "خطاب التنظير"[2] بالإشارة إلى كتاب "رشيد بن مالك""البنية السّردية في النّظرية السيميائية "، وهو في الأصل يتنزّل ضمن خطاب التعريف بهذا المنهج، ويُلاحظ أنّها قدّمت خطاب "التّنظير" على خطاب الترجمة وهو ما يُجافي الترتيب المنطقي لهذه الخطابات، فبعد التّعريف بالنّظرية يأتي خطاب الترجمة ليليه خطاب التّنظير –إنْ وُجد–

ملاحظة أخرى استوقفتنا في هذا السياق، تتمثّل في تركيز أغلب هذه البحوث على مؤلفات "رشيد بن مالك" و"عبد الحميد بورايو" وهي تمثّل للخطابات المذكورة، فيما لا تكاد تذكر باحثين آخرين أضافوا إلى هذه الخطابات إضافات نوعيّة، كما سنوضّح في المباحث الموالية.

وبناءً على المعطيات السّابقة، فإنّنا سَنُقصر الخطابات التي سنقوم برصدها على ثلاثٍ، خطاب التأسيس والتعريف، خطاب الترجمة، خطاب النّقد والتوجيه، على أن نُقصر الخطاب الثالث على مآخذ النّقاد الجزائريين المعاصرين التي تمحورت حول المنهج السّيميائي السّردي.

وحتى نجتنب التكرار والكلام المعاد، سوف لن نطيل النّظر في تلك المؤلفات التي سبق لباحثين آخرين التمثيل بها للخطابات الثلاثة المذكورة، ونسهب عند قراءتنا لمؤلفات أخرى لم تجد لها مكانا عند أولئك.

[1]– شرشار فاطمة زهرة، تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد العربي المعاصر، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ.د بلوحي محمد، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، قسم اللغة العربية وآدابها، 2018-2017 ، ص107.

[2]– المرجع نفسه، ص111.

المبحث الأول: استقبال الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر للمنهج السّيميائي

كان انفتاح النّقد الجزائري على المناهج النّسقية في نهاية سبعينيات القرن الفارط، محاولة لسدّ الافتقار والعوز المنهجي الذي أبدته المناهج السياقية في قراءة النّصوص الأدبية، وهي قراءة وصفها النّاقد "حبيب مونسي" بالاستنزافية لأنّها تمتصّ كلّ مكوّنات النّص «وتؤولها بحسب توجيهات السياق، فلا تبقي خلفها إلاّ هياكل نخرة جوفاء، تتخطّاها إلى غيرها، وقد تكون في بعض الأحايين قراءة "انتقائية" تنزلق على السّطح، تتخيّر من النّص ما يخدم غرضها، فتقف عنده ثمّ تتجاوزه إلى نقاط تراها تتجاوب وأدواتها، شأن القراءة النّفسية»[1]، إنّ إخضاع القراءة النّقدية للسياق إفقار لدلالات النّص وسجن له داخل إطار القراءة الواحدة ممّا يفقده إمكانية الانفتاح والتّأويل، وإزاء هذا الوضع، كان لابدّ من تجديد آليات الممارسة النّقدية، بالبحث عن مناهج جديدة تنقل هذه الممارسة من الانطباعات الذّاتية المنفعِلة المحكومة بواحدية القراءة والخاضعة للسياق، إلى التّحليل المحايث الذي ينطلق من النّص ليعود إليه، وينفتح على تعدّد القراءات وتجدّدها، ولم يكن هذا التّحوّل المنهجي نتاج صدفة، بل كان استجابة لمتغيرات أملتها مستجدّات معرفية نقديّة تتلخّص في عاملين إثنين هما: «1-نزعة التّحرّر من الخطابات النّقدية الإيديولوجية بكلّ تبعاتها المرجعية، سواء أكانت تاريخية أم اجتماعية، والنّزوع لتعصير الخطاب النّقدي العربي بتنويع مكوّناته، وإضافة مجالات جديدة لم تشر لها البلاغة العربية، التي وُضعت أساسًا لنقد الشّعر، 2-البحث عن قواعد وضوابط منهجية وإجرائية، تستجيب لمقتضيات الأشكال الخطابية الجديدة الوافدة من أوروبا بالتّحديد، كالجنس الرّوائي على سبيل المثال»[2]

ومن المؤكّد أنّ للمنجز اللّساني الغربي أثر كبير في هذا التّوجه نحو النّقد النّسقي، فقد انبثقت مناهج جديدة استثمرت اللّسانيات في صياغة مصطلحاتها ورؤيتها المنهجية التي نظرت إلى النّص بعدّه بنية مغلقة لا تُفصح عن معناها إلاّ بتحليل شبكة العلاقات المنسوجة بين مكوّناتها، ومن ثمّ ستوكل القراءة النّسقية لنفسها «مهمّة الغوص في مجاهل عالم "مغلق" تُقرّ بوجوده واستقلاله فتعطيه سمات الكائن الحي ذي الخصائص المميّزة، والتي تجعل منه ذاتًا تنعم بالشّرعية والحياة مولدًا ونشأةً ومماتًا، -يتحمّل القارئ/النّاقد مسؤولية الإفصاح عن كنهها- في كلّ مرحلة من مراحل حياة هذه الذّات»[3]، لقد أصبح النّص محور العمليّة النّقدية، وأضحى النّقد السّياقي

[1] - حبيب مونسي، نقد النّقد، المنجز العربي في النّقد الأدبي، دراسة في المناهج، منشورات دار الأديب، السانيا وهران، دط، 2007، ص115.

[2] - عمر عيلان، النقد الجديد والنّص الرّوائي العربي، دراسة مقارنة للنّقد الجديد في فرنسا وأثره في النّقد الروائي العربي من خلال بعض نماذجه، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د عبد الحميد بورايو، جامعة منتوري قسنطينة، قسم اللغة والأدب العربي، العام الجامعي 2006/2005، ص231.

[3] - حبيب مونسي، نقد النّقد، المنجز العربي في النّقد العربي، دراسة في المناهج، ص132.

ورواده وإجراءاته عُرضة للرّفض والإعراض، فهذا "عبد الملك مرتاض" يقول في مقدّمة كتابه "الألغاز الشّعبية الجزائرية" في سياق تنويهه بالمنهج البنوي –كما أسماه– الذي يستبعد كاتب النّص، ويقوم على قواعد وأصول تهدف إلى فهم الأدب وتقويمه بموضوعية وحياد، «وهذه النّظرة البنويّة في حدّ ذاتها ثورة في عالم النّقد الحديث ولعلّها أن تُفضي إلى تخليص هذا النّقد من الأكاذيب والأباطيل التي كان المدّعون يكتبونها، دون أن تكون لها صلة حقيقية بالنّقد الحقّ، فهم كانوا إن كتبوا نقدًا لرواية دبّجوا رواية أخرى من الكلام حولها، وإن كتبوا عن الشّعر وتحليله وتقويمه، درسوا شعرًا آخر يدور من حوله وهَلُمَّ جَرًّا»[1]، ويكاد النّقاد الجزائريون يتّفقون على أنّ البنيويّة هي أوّل منهج نقدي نسقي ظهر في المدوّنة النّقدية الجزائرية المعاصرة، ويكاد الإجماع يحصل حول ريادة النّاقد "عبد الملك مرتاض" لهذا المنهج، يقول عنه النّاقد "عمار زعموش" «يُعدّ رائد الاتجاهات الجديدة في النّقد الأدبي بالجزائر، من بنيوية وسيميائية وتفكيكية وما إلى ذلك، حيث أخذ مع نهاية السّبعينيات وأوائل الثّمانينيات في التّخلص من المناهج التّقليدية والاتّجاه نحو المناهج المعاصرة وفي مقدّمتها البنيويّة، التي يصرّح في مقدّمة كتابه –الألغاز الشعبية الجزائرية– أنّه وظّف المنهج البنيوي أو عناصر من أصوله على الأقل، في القسم الثّاني الذي ينصبّ على دراسة نصوص الألغاز الشّعبية لغةً وأسلوبًا، ثمّ تكرّر استعماله لهذا المنهج في دراسات أخرى مثل "النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟" الذي آخذ فيه النّقاد على انعدام التّركيز في دراساتهم على النّص الأدبي»[2]

أمّا النّاقد "يوسف وغليسي" فينفي الاختلاف في شأن ريادة النّاقد "عبد الملك مرتاض" للمناهج النّسقية في الجزائر وعلى رأسها المنهج البنيوي، ويذهب في ذلك أبعد من سنة 1983 تاريخ صدور كتاب "مرتاض" الشّهير "النّص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟" وهو في الأصل محاضرات ألقيت على طلاّب الماجستير في الأدب العربي بجامعة وهران في السنة الجامعية "1980-1981" كما ينص على ذلك غلاف الكتاب، فهو يرجع هذه الريادة إلى سنة 1982، اعتمادًا على ما ذكره النّاقد "شريبط أحمد شريبط" في كتابه "مباحث في الأدب الجزائري" وبالضبط في الدّراسة الموسومة بـ"النّص النّقدي الجزائري من الانطباعية إلى التّفكيكية"، إذ يشير إلى أنّ دراستين مختلفتين لناقدين جزائريّين صدرتا عام 1982، الأولى لـ"عبد الملك مرتاض" بعنوان: "الخصائص الشّكلية للشّعر الجزائري الحديث"، والثانية بعنوان: "قراءة أولى في الأجساد المحمومة" لـ"عبد الحميد بورايو" والدّراستان كلتاهما نشرتا بمجلّة "آمال"*، واعتمادا على معيار السّبق –كما يعبّر النّاقد "يوسف وغليسي"– تتعيّن الريادة

[1] – عبد الملك مرتاض، الألغاز الشعبية الجزائرية، تحليل لمجموعة من الألغاز الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2007، ص04.

[2] – عمار زعموش، النقد الأدبي المعاصر في الجزائر، قضاياه واتّجاهاته، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، دط، 2001/2000، ص177.

*– مجلة آمال، وزارة الثقافة، الجزائر، السنة 12، العدد 55، 1982، نقلا عن: يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، دط، 2002، هامش الصفحة 130.

لـ"مرتاض"، فالمقال المذكور سابقًا نشره بمجلة "الآداب" البيروتية*، بل تتأكّد هذه الريادة إذا كان الكتاب هو المعيار، فقد تضمّنت مقدّمة كتاب "الألغاز الشّعبية الجزائرية" إحالة إلى سنة كتابتها وهي سنة 1979، ومن ثم فأمر الريادة محسوم لصالح "عبد الملك مرتاض" من ثلاث نواحٍ، من ناحية إصداره لكتاب "النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟" عام 1983، ومن ناحية نشره لمقال "الخصائص الشّكلية للشّعر الجزائري" سنة 1981، ومن ناحية تحريره لمقدّمة كتاب "الألغاز الشعبية الجزائرية" عام 1979، والذي صرّح فيه بتبنّيه المنهج البنيوي في بعض فصوله.

ويُعدّ النّاقد "وغليسي" دراسة "عبد الحميد بورايو" "قراءة أولى في الأجساد المحمومة"، من المحاولات البنيوية التكوينية المتقدّمة في مسار النّقد الجزائري والتي ستأخذ شكلها المنهجي المتكامل في كتاب "القصص الشّعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية" وهي الدّراسة التي يمكن أن تكون حسب تعبيره «أوّل تجربة (بنيوية تكوينية) تطبيقية في الخطاب النّقدي الجزائري»[1].

ويذهب الباحث "حمزة بسو" مذهبا مغايرًا لمذهبي النّاقدين "عمار زعموش" و"يوسف وغليسي" ومن نهج منهجهما، ويجعل الريادة لـ"عبد الحميد بورايو" اعتمادًا على عدم دقّة المعيار الفاصل في شأن هذه الريادة الذي اعتمده "وغليسي" ومن ذهب مذهبه، فالاعتماد على معيار صدور الكتاب يتجاهل معيارين آخرين هما: «1- معيار تاريخ صدور الدراسات النّقدية المنشورة في المجلات.

2- معيار مناقشة الرسائل الأكاديمية، ماجستير/دكتوراه»[2].

وعلى أساس المعيار الثاني تتعيّن الريادة للنّاقد "عبد الحميد بورايو" فـ «الرسائل الأكاديمية (ماجستير/دكتوراه) لا تقلّ عمقًا وشمولية وعملية عن الكتاب، بل قد تكون أعمق وأشمل منه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نقول، إنّ معظم الكتب النّقدية الجزائرية هي عبارة عن أعمال أكاديمية، طبعت ونشرت تِباعًا، وقد اعترف "يوسف وغليسي" نفسه ببراعة ودقّة تمثّل المناهج الغربية والمصطلحات لدى "عبد الحميد بورايو" في كتابه "القصص الشعبي في منطقة بسكرة" الذي نشر سنة 1986، وهو عبارة عن رسالة ماجستير ناقشها صاحبها في القاهرة سنة 1978، والذي اعتمد فيها آليات المناهج النّسقية»[3].

---

*- مجلة الآداب، العددان 11-12، نوفمبر-ديسمبر 1981، ص183، نقلا عن: يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، هامش صفحة 130.

[1]- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص123.

[2]- حمزة بسو، الخطاب النقدي الجزائري والتّحولات المنظورية، مجلة فتوحات، كلية الآداب واللغات، جامعة "عباس لغرور"، خنشلة، العدد 01، جانفي 2015، ص138.

[3]- المرجع نفسه، ص138.

وإذا كان النّاقد "يوسف وغليسي" قد صنّف كتاب "بورايو" السّالف الذّكر ضمن منهج البنيوية التّكوينية، رُغم تصريح مؤلّفه باختياره الواعي للمنهج البنيوي بسبب «ما يُوفّره من وسائل تفتح آفاقًا عديدة في دراسة النّص، وتكشف عن أبعادة المختلفة وتمكّن من رصد علاقته بمختلف مظاهر الوعي الإنساني وبالحياة الاجتماعية»[1]، فإن الباحث "حمزة بسو" لا يقصر الكتاب على هذا المنهج فحسب، بل تتعدّد فيه المناهج «والمتراوحة في مجملها بين آليات المنهج الشّكلاني والبنيوي والبنيوي التّكويني والبنيوي الأنثروبولوجي والسّيميائي السّردي، وقد اكتفى بنعت منهجه بالبنيوي فحسب، وذلك لأنّ المناهج النّسقية في الحواضن النّقدية العربيّة لم تستبن سُبلها بعد آنذاك»[2]، وبحسب هذا الطّرح فإنّ النّاقد "عبد الحميد بورايو" أكثر استحقاقًا لريادة المناهج النّسقية في النّقد الجزائري المعاصر، خاصّةً وأنّه أخلص للدّرس السيميائي السّردي في جُلّ ترجماته ودراساته «سواء من خلال محاضراته التي دأب على إلقائها بمدرجات الجامعة منذ الثمانينيات، ومن خلال تلك المقالات والمداخلات المنهجية المضبوطة التي ما فتئ يُسهم بها في الملتقيات والمناسبات العلميّة وكذا من خلال مؤلّفاته»[3]

والجدير بالذّكر أنّ النّقاد الجزائريين النّسقيّين على خلاف سابقيهم السّياقيين «نَهلوا من ينابيع التّجربة النّقدية الغربية بشكل مباشر، إمّا عن طريق التتلمذ على أيدي نقّادها أو الاطّلاع على مستجدّاتها من الكتب بلغتها الأصلية (الفرنسية) خلافًا لمرحلة النّقد السياقي التي كان التّتلمذ فيها والتّلقي مشرقيًّا، أي تلقّي من الدّرجة الثّانية»[4]، وما من شكّ في أنّ المنهج السّيميائي من أكثر المناهج الحداثية استقطابًا للنّقاد العرب، فقد استقبلوه بحفاوةٍ وترحاب على نقيض المناهج السّابقة له كالبنيويّة والأسلوبيّة، التي نظروا إليها بعين الرّيبة وعدّوها «تجاوزًا على التّراث الحضاري الذي تقوم عليه الثّقافة العربيّة والذي يُمثّل هُويّة الإنسان العربي»[5]

فقد توجّس النّقاد المحافظون خيفةً من المنهج الأسلوبي الذي طُرح كبديل للبلاغة العربية، ورُفض المنهج البنيوي لأنّه لم يدخل ساحة النّقد العربي إلاّ بعد أن أفل نجمه بمسقط رأسه ونعاه أقطابه الأوائل مثل: بارت وشتراوس وغيرهم، ناهيك عن انغلاق هذا المنهج على بُناه الدّاخلية وانعزاله عن السّياقات الخارجية، ومن أسباب رفضه أيضا شيوع المناهج السّياقية واعتياد النّاقد العربي آنذاك على مقاربة النّصوص وفق آلياتها ومناهجها، وقد استشعر النّاقد العربي قرابة بين السيميائية الغربية و"السيمياء" الكلمة العربية، فكلاهما يدلُّ على العلامة ومن ثمّ

---

[1]- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986، ص06.

[2]- حمزة بسو، المشروع النقدي عند عبد الحميد بورايو، مجلة اللغة العربية، تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 44، المجلد 02، جوان 2019، ص368.

[3]- المرجع نفسه، ص371.

[4]- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، قراءة في مشاريع: عبد الحميد بورايو، عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د محمد عزوي، جامعة محمد لمين دباغين –سطيف2، السنة الجامعية 2019/2018، ص92.

[5]- محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، منشورات ضفاف، لبنان، منشورات دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص160.

فهناك بعض التّطابق بين مفهومي المصطلحين مما أوحى بوجود مسبق للسّيميائية في التّراث العربي، كما أنّ هذا المنهج ينفتح انفتاحا مشروطًا على السياقات الخارجية وأثبت نجاعته التّطبيقية على النصوص السّردية خاصّة[1].

ويُقرُّ النّاقد "محمد فليح الجبوري" بأنّ جهود النّقاد المغاربة في إرساء دعائم المنهج السيميائي، تفوق جهود النّقاد المشارقة «فقد ظهرت السيميائية في المغرب العربي فسجّلت قصب السّبق في استنهاض الهمم بضرورة الاهتمام بالتّفكير السيميائي تنظيرًا وتطبيقًا، وفي الطّرف الآخر من الوطن العربي، سار هذا الدّرس على استحياء إلاّ أنّنا نجد لهم إسهامات مُهمّة لكنّها قليلة لا ترتقي إلى ما وصلت إليه السيميائية في المغرب العربي، فهناك مؤسسات سيميائية وأقسام علميّة سيميائيّة، ومجلاّت علميّة سيميائية وندوات ومؤتمرات دورية تناقش وضع الفكر النّقدي السيميائي على غرار ما كان يفعله النّقاد الغربيون، فالاهتمام المغاربي بالسيميائية أفضل بكثير من اهتمام المشارقة»[2].

وقد كان انفتاح النّقاد المغاربة على الثقافة الفرنسية بحكم الجوار الجغرافي والصّلات التاريخية رافدًا مُهمًّا من روافد تلقّي هذا المنهج، فمصادر التلقّي تكاد تكون كُلّها فرنسية «باعتبار عوامل عديدة، ليس هذا الموضع مجالاً للتّفصيل فيها كلّها، ونكتفي بذكر أهم هذه العوامل على الإطلاق وهو تطور العلاقات الثقافية بين بلدان المغرب العربي وفرنسا وريادة المدرسة الفرنسية للسّرديات بأشهر إجراءاتها تنظيرًا وإجراءً واجتراح مصطلح»[3].

وقد كانت "مدرسة باريس السيميائية" برئاسة "غريماس" هي المنهل الذي نهل منه النّقاد الجزائريون، ويعود ذلك إلى جملة أسباب منها:[4]

– الشّروح المستفيضة التي رافقت المنجز النّقدي لهذه المدرسة من قبل أعضائها، فقد شفعوا المنطلقات النّظرية بالممارسات التّطبيقية مما أزال غموض النّظرية وأوضح فعاليتها ونجاعتها في التّحليل، إضافة إلى تتويج الجهاز المعرفي لهذه النّظرية بتأليف: "المعجم المعقلن في نظرية اللغة السيميائية"* لمؤلّفيه "غريماس" و"كورتيس" سنة 1979، وهو معجم يشتمل المدوّنة الاصطلاحية لهذه النظرية ويستفيض في توضيحها وتقريبها من المتلقي، كما أنّ مرونة النّظرية جعلها قابلة للتعميم على مختلف الخطابات من سياسة ودين وأدب وعلم اجتماع وتاريخ وإشهار ... ولعلّ تناولها للخرافات والأساطير والقصص الشّعبية مما ساهم في رواجها بين الباحثين في هذه التّخصصات، وقد كان

[1]– ينظر، محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص160.

[2]– المرجع نفسه، ص162.

[3]– سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، دار سمر للنشر، تونس، دط، ديسمبر 2009، ص13.

[4]– دليلة زغودي، جاذبية العمل وتمنّع الهوى، –التقبل العربي لسيميائية مدرسة باريس، مجلة العلامة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 04، جوان 2017، ص297 وما بعدها.

*– Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage

اهتمامها بالنّص الشعبي سببًا في إعادة الاعتبار لهذا النوع من النّصوص وإدراجه جنبا إلى جنب مع نظيره الرسمي الذي طالما حاز العناية والتفضيل من قبل الباحثين.

ولا ننسى دقّة الأجهزة التّحليلة التي وضعتها هذه النّظرية كالمربّع السيميائي والنّموذج العاملي والمقطوعة السّردية وقابليتها للتّطبيق على النّصوص المختلفة، وكذا عنايتها بالسّرد، فقد كان هدفها منذ التّأسيس صياغة نظرية سرديّة، للإمساك بآلية الفعل القصصي في زمن صعد فيه جنس الرّواية وتربّع على عرش الأجناس الأدبية.

وإذا حصرنا الحديث في مسارب تلقي النّقد الجزائري للنّظرية السيميائية الغريماسية، فإنّ هذه المسارب تتلخّص في عوامل ثلاثة تجعل التّلقي ممكنا وهي «في المجال الذي نشتغل فيه، النّقد عمومًا والسّرديات خصوصًا وحتى في العديد من فروع المعرفة الإنسانية الأخرى، لا تخرج عن الأطر المعروفة، الترجمة، الدّراسة "البعثات" والكتاب الأصل»[1].

وقد قام النّاقد "عبد الحميد بورايو" في بداية تسعينيات القرن الفارط بترجمة كتاب "مدخل إلى السيميولوجيا (نص–صورة)"، من تأليف "دليلة مرسلي" وأخريات، ومن خلال هذه الترجمة نستشف اهتمام الدّرس الأكاديمي في الجامعة الجزائرية بالسّرديات الحديثة ابتداءً من سبعينيات القرن العشرين «ويبدو أنّ للمترجم غاية محدّدة من نقل هذه النّصوص إلى اللّغة العربية، فتقديم دروس عن القصّة والخطاب لطلبة قسم اللغة الفرنسية في السّبعينيات يدلُّ على مواكبة أكيدة لهذه الفروع البحثية الجديدة، وعلى اتصال مستحكم، بما يستجد في أقسام اللّغة الأجنبية والفرنسية بوجه خاص عن الدّراسات العربية»[2]، إنّ أسبقية الدّرس الأكاديمي في الجزائر لاستقبال المناهج النّقدية الحديثة عامّة والسّرديات بوجه خاص وخلال فترة السّبعينيات في أقسام اللّغة الفرنسية يوحي بمواكبة الدّرس الأكاديمي لمنجزات الدّراسات السّردية في فرنسا خصوصًا، فقد احتوت تلك المحاضرات إشارات إلى "بروب" و"غريماس" و"بارت" وغيرهم من روّاد السّرديات والسيميائيات السّردية، وتواصلت جهود الجامعة الجزائرية خلال مرحلة الثمانينيات في محاولة التّأسيس للمنهج السيميائي وإرساء دعائمه تحدوها الرّغبة «في تحديد الوعي النّقدي من خلال إعادة النّظر في طريقة التّعاطي مع قضايا المعنى، ولقد قدّمت في هذا المجال مقترحات هامّة عملت على نقل القراءة النّقدية من وضع الانطباع والانفعال العَرضي الزّائل والكلام الإنشائي الذي يقف عند الوصف المباشر للوقائع النّصية، إلى التّحليل المؤسّس معرفيّا وجماليًّا»[3].

---

[1]– سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص28.

[2]– المرجع نفسه، ص208.

[3]– ودناني بوداود، خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر، مقاربة في بعض أعمال يوسف أحمد، مجلة الباحث، جامعة الأغواط، مجلد01، عدد 02، جوان 2009، ص116.

وقد حاول روّاد الاتجاه السّيميائي السّردي في الجزائر إرساء هذا الوعي النّقدي في الجامعة الجزائرية «وقمينٌ بالذّكر أنّ "عبد الحميد بورايو" يُعدُّ واحدًا من الرّواد المؤسّسين للحركة السيميائية في الجزائر، وقد ظهرت دعوتُه إلى هذا التّيار في وقت مبكّر من خلال الدّروس التي كان يلقيها على طلبة معهد اللغة والأدب العربي بجامعة تلمسان في بداية الثمانينيات، لكنّه يعزو قلّة مؤلفاته في هذا المجال إلى ظروف عمل الباحث في الجامعة الجزائرية الحديثة النّشأة في فترة التّأسيس للمراكز الجامعية ولأقسام الأدب، تركت "بورايو" وغيره من الأساتذة يهتمون أكثر بالجانب العملي المتمثّل في التّدريس وتكوين الطلبة والتوجيه، ولم تسمح لهم كثيرا بالتّأليف وممارسة الكتابة»[1].

كما عملت الجامعة الجزائرية على إرسال الطلبة في بعثات علمية إلى الجامعات الفرنسية بالخصوص للنّهل من منابع النّقد السيميائي فتلقّوا الدّرس النّقدي "على أيدي كبار النّقاد الغربيين أمثال: غريماس، جوليا كريستيفا جوزيف كورتيس، تزفيتان تودوروف، جيرار جونيت، كلود بريمون وغيرهم، ومن هؤلاء الطلبة الجزائريين "عبد الحميد بورايو"، "رشيد بن مالك"، "حسين خمري"، "السعيد بوطاجين" وغيرهم ممّن يطلق عليهم اسم "طلبة باريس""[2].

وقد اضطلع هؤلاء بمهمّة التّأسيس للمنهج السيميائي في الجزائر عن طريق التّدريس الجامعي ومحاولة التّأصيل له عن طريق التّأليف والترجمة، فقد ظهرت السيميائية في الخطاب النّقدي الجزائري وازدهرت مع بداية الثمانينيات على أيدي النّقاد الأكاديميين الأوائل المتخرّجين من الجامعات الفرنسية خصوصًا "رشيد بن مالك"، "السعيد بوطاجين"، "حسين خمري"، والمتأثرون مباشرة برموز النّقد السيميائي في فرنسا "جوليا كريستيفيا"، "غريماس" ... الذين كانوا مؤطّرين لرسائل نُقادنا.

وبتأثير النّقد السّيميائي الفرنسي، و"مدرسة باريس السّيميائية" بالخصوص شرع هؤلاء النّقاد فور عودتهم في التّأسيس للنّقد السّيميائي السّردي في الجزائر، وكانت مرجعيته فرنسية خالصة تنظيرًا وتطبيقًا، وقد اتّسع الاهتمام بالسّيميائيات السّردية ليضم باحثين جزائريين كُثر نذكر منهم: "أحمد طالب"، "أحمد يوسف"، "قادة عقاق"، الطاهر رواينية"، "عبد القادر فيدوح" وغيرهم.

[1]– هامل بن عيسى، إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي (دراسة في نقد النقد)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2012-2013، ص137.

[2]– حمزة بسو، الخطاب النقدي الجزائري والتحولات المنظورية، مجلة فتوحات، كلية الآداب واللغات، جامعة عباس لغرور، خنشلة، العدد 01، جانفي 2015، ص137.

أمّا الترجمة فهي الرّافد الثاني الذي رفد الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر بالمنهج السّيميائي وكانت هذه التّرجمات فردية في الغالب تنهلُ من اللغة الفرنسية و«تسترشِدُ في غالب الأحيان بانتقائية تخصصية، غايتها ملء الفراغ الذي يعاني منه المشتغلون في الاختصاص وليست خاضعة لبرنامج أو مخطط عام تؤطّره هيئة رسمية توحّد المساعي وتقرّب وجهات النّظر وتصوغ طريقة وكيفية للعمل مؤسسة»[1]، ولم تتوقف حركة الترجمة من المنجز النّقدي الغربي إلى اليوم، فمازال النّاقد العربي يتوكّأ نظرية وتطبيقًا على ما يُنتجه النّقاد هناك، ومازالت الترجمات هي النّافذة المفتوحة التي يُطلّ منها القارئ العربي على ثقافة الآخر، وللوقوف على الجهد المبذول في ميدان الترجمة نشير إلى ترجمات "رشيد بن مالك" لروّاد مدرسة باريس السيميائية فقد ترجم كتاب "السيميائية، أصولها وقواعدها" لـ"ميشال أريفي" وآخرين وكتاب "السيميائية، مدرسة باريس" لـ"جان كلود كوكي"و كتاب "تاريخ السيميائية" لـ"آن إينو" وكتاب "السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ" لـ"آن إينو" وآخرين.

ولا يقلّ رافد الإطّلاع على الكتب النّقدية بلغتها الأصليّة في مجال السيميائية السّردية أهمية عن الرافدين السّابقين، فقراءة الكتاب بلغته الأم أكثر فائدة وأوثق معرفة من قراءة الكتاب مترجما، «وينبغي أن ننبّه هنا إلى أنّ انحسار فئة المتعاملين مع هذا الوسيط لا يعود إلى قلّة عدد المتقنين للغة الفرنسية الذين يزداد عددهم بفعل انتشار التّعليم، وإنّما إلى قلّة تداوله بسبب نذرته النّاتجة عن خضوعه لمنطق الاستهلاك، ذلك أن مثل هذه الكتب موجّهة إلى دائرة قرائية ضيّقة تمثلها نخبة مثقفة جامعية أكاديمية في أغلبها، ويتتبع ذلك إحجام عن استيرادها بالأعداد الكافية خشية كسادها»[2].

إنّ انحسار تأثير الكتاب المتخصّص بلغته الأصلية مقارنة بالرّافدين السّابقين "البعثات العلمية والترجمة" ناتج عن قلّة رواج هذا النّوع من الكتب، فالمستورد يدرك أنّ الكتاب المتخصّص لا يُقرأ سوى من فئة قليلة لذا لا يهتم باستيراده وترويجه بغض النّظر عن قيمته المعرفية.

ولا يمكن في هذا السّياق تجاوز المجلات والدّرويات العربية والجزائرية التي ساهمت في نشر المنهج السيميائي السّردي نظريًّا وتطبيقيًّا، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

[1] – سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص31.

[2] – المرجع نفسه، ص32.

مجلة "علامات" ومجلة "دراسات سيميائية أدبية لسانية" المغربيتان، ومجلة "عالم الفكر" الكويتية، ومجلة "علامات في النقد" السعودية، ومجلة "الموقف الأدبي" السورية وغيرها، إذ مافتئت هذه المجلاّت تُخصّص أعدادًا أو ملفّات لإضاءة قضايا سيميائية* مختلفة.

وجملة القول، فإنّ مسارب تلقّي النّقد الجزائري للمنهج السيميائي كثيرة ومتعدّدة، ويبقى عامل الاتّصال المباشر بروّاد هذا المنهج والتّتلمذ عليهم عن طريق البعثات العلمية أكثر فعالية «ولهذا دلالته التي لا تقبل المواربة على نجاعة الفعل الإنساني المراهن على التواصل المباشر والتّأثير الواعي المحتوي لتبعات هذا الفعل»[1]- وهذا ما يتضح جليًّا في الخطابات الموالية.

*- خصّص المجلد 35، عدد 03، يناير- مارس 2007، من مجلة عالم الفكر الكويتية، للسيميائيات، وكذا المجلد 24 من المجلة نفسها، عدد 03، يناير- مارس 1996، فقد احتوى ملفا بعنوان: "السيميولوجيا والنصوص الأدبية". كما خصصت مجلة "الموقف الأدبي" السورية، العدد 456، السنة 38، نيسان 2009، جزءًا متعلقا بالدراسات للسيميائية، ومن المجلّات الجزائرية التي أسهمت في نشر المعرفة السّيميائيّةمجلة"أيقونات" الصادرةعن منشورات رابطة "سيما" للبحوث السيميائية سيدي بلعباس، ومجلة "بحوث سيميائية"التي يصدرها مخبر "عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر" جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية بالجزائر، ومجلّة "العلامة" الصادرة عن جامعة قاصدي مرباح ورقلة وغيرها...

[1]- سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص37.

المبحث الثاني: خطاب التّأسيس والتّعريف

سعى النّقاد الجزائريون إلى استنبات المنجز السّيميائي السّردي في تربة النّقد الجزائري لتعريف القارئ به وبالأصول التي انبثق عنها والرّوافد المعرفية التي غذّته، وقد اضطلع خطاب التّأسيس والتعريف بهذه المهمة، حيث يقوم «على تأصيل النظرية من خلال ردها إلى أصولها وروافدها العلمية وعرض أسسها التي قامت عليها، هدفُه في ذلك التّعريف بها وتقريبها من أذهان القُراء والمتعلّمين وممارسي النّقد على حدٍّ سواء وتيسير سُبل استيعابها لديهم، عبر تحديد منطلقاتها وضبط أبعادها وأهدافها»[1].

ويُعدُّ كتاب النّاقد "عبد الحميد بورايو" "منطق السّرد" من أوائل الكتب في المدوّنة النّقدية الجزائرية التي مَثّلت هذا الخطاب، فمن خلال مُقدّمته يتّضح منحاه التجديدي، حيث يثير إشكالية التّعامل مع النص الأدبي والغرض الذي ينبغي أن تسعى إليه الدّراسة الأدبيّة منبّها إلى خصوصية النّص الأدبي لكونه «مظهر لبنية كامنة على الدّارس أن يكشف عنها، لأنّها تمثّل النّموذج البنائي الذي ينبثق عنه الأثر الأدبي»[2].

لقد كانت رؤية النّاقد واضحة منذ البداية، فهو يرى أن الدّراسة الأدبية تتخّذ من أدبيّة الأدب موضوعًا لها[3] وهو عبر المباحث النّظرية الأربعة التي يتضمّنها الكتاب والمرتّبة كما يلي:

- نحو منهج لدراسة النص الأدبي.
- الإبداع الأدبي والتّراث.
- أزمة تدريس نصوص الأدب العربي.
- البنية التركيبية للقصّة.

يُظهر مواقفه من قضايا عديدة لصيقة بالنّص الأدبي من حيث دراسته وعلاقته بالتّراث وكيفية تدريسه، كما يُظهر «رؤيته أيضًا للنّقد الأدبي الذي صار يُشكل حِوارًا منهجيا مع النّص بالدّرجة الأولى، يستقريء خطابه ويُسبر أغواره، ويكشف بُناه التركيبية ويتقصّى تشكلات المعنى فيه»[4].

ولم تقتصر مساهمات النّاقد "عبد الحميد بورايو" في التأسيس والتّعريف بالمنهج السّيميائي على تأليف الكتب فحسب، فهو «من الباحثين المغاربيين الأوائل الذين كرّسوا جهودهم لتحديث آليات مقاربة النّص

[1]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص67.

[2]- عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1994، ص4.

[3]- ينظر، عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية، ص3.

[4]- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص120-121.

السّردي بصفة خاصّة وتجديدها، عبر إدخال النّظريات الغربيّة إلى ساحتنا النّقدية وبخاصة السّيميائية، سواء من خلال تلك الدّروس التي دأبَ على تقديمها بمدرّجات الجامعة مُنذ ثمانينيات القرن الماضي، أو من خلال تلك المقالات والمداخلات المنهجية المضبوطة التي ما فتئ يُسهم بها في الملتقيات والمناسبات العلميّة، أم من خلال تلك المؤلّفات المنشورة تِباعًا منذُ أواخر الثمانينيات»[1]

وتتربّع الدّراسة الموسومة بـ: "البنية التّركيبية للقصّة" على الجزء الأكبر من القسم النّظري في كتاب "منطق السّرد" وقد تتبّع فيها المسار الذي قطعته الدّراسات السّردية الحديثة من كتاب "الخرافات" للعالم الفرنسي "جوزيف بيديي Joseph Bédier" الذي نُشر في نهاية القرن التاسع عشر[2] وُصولاً إلى «طروحات الدّارسين والمنظّرين الذين اهتموا ببنية القصّة انطلاقا من منهج "بروب" أمثال "ألان دندس" الذي حاول تطبيق منظور "بروب" على قصص هنود أمريكا الشمالية مع بعض التعديلات والاصطلاحات المغايرة، وكذا "ليفي ستروس" الذي كشف عن منهج مواز لمنهج "بروب" في تحليل الأسطورة، والأمر نفسه مع الذين سعوا إلى تعميم نتائج منهج "بروب" قصد الحصول على نموذج عام يحكم كافة أشكال السّرد على نحو مقترح "كلود بريمون" و"غريماس" و"تودوروف" ... »[3]

وحرصًا على إيصال هذه المفاهيم إلى جمهور القراء، سلك "بورايو" مسلك الوضوح والمباشرة الذي ينمّ عن تمثّل دقيق لهذه الحمولة المعرفية النّظرية «ووضوحه وأمانته في نقل حصيلتها العلميّة دون تحريف أو ابتسار وبساطة الخطاب الحامل لها؛ ولعلّ الهدف التّعليمي المعلن في مفتتح هذا المؤلّف، هو الذي فرض على الباحث هذا التّبسط وأطّر هذا التّوجه لديه، فحاول قدر الإمكان توخّي الدّقة في العرض والوضوح في الخطاب والإحالة على المصادر والمراجع الأصليّة لتحقيق الاستفادة القصوى التي تتطلّبها كلّ عملية تعليمية ناجحة»[4]

والملاحظ أنّ خطاب التّأسيس والتّعريف عند هذا النّاقد، قليل مقارنة بالمقاربات التّطبيقية، فهو يستهلّ بعض هذه المقاربات بمهادٍ نظري كما في كتابه "الحكايات الخرافية للمغرب العربي"*، فيما يكتفي في دراسات أخرى بالولوج مباشرة في صلب الدّراسة التّطبيقية «دون تقديم عرض نظري لأسس المنهج المتّبع، ولعلّه رأى أنّ ما

[1]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص68.

[2]- ينظر، عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص18.

[3]- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص125.

[4]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص79.

*- عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، دراسة تحليلية في "معنى المعنى" لمجموعة من الحكايات، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1992، ص15 وما بعدها.

قدّمهُ في كتابه "منطق السّرد" من خطاب نظري، ما يُشكلّ أرضية منهجيّة ومرجعيّة صالحة لعموم منجزاته النّقدية فكفاه ذلك رتابة التّكرار»[1]

ويبدو النّاقد "رشيد بن مالك" أكثر إسهابًا في الاهتمام بهذا الخطاب عبر مؤلّفاته الكثيرة التي تتجاور فيها الخطابات ويكون قصب السّبق دومًا لخطاب التّعريف والتّأصيل مرفوقا في الغالب بخطابي التّرجمة والممارسة التّطبيقية، لقد حاول النّاقد "رشيد بن مالك" «أن يُثبت وجوده كباحث وناقد جزائري في مجال السيميائيات، وقد عُني بها تنظيرًا وممارسة وترجمة وذلك من أجل إعلاء وتشييد صرح سيميائي جزائري»[2] ويستوقفنا كتابه "مقدمة في السيميائية السّردية" الذي يُعدّ في طليعة خطابات التّأسيس والتّعريف بالمنجز السيميائي السّردي الغريماسي في النّقد الجزائري والتي تعمل «على تمكين القارئ العربي من المبادئ الأولية في النّظرية السيميائية، وتحريضه على النّظر بعمق في الآليات التي تحكم النّصوص السّردية، وفي السّبل الكفيلة التي من شأنها أن تُسخّر لتطويق المسارات الدّلالية الممكنة التي تخترق النّصوص وتمنحها التّجانس الدّلالي»[3]

فالنّاقد يسعى إلى وصل القارئ العربي بالنّظرية السيميائية باعتبارها فتحًا منهجيًا جديدًا يمكّن هذا القارئ من اكتشاف طرقًا جديدة في مُساءلة النّصوص وكشف ضروب تشكّل مساراتها الدّلالية.

ينفتح كتابه "مقدمة في السيميائية السّردية" بدراسة تحمل عنوان: "الأصول اللّسانية الشّكلانية للنظرية السّيميائية" ويقدّم لهذه الدّراسة بقراءة في كتاب "تاريخ السّيميائية" للباحثة الفرنسية "آن إينو: Anne Henault" وهو الكتاب الذي سيقوم النّاقد بترجمته لاحقًا ويُدرجه في كتاب "السّيميائية، الأصول القواعد التاريخ" إلى جانب كتب مترجمة أخرى.

ويشرع بعد ذلك في تقديم الأصول اللّسانية للنّظرية السيميائية، مُشيرا إلى تبلور معالم البحث الدّلالي مع كتاب "غريماس" "علم الدّلالة البنيوي" الصّادر عام 1966، وقبل ذلك لم تكن الدّراسات اللّسانية تأبه بمسألة الدّلالة، على اعتبار أنّها: «مجرّدة وغير ملموسة وغير قابلة للملاحظة أو القياس»[4]

ومن الأصول اللّسانية الأخرى التي رَفَدت البحث السيميائي، مبدأي المحايثة والاختلاف، وما انبثق عنهما من معالم للنّظرية السّيميائية، كالمربّع السيميائي والملفوظ السّردي والكفاءة والأداء. ويفصّل القول في عنصر

[1]- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص127.

[2]- بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية، دار الفجر للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2006، ص140.

[3]- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، دط، السداسي الأول 2001، ص7.

[4]- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص8.

"الأصول الشّكلانية للنّظرية السيميائية" في كتاب "مورفولوجيا الحكاية" "Morphologie du conte" وهو «من الكتب الحاسمة في تطور الدّراسات البنيوية والسيميائية، والنموذج الأكثر نُضجًا في بحوث الشّكلانيين»[1].

ثمّ يتطرّق إلى التّعديلات المنهجيّة التي أجراها "غريماس" و"كورتيس" على نموذج "بروب" ويُفرد ما تبقى من الكتاب لدراسات تطبيقية سنقف عندها في الجزء الثاني من هذا البحث.

وجملة القول، فإنّ كتاب "مقدمة في السّيميائية السّردية" يُعدُّ «أحد أهم المؤلّفات التي تنزع منزع التّأصيل والتّأسيس عبر رد النّظرية إلى أصولها ومنابعها الأولى وتفحّص دلالات المفاهيم والمصطلحات ضمن هذه الأصول لمعرفة حقيقتها، وبالتالي التّعرف إلى مدى التّطور أو التحوير الذي لحقها بعد نقلها من بيئتها الأولى أو استثمارها من قبل نظرية أو نظريات أخرى»[2].

ويتنزّل كتابه الآخر "البنية السّردية في النّظرية السيميائية" ضمن الخطاب ذاته، خطاب التّأسيس والتّعريف فهو امتداد للكتاب الأوّل «ولقاموس مصطلحات التّحليل السيميائي للنّصوص من حيث الإطار المنهجي العام الذي يرتكز في المقام الأول على التّدقيق في المفاهيم النّظرية والاشتغال على المصطلح السّيميائي، بردّه من ناحية إلى المستوى التّحليلي المتجانس معه، وإدراج ترجمته من ناحية ثانية، ضمن المصطلحية السّيميائية في شموليتها بوصفها نظامًا متماسكًا مبنيا»[3].

يتمحور القسم الأول من الكتاب حول "البنية السّردية" باعتبارها تتابُعًا للحالات والتّحويلات، ثمّ حدّد النّاقد "رشيد بن مالك" مفهوم "موضوع القيمة" في البحوث اللّسانية والسّيميائية، ليستعرض أخيرًا بعض مكوّنات البرنامج السّردي كالتّحريك والتّقويم، ويُفرد جزءًا مُهمًّا من الكتاب لترجمتين تتنزّلان ضمن خطاب آخر لم يحن أوانه بعد.

وتجدُر الإشارة إلى أنّ الباحث ينهي كلّ دراسة من دراساته في هذين الكتابين، بثبت للمصطلحات، بعد أن أثبت المصطلح الأجنبي مجاورًا للمقابل العربي في متن الدّراسة، ويهدف النّاقد من خلال هذا الصّنيع إلى التّقليل من حدّة الإشكالية الاصطلاحية باقتراح مقابل عربي واحد لكلّ مصطلح أجنبي.

ويعدُّ مؤلّفه الآخر "من المعجميات إلى السيميائيات" مَعلمًا آخر من معالم خطاب التّعريف والتّأسيس، وإن كان يجمع إلى جانب هذا الخطاب خطابين آخرين هما خطاب التّرجمة وخطاب الممارسة التّطبيقية وهي سمة من سمات

[1]– رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص29.

[2]– قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص71.

[3]– رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص8.

مؤلّفات "رشيد بن مالك" فقلّما نجد كتابًا من كتبه ينفردُ بخطاب واحد، ويُسوّغ النّاقد هذا التّعدّد، بكون الباحث العربي في سعيه للإحاطة بمستجدات البحث السيميائي «مُطالب بالتّفكير على جبهات عديدة: يُنجز في الوقت ذاته دراسات متنوّعة نفترض أنّها تغطّي قراءة وتمثيلاً، وترجمة، وتفكيرًا في كلّ ما أُنجز من بحوث سيميائية قديمها وحديثها، حول مختلف الممارسات الاجتماعية الدّالة باللّسان وغير اللّسان مع مراعاة الخصوصيات المحليّة في أثناء التّطبيق على النّصوص العربية»[1]

أُفتتح الكتاب بمدخل منهجي يتمحور حول "واقع البحث السيميائي في الفكر الغربي والعربي وآفاقه"، وينقسم الكتاب إلى قسمين كبيرين، يحتوي القسم الأول بحوثًا مترجمة ودراسات في المعجميات والسميائيات، حملت الدّراسة الأولى عنوان "مدخل إلى قراءة المعجم المعقلن في نظرية اللّغة السيميائية لـ: أ.ج.غريماس و، ج. كوريتس" وهي في الأصل محاضرة قُدّمت في لقاء علمي بتونس*، ويهدف النّاقد من خلالها إلى إرساء قنوات الاتّصال بين القارئ وهذا المعجم «الذي يشكل قفزة نوعيّة من حيث مادّته الغزيرة وطريقة صناعته ومضامينه العلميّة، وأهميته من حيث فتحه آفاق جديدة في البحث»[2]

والنّاقد –كما في كتابيه السّابقين– ساعيًّا إلى وصل القارئ بمظانّ المعرفة السيميائية «وهو في كلّ ذلك يضع في الحسبان قارئًا عربيًّا فاقدًا للأدوات اللاّزمة التي تؤهّله لتقحّم النّظرية السيميائية ذات التّوجه الغريماسي ولذا نهض بتوفير المادّة المعرفيّة الكفيلة بتبسيط النّظرية وتيسير فهمها وذلك عبر المستويات الخطابية المذكورة آنفًا ولذا بدا من الطّبيعي، أن يضمّ كتاباه "البنية السّردية في النّظرية السيميائية" و"من المعجميات إلى السيميائيات" ثلاثة مستويات خطابية، المستوى النّظري التّأصيلي، المستوى التّرجمي، والمستوى التّطبيقي، حيث تفضي مجتمعةً إلى ضبط المفاهيم النّظرية وتبسيط فهم الأدوات الإجرائية»[3]

وتتمحور الدّراسة الثانية في الكتاب حول "السيميائية" و"السيميولوجية" في المعاجم المزدوجة والقواميس عامّة أضاء النّاقد من خلالها «الطريقة التي تعاملت بها القواميس مع المصطلحين، والمنطلقات المنهجيّة التي ارتكزت عليها لتقديم الشّروحات إلى القارئ، والمبرّرات المعجميّة التي قدّمتها للانتصار إلى هذا المصطلح أو ذاك»[4]

---

[1]– رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013–2014، ص13–14.

*– ينظر هامش ص 179 من المصدر نفسه.

[2]– رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص179.

[3]– حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص279.

[4]– رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص193.

ويتضّح من خلال موضوع هذه الدّراسة، عدم اكتفاء خطاب التّأصيل والتّعريف بتقديم الأصول النّظرية والمنطلقات المعرفيّة للنّظرية السيميائية، فقد اهتمّ هذا الخطاب أيضا بالإشكالات الاصطلاحية على اعتبار أنّ العُسْر الذي يجدهُ القارئ العربي في تلقّي المعرفة السيميائية، يعود بالدّرجة الأولى إلى غموض مصطلحاتها فـ «في الوقت الذي خطا فيه البحث الأوروبي خطوات عملاقة لازلنا ضائعين في متاهات المصطلح. كلّ باحث يترجم حسب ما يحلو له. ولم تتوصّل نسبة غير قليلة من البحوث السيميائية العربية إلى بلورة خطاب علمي لا يلقى فيه أصحابه مشقّة في تمرير المعارف السيميائية»[1].

وينتهي القسم الأول من الكتاب بدراسة ثالثة موسومة بـ: "التّحليل المعنمي وأهميّته في الصّياغة المعجمية" وفيها يتناول النّاقد «التّعريف بآليات الاقتراب المعنمي من المفردات اللّغوية في الدّرس اللّساني المعاصر»[2] مع تقديم الإنجازات التي حققها "غريماس" في هذا المجال.

ويحمل القسم الثاني من الكتاب عنوان: "التّحليل السّيميائي للنّص السّردي" يتضمّن مَدخلاً نظريًّا يتمحور حول البنية السّردية، وتحديد موضوع القيمة في الدراسات اللّسانية والمجال الاقتصادي، والبحث السيميائي المعاصر، ثمّ البرنامج السّردي والخطاطة السّردية ومكوّناتها: التّحريك والكفاءة والأداء، وأخيرًا البنية الخطابية للنّص السّردي، وهي محاور سبقت الإشارة إليها ودراستها في الكتابين الأوّلين إلاّ أنّها في هذا السّياق أكثر تفصيلا وأوسع تحليلا.

والنّاقد "رشيد بن مالك" من خلال هذه المؤلّفات الثلاثة المذكورة واضحًا في خياراته وأهدافه، فهو يمتح منْ معين السّيميائية السّردية كما تجلّت عند "غريماس" وتلامذته ويسعى إلى «التّعريف بالنّظرية وعرض أصولها أوّلاً، ثمّ بسط مفاهيمها ومصطلحاتها ثانيًا، خدمةً للقارئ العربي ورفعًا من مستوى الثّقافة النّقدية لدينا إلى التّأسيس لمنهجية متماسكة يمكن بمقتضاها وصف وتفسير مكوّنات وأساليب الكتابة الأدبيّة بعامّة والسّردية بخاصّة وفق مرجعيّة مضبوطة وأدوات صلبة ورؤية جديدة متجاوزة لما هو متداول في ساحتنا النّقدية»[3].

ولابدّ من الإشارة أخيرًا إلى أنّ جُلَّ البحوث التي اهتمّت بخطاب التّأسيس والتّأصيل للنّظرية السيميائية في المدوّنة النّقدية الجزائرية تكتفي في الغالب بمنجز النّاقدين "عبد الحميد بورايو" و"رشيد بن مالك" ولكن هذه المدوّنة ما فتئت تتسّع ببحوث ودراسات أخرى نخصّص لها الحيّز الموالي من هذا المبحث، مُراعين تاريخ صدورها في ترتيب عرضها، كاشفين محتوياتها راصدين إضافاتها إلى المنجز النّقدي الجزائري في ميدان سيميائيات السّرد.

---

[1]- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص14.

[2]- المصدر نفسه، ص207.

[3]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص88-89.

ونبدأ بكتاب "فصول في السيميائيات" للنّاقد "نصر الدين بن غنيسة" وهو كتاب يُصنّف ضمن خطاب التّأصيل والتّأسيس والتّعريف بالنّظرية السيميائية السّردية، وإنْ جاورَ هذا الخطاب خطابان آخران هما خطاب التّرجمة وخطاب الممارسة التّطبيقية.

ويبدو أنّ النّاقد –كما يعبّر في مقدمة كتابه– يريد أن يرسو بالقارئ «على ميناء واضح المعالم، محدّد التّوجهات المعرفية ألا وهو السيميائيات السّردية التي تسعى إلى اكتشاف المعنى وسيرورته في سياق أوسع من سياق التّواصل المنحصر في المرسِل والرّسالة والمرسَل إليه»[1]

ولا يستهدف النّاقد طبقة معيّنة من القرّاء، بل يطمح للوصول إلى كلّ مُثقّف، فموضوع السيميائيات السّردية لم يعد حبيس المدرّجات الجامعية وعليه يطمح الكتاب إلى تقريب بيداغوجي لكثير من المفاهيم والمصطلحات والتعديلات النّظرية والإسقاطات العلمية في المجال السيميائي»[2]

ولكي يحقّق الكتاب هذا المسعى، لابدّ من تحرّي سبيل الوضوح في العرض وتجاوز تلك المقاربات المشوبة بالغموض والتي كان القارئ العربي ضحيتها الأولى «إذْ غالبًا ما يقع في تجريدات فلسفية تُفرغ المفاهيم من مدلولاتها البراغماتية لتحوّلها إلى تقعّرات متفذلكة يجدُ القارئ صعوبة في الإمساك بجوهرها»[3]

وهي الملاحظة ذاتها التي ساقها النّاقد "رشيد بن مالك" في أكثر من موضع في دراساته ومؤلّفاته*، فلا يمكن وصل القارئ العربي بالمعرفة السيميائية مالم يكن وسيطه المعرفي متمثلا لمفاهيمها وأصولها النّظرية، عارفًا باتجاهاتها متمكّنًا من إجراءاتها التّطبيقية.

والكتاب –كما أسلفنا– لا يتمحّض لخطاب واحد، فإذا كان الفصل الأول المتربّع على ما ينيف عن (ستّين صفحة) (60 صفحة) والموسوم بـ: "السيميائية، المفهوم والإجراء" يتنزّل بوضوح، ضمن خطاب التّأسيس والتّعريف، فإنّ خطاب التّرجمة يتجلّى في الفصلين الثاني والثالث؛ حيث وُسم الفصل الثاني بعنوان: "الفواعل والممثّلون والصور" وهو عبارة عن ترجمة لفصل من كتاب "في المعنى" لـ"غريماس"، أمّا الفصل الثالث فكان بعنوان "العناصر الأوليّة للتّحليل السّردي" وهو ترجمة لفصل من فصول كتاب "سيمياء اللّغة" لـ "جوزيف كورتيس". أمّا

[1]– نصر الدين بن غنيسة، فصول في السيميائيات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2001، ص2.

[2]– المصدر نفسه، ص3.

[3]– المصدر نفسه، ص3.

*– ينظر مثلا: آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، تر/ رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008، ص12.

ما تبقّى من فصول فهي تطبيقية، ينفتح فيها الاشتغال السيميائي على قضايا «في مجالات مختلفة كالأدب والثقافة والإعلام تجمعها إشكالية واحدة، ألا وهي إشكالية الصّورة»[1]

وقد وُسمت هذه الفصول بالعناوين التالية على الترتيب: "مقاربة سيميائية لجدليّة الأنا والآخر" في رواية "الحي اللاّتيني" لـ "سهيل إدريس" ثمّ "سيميائية التّواصل الثّقافي ورهانات الحوار الثّقافي" وأخيرًا "سيميائية التّواصل الإشهاري بين البلاغة والتّداولية".

ورغم تنوّع هذه الفصول بين العرض النّظري والتّرجمة والممارسة التّطبيقية فإنّ الجامع بينها هو تبسيط المعرفة السيميائية في الأدبيات النقدية و«مد جسور تواصل بين القارئ العربي وحقل معرفي أسهم بامتياز في مقاربة المعنى من حيث سيرورته الدّلالية»[2]

تمحور الفصل الأول من الكتاب حول "السيميائية السّردية، المفهوم والإجراء" ويهدف إلى «تذليل الصّعاب التي قد تواجه الباحث في تحرّيه للمعنى من منظور سيميائي»[3] ومادام الحكي ظاهرة كونيّة، فإنّ سعي النّظرية السيميائية يتلخّص في محاولة استخلاص بنية الحكاية، انطلاقا من «تصوّر نموذج افتراضي (نظرية) ثمّ إسقاطها على الأنواع الحكائية وملاحظة أيّ منها يقترب من النّظرية وأيٌّ منها يبتعد»[4]

وفي سبيل تحديد عناصر المشروع السيميائي في تحليل الخطاب، تساءل النّاقد عمّا ينبغي رصده في النّص، ليقترح إجابة عن هذا التساؤل تتلخّص في قوله: «في كلّ الحالات يبقى هم النّاقد واحدًا، أنّه رصد انتظام المعنى وتنظيم الاختلافات بشكل منسّق لتوصيف القانون الذي يتحكّم في بناء المعنى»[5] ولا يتأتّى اكتشاف هذا القانون إلاّ بعد إخضاع النّص للتّحليل وفق خطوات تبدأ بتقطيعه وفق محدّدات معيّنة ثمّ تحليل المكوّن الخطابي فالمكوّن السّردي بحالاته وتحويلاته، وصولاً إلى التّحليل المفهومي وانتهاءً بالمربّع السيميائي بتضاداته وتناقضاته ومساراته ويؤكّد النّاقد في الختام، أنّ قراءة النّص سيميائيًّا تعني «البحث عن القانون الذي يتحكم في تجميع وتوصيل الأجزاء المكوّنة للمبنى حتى يتشكّل المعنى، فإذا كانت النّصوص بما هي تمظهرات للمعنى، تُكتب لتكون موضوع قراءة فإنّ المشروع السيميائي يتولى قراءة هذه النّصوص من خلال توصيف المعاني الكامنة فيها»[6]

---

[1]- نصر الدين بن غنيسة، فصول في السيميائيات، ص5.

[2]- المصدر نفسه، ص7.

[3]- المصدر نفسه، ص9.

[4]- المصدر نفسه، ص11.

[5]- المصدر نفسه، ص21.

[6]- المصدر نفسه، ص63.

ويبدو التّشابه جليًّا بين هذا الكتاب وكتاب "رشيد بن مالك" "مقدّمة في السّيميائية السّردية" فقد صدرا في تاريخين متقاربين، (بداية الألفية الثانية)، وتضمّن كلاهما خطابات متجاورة (التّأصيل والتّعريف، التّرجمة التّطبيق)، إضافة إلى اشتراكهما في المباحث، وننوّه في هذا السّياق بالدّراسات التّطبيقية في كتاب "بن غنيسة" التي لم تنحصر داخل حدود النّص السّردي، بل انفتحت على قضايا الصّورة وتداوليّة النّص الإشهاري.

وتبدو مباحث "بن غنيسة" في قضايا النص السّردي من وجهة سيميائية غريماسية أكثر تفصيلاً ووضوحًا، فالأداة التّعبيرية التي وظّفها أقرب ما تكون إلى البيان العربي في وضوحها وفعاليتها في إيصال الفكرة من أقرب طريق.

وقد ذيّل النّاقد كتابه بثبت للمصطلحات الواردة في متنه، وحبّذا لو جاور المصطلح الأجنبي المقابل العربي في متن النّص، تخفيفًا على القارئ وتحديدًا لدلالة المصطلح التي تتوضّح أكثر حين يُتداول في سياقه المعرفي.

ومن البحوث الأخرى التي يمكن تصنيفها ضمن خطاب التّأسيس والتّعريف بالنّظرية السّيميائية السّردية في المدوّنة النقدية الجزائرية، كتاب: "نادية بوشفرة" الموسوم بعنوان: "مباحث في السيميائية السّردية"، يتشكّل الكتاب من مقدّمة وتمهيد وثلاثة فصول متبوعة بخاتمة، يتمحّض التّمهيد والفصلان الأول والثاني للعرض النّظري للنّظرية السيميائية عند "غريماس" وتلامذته، ويتضمّن الفصل الثالث مبحثين، يتنزّل أولهما ضمن خطاب نقد النّقد، على اعتبار أنّه يستعرض الجدل الدّائر حول نقد وتقويم أعمال "غريماس" من قبل نقاد غربيين وعرب، أمّا المبحث الآخر فيتضمّن تحليلاً لخرافة "الأرنب والأسد" من "كليلة ودمنة" بتطبيق آليات وإجراءات المنهج السيميائي السّردي، فكأن الجزء التّطبيقي هو اختبار لفعاليات وإجراءات هذا المنهج الذي بُسطت مرتكزاته في الفصلين الأول والثاني من الكتاب على شاكلة ما فعله "رشيد بن مالك" في كتابه "مقدمة في السّيميائية السّردية" و"عبد الحميد بورايو" في كتابه "منطق السّرد" و"نصر الدين بن غنيسة" في كتابه "فصول في السيميائيات".

أثارت الباحثة "نادية بوشفرة" في مقدّمة الكتاب إشكالية المصطلح في الدّراسات النّقدية العربية المشتغلة بالتّحليل السّردي؛ حيث اكتشفت أنّ: «اللّغة الاصطلاحية في هذا المجال بعيدة كلّ البعد عن الدّقة والتوحّد والشّيوع، حتى لا نقول أنّها قريبة من اللّغة العاميّة في خصائص متمثّلة في ترادف الألفاظ وتعدّد المدلولات التي تسم اللّفظ الاصطلاحي الواحد، ممّا أدّى إلى تكريس للغموض وتصعيد للتّذبذب، فاختلط الحابل بالنّابل نتيجة الغموض والإبهام عدا بعض الأعمال الفرديّة التي اجتهدت في تناول المصطلح النقدي»[1]-

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص5-6.

وربّما يكون هذا الكتاب من الجهود الفرديّة المتميّزة التي اجتهدت في تجاوز إشكالية المصطلح، إذْ دأبت النّاقدة في مختلف فصوله على وضع المقابل العربي بجوار المصطلح الفرنسي، وتختار من المقابلات العربية أكثرها تداولاً وأقربها إلى الصّيغة العربية صوتًا وصَرفًا ودلالةً.

تضمّن التّمهيد عرضًا مستفيضًا للمصادر اللّسانية والمعرفيّة التي أمدّت نظرية "غريماس"بالمصطلحات وآليات التّحليل، بِدْءًا بمدرسة "جنيف" ولسانيات "دي سوسور" فمدرسة "كوبنهاغن" بقيادة "لويس هيلمسليف"، ثمّ حلقة "براغ" بقيادة "رومان جاكوبسون"، وكانت الباحثة تعقد مقارنات بين هذه المدارس اللّسانية المختلفة وتبيّن بإيجاز ما قدّمته كل مدرسة لسيميائيات "غريماس"، ولأنّ علماء الأساطير هم الذين أمدّوا علماء اللّغة بالنّماذج الدّلالية الأولى-[1]- أبرزت النّاقدة مُساهمات كلّ من "جورج دوميزال" و"كلود ليفي شتراوس" و"فلاديمير بروب" في إرساء دعائم التّحليل السيميائي السّردي التي نهل منها "غريماس" في مشروعه العلمي.

وتناولت في الشّق الثاني من التّمهيد والموسوم بـ: "سيميائية المحكي" جهود الشّكلانيين الرّوس باعتبارهم روّاد البحث في المجال الشّكلي والوظائفي للمحكي، وبفضلهم وبفضل غيرهم «ظهر موضوع جديد في ميدان الأدب الرّوائي لدراسة الحكاية خصوصًا، من حيث مميّزاتها وخصائصها، وصولاً إلى أعمق دهاليزها باستنباط وظائفها واستخلاص أصولها المترسّخة في أغوار الدّلالة»-[2]-

بعد ذلك استعرضت النّاقدة مبادئ السّردية عند "غريماس" وبعض رفقائه في مدرسة "باريس" لتختم هذا التّمهيد الذي تربّع على ما يقارب الثّلاثين صفحة بمفاهيم حول السّردية، كما تمثّلها بعض النّقاد العرب مثل "محمد الناصر العجيمي" و"عبد الفتاح كليطو" و"جمال الغيطاني" و"سعيد يقطين"، وهي التفاتة ميّزت هذا الكتاب، فقلما صادفنا ناقدًا جزائريا من النّقاد الذين اهتمّوا بخطاب التّأسيس والتّعريف يُثمّن جهود باحث عربي أدلى بدلوه في مجال السيميائيات السّردية —على كثرتهم– وكثرة بحوثهم وتنوّعها.

خُصّص الفصل الأول في الكتاب للبنية السّردية بمكوّنيها السّردي والخطابي، أضاءت النّاقدة محتويات المكوّن السّردي بدْءًا بالنموذج العاملي ونظامه الخاضع لنظام التقابلات "الفاعل والموضوع"، (المرسِل والمرسَل إليه) و"المساعد والمعارض"، ثمّ أوضحت مفهوم الحالات والتّحويلات في التّحليل السّردي، على اعتبار أنّ الفاعل قد يكون في علاقة اتّصال بموضوع القيمة وقد يكون في علاقة انفصال معه (ف ٨ م)، (ف ٧ م)، وفي مقابل الحالة

[1]- ينظر، نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص15.

[2]- المصدر نفسه، ص26.

نجد التّحويل الذي يقلب مجرى الأحداث في النّص السّردي بانتقال حالة أولى إلى حالة ثانية مغايرة وفق الأنموذج التالي:

ف٧م ← ف٨م ، ف٨م ← ف٧م.

شكل التّحويل المتصل شكل التّحويل المنفصل -1-

وتوقفت النّاقدة عند "البرنامج السّردي" بمراحله الأربعة "تحريك، كفاءة، أداء، تقويم" ثم فصلت هذه العناصر انطلاقا من الكفاءة التي تستدعي «ضرورة تحقيق الإنجاز أو الأداء من قبل الفاعل العملي المتميز بملكة الفعل في بعض تجلياته من خلال :

معرفة الفعل: savoir-faire .

قدرة الفعل: pouvoir-faire.

إرادة الفعل: voloir-faire.

وجوب الفعل: devoir-faire.

وتسمى هذه التّجليات موجّهات الفعل. -2-

تناولت بالشّرح بعد ذلك مفهوم الأداء "وما يصحبه من اختبارات ثلاث، تأهيلي ورئيسي وتمهيدي" «ويعتبر الاختبار الرئيسي أساس الحكاية وصلب موضوعها، لأنّه قائم على رهانات للجدل والنّزاع بين الفاعل وضديده» -3- وتختتم عناصر المكوّن السّردي بالبعد المعرفي في البرنامج السّردي والمكوّن من عنصري التّحريك والتّقويم. أمّا المكوّن الخطابي La composante discursive فيتشكّل من الأنظمة الصّورية التي تتجلّى أساسًا في الصّور «ومن البديهي أن تأخذ الصّورة مفاهيم وتصوّرات يوردها المعجم على شكل مفردات لغويّة للتّعبير عن رؤية مشتركة، تجسّد النّواة المركزيّة التي تحوم حولها تلك المفاهيم» -4-، وفي سبيل توضيح مفهوم الصّورة تضرب الباحثة مثلا بالقلب، فله معنى مُعجمي، ولكن هذا المعنى يستدعي «دلالات حافّة متنوّعة بتنوّع واختلاف المجال الذي سيقت فيه» -5-

[1]- ينظر، نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص53.

[2]- ينظر، المصدر نفسه ، ص60.

[3]- المصدر نفسه، ص68.

[4]- المصدر نفسه، ص80.

[5]- المصدر نفسه، ص80.

ثمّ فرّقت بين المسارات الصّورية والتّجمعات الخطابية، فالمسار الصّوري هو «ذلك التّسلسل في الصّور المنضمّة إلى بعضها في تلاحم شديد يحيل إلى بعضها الآخر، فالإخوة والأخوات والأبناء والأجداد والأعمام والأخوال تؤلّف في مجملها مسارًا صوريًّا بعنوان "علاقة القرابة"»[1]

وتوضّح الباحثة هذه المفاهيم في الخطاطة التالية:[2]

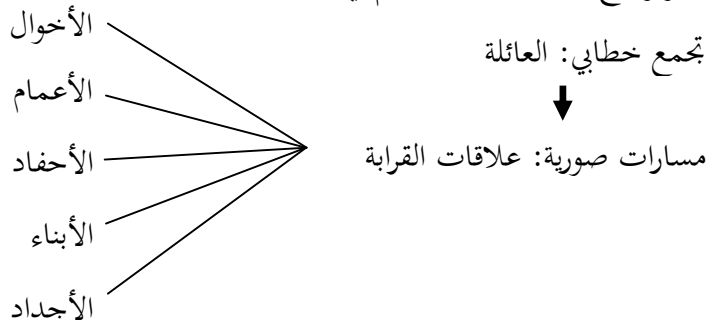

ومن المفيد في هذا السّياق التّنويه بالأشكال والخطاطات التي توردها الباحثة في سياق العرض، فهي على قلّتها فعّالة في التّوضيح والاختصار وتجسيد المفاهيم.

وفي سبيل التّفريق بين مصطلحي التّجمعات الخطابيّة والمسارات الصّورية تُعلّق «يكفي أن نشير إلى أنّ المسارات الصوريّة مُحقّقة ظاهرة للعيان، بينما التّجمعات الخطابية فهي بعكس ذلك، مجرّدة، نتطلّع إليها من خلال تجسيدنا إيّاها، بالاقتراب من الفكرة العامّة المقولية للخطاب والتي تعدُّ الهيكل الأساس له، حتى يتسنّى لنا الإمساك بالشّكل المنظِّم للمحتوى»[3]

وتتوقّف الباحثة عند العنصر الثالث من عناصر المكوّن الخطابي والمتمثّل في الموضوع والدّور الموضوعاتي فالمسارات الصّورية والتّجمعات الخطابية تعبّر عن موضوعات و«قد يكتسي الموضوع الواحد أساليب مختلفة للتّعبير عن صوّر شتّى كأن يكون موضوع "الإثارة" على سبيل المثال يحيل على الصور التالية: إثارة الضّحك، إثارة الشّكوك، إثارة الحماس...»[4] وتستثمر الأدوار الموضوعاتية في التّعريف بالوظائف المنسوبة إلى الشّخوص، كما تقوم بإثراء قراءات النّص السّردي.

أمّا العنصر الرّابع في المكوّن الخطابي، فهو القائم بالفعل (Acteur) أو الممثّل، وقد يتجسّد العامل في أكثر من ممثّل، كما قد يتجسّد الممثّل في أكثر من عامل، فالعامل "معارض" بالنّسبة لفاعل ذات يسعى

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص83.
[2]- ينظر ، المصدر نفسه، ص83.
[3]- المصدر نفسه، ص84.
[4]- المصدر نفسه، ص84.

لتحقيق وصله بموضوع قيمة كالعلم مثلا، قد يتجسّد في أكثر من ممثّل "الفقر، بُعد المسافة، محدودية الفهم ...) وإذا اعتبرنا المعلم مُمثّلاً، فقد يتجسّد في أكثر من عامل، كأن يكون مرسلاً وذاتًا ومساعدًا:

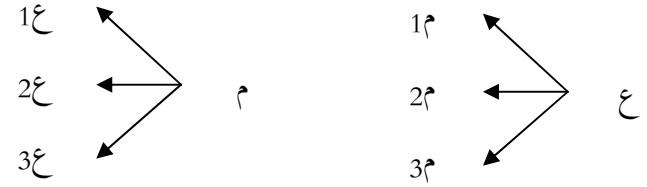

أمّا عناصر البنية العميقة فأفردت لها الباحثة الفصل الثاني من الكتاب بدْءًا بالسّميمات وهي «تلك السّمات الدّلالية أو الوحدات المعنويّة الصّغرى المدرجة تحت صورة المفردة المعجمية والمشكلة لمسار كامل لها»[1] فالسّيم هو أصغر وحدة دالّة، ولا يتحدّد معناه إلاّ في علاقاته بسيمات أخرى مختلفة عنه، والسِّيميمات نوعان (سيم نواتي)، و(سيم سياقي)، فالسّيم النواتي لصورة الصّخرة مثلا هي /حجر/+/كبير/+/صلب/+ .....[2]

أمّا السّيم السّياقي، فيأخذ دلالات مختلفة بحسب السّياق، فلفظة "عظيم" مثلا «تشمل سِمات أهمها الكبر والتّبجيل، لكنّها تأخذ مزايا دلالية مختلفة، فإذا كان المقصود "صدق الله العظيم" فهي تحيل على العبادة والإيمان بالله –جلّ جلاله– أي الجانب الدّيني العقائدي، وإذا جاء القول "شاهدت ناطح سحاب عظيم" فهذا يتضمن دلالة على فن العمران، وإذا كان المقصود "ذلك السيّد عظيم" أدرج في سياق إنساني»[3]

وتتوقّف النّاقدة عند مفهوم النّظيرة أو القطب الدّلالي: (Lisotopie) فـ«لكل نص معنى يفترضه ويفرضه، يتجدّد فيه حيّز موضوعه المراد وإدراكه وهو المعنى الكُلّي، الذي يتأتّى من خلال تكرار وتواتر وحدات معنوية صُغرى، نجدها كلّما وثبنا على مجال واسع لنسيج النّص الدّال والخاضع لمبدأ أقرّته النّظيرة للتماسك والثّبات»[4] فالنّظيرة من خلال تكرارها تحدّد مسار المعنى في النّص وتحقق انسجامه.

وتخصص النّاقدة حيّزا من هذا الفصل للبنية الأساسية للدّلالة الناشئة عن مبدأ الاختلاف والمجسّدة في المربّع السّيميائي، وتختتم الفصل بالتّطرق إلى البنيات الزّمانية والفضائية، على اعتبار «أنّ أي عمل حكائي سردي يتجسّد من خلال معطيات تدعمها بنيات أربع وهي: الأفعال، الفواعل، الزّمان والمكان (الفضاء)، لأنّ هناك أفعالاً (أحداثا) يقوم بها فواعل (شخوص) في زمان (وقت قياسي) ومكان (فضاء) معينين»[5]

[1]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص91.
[2]– المصدر نفسه، ص94.
[3]– المصدر نفسه، ص94-95.
[4]– المصدر نفسه، ص96.
[5]– المصدر نفسه، ص109.

وتمحّض الباحثة الفصل الثالث للجدل الذي دار بين النّقاد تقييمًا ونقدًا لسيميائيات "غريماس" ومن ثمّ سيندرج هذا العنصر ضمن خطاب النّقد الموجّه لهذه النّظرية، أمّا الدّراسة التّطبيقية التي ختمت هذا الكتاب والتي تمحورت حول خرافة "الأرنب والأسد" من "كليلة ودمنة" فسنخصّص لها قراءة في الجزء التّطبيقي من هذا البحث.

ولأجل الإلمام بالمشروع السيميائي للباحثة "نادية بوشفرة" نتفحّص كتابها الثّاني الموسوم بـ: "معالم سيميائية في مضمون الخطاب السّردي"*، والاختلاف بيّنٌ بينه وبين كتابها الأول "مباحث في السيميائية السردية"، فهي لم تُقصر اهتمامها في الكتاب الثاني على السيميائية السّردية الغريماسية فحسب، بل انفتحت على مختلف اتجاهات الدّرس السيميائي الغربي والفرنسي بالخصوص، وربّما تعود قيمة هذا الكتاب إلى طاقته التّجميعية التي جاورت بين اتّجاهات سيميائية مختلفة وكشفت الفوارق ونقاط التّقاطع بينها، طبقا لتنوّع الخلفيات النّظرية والمعرفيّة التي انطلق منها كل اتّجاه، «لقد عملت الباحثة على جرد الأنوية المهيمنة وربطها ببعضها بعض في مباحث تنمّ عن احترافية حقيقية في التّعامل مع الموضوعات التي تبدو غاية في التّجريد والتعقيد، مزيلة بذلك بعض اللّبس الذي يكتنف الحقل السيميائي، والذي لا يمكن الكشف عن معالمه، إلاّ من خلال المقارنة والتّأصيل المركّب الذي يأخذ في الحسبان مجموع الجذور المشكّلة للمنهج»[1].

وقد اقتصر الكتاب على رصد المنجز النّقدي الفرنسي في مجال السّرديات «لأنّ معظم الرّواد الذين برزوا في حقل السّرديات، كانوا إمّا ذوي منشأ فرنسي، أو ثقافة فرنسية، ولأنّ هذه الثّقافة قريبة كلّ القرب من ثقافتنا المغاربية وتحديدًا الجزائرية»[2].

ومن خلال البيبليوغرافيا التي ذيّلت بها الباحثة كتابها، نستشف اعتمادها على مصادر روّاد السيميائيات الفرنسية كـ"رولان بارت" و"كلود بريمون" و"جيرار جنيت" و"فيليب هامون" وغيرهم، ورغم هذه المرجعية الغربية الموغلة في التخصص، إلاّ أنّ الباحثة كانت تستند «أثناء الشّرح والتّعليل على السّرديات العربية، "ألف ليلة وليلة" "سيرة بني هلال"، "سيرة عنترة"، "كليلة ودمنة" ... إلخ، الأمر الذي سيسهم لا محالة في إضاءة مسائل سيميائية

*- نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، دط، 2011، (وقد صدر هذا الكتاب بعد صدور الكتاب الأول بسنتين).

[1]- نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السّردي، تقديم "السعيد بوطاجين"، ص8.

[2]- نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السّردي، مقدمة الباحثة، ص11.

ليست مُعقدة كما يُعتقد خطأ، لأنّ هذا التّعقيد ناتج أصلا عن شكلنة غير مُبرّرة عمليا، وذلك ما أدّى إلى نفور الباحثين لعدم قدرتهم على استيعاب المبادئ الأوليّة لهذا الحقل»[1]

ومن ميزات العرض في هذا الكتاب، أنّ الباحثة لا تفصل بين المعطيات النّظرية والإجراءات التّطبيقية فهي تشفع الطّرح النّظري بأمثلة توضيحية مباشرة مستوحاة في الغالب من السّرديات العربية التراثية مثل "كليلة ودمنة" و"حكايات ألف ليلة وليلة".

تضمّن الكتاب ثلاثة فصول ومدخل، تمحّض المدخل لنظريات المحكي بدْءًا بالمحكي عند "رولان بارت" ثمّ "غريماس" و"تزفيتان تودوروف" ف"جيرار جينيت" و"كلود بريمون" و"جون ميشال آدم" و"إيف روتير" ، وتُجمِل وجهات النّظر المختلفة لهؤلاء الباحثين إزاء المحكي في كونه «أسلوب حياة لسلوك فردي أو جمعي، المراد منه تبليغ رسالة ما، أو مجموعة من الرّسائل –حسب صيغ متعدّدة– بالكتابة أو الشّفاهة، بالصّورة أو بالإشارة، بالتّمثيل أو الموسيقى. ينقسم المحكي إلى شطرين متكاملين وهما: القصّة ... ويُقصد بها المتن أو المادّة القصصيّة المقدّمة في شكل أحداث واقعيّة أو متخيّلة متتابعة ومتسلسلة ... والشّطر الآخر الذي نعني به الخطاب، وهو موضوع بناء المادّة القصصية حيث يُعمد فيها إلى متابعة نظام العناصر اللّسانية وكيفية صياغة الهيكل العام للقصّة من قبل الرّاوي/ السّارد»[2]

خصّصت الباحثة الفصل الأول للأحداث عند روّاد السّرديات على اختلاف المصطلحات المتداولة للدّلالة عليها فهي "أفعال" عند "غريماس" و"أعمال" عند "تودوروف" و"وظائف" عند "بارت وبروب" و"أدوار" عند كلود بريمون" واعتبار الأحداث تشكّل منطقي للحكي عند "بول لاريفاي" "Paul la rivaille".

ويتمحور الفصل الثاني حول الشخصيات السيميولوجية والسّردية في تصوّر "بروب" و"غريماس" و"كلود بريمون"، مع وقفة مطوّلة مع الأنموذج العاملي الغريماسي، وكدأبها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب، تُقيم الصّلات بين المفاهيم المختلفة للشّخصية عند هؤلاء الرّواد، فهذه المقاربات «وإن اختلفت في الإصطلاح، تبدو أنّها تكاد تتطابق في معناها لدرجة التّماثل، ففاعل الفعل عند "غريماس" ماهو إلاّ "العون" عند "بريمون" الذي يقوم بتنفيذ برنامج معطى لانتقال موضوع القيمة، وفاعل الحالة يتراءى لنا في دور المنفعل»[3]

وتخصص الفصل الثالث والأخير من كتابها للزّمن والفضاء، راصدة من خلاله أنواع الزّمن المختلفة المتعاقب والمنقطع والغائب والذّاتي وطرق تجلّيها داخل النّصوص السّردية.

---

[1]– نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، تقديم السعيد بوطاجين، ص9.

[2]– المصدر نفسه، ص34.

[3]– نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، ص96.

وتؤكّد قلّة البحوث التي تناولت الفضاء عند النّقاد الغربيين والعرب على حدّ سواء، رغم أنّ مكانته في النّص السّردي هي: «بمثل مكانة الشّخصيات والأحداث والزّمان، بل، ولولاه لما تحرّكت الشّخصية الواحدة في لحظة زمانية مُعينة لإنجاز فعل محدّد»[1].

وقد أظهرت الباحثة مفهوم "غريماس" للفضاء وتفريعاته[2] كالفضاء الخارجي: Espace hétérotopique والفضاء الجانبي: Espace paratopique والفضاء الوهمي: Espace utopique، كما أضاءت مفهوم الفضاء عند "جينيت" و"هانري ميتران" لتؤكّد في الخاتمة «هذا ويبقى الفضاء أقل الأعمال اهتمامًا وإدراكًا بالقياس إلى الكم الهائل من الأبحاث المتناولة للأحداث أو الأفعال وللشّخصيات أو العوامل الفاعلة وللزّمن عمومًا»[3].

وختمت الباحثة كتابها بجملة نتائج مُذيّلة ببليوغرافيا تضمّنت مراجع عربية نوعيّة والكثير من المراجع والمصادر الأجنبية.

ولعلّ السّمة البارزة في هذا الكتاب هي وضوح العرض الذي ينمّ عن تمثّل جيّد لمفاهيم السّرديات ممّا طبع الكتاب بطابع التّماسك المنهجي والمعرفي. ومن خلال عرضنا لكتابي "نادية بوشفرة" اللّذين يتنزّلان ضمن خطاب التّأصيل والتّأسيس، نسجّل الملاحظات التّالية:

– اختصّ الكتابان بتقديم أسس السيميائية السّردية، والسّرديات بصفة عامة دون أن تتجاور الخطابات في الكتاب الواحد، عدا ما ورد في الكتاب الأول من تحليل لحكاية "الأرنب والأسد" من كتاب "كليلة ودمنة" وهي دراسة تطبيقية تختبر المعطيات النّظرية في الجزء الأول من الكتاب، وفيما عدا ذلك لا تفصل الباحثة بين المعطيات النّظرية والتّطبيقية بل تجمع بينهما في سياق واحد للتّمثيل والتّوضيح.

– تلجأ الباحثة أحيانا إلى التّرجمة من مصادر أصليّة، وتحيل إليها في الهوامش بلغتها التي كتبت بها.

– كثيرًا ما تستعين الباحثة بنماذج توضيحية مستوحاة من السّردية العربية القديمة "كليلة ودمنة"، "ألف ليلة وليلة" أو الحديثة "روايات نجيب محفوظ" على سبيل المثال.

– تبدو الأداة التّعبيرية للباحثة واضحة لا التواء فيها ولا تعقيد، ممّا يؤهّل كتابيها لأن يكونا مرجعين بيداغوجيين يقرّبان مفاهيم السّرديات وطرق تشكل المعنى داخل الخطابات من أفهام الطلبة والباحثين.

---

[1]– نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، ص110.

[2]– ينظر، المصدر نفسه، ص112.

[3]– المصدر نفسه، ص125.

– تبدو الإشكالية الاصطلاحية متجاوزة في الكتابين معا، فقد كرّست الباحثة المصطلحات المتداولة واستغنت عن ثبت المصطلحات في آخر كلّ فصل، صنيع باحثين آخرين، واكتفت بتوظيف المقابل العربي وبجواره المصطلح الأجنبي.

– عُنيت الباحثة في مشروعها البيداغوجي بتبيان الاختلافات والتقاطعات بين الاتجاهات السّردية المختلفة وهذا من شأنه التّأسيس لمعرفة دقيقة تدرك الفوارق بين المتشابهات وتؤسّس لفهم عميق ودقيق.

– تلجأ الباحثة أحيانا إلى الاستعانة بأمثلة توضيحية بسيطة لتحديد بعض المفاهيم مع فعالية الأشكال التوضيحية التي أثبتتها في التّجسيد والتّلخيص والتّركيز.

الكتاب الأخير في مدوّنة خطاب "التّعريف والتّأسيس" الذي سنتوقّف عنده كاشفين مضامينه مناقشين قضاياه هو كتاب "عبد القادر شرشار" "مدخل إلى السيميائيات السّردية، نماذج وتطبيقات"*.

يتضمّن الكتاب أربعة فصول، فصلان نظريان وآخران تطبيقيان، يتنزّل الفصلان الأوّلان ضمن خطاب التّأصيل والتّأسيس والتّعريف بالسيميائيات السّردية الغريماسية، أمّا الفصلان التّطبيقيان، فيقدّم في الأوّل منهما قراءة في بحوث أكاديمية جزائرية في ميدان السيميائية السردية ويُقدّم في الثاني، دراسة لخصائص الخطاب الرّوائي في نص "الوقائع الغريبة لاختفاء سعيد أبي النّحس المتشائل" لـ: "إميل حبيبي".

وتجمع هذه الفصول الأربعة غاية واحدة هي: «محاولة التّعريف بالمنجز النّظري والتّطبيقي حول مصادر هذه النّظرية وتطبيقاتها المختلفة والبحث ما أمكن عن ارتباط هذه الأعمال بمرجعياتها وأسسها النّظرية والإبستيمولوجية في بيئتها الأصلية»[1].

ويعترف الباحث بأنّه سُبق إلى البحث في هذا الموضوع من قبل الكثير من الباحثين الذين نشروا بحوثهم في المجلاّت والدّوريات العربية المتخصّصة، أو عبر التّرجمات والمؤلّفات، ثمّ يُشير إلى المرجعيّة التي اعتمدها في إنجاز هذا الكتاب وهي «المرجعيّة الخاصّة بالسيميائيات ذات التّوجه الشّكلاني – البنائي– والتي اهتمت خاصة بشكل المعنى حسب مقاربات "هيامسليف" الدانماركي الشهير، واعتمادًا على ما جاء من مادّة دسمة في أعمال مدرسة "باريس" السيميائية التي أسّسها "غريماس" و"كورتيس" وجماعتهما»[2].

ويُشير النّاقد "عبد القادر شرشار" أيضا إلى اعتماده بعض البحوث الأكاديمية التي وضعت النّظرية حيّز التّطبيق، اختبارًا لنجاعتها وفعاليّتها في تحليل النّصوص.

*– عبد القادر شرشار، مدخل إلى السميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، ط1، 2015.

[1]– المصدر نفسه، ص3.

[2]– المصدر نفسه، ص4.

وُسم الفصل الأول من الكتاب بعنوان: "المنطلقات المؤسسة للنّظرية السيميائية السّردية، واندرجت تحته ثلاثة مباحث هي:1-الإرهاصات الأولى للمنهج، 2-المنطلقات المعرفية والمنهجية للسيميائيات، 3-المفاهيم الإجرائية للسيميائيات السّردية.

مهّد الباحث لهذا الفصل بالإشارة إلى قدرة الإنسان على ابتكار الرّموز وانفراده بهذه الخاصّة عن بقية الكائنات إضافة إلى استئثاره بالسّلوك السيميائي، فالنّظر –مثلا- حاسّة مشتركة بين جميع الكائنات، لكنّ الغمز خاصية إنسانية وسلوك بشري، لا يمكن تبيّن دلالته سوى بالإحالة على المخزون الثقافي المشترك لفئة اجتماعية مُعينة.[1]

وخصّص المبحث الأول من هذا الفصل للإرهاصات الأولى لهذا المنهج انطلاقا من أفكار "أفلاطون" و"أرسطو" حول العلامة، مرورًا بالقّديس "أغسطين" وانتهاء بكتاب "جون لوك" المنشور عام 1960 والمعنون بـ"مقال حول الفهم البشري"، وهو الكتاب الذي استعمل لأول مرّة كلمة "سيموطيقا" وكان يعني بها «العلم الذي يهتم بدراسة الطرق والوسائط التي يحصل من خلالها على معرفة نظام الفلسفة والأخلاق، وتوصيل معرفتها»[2]

وركّز الباحث في عنصر "العرب والسيميائيات" على تعدّد مفاهيم السّيمياء عند العرب قديمًا، إذ ارتبطت عندهم «بعلوم السّحر التي تعتمد أسرار الحروف والرّموز والتّخطيطات الدّالة، وقد تحوّلت أحيانا إلى فرع من فروع الكيمياء، والتصقت أحيانا أخرى بعلم الدّلالة وأحيانا ثالثة بالمنطق وعلم التّفسير والتّأويل، وهي في كل ذلك ليست بعيدة عن حقولها المعاصرة»[3]

والملاحظ أنّ جلّ المعلومات الواردة في هذا المبحث، رصدها النّاقد "عز الدين المناصرة" في تقديمه لكتاب "السيميائية، الأصول، القواعد، التاريخ" الذي ترجمه النّاقد "رشيد بن مالك" وصدر في طبعته الأولى سنة 2008، أي قبل صدور كتاب "مدخل إلى السيميائيات السردية" بنحو سبع سنوات، وتوقّف النّاقد عند مصطلحي "السيميولوجيا" و"السيميائية" كاشفًا جذور الاختلاف بينهما، من حيث ارتباط المصطلح الأول بلسانيات "دي سوسور" والثاني بسيميائيات "بورس" وجواز استخدامهما مترادفين عند بعض الباحثين، وهي الإشكالية التي أضَاءها "رشيد بن مالك" باقتدار في بحثه الموسوم بـ"السيميائية" و"السيميولوجيا" في المعاجم المزدوجة والقواميس العامّة والمنشور في كتابه "من المعجميات إلى السيميائيات"[4]

---

[1]- ينظر، عبد القادر شرشار، مدخل إلى السميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، ص9.

[2]- المصدر نفسه، ص10.

[3]- المصدر نفسه، ص13.

[4]- ينظر، رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص193 ومابعدها.

ويُعرّج النّاقد بعد ذلك على إشكالات المنهج السيميائي في منظور النّقد المعاصر، واختلاف وجهات النّظر حوله وتنوّع تطبيقاته ممّا يدلّ على أنّه منهج ما يزال في طفولته ولم تكتمل بعد عُدّته المنهجية والمفاهيمية.[1]

ويختتم النّاقد هذا المبحث بالوقوف عند الطّموح والآليات المنهجية للسيميائية، مؤكّدًا بأنّ التّحليل السيميائي لا يهمّه ما يقول النّص بل، كيف قال النّص ما قاله، ولابُدّ من مراعاة ثلاثة مبادئ أساسية في المقاربات السيميائية للنصوص وهي:

- التّحليل المحايث: فالدّلالة تتولّد من خلال شبكة العلاقات داخل النّص.
- التّحليل البنيوي: القائم على أنّ المعنى لا يتولّد إلاّ من خلال الاختلاف.
- تحليل الخطاب: بحيث تتجاوز السيميائية حدود الجملة لتهتم بالخطاب عامّة.[2]

أمّا المبحث الثاني من الفصل الأول من الكتاب، فتمحور حول المنطلقات المؤسّسة للنظرية السيميائية عند "غريماس" وهي الرّوافد المعرفية واللّسانية التي استمدّت منها السيميائيات السّردية مفاهيمها، كالأنثروبولوجية البنيويّة لكلود ليفي شتراوس وشكلانية "بروب" ونظرية العوامل لـ: "تنيير" والنحو التوليدي لـ"تشومسكي" وتأثيرات اللّساني الدّانماركي "لويس هيلمسليف" والقاموس المعقلن بجزئيه لـ "غريماس" و"كورتيس"، منوّها بمكمن قوّة هذه النّظرية وهو «قدرتها على امتصاص نتائج كثير من العلوم واستثمار توجّهاتها وغاياتها ممّا جعلها تستقلّ بأدوات إجرائية متماسكة جدّا»[3]

ويُختتم الفصل الأول بعرض المفاهيم الإجرائية لسيمياء السّرد عند "غريماس" بِدْءًا باهتمامه بسردية الحكاية «دون الاهتمام بالوسيلة الحاملة لها: رواية، فيلم، رسم. فهو يدرس مضامين سردية بهدف إبراز بنياتها العميقة دون اعتبار للبعد اللّسانياتي»[4]

ويتوقّف النّاقد عند كلّ مفهوم من هذه المفاهيم الإجرائية، "البنية العميقة، النّواة السّيمية، التّشاكل، المربّع السيميائي، البنية السطحيّة، النّموذج العاملي، المقطوعة السّردية وأطوار البرنامج السّردي"، وهي مفاهيم كان "رشيد بن مالك" ومشايعوه من النّقاد الجزائريين المشتغلين على خطاب التّأصيل والتّأسيس نحو: "نصر الدين بن غنيسة، ونادية بوشفرة" قد أوضحوها ومثّلوا لها انطلاقًا من مصادرها الأصليّة، والملاحظ أنّ الباحث في هذا الكتاب كثيرًا ما يُحيل إلى رسائل جامعية مخطوطة، ماجستير ودكتوراه، مثل:

---

[1]- ينظر، عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، ص20.

[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص21-22.

[3]- المصدر نفسه، ص28.

[4]- المصدر نفسه، ص36.

أ- بحث "قوتال فضيلة" "معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، دراسة نقديّة في نظرية "غريماس السّردية"، وهو مقدّم لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف "أحمد يوسف" بجامعة وهران في الموسم الجامعي 2003-2004.

ب- بحث "دايري مسكين" الموسوم بـ: "سيميائيات جوزيف كورتيس، أسسها النّظرية وآفاقها التّطبيقية" وهو بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير تحت إشراف "أحمد يوسف" بجامعة وهران في السنة الجامعية 2007-2008.

ج- بحث "جمال بلعربي" المعنون بـ: "قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التّأسيسي حول نظرية اللّغة" وهو مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف "رشيد بن مالك" بجامعة الجزائر في الموسم الجامعي 2011-2012.[1]

ولعلّه من المفيد التّساؤل في هذا السّياق عن مدى "علمية" الإحالة إلى أطاريح مخطوطة في وجود مصادر متاحة للمادة التي يتمحور حولها البحث، ولا أدل على ذلك من تلك الإحالات التي تضمّنها كتابا "نادية بوشفرة" إلى مصادر هذه المعارف، الأصلية منها والمترجمة.

أمّا الفصل الثاني من الكتاب فقد وسمه الباحث بعنوان: "مستويات التّحليل السيميائي في مقاربة النّص السّردي" وتضمّن مبحثين، التّحليل الدّلالي ومبدأ المحايثة، ثمّ مستويات التّحليل السيميائي.

عرض في المبحث الأول، مفهوم المحايثة في المرجعية العربية "سعيد بلكراد نموذجا" حاصرًا مفهوم التّحليل المحايث للنّص «ألاّ يُنظر إليه إلاّ في ذاته، مفصولاً عن أيّ شيء يوجد خارجه»[2]

ثمّ استقصى مفهوم مبدأ المحايثة واستقلالية اللّغة عند "جوزيف كورتيس" من خلال كتابه "التّحليل السيميائي للخطاب، من الملفوظ إلى التّلفظ" Analyse Sémiotique du discours de l'énoncé à l'énonciation وقد تضمّن الكتاب رصدًا للمسافة بين اللّغة والواقع أو بين الكلمات والأشياء وانتهى إلى نتيجة مؤدّاها «أن ليس هناك تشابها بين اللّغة والأشياء الدّالة عليها، وعلى هذا يمكن القول: إنّ كلّ ثقافة وكلّ لغة يمكنها النّظر برؤية مختلفة لنفس المضمون»[3]

كما احتوى الكتاب أيضا مبحثين آخرين يتمحور أوّلهما حول: تأويل العلاقة بين اللّغة والمرجعية ويتمحور الآخر حول أنظمة التّمثيل من المنظور السيميائي.

ونعتبر قراءة النّاقد لكتابٍ لأحد تلامذة "غريماس" إضافة نوعيّة إلى خطاب التّأسيس والتّأصيل ذلك لأنّ «إسهامات "جوزيف كورتيس" السيميائية متميّزة عن غيرها بالتّطبيقات النّوعية العديدة حول مختلف الخطابات

[1]- تمت الإحالة لواحدة من هذه الرسائل مرّة واحدة على الأقل في الصفحات: 30، 31، 32، 33، 35، 37، 38، 39، 41.

[2]- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، ص55.

[3]- المصدر نفسه، ص60.

سواء أكانت لفظيّة أم غير لفظيّة، ومن جهة ثانية، محاولة استظهار الأبعاد الأسطورية للحكاية الشّعبية الغرائبية الفرنسية من خلال طرح فرضيّة لدلاليات الحكاية الشّعبية، ثمّ الإسهام في إنشاء دلاليات للتّلفظ»[1]

وقد اعتمد النّاقد في مبحث "التّحليل الدّلالي ومبدأ المحايثة في السيميائيات" على ما ورد في مذكرة "قوتال فضيلة" المقدّمة لنيل شهادة الماجستير والمشار إليها سابقا، إذْ يبدو النّاقد في أكثر من موضع من هذا البحث قارئًا لـ"غريماس" بعيني الباحثة ووفق رؤيتها، ولا أدل على ذلك من الإحالات المكرّرة لأقوالها كما يتّضح من خلال مايلي:«وعلى صعيد آخر تظهر الباحثة، وهي بصدد الحديث عن حدود السيميائيات المحايثة كيف استثمر "غريماس"...»[2]، ويقول في موضع آخر: «وفي محاولة لمناقشة هذا التّوجه من قبل "غريماس" منظّر السيميائيات المحايثة تقول الباحثة ...»[3]، وفي موضع ثالث يقول: «وفي السّياق نفسه، ترى الباحثة أن الحديث عن السيميائية المحايثة ...»[4]

ومعلوم أنّ "غريماس" لا يُفسره سوى "غريماس" أو على –الأقل– تلميذ من تلامذته أو ناقد متشبّع بأفكاره ومتخصّص فيها. ويوضح في العنصر الموسوم بـ: "كتاب الدّلالات البنيوية، محاولة لدراسة المعنى عند غريماس" تأثّر هذا الأخير باللّسانيات الغلوسيماتية عند "هيامسلاف" الذي قسّم اللّسان إلى أربعة عناصر تعبير، محتوى، شكل جوهر، وقد تبنّى "غريماس" هذا التّقسيم وحدّد ضمنه هدف دراسته المتمثّل في شكل المحتوى.[5]

ويقرأ النّاقد في عنصر "الخيار المنهجي" دراسة لـ "جوزيف كورتيس" تتناول نصًّا واقعيًّا لـ"إميل زولا" (Emile Zola) بعنوان: (جرمينال: Germinale)، وهي منشورة في كتابه، التّحليل السيميائي للخطاب من الملفوظ إلى التّلفظ، ومن خلال هذه القراءة يثبت النّاقد عدم انغلاق اللّغة باعتبارها نشاط اجتماعي فالتواصلية جزء لا ينفصل عن اللّغة، ومن ثمّ تنشغل مختلف المعارف بقضية الدّلالة وتُقاربها من وجهات نظر مختلفة «ومع موضوع الخطاب الذي تطرح خصوصيته اللّغوية إشكالا حقيقيًّا، يلج مجال الدّلالية كمظهر من مظاهر التّواصلية بين (الناص/ الكاتب والمتلقي/ القارئ) وهو إجراء أكثر قابلية للدّراسة من الإجراءات المطبّقة على الجملة»[6]

---

[1]– دايري مسكين، سيميائيات "جوزيف كورتيس" أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية، مذكرة –ماجستير– إشراف أحمد يوسف، جامعة وهران، السانية، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2007–2008، ص51.

[2]–[3]–[4]– عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، ص65–68.

[5]– ينظر، المصدر نفسه، ص73.

[6]– المصدر نفسه، ص83.

ويتضمّن الفصل الثالث من الكتاب، قراءة في نماذج من بحوث أكاديمية في اللّسانيات السّردية، نوقشت بجامعات جزائرية، خلال العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين، وسنفرد لها حيّزا خاصّا في مبحث "خطاب النقد والتّقويم".

ويُخصّص النّاقد الفصل الرّابع من كتابه لإضاءة خصائص الخطاب الرّوائي في نص "الوقائع الغريبة" لإميل حبيبي، وهي دراسة تطبيقية لهذا النص العصي على التّنصيف، الذي تتداخل فيه الأجناس وتتناصص مع خطابات كثيرة وتحفّه العجائبية في مضمونه ولغته على السّواء، ولم يعتمد النّاقد في مقاربته آليات السيميائيات السّردية الغريماسية فحسب، بل أحال في أكثر من موضع إلى "جوليا كريستيفا" و"جيرار جينيت" وغيرهم.

وفي ختام هذا الفصل نسجّل الملاحظات التالية:

1- كان للنّاقدين "عبد الحميد بورايو" و"رشيد بن مالك" فضل التّأسيس لخطاب التّأصيل والتّعريف سيميائيات "غريماس" السّردية عبر كتبهم ومقالاتهم ومحاضراتهم وإشرافهم على الرسائل والأطاريح الجامعية.

2- كان "رشيد بن مالك" أكثر النّقاد الجزائريين تأليفًا وتعريفًا بالسيميائية السّردية، وكانت خطابات التّعريف والتّرجمة والتّطبيق تتجاور في كتاباته.

3- درجت البحوث الأكاديمية الجامعية التي اشتغلت على خطاب التّأسيس والتّعريف التّوقف عند كتب بعينها للباحثين السّابقين، ولا تكاد تلتفت لبحوث أخرى استفادت من تجاربهما وأضافت وأفادت.

4- تبدو تجربة "نادية بوشفرة" من التجارب الرّائدة في هذا الخطاب، لوضوح أداتها التّعبيرية وسيطرتها على المصطلح وتمثّلها العميق لمنجزات السيميائية السّردية نظريًّا وتطبيقيًّا.

5- اتّسمت تجربتا "نصر الدين بن غنيسة" و"عبد القادر شرشار" بانفتاحهما على منجز "جوزيف كورتيس" في اهتمامه بالتّلفظ وتجاوزه للملفوظ.

المبحث الثّالث: خطاب التّرجمة والتّعريب

كانت التّرجمة ولا تزال من أنجع الوسائل لنقل العلوم والمعارف من ثقافة إلى أخرى، ويشهد تاريخ الحضارات أنّها أدّت دورًا لا يُستهان به في عملية المثاقفة وتقريب الرّؤى بين الأمم والشّعوب فهي «ضرورة إنسانية وقوميّة وأداة هامّة لنقل حصيلة العلوم والمعارف والآداب، علاوة على أنّها عامل من عوامل النّهضة، وليس أدل على أهمية التّرجمة من أنّها أصبحت اليوم –في كثير من الدّول المتقدّمة– مهنة يقوم بها مترجمون متخصّصون»[1].

وتعدّ التّرجمة من أهم المسارب التي زوّدت النّقد العربي المعاصر بالنّظرية والمنهج والمصطلح، وشكّلت بذلك نقلة نوعيّة في الممارسة النّقدية العربية نقلتها من الانطباعية إلى العلمية ومن السّياق إلى النّص ومن العبارة الإنشائية الفضفاضة إلى دقّة المصطلح وانحصار المفهوم «ولم يقتصر دور التّرجمة على كونها طريقة لتلقي المعرفة في الثقافة العربية، بل أخذت دورًا أساسيًّا في الحضارة الغربية ذاتها، ولم تتوان عن تلقّي المعرفة من أيّ جهة كانت وبأيّ وسيلة، فالتّرجمة منذ القديم كانت إحدى الوسائل المعرفيّة لتطوير المفاهيم وتحسين المستوى الثّقافي»[2].

وإذا كان خطاب التّأسيس والتّعريف والتّأصيل، يهدف بالدّرجة الأولى إلى سد نقص القارئ العربي في ميدان المعرفة السيميائية ووصله بأسسها ومرتكزاتها المعرفية، فإنّ خطاب التّرجمة والتّعريف يستهدف القارئ ذاته، لكنّه يحاول هذه المرّة تشرّب المعرفة السيميائية من مظانّها في حدود ما تتيحه التّرجمة من وفاءٍ للأصل وفعالية في نقل هذه المعرفة إلى اللّغة العربية عن طريق مترجمين تمثّلوا المنجز السيميائي الغربي وحاولوا نقله بأمانة إلى الثقافة العربية.

إنّ هذا الخطاب يهدف «إلى تبليغ المعرفة السيميائية في مصادرها ومظانّها الأصلية، بُغية فتح آفاق جديدة للبحث أمام الفكر العربي وتنمية حسّه النّقدي وتوسيع دائرة اهتمامه وتجديد أدوات القراءة لديه وتحريضه إلى عدم الركون إلى تلك الأحكام المجانية والاستسلام لتلك الاستنتاجات السّطحية القاصرة»[3].

ولئن كان النّاقد "قادة عقاق" يصفُ هذا الخطاب بالقلّة والانتقائية[4] ولا يقف إلاّ عند نموذجين منه في الخطاب

---

[1]– مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءاوي، الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005، ص74.

[2]– آراء عابد الجرماني، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، منشورات ضفاف، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2012، ص74.

[3]– قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص121.

[4]– ينظر، المرجع نفسه، ص52.

المغاربي*، فإنّه ما فتئ يتوسّع ويزداد عدد المهتمين به ازديادًا لافتًا مع «ظهور مؤلفات متخصّصة، انخرطت في التحوّلات التي تشهدها السيميائيات ومصطلحيتها ومفاهيمها وإجراءاتها، وما يَعِد بسيرورة تعكس عمق التّحول الذي شهده الخطاب النّقدي العربي المعاصر»[1].

ونستهلّ عرض خطابات التّرجمة بالتّوقف عند كتاب "دليلة مرسلي وآخرون"، "مدخل إلى السيميولوجيا (نص- صورة)، والذي قام "عبد الحميد بورايو" بترجمته وصدرت هذه التّرجمة في طبعة أولى عام 1995. والكتاب في أصله مجموعة محاضرات ألقيت على طلبة قسم اللّغة الفرنسية في سبعينيات القرن الفارط، ومن ثمّ يستحق تصدّر خطاب التّرجمة لما يتضمّنه من قيمة تاريخية وقيم علمية معرفيّة «ولاشك أنّ هذا النّوع المعرفي قد قطع أشواطا متقدّمة بالنّسبة لما كان عليه عند تقديم هذه الدّروس في السبعينيات، وهي في الواقع لم تفقد قيمتها التّعليمية، أوّلاً لأنّها موجّهة للطلبة المبتدئين، وثانيا لأنّ الدّراسات العربية في هذا الميدان لم تزل تعاني فراغًا كبيرًا من ناحيتي التّأليف والتّرجمة، كما أنّ هذا التّوجه المنهجي لم يجد بعد طريقه إلى البرامج التّعليمية، بكيفية صريحة ومتعمّقة، بل مايزال متروكًا للاجتهادات الفردية والاهتمامات المتفاوتة القيمة لمدرّسي مواد تحليل النّصوص ومناهج الدّراسة في معاهد اللّغة العربية وآدابها»[2].

ولئن كانت هذه المحاضرات ما تزال محافظة على قيمتها المعرفية والبيداغوجية فإنّ مترجمها يستهدف غاية محدّدة «فتقديم درس عن القصّة والخطاب لطلبة قسم اللّغة الفرنسية في السّبعينات يدلّ على مواكبة أكيدة لهذه الفروع البحثية الجديدة وعلى اتصال مستحكم بما يستجدّ فيها من تطوير وتعديل، وهذا ما يُفسّر تقدّم الدّراسات عندنا في أقسام اللّغة الأجنبية والفرنسية بوجه خاص عن الدّراسات العربيّة»[3].

ومن البديهي أن تعترض هذه التّرجمة الكثير من الصّعوبات، فالمترجم يقتحم أرضًا بكرًا بُغية إفادة المتلقين بهذه المعارف الجديدة، والمقابل العربي للمصطلح السّردي الأجنبي لم يستقر بعد آنذاك، وللتّدليل على ذلك نمثّل بهذه الفقرة التي يحاول فيها المترجم التّفريق بين العامل actant والممثل acteur، ويقول: «إنّه لهذا السّبب اقترح "أ.ج.غريماس" مفهوم الدّور actant الذي اصطنعه فيما بعد جلّ الباحثين تقريبًا، إنّ الدّور هو الشّخصية، ما دامت هي العامل أو "الجامد" المسند إليه الفعل الذي يتحدّد بالفعل الذي يقوم به (أو الذي يقع

*- هما: ترجمة "سعيد بنكراد" لمقال، فيليب هامون، "سيميولوجيا الشخصيات الروائية" وكتاب "رشيد بن مالك" "السيميائيات، أصولها وقواعدها"، ينظر، قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النّقد المغاربي، ص108.

[1]- هامل بن عيسى، إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي "دراسة في نقد النقد"، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2012-2013، ص94-95.

[2]- دليلة مرسلي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص-صورة)، تر/ عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1995، ص7.

[3]- سليمة لوكام، تلقّي السرديات في النّقد المغاربي، ص207-208.

عليه) بما يفعل وليس بما هو عليه، الدّور هو كائن تجريدي، يُقابل بالقائم بالفعل acteur: هذا الأخير هو المظهر الملموس في المستوى الظاهر للنّص، للدّور»[1]

ويبدو عسر التّرجمة جليا في هذه الفقرة من حيث تعدّد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد (actant)، تقابله عربيا (الدّور، الشّخصية، العامل، الجامد)، ومن حيث ركاكة العبارة وتفكّك الصّياغة، وهي هنات تداركها المترجم فيما بعد بإضافات نوعيّة إلى مكتبة التّرجمة العربية للسيميائيات السّردية الفرنسية.

«وصفوة القول، إنّ هذا الدّرس الذي تولّى "بورايو" ترجمته بوصفه يقدّم إفادة خاصّة تُعين النّاشئة على تحصيل المعرفة، وتوجّهها إلى ما ينبغي توسّله من أدوات، وإن لم يستطع أن يحقق غرض الإحاطة الشّاملة، فإنّه فتح الأعين على منجز ثري ومتنوّع، أوقف الطلبة في تلك المرحلة على تخوم أراضٍ لم توطأ بعد، وكأنّ المهمّة قد أوكلت إلى متلقٍّ بيده أن يختار، بين أن يذهب بعيدًا فيتعمّق المعرفة ويتمثّلها فيجدّد، أو أن يظلّ منعزلاً في مكانه فيجمد»[2]

وقد تعمّق النّاقد "عبد الحميد بورايو" المعرفة السيميائية السّردية وتمثّلها، نظريًّا وتطبيقيًّا، وأبى إلاّ أن يترجم مصادرها من مظانّها على اختلاف مدارسها وتوجّهاتها، ويمكن حصر مدوّنته في ميدان التّرجمة فيما يلي:

1- أ.ج.غريماس، ج.كورتيس، وآخرون، المنهج السيميائي، الخلفيات النّظرية وآليات التّطبيق، دار التنوير الجزائر ط1، 2014.*

ولابدّ من الإشارة أنّ هذا الكتاب، ضمّ بين دفّتيه الأجزاء الثلاثة التي نشرها المترجم مُنجّمة ضمن سلسلة الكشف عن المعنى في النّص السّردي"، والصّادرة عن دار السبيل، الجزائر، عام 2008.

2- برنار فاليت، الرواية، مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، دار الحكمة، الجزائر، دط 2008.

3- ناتالي بييتي غروس، مدخل إلى التناص، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، دط، 2012.

---

[1]- دليلة مرسلي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص-صورة)، تر/ عبد الحميد بورايو، ص52.

[2]- سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص211.

*- وتجدر الإشارة إلى أن كتاب .ج. لينتفيلت وآخرون والموسوم بـ: "السيميائيات السردية: نمذجة سردية، الأشكال السردية، وظائف العنوان" والصّادر عن دار التّنوير، الجزائر في طبعته الأولى عام 2013، مُدرج بحرفيته في الكتاب الجامع "المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التّطبيق"، وقد أشرنا إلى ذلك لأنّنا ألفينا بعض الدّارسين يُحصي مؤلفات "بورايو" بذكر الكتاب الجامع، وذكر أجزائه منجّمة. كما فعل حمزة بسو في أطروحته للدكتوراه "إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر"، ص130-131.

ومهما يكن من أمر فإنّ هذه الكتب، منجّمة أو مجموعة، تعكس الجهد الذي تجشّمه الباحث في ميدان التّرجمة والإضافة النّوعية التي قدّمها للدّرس السيميائي السّردي في الجزائر والعالم العربي، وهذا ما سيتّضح من خلال عرضها ومناقشة محتوياتها.

يتضمّن كتاب: "الكشف عن المعنى في النّص السّردي، النّظرية السيميائية السردية" مقالات ودراسات مترجمة عن اللغة الفرنسية وتأتلف جميعها في عنايتها بالبنية السّردية بتوظيف آليات المنهجين البنيوي والسيميائي.

ترجم النّاقد هذه الدّراسات، خلال الرّبع الأخير من القرن الماضي، كما يُصرّح في تقديمه للكتاب[1] وكان الهدف من هذه الترجمة تعليمي بيداغوجي صرف، وهو تقديم مداخل السّرديات للطلبة الجامعيين إبّان الفترة المذكورة وقد كان النّاقد واحدًا من الذين رسّخوا درس السّرديات في الجامعة الجزائرية سواء من خلال التّدريس أو من خلال المهام البيداغوجية الأخرى، كالإشراف على المذكرات والأطروحات والمشاركة في النّدوات والملتقيات.[2]

يحتوي الكتاب خمس دراسات، أربعة منها نظرية والخامسة تطبيقية، تنتمي الدّراسات النّظرية الأربعة إلى سيميائيات "مدرسة باريس" وهي على التوالي:

أولا: تعريفات اصطلاحية لـ: أ.ج.غريماس وج.كورتيس، وتتضمّن تحديدا لمفاهيم بعض المصطلحات هي: "البنية العميقة، البنية الدّلالية، المربّع السيميائي".

ثانيا: تحمل الدّراسة الثانية عنوان: "الفواعل، الممثلون، الصّور" وهي الأخرى لـ: أ.ج، غريماس.

ثالثا: يشترك في هذه الدّراسة الثالثة "فرانسوا راسيتي و أ.ج.غريماس، وهي بعنوان "حركية الضرورات السيميائية".

رابعا: تُختتم الدّراسات النّظرية ببحث لغريماس موسوم بـ: "عناصر نحو سردي".

أمّا الدراسة التّطبيقية الوحيدة فهي بعنوان "المربع السيميائي والتّركيب السّردي لـ: "دانيال باط"، ولم يلجأ هذا الأخير إلى الممارسة التّطبيقية سوى في نهاية دراسته، أين حلّل نصًّا مأخوذا من إنجيل القدّيس "مارك" بعنوان: شفاء معتوه في المدن العشر"[3]. Guérison d'un démoniaque dans la décapole إلاّ أنه يعبّر في نهاية تحليله بأنّ «هذا التّفسير البنيوي لا يزال بعيدًا عن أن يكون تحليلاً سيميائيًا مكتملا للنّصوص»[4]

---

[1]- ينظر، أ.ج.غريماس وآخرون، الكشف عن المعنى في النص السردي، النظرية السيميائية السردية، تر/ عبد الحميد بورايو، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008، ص3.

[2]- ينظر، المصدر نفسه، ص3.

[3]- ينظر، المصدر نفسه، ص171.

[4]- المصدر نفسه، ص196.

ويتلخّص الهدف من هذه الترجمات في تقديم بعض المفاهيم التي تأسّس عليها صرح السيميائيات السّردية كما تبلورت في مظانّها ولدى روّادها، عساها تكون معالم تضيء طريق الباحثين الجزائريين والعرب في مقارباتهم النّقدية وفق مناهج وآليات تحليلية حداثية، بنيوية وسيميائية، وكغيره من النّقاد الجزائريين الذين اشتغلوا على الدّرس السيميائي السّردي نظريًّا أو تطبيقيًّا أو ترجمة، أمثال: "رشيد بن مالك" و"السعيد بوطاجين" و"نادية بوشفرة" يشير المترجم إلى الإشكالية الاصطلاحية والطّريقة التي انتهجت للتّخفيف من وطأتها يقول: «تمثّل هذه النّصوص تجربتي الخاصّة في مواجهة مسألة ترجمة المصطلحات الحاملة للمفاهيم الأساسية والمفتاحية ذات الطبيعة المنهجية وهي تجربة واكبت مرحلة البحث على المصطلح العربي المناسب في ميدان السيميائيات، وقد حاولت قدر الإمكان أن أتقارب في اختيارها مع زملائي المنشغلين بها، فأستفيد من اجتهاداتهم، وأخصّ بالذّكر هنا، الأساتذة "رشيد بن مالك" و"السعيد بوطاجين" و"السعيد بن كراد"، إلى جانب ذلك استعنت بالقواميس اللّسانية المتخصّصة التي ظهرت في العالم العربي في هذه الحقبة، نظرًا للصّلة الوثيقة بين الدّرسين السيميائي واللّساني»[1].

ومن خلال معاينتنا لهذه الدّراسات المترجمة، لاحظنا إثبات المترجم للمقابل العربي بجوار المصطلح الأجنبي (الفرنسي)، كما اقترح مقابلات عربية لمصطلحات سيميائية، لجأ غيره من المشتغلين بهذا الحقل إلى الاكتفاء بتعريبها، كما سنلاحظ في مبحث –سيميائية التّأليف القاموسي– في الفصل الثالث من هذا البحث، وكثرة اللّجوء إلى التّعريب علامة من علامات الإخفاق الاصطلاحي.[2]

وقد اقترح المترجم المقابل العربي "معنم" للمصطلح الفرنسي (Séme) والمقابل العربي "مفهم" للمصطلح الفرنسي Séméme والمقابل العربي "مأصل" للمصطلح الفرنسي Lexéme كما يتّضح من خلال هذا النّص: «بعض المسارات المفهمية "Sémémique " تسمح بوضعها في السياق، أي بتحقيقها الجزئي في الخطاب، وبناء عليه فإنّ المأصل Lexéme هو نظام معنمي Sémique احتمالي لم يتحقق أبدًا كما هو»[3].

ومهما يكن من أمر، فالكتاب المترجم، جهد قيّم يتيح للمهتمين بمجال البحوث السيميائية إمكانية النّهل من مظانّها عبر ترجمة تطوّع لغة الآخر وحمولتها المعرفية للغة العربية في سهولة ويسر.

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الكتاب: "الكشف عن المعنى في النص السردي، النّظرية السيميائية السّردية" هو الجزء الأول من الكتاب الجامع الذي أشرنا إليه قبل قليل "المنهج السيميائي، لخلفيات النظرية وآليات التطبيق"، إلاّ أنّ عنوانه تغير إلى: "السيميائية مسار التّوليد الدّلالي"

[1]– أ.ج.غريماس وآخرون، الكشف عن المعنى في النص السردي، النظرية السيميائية السردية، ص4-5.

[2]– ينظر، يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2009، ص328.

[3]– أ.ج.غريماس وآخرون، الكشف عن المعنى في النص السردي، النظرية السيميائية السردية، ص43.

وقد وُسم الجزء الثاني من الكتاب الجامع بعنوان: "السيميائيات السّردية: نمذجة سردية، الأشكال السّردية، وظائف العنوان" وقد شارك في تأليفه مجموعة أعلام هم: "ج.لينتفيلت، ج.كورتيس، ج.كامبروبي" تحمل الدّراسة الأولى في هذا الجزء عنوان: محاولة نمذجة سردية" وجهة النّظر لـ"جاب لينتفيلت" " Jaap Lintvelt".

تنفتح هذه الدّراسة بالحديث عن هيئات النص السّردي، انطلاقا من قراءة لمخطط التّواصل لـ"رومان جاكبسون"، بعدها يُفرّق المؤلف بين أطراف التّواصل في النّص السّردي، كالمؤلف الحقيقي والقارئ الحقيقي والمؤلف المجرّد والقارئ المجرّد، والسّارد والمؤلف المجرّد والسّارد والفاعل، ويحمل الجزء الثاني من الدّراسة عنوان "نحو نمذجة للخطاب السّردي"، والهدف من إقامة هذه النّمذجة «رصد الخصوصية الدّالة للنماذج السّردية في نص سردي مُعيّن»[1].

والملاحظ أنّ هذه الدّراسة على أهميّتها وشموليتها لا يمكن إدراجها ضمن سيميائيات السّرد، فهي تتناول مباحث عامّة على علاقة وطيدة بما يُسمّى: علم السّرد أو السّرديات أو نظرية القصّة.

أمّا الدّراسة الثانية فهي لـ: "جوزيف كورتيس" وتحمل عنوان "الأشكال السّردية" وتستهلّ بالحديث عن الأشكال الأوليّة للسّرد انطلاقا من القصّة الدّنيا التي تعني في أبسط تعاريفها، الانتقال من حالة إلى أخرى.[2]

وفي سبيل توضيح هذه الفكرة يسوق النّاقد مثالا يتجاوز الخطاب السّردي اللّغوي وينفتح على تداولية الخطاب الإشهاري يقول: «هكذا، أي إعلان إشهاري مُذاع من طرف التلفزيون، يُقدّم مُطهّر (س) لتنظيف الملابس أو المادة "ي" لتنظيف القاعة، يفترض تحول حالة اتّساخ إلى حالة نقاء، يقيم تعالقا في أغلب الأحيان (كما سيأتي) في التمفصل الزّمني بين ماقبل عكس مابعد، على نفس المنوال، فإنّ الحكاية الخرافية –كما يفيدنا ف.بروب– تتحرك من خلال علاقة مشابهة تماما، وهي التي تجعل "النّقص" يتضاد مع القضاء على النّقص»[3].

ويتحدّث المؤلف عن البرنامج السّردي بحالاته وعوامله، ويُفرّق بين البرنامج السّردي القاعدي والبرنامج السّردي الاستعمالي الذي يُعدّ مجرّد وسيلة لتحقيق الغرض المستهدف، وفي سبيل توضح هذا الفرق يضرب المثال التالي: «يشتهي قرد موزة، لا تكون في متناوله مباشرة، يبحث فيعثر على غُصن يسمح له بتلبية رغبته، هنا "بس"

[1]– أ.ج.غريماس، ج.كورتيس وآخرون، المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، تر/ عبد الحميد بورايو، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2014، ص145.

[2]– ينظر، المصدر نفسه، ص156.

[3]– المصدر نفسه، ص156.

هو الحصول على الموزة، هذا البرنامج السّردي القاعدي يفترض (بس2)، أي بس الاستعمالي الذي يعني امتلاك العصا»[1]

ويُحلّل في عنصر "دراسة تشكلات خطابية" "الإضراب" انطلاقا من الخطابات الصحفية التي ترافقه موضحا «لعلّه من المفيد في الأخير بأنّ محاولتنا المتواضعة في الوصف لا تعني سوى الإضراب الموصوف، المروي وليس الإضراب المعاش "كذا" بشكل ملموس، هذا الافتراض وحده يسمح لنا بأن لا نحتفظ من الإضراب إلا بتنظيمه الدّاخلي، بنيته السّردية»[2]

ويشرع المؤلّف في تحليل خطاب الإضراب عبر عناصر، انطلاقا من الإضراب كبنية صراعيّة، ثمّ المسار السّردي للذّات الضّديدة (المضربون) فالبنيات العميقة وبنيات السّطح.

وينتهي إلى المربّع السيميائي باعتباره «تجسيد مرئي لتمفصل مقولة دلاليّة كما يمكن استخراجها على سبيل المثال من عالم خطاب مُعطى، مقولة تمثّل اللّب، "المستوى الأكثر عمقًا"»[3]

وجدير بالإشارة أنّ النّاقد لا يَعدُ النموذج التّأسيسي للمربّع السيميائي صالحًا للتطبيقات في جميع الحالات، فللموضوعات المحللة الكلمة الأخيرة وعلى الوسائل السيميائية أن تتكيّف معها «دون إسقاط لنموذج لا يناسبها بشكل مُرضٍ»[4]

والدراسة عموما تكشف قدرة المنهج السيميائي وانفتاحه وصلاحيته لتحليل ظواهر مختلفة، وعدم اقتصار نجاعته على النصوص السّردية فحسب.

أمّا الدّراسة الثالثة والأخيرة في هذا الكتاب فقد وُسمت بـ "وظائف العنوان" لـ: "جوزيب بيزا كمبروني" تُفتتح الدّراسة بالإشارة إلى الوظيفة التّعيينية Fonction designative وهي الوظيفة التي تميّز النّص وتحدّد هويّته وتمنع تماهيه مع نصوص أخرى، فالعنوان يهدف إلى التّعرف على العمل بكلّ دقّة وبأقل ما يمكن من احتمالات اللّبس»[5]

[1]- أ.ج.غريماس، ج.كورتيس وآخرون، المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، ص173-174.
[2]- المصدر نفسه، ص226.
[3]- المصدر نفسه، ص264-265.
[4]- المصدر نفسه، ص270.
[5]- المصدر نفسه، ص282.

وينبّه النّاقد إلى ضرورة التّفريق بين الوظيفة التّعيينية والوظيفة الثانية التي هي الوظيفة اللّغوية الواصفة fonction Métalinguistique هذه الأخيرة «يقول العنوان عن طريقها شيئا عن النص»[1]

فالوظيفة الواصفة، تجعل القارئ يتوقع محتوى معيّن في النّص بمجرّد قراءة العنوان فـ «ليس العنوان ملفوظا مستقلا لأنّه بدون موضوع لا يمكنه أن يشتغل»[2]

أمّا وظيفة الإغراء: fonction séductrice، فهي منوطة بالمؤلف والطّابع على حدٍ سواء «وعليهما أن يوحّدا الجهود لإحداث توقّع مقبول، فالعنوان يجب أن يعطي فكرة عن محتوى المؤلف ويثير فضول القارئ في الوقت نفسه (عن طريق التّأليف المدهش للحروف والمهارة في وضع الأسطر»[3]

ويؤكّد في ختام دراسته أنّ الوظيفة اللّغوية الواصفة هي أكثر هذه الوظائف ملاءمة ولفتًا للانتباه من وجهة النّظر السيميائية، على اعتبار العنوان «تعليمة لغوية صُغرى من الترتّبات أو التّوقعات حول النّص»[4]

ونتوقّف أخيرًا عند القسم الثالث من الكتاب الجامع والموسوم بالسّرديات التّطبيقية، مقاربات سيميائية سردية، ويحتوي عشر دراسات تطبيقية انفردت دراسة واحدة منها باتخاذ أعمال الرّوائي الجزائري "محمد ديب" عيّنة، فيما اشتغلت المتبقية على الحكايات الشّعبية عربية وأجنبية، ويبدو الهدف من هذه الدّراسات واضحا في المقدمة الجامعة التي صدّر بها المترجم الكتاب والتي جاء فيها «.. كما نرمي إلى تقديم دراسات نموذجية لمواد من التّراث الشعبي العربي والعالمي من قبل مختصّين مُسلّحين بوسائل منهجية حديثة، لعلّها تكون حافزا لطلبتنا وباحثينا على خوض غمار الدّرس المعمّق لمواد التّراث الشّعبي الجزائري. بالاستفادة من مناهج التّحليل البنيوية السيميائية»[5]

فالمترجم إذًا يستهدف الطّلبة ويسعى إلى تقديم نماذج محلّلة من التّراث العربي والعالمي، عساها تكون نماذج تُحتدى من قبلهم وهم يُقبلون على تحليل التّراث الشعبي الجزائري، والملاحظ أنّ ترجمات النّاقد "بورايو" جمعت بين النّظري والتّطبيقي وذلك: «بُغية ردم الهُوّة الفاصلة بينهما، ولذلك كان الهدف مزدوجًا، توضيح المفاهيم المنهجية على المستوى النّظري "وتقديم نماذج تحليلية" على المستوى التّطبيقي»[6]

---

[1]- أ.ج.غريماس، ج.كورتيس وآخرون، المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، ص286.

[2]- المصدر نفسه، ص289.

[3]- المصدر نفسه، 293.

[4]- المصدر نفسه، ص304.

[5]- المصدر نفسه، ص6.

[6]- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص193.

وقد كان المترجم وفيًّا لما وعد به في المقدّمة، فالدّراسات جميعها، تتمحور حول التّراث الشعبي، بداية بالدّراسة التي تحمل عنوان "من الفولكلور إلى الكتابة، إشكالية تحوّل" "محمد ديب" "نموذجا"، وتتمحور حول أشكال التّعبير الشفوية التي ضمّنها الرّوائي رواياته، كالأغاني الشّعبية وأغاني الزّفاف والمدائح الدّينية والحكايات والألغاز، وقد سوّغ الدّارس هذا التّوظيف، بإبعاد فكرة سعى الرّوائي إلى إرضاء أفق توقّع القارئ الغربي المولع بالغرائبية، كما يفعل روائيون مغاربة آخرون، وإنّما يعكس هذا التّوظيف، وضعية الإنسان المستعمر بتعبير (فرانس فانون) «وهو في وضع العاجز عن إيقاف مسار الضغط الاستعماري، سيلجأ ليحتمي باللّعب أو بالتّخيلات الاستيهامّية عن طريق العودة المحميّة لحرارة العلامة الأم»[1] والملاحظ أنّ الدّراسة لا يمكن بحال تصنيفها في خانة السيميائيات أو البنيويات، فهي إلى الدّراسات مابعد الكولونيالية أقرب وبالنّقد الثّقافي أنسب.

وتتمحض الدّراسات المتبقية جميعُها للحكايات الشّعبية والخرافية، فالدّراسة الثانية الموسومة بـ: "التّحليل الجمالي ومكوّنات الحكاية الشّعبية"، تتمحور حول ثبات شكل الحكاية، بحيث يتلقّى المستمعون دائما ما ينتظرونه «وإذا ما حدث أن أخطأ الرّاوي –ممّا يُحدث شرخًا في منطق التّكوين القصصي– يحتجّ الجمهور»[2]

وقد استدلّ الدّارس بنماذج حكائية شعبية مجرّبة، وذيّل المترجم هذه الدّراسة بثبت للمصطلحات.

وتتضمّن الدّراسة الثالثة الموسومة بعنوان: "في تغيّر المعنى ومعنى التّغير" إشارات إلى خصائص النوع الحكائي، وعلى رأسها قابلية التّغيير فـ: «مهما كانت الحكاية في البداية خلقًا فرديًّا، هي بفعل الانتقال وإعادة الإنتاج الشّفاهي نتاج جمعي، بقاؤها نفسه يدلُّ على استجابتها لحاجة جمعية، وصيغة إنتاجها تتماشى مع متطلبات الجماعة»[3]

وتحمل الدّراسة الرّابعة عنوان "النّظام الدّلالي للقصّة الأسطورية ومشكل الفهرسة السيميائية للحوافز والموضوعات"، وتتضمّن المبادئ المنهجية التي استند إليها علماء الفولكلور في تصنيف الحكايات والانتقادات التي وُجّهت إلى هذه التّصانيف، واقتراح تصنيف آخر يقوم على نظام الحوافز باعتبار الحافز «موضوع أصغر يتأسّس على حدث تشارك فيه كائنات وأشياء مختلفة تلعب بعض الأدوار المحدّدة منطقيا»[4]

ويُحلّل "جورج موراند" "Georges Maurand" في الدّراسة الخامسة خرافة "الغراب والثّعلب" من خرافات "لافونتين"، وقد قام "أحمد منّور" بترجمة هذه الخرافة منظومة إلى اللغة العربية، وترجمها "عبد الحميد

[1]– أ.ج.غريماس، ج.كورتيس وآخرون، المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، ص329.
[2]– المصدر نفسه، ص337.
[3]– المصدر نفسه، ص347.
[4]– المصدر نفسه، ص356.

بورايو" ترجمة حرفية، وقد لفت تحليل "جورج موراند" لهذه الخرافة انتباه "جوزيف كورتيس"، فكتب مُقرّظًا: «إنّ أهمية هذا الوصف، المكتوب بطريقة ممتعة إلى حدٍّ كبير، والمقدّم جيّدًا بصفة بيداغوجية، تكمن فيما يظهر لي في كونها توفّر معبرًا بين البنيات السيميا-سردية والخطابية من جهة، فهي على سبيل المثال، تضمُّ ملاحظات مفيدة حول التّعالقات ما بين شكل التّعبير وشكل المحتوى»[1].

وقد استفاد "عبد الحميد بورايو" من هذه الدّراسة في تحليله لخرافة "الحمامة المطوّقة" من كتاب "كليلة ودمنة"، ويبدو هذا التّأثر جليًّا في الخطوات المنتهجة في التّحليل بدْءًا باستخراج الحقول المعجمية، فالتّقطيع، ثمّ التّحليل السّردي مرورًا بعناصر التّحريك والإنجاز والتّقويم، فالتّحليل الخطابي، كما سيتّضح في الجزء التّطبيقي من هذا البحث.

وتتمحّض الدّراسات المتبقية في الكتاب لحكايات "ألف ليلة وليلة" بداية من المقاربة السيميائية لحكاية "الصّياد والعفريت"، تليها دراسة بعنوان "السندباد البحري والسندباد العتّال"، وهي دراسة توظّف بعض مصطلحات التّحليل النّفسي في إضاءة جوانب من هذه الحكاية، فالهو والأنا جزءان مندمجان في الشّخصية الإنسانية، فإذا كان السّندباد العتّال يرمُز للأنا، فإنّ السّندباد البحري رمز للهو، والهو «بخلاف الأنا المتّجهة نحو الواقع هو موطن رغباتنا الأكثر عُنفًا، رغبات يمكن أن تقود إلى الإشباع أو إلى المخاطر الجمّة»[2].

وتنحو الدّراسة الموسومة بـ "شهريار وشهرزاد"، الحكاية الذّريعة في ألف ليلة وليلة "منحى الدّراسة السّابقة، وهما معًا لباحث واحد هو "برونو بتلهام"، ويُقصد بالحكاية الذّريعة، الحكاية الإطار فالملك شهريار «يمثّل فردًا خاضعا للهو، "اللاوعي" وذلك لأنّ "أناه" (وعيه) بسبب إحباطات خطيرة فقدت سلطة المراقبة على أي حال، فـ"الأنا" يتمثّل دوره في حمايتنا من الإحباطات المدمّرة التي هي في الحكاية ممثّلة من خلال الخيانات الجنسية التي تعرّض لها الملك، فإذا لم يهتم الأنا بمهمّته، يُصبح غير قادر على توجيه حياتنا»[3].

وتتمحور الدّراسة التي عنوانها "شهرزاد، حارسة الموقع" حول أهميّة الحكاية الإطار في ألف ليلة وليلة «فكلّ قصّة وُضعت على لسان "شهرزاد" تندرج فيها أو تنتهي إلى أن تندرج فيها، حتى لو انتفى كلّ تشابه نصّي»[4] وهي الفكرة ذاتها التي انطلق منها "رشيد بن مالك" في تحليله لنص النّصيحة التي أسداها "بيدبا" الفيلسوف لـ"دبشليم الملك" في مفتتح خرافات كليلة ودمنة ويسوّغ اختياره بقوله: «إنّ هذا الاختيار صادر

[1]- أ.ج.غريماس، ج.كورتيس وآخرون، المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التّطبيق، ص365-366.

[2]- المصدر نفسه، ص438.

[3]- المصدر نفسه، ص445.

[4]- المصدر نفسه، ص451.

عن قناعتنا بأنّ حكايات "كليلة ودمنة" لا يمكن أن تُفهم إلاّ إذا قرأنا قراءة مُعمّقة النّصيحة التي نعتبرها النّص/ الإطار الذي يُغذّي دلاليًّا الحكايات»[1]

وتحمل الدّراسة الأخيرة عنوان "الوضعيّة الافتتاحية والاختتامية في بعض حكايات ألف ليلة وليلة ويوضّح الدّارس الهدف من الدّراسة بقوله: «تريد هذه الدّراسة أن توضّح من خلال عدد من حكايات "ألف ليلة وليلة" الطّريقة التي تظهر من خلالها الوضعية الختامية باعتبارها وضعية افتتاحية معكوسة، والكيفية التي يتم بها سدّ هذا النّقص الذي يدفع بالقصّة إلى الأمام»[2]

ويلاحظ الدّارس أنّ الحكايات موضوع الدّراسة تُستهلّ جميعها بوجود ملك أو وزير محروم من الذّرية لسبب ما، ويختار البطل في متن الحكاية مغامرات تنتهي إلى وضعية ختامية تسدُّ نقص الوضعية الافتتاحية.

في ختام هذه الوقفة مع ترجمات "عبد الحميد بورايو" نسجّل الملاحظات التالية:

1- يُعدّ "عبد الحميد بورايو" أحد أبرز المترجمين الجزائريين الذين أرسوا دعائم الترجمة السيميائية منذ تسعينيات القرن الفارط، وكان سعيه المبكر في ميدان الترجمة السيميائية بهدف وصل الطلاب والباحثين بهذه المعارف الجديدة والتّأسيس لرؤية علمية في تحليل النص الأدبي.

2- اختار "عبد الحميد بورايو" أن تكون السيميائيات السردية موضوع ترجماته، وهو خيار منهجي يسعى من خلاله إلى إرساء دعائم المعرفة السيميائية نظريًّا وتطبيقيًّا.

3- استهدف من خلال ترجماته الطلبة والباحثين سعيًا منه لاقتراح بدائل منهجية في تحليل النص الأدبي، وتقديم نماذج غربية لروّاد السيميائيات السردية لتكون أمثلة يحدو حدوها الباحثون الجزائريون في مقاربة نصوص التراث الشعبي.

4- تتجاور الترجمتان، النظرية والتّطبيقية في مشروع "بورايو" فالمعطيات النظرية لا تثبت نجاعتها إلاّ إذا استثمرت في التّحليل والتّطبيق.

5- من خلال المدوّنة التي تمحور حولها هذا البحث، لاحظنا أنّ "بورايو" لا يستعين بمترجمين آخرين، بل يكتفي بالتّرجمة الفردية.

6- يجد المترجم لكلّ مصطلح أجنبي مقابله العربي، ويوظّفه باقتدار في ترجماته.

---

[1]- رشيد بن مالك، السيميائيات السّردية، ص45.

[2]- أ.ج.غريماس، ج.كورتيس وآخرون، المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، ص467.

ومن الباحثين الجزائريين الذين كرّسوا جهودهم العلمية للدّرس السيميائي السردي تعريفًا وتأصيلاً وترجمةً وتطبيقًا"رشيد بن مالك"، فقد تشرّب المعرفة السيميائية السردية من مناهلها، فحضر دروس أقطابها وأحكم حبال الوصل بهم، بل «وأصبح ممثلا لهم على مستوى البلاد العربية»[1]، ولهذه الأسباب يُعدّ أغزر المترجمين الجزائريين إنتاجًا في مجال السيميائيات السردية الغريماسية، فلا يكاد مؤلّف من مؤلّفاته يخلو من دراسة مترجمة، بل إنّ الدّراسة المترجمة الواحدة قد نجدها منشورة في كتابين مختلفين له.

وإذا كان من واجبات المترجم «أن يعود إلى قراءة كلّ أعمال المترجَم عنهم والاطّلاع على جلّ كتاباتهم النّظرية والنّقدية، توخّيا للدّقة والوضوح، كما أنّ الثّقافة السيميائية للمترجم، من شأنها أن تضفي على الفعل التّرجمي وعلى العمل المترجم على حدّ سواء قيمة، ليس من السّهل توفّرها لمترجم لا يتمتّع بهذه الصّفة»[2]

إذا كان ذلك كذلك، فإنّ "رشيد بن مالك" من القلّة الذين اجتمعت فيهم هذه الكفاءات، وقد اتّسمت ترجماته بـ«نزعة تأسيسية تأصيلية، بما يضمن توجيه القارئ نحو النّصوص التي كان لها عميق الأثر في ترقية البحث السيميائي الرّاهن»[3]، واللاّفت أنّ جلّ مؤلّفاته تتجاور فيها ثلاثة خطابات، خطاب التّأسيس، وخطاب التّرجمة والدّراسة التّطبيقية، وقلّما ينفرد كتاب من كتبه بخطاب واحد.

ففي كتابه "البنية السّردية في النّظرية السيميائية"، يخصّص القسم الثاني منه للتّرجمة، إذْ ترجم دراستين الأولى لـ: "بيرنار بوتي" "Bernard pottier" بعنوان: "السيميائية، الصّيرورة غير مستحبّة"، تتضمّن تحليلا «لمسألة تمسُّ إشكالية الثّابت والمتحوّل في البرنامج السّردي، انطلاقا من فرضيّة تطوّرية طبيعيّة»[4]

إذْ يقرأ "بوتيي" مشروع "غريماس" ويثبت «أنّ الصّيرورة قاعدة ضرورية لكلّ برنامج سردي، وأنّ الفاعل المنفّذ الذي يُعدُّ محوّلاً للحالات قصد الدّخول في وصلة بموضوع القيمة "المشروع الغريماسي" ليس في نهاية الأمر إلاّ سببًا في التّغيير»[5]

وقد ذيّل المترجم هذه التّرجمة بإحالات وثبت للمصطلحات. أمّا الدّراسة الثانية المترجمة في هذا الكتاب فهي: السّيرة الذّاتية والعلمية لـ: أ.ج.غريماس A.J.Graimas من إنجاز تلميذه ج.ك.كوكي J.C.Coquet وقد

[1]- لعجال لكحل، المقاربة السيميائية عند "رشيد بن مالك"، مذكرة دكتوراه، إشراف: د. هاجر مدقن، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، قسم اللغة والأدب العربي، السنة الجامعية 2016-2017، ص40.

[2]- هامل بن عيسى، إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي، ص89.

[3]- حمزة بسو، إشكالية المنهج السيميائي في النقد الأدبي المغاربي، ص89.

[4]- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص8.

[5]- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، مقدمة المترجم، ص44.

أعاد المترجم نشر هذه الدّراسة بحرفيتها في الكتاب الآخر الذي ترجمه والموسوم بـ: «السيميائية، الأصول، القواعد التاريخ».*

ويبدو أنّ السّيرة العلمية لـ"غريماس" من الموضوعات التي استهوت المترجم، فقد نشر في العدد "47" من مجلة "علامات" المغربية ترجمة أخرى لدراسة تتعلّق بسيرة غريماس لصاحبها "توماس، ف، برودن" بعنوان: "أ.ج.كريماس: سنوات التكوين".**

ويُلخّص المترجم دوافع تلبية دعوة المشاركة في هذا العدد الخاص من "علامات" الذي صدر بمناسبة الذكرى المائوية الأولى لميلاد "كريماس" في النّقاط التالية:

-أولها: مشروع التّحري الجماعي الذي أسّسه "غريماس" وتلامذته لدراسة التّجليات الدّلالية المعبّر عنها باللّسان وغيره، وما حقّقوه من إنجازات في مسار علمنة الدّرس النّقدي.

-ثانيها: إتاحة الفرصة للقارئ العربي لاستكشاف السّيرة العلمية لغريماس.

-ثالثها: وصل السيميائيات العربية بالسّياق المعرفي الذي شهدته السيميائية في الفكر الأوروبي المعاصر بصفة عامة، وسيميائيات مدرسة باريس بوجه خاص.[1]

وهي الدّوافع ذاتها التي جعلته يُقدم على ترجمة "السّيرة الذاتية والعلمية لـ: أ.ج.غريماس" التي أنجزها (ج.ك.كوكي) فهو يسعى من خلالها إلى تعريف القارئ العربي بالرّكائز المعرفية التي أسندت المسيرة العلمية لرائد السيميائيات السّردية في فرنسا، ومن ثم توثيق صلة القارئ العربي بهذه الأصول وتصحيح مساره المعرفي.

ويشير المترجم إلى الصّعوبات التي واجهته في ترجمة هذا النّص، وتأتي على رأسها «الفوضى المصطلحية في البحوث السيميائية العربيّة —التّرجمات منها والدّراسات- وغياب مصطلحية موّحدة في البحث».[2]

ولتجاوز هذه الإشكالية استعان بـ "قاموس السّبيل" لـ: دانيال ريغ، ودراسات الباحث "عبد الحميد بورايو" وكذا بحوث "سعيد بن كراد" «وهذا التّحري الجماعي في ميدان التّرجمة قلّما نجده عند مترجمين آخرين فقد

*-ينظر، آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، تر/ رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008، ص345 وما بعدها.

**- توماس، ف، برودن، أ.ج.كريماس، سنوات التكوين، ترجمة رشيد بن مالك، مجلة علامات الثقافية، محكّمة، مكناس، المغرب، عدد 47، 2017، ص67 ومابعدها.

[1]- توماس، ف، برودن، أ.ج.كريماس، سنوات التكوين، ترجمة رشيد بن مالك، مجلة علامات الثقافية محكمة، ص67.

[2]- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص54.

استشعر "رشيد بن مالك" صعوبة المهمّة، في حقل معرفي كهذا، يعتمل بكثير من الأسئلة، ويوظّف شبكة مفهومية مُعقّدة تتكئ على جهاز اصطلاحي ثري»[1]

ترصد هذه الدّراسة المترجمة تواريخ مهمة في مسيرة غريماس العلمية بالتّركيز على السّنوات التي شهدت صدور دراسات وبحوث فاصلة في مساره، ففي سنة 1966 صدر كتابه "الدّلالية البنيوية، البحث عن منهج" ومن خلاله «يُقدّم للمرّة الأولى نظرية تركيبية ودلالية (عاملية) للصّعيد العبر جملي "الخطاب"، ويعدُّ هذا الكتاب مؤسّسا لما ستكون عليه بعديًّا السيميائية»[2]

وتُستعرض سيرة "غريماس" وفق هذا النمط حتى سنة 1984*.

أمّا كتاب "من المعجميات إلى السيميائيات" لـ: رشيد بن مالك، فبالإضافة إلى البحوث النظرية والدّراسات النقدية التّطبيقية يضمّ بين دفتيه مقالات مترجمة.

أوّلها موسومة بعنوان: "ماقبل القول، أ.ج.غريماس واللسانيات الفرنسية لـ"توما.ف.برودن" وتكمن أهمية هذا النص المترجم حسب مترجمه «في تتبعه المسار العلمي الذي قاد أ.ج.كريماس خلال خمسة عشر سنة (1948-1963) من الدراسة التاريخية والاجتماعية للمفردات الفرنسية إلى البنيوية التّاريخية، ثمّ الدّلالية البنيوية»[3]

ويتضمّن هذا النّص المترجم، وصفا لمحتوى رسالتي الدكتوراه اللّتين ناقشهما "غريماس" في السوربون عام 1948، أوّلهما هي الأطروحة الأساسية والموسومة بـ: "الموضة في 1830، محاولة وصف المفردات الثيابية من خلال صحف الموضات لتلك الحقبة"، أمّا الأطروحة الثّانوية فكانت بعنوان: "بعض انعكاسات الحياة الاجتماعية في 1830 في مفردات الموضة لتلك الحقبة"[4]

تتمحور الأطروحة الأولى «حول ما كانت تروّجه الصّحف المختصّة من مفردات حول اللّباس، وفي هذا الصّدد ذكر "غريماس" أزيد من ثلاث آلاف مفردة محلّلا أبعادها الرّمزية ومحتوياتها الدّلالية وإيحاءاتها الاجتماعية، أمّا

[1]- سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص204.

[2]- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص66.

*- صدر كتاب ج.ك.كوكي، السيرة الذاتية والعلمية لـ: أ.ج.غريماس سنة 1985، ينظر، هامش ص52 من كتاب "البنية السردية في النظرية السيميائية"، لـ: رشيد بن مالك.

[3]- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص7.

[4]- ينظر، المصدر نفسه، ص22-23.

الأطروحة الثانوية فتتعلق بالبحث عن الانعكاسات التي خلّفتها الحياة الاجتماعية في المعجم الخاص بتقليعة اللّباس»[1]

ويتواصل جهد "رشيد بن مالك" في هذا الكتاب بترجمة المدخل المنهجي لأطروحة الدكتوراه الأولى لـ:"أ.ج.غريماس"، وقد وسم هذه الدّراسة المترجمة بعنوان: "الموضوعات والمناهج"، ويكتسي هذا النص المترجم – كما يعبر– «أهمية تاريخية كبيرة ويعبّر عن تجربة غنية خاضها الباحث في الدّراسات المعجمية، وكان لها عميق الأثر في الاختيارات المنهجية التي ستقوده مستقبلا، من البحث في معاني المفردات المعزولة إلى صياغة نظرية عامّة، تُعنى بالتّجليات الدّلالية في الخطاب»[2]

أمّا التّرجمة الثالثة المتعلقة بأطروحتي "غريماس" فكان عنوانها: "ألجيرداس جوليان غريماس، بعض انعكاسات الحياة الاجتماعية خلال 1830 في مفردات صحف الموضة لتلك الحقبة، الأطروحة الثانية 1948" ويتمحور هذا النص المترجم حول الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أفرزت الموضة 1830 والحركات الفكرية التي رافقتها في تلك الحقبة.[3]

وتختم الدّراسات المترجمة في هذا الكتاب بنص مأخوذ من كتاب "آن إينو" "Anne Hénault" رهانات السيميائية les enjeux de la sémiotique وموسوم بعنوان: "الرّوح السيميائية الجديدة".
يتمحور حول «الدّلالات وطرق تشكّلها وإدراكها، والاختلافات الكائنة بين السيميائيات واللّسانيات في هذا الشّأن»[4]

ولعلّ كتاب "السيميائية، الأصول، القواعد، والتاريخ" لـ: "آن إينو" وآخرين والذي اضطلع "رشيد بن مالك" بترجمته بمعيّة آخرين، هو خير كاشف للجهود المعتبرة التي بذلها في سبيل نقل المعرفة السيميائية من مظانّها وإتاحة الفرصة للقرّاء العرب عامّة والجزائريين خاصّة للنّهل من هذه المعرفة واستنباتها في الثّقافة العربية نظريًّا وتطبيقيًا، بعد جهد التّأسيس والتّعريف عبر عديد المؤلّفات، والخطابان كلاهما يُكمّل أحدهما الآخر، «فخطاب التّأسيس والتّأصيل يضع القارئ العربي أمام أقانيم النّظرية وإجراءاتها المنهجية، ويبيّن منحدراتها العلمية، وخطاب التّرجمة يوفّر للقارئ النّصوص التّأسيسية للنّظرية أو النّصوص الشّارحة لها»[5]

---

[1]– محمد الداهي، أطروحة كريماس حول "تقليعة 1830"، مجلة علامات، عدد 47، 2017، ص40.
[2]– رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص7.
[3]– ينظر، المصدر نفسه، ص53.
[4]– المصدر نفسه، ص173.
[5]– حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص271.

مهّد النّاقد "عز الدين المناصرة" للكتاب ببحث موسّع في شعرية المنهج السيميائي، بدءًا بالسيميائيات الغربية القديمة، ثمّ العرب والسيمياء ثم "سيميوطيقا" "شارل بيرس"، وبعدها توقّف عند الاتّجاهات السيميائية الحديثة من خلال روّادها "رولان بارت"، "بنفنيست"، "غريماس"، "جوليا كرستيفا" و"ريفاتار".

وكان الكتاب المترجم –كما يصرّح "رشيد بن مالك"– في مقدّمته، حصيلة لقاءات جمعته بـ"عز الدين المناصرة" نهاية الثمانينيات، تمحورت حول إشكالية تلقّي المعرفة السيميائية في المؤسسة العلمية العربية التي تعود جذورها إلى «افتقار القارئ العربي إلى المرجعية التّاريخية لهذه البحوث وافتقاره إلى الأرضيات البحثية التي انطلقت منها، والتيارات العلمية التي مهّدت لظهورها، وفوضى المصطلحات التي تُعدّ السّمة الغالبة في الخطاب النّقدي العربي الجديد»[1].

فالغاية من هذه التّرجمة إذًا، هي نقل الأصول السيميائية الغربية إلى اللّغة العربية، وقد حاز "رشيد بن مالك" الكفاءة التي تمكّنه من تحقيق هذا الإنجاز، فقد تتلمذ على روّاد السيميائيات السّردية في السُّوربون وكان يُتقن الفرنسية، وناقش أطروحة دكتوراه تتمحور حول السيميائيات السّردية، ومن ثمّ خاض مغامرة التّرجمة بإتقان واقتدار، ذلك لأنّ ترجمة السيميائيات مهمّة عسيرة تتطلّب من المترجم «ألاّ يكون متمكّنا من اللّغتين (المنبع والهدف) فحسب، بل عليه أن يكون متابعا لمختلف التّحولات في هذا الشّأن، إذا ما أراد امتلاك ناصية لغة اللّسانيات والسيميائية وفلسفة اللّغة، وعارفًا بمختلف القضايا والرّؤى الإبستيمولوجية المؤطّرة التي تُشكّل الخلفيات المعرفية والإيديولوجية للمؤلّفين في هذا المجال»[2].

يتصدّر كتاب "آن إينو" "تاريخ السيميائية" الباب الأول من هذا السّفر المترجم الذي احتوى خمس أبواب أخرى، ولم تقتصر ترجمة كتاب "آن إينو" على "رشيد بن مالك" فقط، فقد استعان بمراجعين إثنين هما: "عبد القادر بوزيدة" و"عبد الحميد بورايو"، وكانت هذه الترجمة حصيلة لقاء المترجم بصاحبة الكتاب بباريس يوم 2002/01/20[3] أين عرض عليها خطة ترجمته فأعجبت بها «لأنّها تأخذ في الحسبان التّحري العلمي الجماعي المشيّد على الحوار المتواصل معها أوّلاً ومع الأستاذين الصّديقين "بوزيدة عبد القادر" و"عبد الحميد بورايو" ثانيا»[4].

---

[1]– آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد، والتاريخ، تر/ رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم، عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008، ص7.

[2]– هامل بن عيسى، إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي، ص88–89.

[3]– ينظر، آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، ص9.

[4]– المصدر نفسه، ص9–10.

ويتضمّن الكتاب أقسامًا ثلاثة، يتمحور القسم الأول حول "سوسور والسيميولوجيا" وفيه توضيح لأثر "فرديناند دي سوسور" في اللّسانيات الأوروربية وسيميائيات مدرسة "باريس"، أمّا القسم الثّاني فقد وُسم بعنوان: "من اللّساني إلى السيميولساني" وفيه عرض للرّوافد التي غذّت البحث السيميائي عند "مدرسة باريس" بداية بمنجزات "لوي هلمسليف" ثمّ الشّكلانيين الرّوس و"حلقة براغ"، ويختص القسم الثالث بمدرسة "باريس" ومسار تطوّرها.

وتلخّص المؤلّفة محتوى الكتاب بقولها: «سنثبت وبإيجاز في هذا الكتاب بحوث مدرسة "باريس" الحديثة العهد، على شكل تحديد تاريخي مختصر ومطابق إلى حدّ ما للتّحديد الذي اقترحه "غريماس" نفسه مرّات عديدة في مؤلّفاته»[1].

أمّا كتاب "ميشال أريفيه" "السيميائية الأدبية"، فيترتّب زمنيا في طليعة التّرجمات التي يحتويها كتاب "السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ" فقد تُرجم نهاية الثمانينيات بهدف صياغة حلول لإشكالية تلقّي المعرفة السيميائية في المؤسسة العلمية العربيّة، وعُرض الكتاب مترجما على مؤلّفه وتمّت قراءة التّرجمة ومناقشتها، ولكنّ المترجم لم يجرؤ على نشرها آنذاك لما اعتورها من نقص، تداركه بعد عقدين من الزّمن، ونشر التّرجمة التي قام "عزالدين المناصرة" بمراجعتها[2] ويتضمّن الكتاب المحاور التالية:

1- أسماء السيميائية الأدبية وعلاقاتها بالنّشاطات المرتبطة بها.

2- المعطيات التّاريخية الأساسية.

3- المناقشات حول مفهوم الأدبية.

4- السيميائية الأدبية في تعدّديتها.

5- مفهوم النّص.[3]

ويتمحور الباب الثالث حول كتاب: "السيميائية، نظرية تحليل الخطاب" لـ: جان كلود جيرو ولوي بانييه Jeane Claude Giroud, Louis Panier. يعلّق "رشيد بن مالك" على محتوى الكتاب وقيمته بقوله: «فقد أثارت انتباهي هذه الدّراسة لما تتّسم به من بساطة في الأسلوب، وتمثّل واضح لقواعد النّظرية

[1]- آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، مقدمة "الباب الأول" بقلم المؤلفة، ص69.

[2]- ينظر، آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، ص7-8.

[3]- المصدر نفسه، ص197.

السيميائية وتدعيمها بتمارين تطبيقية، يتحكّم بها رصد مستويات التّحليل إلى بناء خاضع لتدرّج يرقى بالقارئ من الملموس إلى المجرّد ومن البسيط إلى المعقّد»[1]

يستعرض الكتاب تعاريف أوليّة تتعلّق بالدّليل والدّلالة ومبادئ التّحليل السيميائي، كمبدأ المحايثة والمسلّمة البنيوية، وتحليل المستوى السّردي والمستوى الخطابي، والمستوى المنطقي الدّلالي المتمثّل في المربّع السيميائي وأخيرا نحو التّلفظ، وهي الإضافة النّوعية التي بلورها الكتاب في أسلوب بسيط بالصّيغة التّالية:

«قدّمنا حتى الآن، التّحليل السيميائي كتحليل للملفوظ، للنّص دون أن نهتم بما يحكم تلفّظه، يعني إنتاجه، نُمثّل التّلفظ، في أغلب الأحيان، كنشاط لفاعل يتكلّم، يكتب، يلفظ خطابًا، غالبًا ما تتحوّل البحوث الدّائرة حول التّلفظ إلى "تحقيقات" في الفاعل: من يتكلّم؟ من أين يصدر الكلام؟ ماهي الملابسات وظروف الخطاب وتبليغه؟ ماهو "قصد" المتلفظ؟ هكذا نبني العلاقة بين الملفوظ والتّلفظ على أساس الترابط القائم بين الخطاب والفاعل الذي ينتجه»[2]، ويبدو هذا البسط لمفهوم التّلفظ واضحًا ووظيفيًّا.

ويتقاسم "عبد الحميد بورايو" و"رشيد بن مالك" ترجمة الباب الرابع من الكتاب الموسوم بـ: "التّشاكل والرابط بين التّعبير والمضمون "الموكب الجنائزي" لـ: "جوزيف كورتيس"، وهي دراسة تطبيقية يُسخّر من خلالها "جوزيف كورتيس" السيميائية «لفهم الظواهر النّصية والاجتماعية بوصفها مجموعات دالة يقتضي فهمها بناء عناصرها من الدّاخل، وإدراك الآلية التي تحكمها»[3]

وينصّ المترجم على أنّ أهمية هذا النّص تعود لاعتبارين اثنين هما:

1- لفت انتباه الدّارسين إلى ضرورة تجديد الخطاب في العلوم الاجتماعية بالاستفادة من الأدوات الإجرائية المسخّرة للتّحليل السيميائي.

2- إشعار القارئ العربي بتجاوز التّحليل السيميائي للنص اللّغوي وانفتاحه على حقول وفضاءات معرفية أخرى.[4]

وتحليل "الموكب الجنائزي" لا يختلف عن تحليل أي خطاب لساني، «وإذا ركّزنا جيّدًا فيما قام به "كورتيس"، سنجد أنّه توصّل فعلا إلى اكتشاف الأنظمة التّركيبية المتحكّمة في الموكب (ما يشبه النحو والصّرف) وكان ذلك وفق المنهج اللّساني السوسيري، حيث عمد في البداية إلى اقتراح نماذج حقيقية لعلم الصّرف، وهذا

[1]- آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، ص16.

[2]- المصدر نفسه، ص243.

[3]- المصدر نفسه، ص20.

[4]- ينظر، المصدر نفسه، ص20.

بفضل مفصلة الوحدات الاتصالية القابلة للعزل، أمّا التّحليل الوصفي المستمر والذي يمكن أن نسمّيه بعلم النّحو فهو كفيل بتحليل وضعية كل وحدة بالنّسبة للأخرى»[1]

فالموكب الجنائزي نظام تركيبي يروي قصّة للمارّة والمشاهدين «فمن (الحزن) إلى (الفرح) يوجد منحى يتقيّد بقواعد خاصّة، فمن الصّعب أن نتخيّل توزيعا عكسيًّا للموكب بحيث تكون /المقدّمة/ مرتبطة بـ/الضحك/ و/الفرح/ و/المؤخرة/ متعلّقة بـ /البكاء/ و/الحزن/، ففي هذه الحالة سننطلق من /الحياة/ إلى /الموت/، لكن الحقيقة تقول: إنّ الموكب الجنائزي يبدأ من /الموت/ وينتهي بـ/الحياة/»[2]

وهذا شبيه —من ناحية أخرى– بالقصص العجائبية «حيث نجد الحبكة تبدأ بحالة محزنة ومعقّدة، وتنتهي بنهاية فيها نوع من الرّضا على عكس بعض القصص التي تنطلق من البداية بالسّعادة وتختتم في النهاية بالتّعاسة فموكبنا الجنائزي، هو في النّهاية حكاية تنتهي بفرح»[3]

والملاحظ أنّ هذا التّحليل يستثمر أدوات المقاربة السيميائية السّردية، في البحث عن الدّلالة المتولّدة عن شبكة العلاقات المشكّلة للموكب الجنائزي، حسب ترتيب وضع المشيّعين وهيئاتهم وحالاتهم.

ويتمحور الباب الخامس من كتاب "السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ" حول بحث لـ "جان كلود كوكي" بعنوان: "مدرسة باريس السيميائية" ترجمة "رشيد بن مالك" ومراجعة "عز الدين المناصرة"، أمّا محتواه فهو «رصد لأهم الإنجازات السيميائية التي حققتها مدرسة "باريس"، وتحليل مُعمّق للتّيارات اللّسانية التي كان لها عميق الأثر في تعميق المعرفة المنهجية واختيارها في أثناء التّصدي للظاهرة الموضوعة قيد الدّرس»[4]

ويشير المترجم إلى أنّ الكتاب، كان حصيلة لقاءات مع مؤلّفه في باريس شهر فبراير عام 1992، وقد أنهى ترجمة هذا النص نهاية التسعينات ولم ينشره آنذاك، بل تأجّل النّشر عقدًا من الزّمن انتظارًا لحصول ثبات نسبي في الوضع المصطلحي.

[1]– مختارية بن قبليّة، تحليل سيميائي للموكب الجنائزي لجوزيف كورتيس، ترجمة وتقديم ومراجعة —مجلة رفوف، يصدرها مخبر المخطوطات، جامعة أدرار، المجلد السادس، العدد الثاني، ديسمبر 2018، ص211.

[2]– المرجع نفسه، ص211.

[3]– المرجع نفسه، ص211.

[4]– آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، ص11.

ويتضمّن الباب السادس بحثًا يتمحور حول السيرة الذاتية والعلمية لـ: أ.ج.غريماس، وقد أشرنا إليه حين رصدنا خطاب الترجمة في كتاب "البنية السردية في النظرية السيميائية" لرشيد بن مالك في موضع سابق من هذا البحث.[1]

في ختام هذا التّحليل حول مُنجزات "رشيد بن مالك" في مجال الترجمة السيميائية نسجّل الملاحظات التالية:

1- كان هدف "رشيد بن مالك" من خلال ترجماته الكثيرة لنصوص السيميائيين الغربيين، تقديم المعرفة السيميائية إلى القارئ العربي بوصله بمظانها وأصولها المعرفية وروافدها اللّسانية بُغية تنويره وتدقيق معارفه وتعديلها.

2- اقتصر "رشيد بن مالك" في ترجماته على المنجز النّقدي لمدرسة "باريس" السيميائية دون غيره من اتجاهات الدّرس السيميائي الغربي.

3- تغلب على ترجماته الدّراسات النّظرية، ولا يكاد يلتفت إلى الترجمات التطبيقية.

4- يبدو "رشيد بن مالك" من خلال هذه الترجمات مُلمًّا بالمشروع السيميائي الغريماسي نشأة وتطوّرا ورُوّادا، كما أن تواصله مع روّاد هذا الاتجاه ومناقشتهم، أضفى على ترجماته الكثير من المصداقية والوثوقية.

5- الترجمة عنده، مشروع تحرّي جماعي وليس عملاً فرديًّا، فكثيرًا ما أشرك في ترجماته زملاء متخصّصين ومراجعين أكفياء.

6- طغيان خطاب الترجمة على جلّ مؤلّفاته، فلا يكاد كتاب من كتبه يخلو منه.

7- تجاوزه لإشكالات المصطلح بالتّدقيق والتّحقيق والاستشارة والتريّث إدراكا منه لخطر هذه الإشكالية وضرورة العمل على تجاوزها والتّقليل من حدّتها.

ولم يقتصر خطاب التّرجمة على مُنجز الرّواد فحسب، بل تواصل على أيدي تلامذتهم خلال العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين، ويُعدُّ الباحث والمترجم "جمال حضري" أكثر هؤلاء اهتمامًا بسيميائيات مدرسة "باريس" بصفة خاصّة والمشروع السيميائي عمومًا وذلك واضح من خلال ترجماته للكتب التالية:

1- مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية لـ"جوزيف كورتيس".

2- سيمياء اللّغة لـ"جوزيف كورتيس".

3- الوجيز في السيميائية العامة لـ: جان ماري كلينكنبرغ.

[1]- نشر هذا البحث في كتاب "البنية السردية في النظرية السيميائية" لرشيد بن مالك، ص52 وما بعدها، وأعيد نشره في كتاب السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، ص345 وما بعدها.

والباحث "جمال حضري" أكاديمي ومترجم جزائري متخصّص في السيميائيات السّردية طرح في إحدى مقالاته «فكرة توسيع تكوين المترجم ليستوعب البعد السيميائي، باعتبار الكفاءة السيميائية مكوّنا يعضد الكفاءة اللّغوية، وأحيانًا تكون هذه الكفاءة بديلاً كاملاً عن الكفاءة اللّغوية»[1] فهل أسعفته كفاءته السيميائية في ترجماته؟

ويُعدّ كتاب "مدخل إلى السيميائية السّردية والخطابية لـ"جوزيف كورتيس" فاتحة ترجماته، وقد قدّم لهذه التّرجمة الباحث المغربي "جميل حمداوي" مستهلاً تقديمه بتسويغ التّسمية التي وُسمت بها المدرسة "مدرسة باريس السيميائية" والتي تُطلق «على أولئك الباحثين الذين كانوا يدرسون في جامعات العاصمة الفرنسية ومؤسساتها العليا، وكانوا تلامذة "ألجيرداس جوليان غريماس"، ومن هؤلاء الدّارسين ميشيل أريفي، وشابرول وجان كلود كوكي وآخرون»[2]

وقد اعتمد هؤلاء الإشارة إلى المدرسة التي تجمعهم (Sémiotique de lécole de paris) في عناوين كتبهم، كما اختاروا كلمة "سيميائية" «التي تحيل إلى الجانب التطبيقي، على عكس السيميولوجيا التي تشير إلى التّصورات النّظرية لعلم العلامات»[3]

والكتاب في نسخته الأصلية صدر بباريس عام 1976، ويحتوي قسمين رئيسيين، يستعرض مؤلّفه في قسمه الأول نظرية أستاذه "غريماس" في تحليل السّرد والخطاب، أمّا القسم الثاني فيحلّل فيه حكاية شعبية عجائبية فرنسية "سوندوريون" باستثمار المعطيات النّظرية التي احتواها القسم الأوّل[4]، فكأنّ الجزء التّطبيقي اختبار لفعالية المعطيات النّظرية في الجزء الأول.

وقد لاحظ "جميل حمداوي" في تقديمه للنّسخة المترجمة اعتماد "جوزيف كورتيس" «على المقاربة الوصفية العلمية الرصينة التي تتّكيء على الاستقراء والاستنباط منتقلا من مستوى إلى آخر جامعًا بين التّصور المنهجي والتّحليل التّطبيقي بشكل تعليمي بيداغوجي».[5]

إنّ طريقة عرض المادّة المعرفية في الكتاب وجمعها بين المعطيات النّظرية والممارسة التّطبيقية فعّالة «في مقاربة النّصوص والخطابات، قصد تحديد المعنى بطريقة علميّة وصفيّة ومقنّنة بمجموعة من المستويات اللّسانية

---

[1]- جمال حضري، الترجمة وتكوين الكفاءة السيميائية، مجلة المترجم، جامعة وهران1، أحمد بن بلة، عدد 11، جانفي جوان 2005، ص135.

[2]- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة/ جمال حضري، الدّار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، تقديم بقلم جميل حمداوي، ص9.

[3]- المصدر نفسه، ص10.

[4]- ينظر، المصدر نفسه، ص11.

[5]- المصدر نفسه، ص11.

المنظّمة قصد البحث على القواعد التي تولّد النّصوص اللامتناهية العدد من أجل معرفة آليات التّوليد النّصي والخطابي وميكانيزمات الإنتاج السّردي والحكائي والقصصي»[1]

ويقدّم "غريماس" للكتاب بمقال مطوّل عنوانه "المكتسبات والمشاريع" ويعني مكتسبات "مدرسة باريس السيميائية" ومشاريعها، كونها مدرسة منفتحة قابلة للتوسّع والمراجعة في مقولاتها النّظرية وإجراءاتها التّطبيقية على حدٍّ سواء.

وقد ركّز "غريماس" في هذا التّقديم على شرح النّموذج البروبي وبيان علاقته بالسيميائية السّردية وتأثيره في مقولاتها، كما كشف ثغراته وبيّن التّحويرات والإضاءات التي أحدثها الباحثون فيه مثل: "كلود ليفي شتراوس" و"غريماس"، كما أسهب في هذا التّقديم في شرح بعض مصطلحات السيميائية السّردية نحو: التّرسيمة السّردية وسيميائية العمل، بالتّركيز على أداء الذّات وكفاءتها وحركيّة البنيات العاملية وبعض الاستنتاجات المتعلّقة بالتّأطير القيمي ومسارات المرسلين.

والكتاب في متنه كثير الإحالة إلى مؤلّفات "غريماس" ومقالاته، سواءً في جزئه النّظري أم في جزئه التّطبيقي، كما أنّه حافِلٌ بالأمثلة التي توضّح ما التبس من قضايا، وذلك لكونه كتاب تعليمي بيداغوجي يهدف إلى تقريب مفاهيم النّظرية السيميائية السّردية وتمكين المتعلمين منها: فهو –على سبيل المثال– يوضّح النّموذج العاملي بضرب المثل بالعقيدة الماركسية في مستوى المناضل، حيث يمكن أن تتوزّع عواملها وممثّلوها وفق الطريقة التّالية:

- الذّات ← الإنسان.
- الموضوع ← مجتمع دون طبقات.
- المرسِل ← التاريخ.
- المرسَل إليه ← البشرية.
- المضّاد ← الطبقة البورجوازية.
- المساعد ← الطبقة العاملة.

[1]– جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ص13.

واللاّفت في الكتاب، كثرة التّعريفات والتفريعات وما يترتّب عن ذلك من كثرة المصطلحات وتداخلها وهو أمر يجعل الفائدة من الكتاب مأمولة فقط عند أولئك الذين يمتلكون الخلفية المعرفيّة الكافية حول سيميائيات مدرسة باريس.[1]

ومن الميزات الأخرى لهذا الكتاب، إضاءة "الوصلة الفضائية" في الجزء التّطبيقي منه، أثناء تحليل حكاية "سوندوريون" «على اعتبار أنّ الفضاء لا يتحدّد إلاّ بالنّسبة إلى الممثّل الذي يرتبط به»[2] فلا قيمة لمكان بلا ممثّل، ولا قيمة له إذا لم يحدث فيه شيء.

والكتاب عامّة، إضافة نوعيّة للمكتبة السيميائية السّردية الجزائرية والعربيّة، وقدّ أثبت مترجمه امتلاكه للكفاءة السيميائية واللّغوية «وقد توفّق في ترجمته أيّما توفيق، بسبب عربيته السّليمة ودقّته في ترجمة المصطلحات وتمكّنه من الأدوات السيميائية تصوّرا وتطبيقًا»[3]

ويواصل "جمال حضري" منجزه في مجال التّرجمة بترجمة كتاب آخر لـ "جوزيف كورتيس" بعنوان "سيميائية اللّغة".

يشير المترجم في تقديمه للكتاب إلى الإشكالية الاصطلاحية التي تواجه المترجمين، ويرى بأنّها لا تمنع من الاستمرار في العمل كما أنّ إيجاد الحلول لها وتجاوزها ممكن بتظافر جهود الشّركاء والتّحاور فيما بينهم.[4]

ويتبنّى المترجم رؤية أحد الباحثين لتجاوز إشكالية المصطلح، بحيث لا يتصدّى للتّرجمة في هذا الميدان «غير الممارسين للتّحليل ومعالجة النّصوص، فهم أقرب النّاس إلى معرفة ضوابط التّرجمة وأسس الاصطلاح، وهذا رأي وجيه جدًّا»[5]

والكتاب –حسب المترجم– يُقدّم درسًا متشعّبًا في السيميائية العامّة يسعى عبر أسلوبه البسيط، ألاّ تبقى السيميائية حكرًا على النّخبة بل لتصبح منهج قراءة وتحليل في متناول كلّ قارئ ومهما اختلفت موضوعات القراءة «سواء أكانت خطابات لفظية أو غير لفظية، من النّص الإشهاري إلى الأدبي إلى المكوّنات الثقافية بشتّى أنماطها لباسيّة وغذائية وسلوكية ومادية ومعنوية»[6]

ويختتم المترجم تقديمه بالتّنويه بأهميّة المنهج السيميائي وخصوصياته فهو «مُغرٍ في كفاءته الإجرائية مواكب في استشرافه لكلّ إبداعات الإنسان، نامٍ في تقبّله لكلّ الإضافات والاقتراحات المعرفيّة، منفتح في جمعه

[1]– ينظر، جوزيف بكورتيس، مدخل إلى السيميائية السّردية والخطابية، ص104-105.

[2]– المصدر نفسه، ص191.

[3]– المصدر نفسه، ص12.

[4]– ينظر، جوزيف كورتيس، سيميائية اللغة، تر/ جمال حضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص5.

[5]– جوزيف كورتيس، سيميائية اللغة، ص5.

[6]– المصدر نفسه، ص6.

لأدواته المتنوّعة بما يلائم تركيب موضوعاته وتعقيدها، وهذا ما جعل هذا المنهج بالذّات محلّ جذب في دياره تنعقد بشأنه عشرات الملتقيات والنّدوات في محاولة للإمساك به وهو يتجدّد من طور إلى طور»[1]

ويشير المترجم في المدخل إلى أنّ هذا العمل يسير في الخط الذي رسمه "غريماس" و"كورتيس" في معجميهما "معجم قياسي لنظرية اللّغة" فهو يسعى إلى توضيح بعض المفاهيم ومناقشة القضايا السيميائية وإضاءة جذورها اللّسانية، ولا يقتصر الكتاب على دراسة العلامة اللّغوية فحسب، بل يهتم بمسائل التّدليل «مهما يكّن نمط اللّغة (سمعيّة، بصريّة، شمسية، ذوقيّة، لمسيّة)» [2]، آخذًا في الاعتبار العلاقة بين الهيئة التّلفظية وما أنتجته بالفعل، أي العلاقة بين المتكلّم والكلام بإبراز استراتيجيات التّواصل والإقناع كما تستطيع السيميائية من جهتها إظهارها. [3]

ويؤكّد المترجم في المدخل « على أنّ التّحليل السيميائي يهتم بكلّ ماهو حامل لمعنى في ثقافة معطاة "من الخطابات الأدبية والاجتماعية" القانون، الأسطورة، الدّين .. إلخ والتنظيمات الفضائية (المعمار، العمران ... إلخ) وكلّ الاستعمالات السيميائية (الحركة الجسمانية، الموسيقى، اللباس، الطبع ... إلخ»[4]

ويضمُّ الكتاب خمسة فصول، يُعالج الفصل الأول مسائل تتعلّق بالموضوع السيميائي وصعوبات تحديده والعلامة وتصنيفاتها ومكوّناتها ويؤكّد في ختام حديثة عن الموضوع السيميائي لنوضّح من الآن، بأنّه ليس للسيميائية من موضوع بحث غير الأشكال التي يعبر المعنى من خلالها»[5]

وتُصنّف العلامات بناءً على علاقتها بالحواس الخمس، كالعلامات البصريّة مثل علامات المرور وكل ماله علاقة باللّباس والكتابة والرّسم وحركات الجسم، والعلامات السّمعية كاللّغة والموسيقى، والعلامات الشّميّة كالرّوائح واللّمسية كمواصفات الأقمشة، خفيف، خشن، أملس .... [6]

ويتضمّن الفصل الثّاني عرضًا مستفيضا عن وجهي العلامة "الدّال والمدلول" باستعراض آراء الاتجاهات اللّسانية المختلفة في هذه القضيّة وبيان تأثيرها في البحوث السيميائية، ويُختم الفصل بالإشارة إلى مجالات تطبيق السيميائية مؤكّدًا: «إنّ ميزة السيميائية هي تناول كلّ المجموعات الدّالة الممكنة، باستخدام ليس فقط العلاقة "دال

[1] – جوزيف كورتيس، سيميائية اللغة، ص6.
[2] – المصدر نفسه، ص7.
[3] – المصدر نفسه، ص8-9.
[4] – المصدر نفسه، ص9.
[5] – المصدر نفسه، ص24.
[6] – المصدر نفسه، ص26.

ومدلول" لكن أيضًا علاقة العلامة بالمستخدمين مهما كانت كثرتهم»[1]، بمعنى ربط العلامة بمتداوليها وعدم الاقتصار على البحث في مكوّناتها فحسب.

ويتضمّن الفصل الثالث إضاءة لبعض عناصر التّحليل السّردي، باستثمار سيميائيات "غريماس" وإجراءاتها التّحليلية، كالبرنامج السّردي والترسيمة العاملية وعناصر الكفاءة، ويقترح لاختبار هذه الآليات تحليلاً سرديًّا مختصرًا لقصّة تشيكيّة صغيرة بعنوان "عفريت الرّيح"، ولعلّ السّمة البارزة في هذه المقاربة هي لجوء المؤلّف إلى الأمثلة البسيطة لإيضاح بعض المفاهيم: كالاختبار التّأهيلي والاختبار الحاسم والاختبار التّمجيدي، يقول: «على سبيل المثال، نرى أنّ المتسابق الدّراج لدورة فرنسا يجب أن يتعرّض أوّلا لتدريب جدّي وفعّال "الاختبار التّأهيلي" لكي يستطيع أن يقف على خط الانطلاق والوصول أوّلا "الاختبار الحاسم" في نهاية مساره يستطيع إذًا أن يصعد منصّة التّتويج ويلبس التّبان الأصفر ويخضع بذلك للاختبار التمجيدي»[2]

ويختتم هذا الفصل بتطبيق عنصري "التّحريك والعمل" على خرافة الغُراب والثّعلب لـ: "لافونتين Lafontaine" وهما مكوّنان من مكوّنات الكفاءة.

ويحتوي الفصل الرابع مقاربة دلالية للسّرد باختبار عناصر التّحليل السّيمي والتّشاكل والمستويات الدّلالية للخطاب، بإسقاط بعض هذه العناصر على قصّة "عفريت الرّيح" التي أشرنا إليها سابقًا.

ويُخصّص الفصل الخامس لمشكلات التّلفظ والتّداولية، وهذا هو الجديد الذي أضافه "كورتيس" إلى سيميائيات "غريماس" «ففي حالة التّلفظ أو التّداولية لا نستطيع اختزال أو تجاهل العلاقة بين ذات التّلفظ وبين العلامات التي تستخدمها»[3] ويهتم فيما تبقّى من هذا الفصل بتتبّع هيئة التّلفظ في الحكايتين السّابقتين "عفريت الرّيح" و"الغراب والثّعلب".

ويشير المؤلّف في ختام كتابه إلى أنّ ما ورد فيه، مجرّد تمهيد ضروري لما يمكن أن تصير إليه السيميائيات مستقبلا مادامت «اختصاصًا دائما في طور التّكوّن»[4]، وقد ذيّل المترجم الكتاب بجدول للمصطلحات المترجمة حسب ورودها في المتن كما أثبت المكتبة التي اعتمدها المؤلّف في تأليف الكتاب.

ويندرج الكتاب الأخير الذي ترجمه "جمال حضري" والموسوم بـ: "الوجيز في السيميائية العامة" في سياق تبسيط المعرفة السيميائية دون اقتصار على اتجاه مُعيّن من اتجاهاتها مادامت تشترك جميعًا في مهمّة أساسيّة

[1]- جوزيف كورتيس، سيميائية اللغة، ص72.
[2]- المصدر نفسه، ص92-93.
[3]- المصدر نفسه، ص122.
[4]- المصدر نفسه، ص128.

هي «دراسة الدّلالة ووصف صيغ اشتغالها والعلاقة التي تعقدها مع المعرفة والفعل»[1]، ويطمح الكتاب إلى «التّوجه في لغة واضحة إلى أولئك الذين ليس لديهم حتى الآن أي معلومات عن السيميائية»[2]

في ختام هذه الوقفة مع خطاب التّرجمة عند "جمال حضري" نسجل الملاحظات التاليّة:

1- كان اختيار المترجم لكتابي "جوزيف كورتيس" اختيارًا موفقًا إلى حدٍّ بعيد، فهما كتابان لأحد تلامذة "غريماس" ورائد من روّاد مدرسة باريس السيميائية وهما كتابان يغلب عليهما الطابع البيداغوجي التّعليمي، المتجلّي في كثرة الأمثلة التّوضيحية والمقاربات التّطبيقية مما يجعل منهما إضافة نوعية تضيء المنهج السيميائي السّردي نظريّا وتطبيقيًّا.

2- استطاع المترجم تخطّي الإشكالية الاصطلاحية، باختياره للمصطحات المكرّسة المتداولة واجتناب ما اختلف حوله.

3- ذيّل المترجم كتابيه بجدولين للمصطلحات الواردة فيهما، مع المقابل العربي لها، ولو أثبت المقابل العربي بجانب المصطلح الأجنبي في المتن لكان أفضل.

وبالعودة إلى كتاب "فصول في السيميائية" لـ: "نصر الدين بن غنيسة" الذي مرّ بنا في خطاب التعريف والتّأسيس نجده قد احتوى ترجمتين في فصليه الثاني والثالث.

وُسم الفصل الثاني بعنوان "العوامل والممثّلون والصور" وهو عبارة عن ترجمة لفصل من كتاب "في المعنى" لـ"غريماس" تضمّن عرضًا لعناصر البنية السّردية من عوامل وممثّلين وبنية عاملية، ثمّ البنيات الخطابية والأدوار الثيماتيكية، وقد سعى "غريماس" من خلال هذا الفصل إلى «طرح بعض الإشكاليات السّردية التي تنبثق من التّمييز بين العوامل الصّادرة عن النّحو السّردي وبين الممثّلين المتمظهرين في الخطاب»[3]

أمّا الفصل الثالث فهو مجتزأ من كتاب "سيمياء اللغة" لـ: "جوزيف كورتيس" وقد عنونه المترجم بـ: "العناصر الأوليّة للتّحليل السّردي" وسبق لـ"جمال حضري" ترجمته في كتابه المترجم "سيمياء اللغة" لكنّه وسمه بعنوان مخالف قليلا: "العناصر الأولى للتّحليل السّردي"[4]

---

[1]- جان ماري كلينكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، تر/ أ.د.جمال حضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2015، ص5.

[2]- المرجع نفسه، ص6.

[3]- نصر الدين بن غنيسة، فصول في السيميائيات، المقدمة، ص4.

[4]- ينظر، جوزيف كورتيس، سيمياء اللغة، ص81.

ويتمحور هذا الفصل، حول عناصر التّحليل السّردي بالكشف عن الحالات والتّحوّلات، وتمثيل تتابع الاختلافات، على اعتبار الحكاية في بنيتها البسيطة انتقال من حالة إلى حالة، تسعى فيها الذّات لتحقيق موضوع قيمة عبر برنامج سردي تضطلع به الذّات الفاعلة الممتلكة لعنصري الكفاءة والإنجاز، وفي سبيل توضيح هذه العناصر يمثّل المؤلّف بحكايتين خرافيتين هما: "عفريت الرّيح" و"الغراب والثعلب" لـ"لافونتيين".

ولا نرى فائدة من إعادة ترجمة نص سبق لمترجم آخر ترجمته، ولعلّ ذلك يشي بغياب التّنسيق بين المترجمين الجزائريين من الجيل الثاني على عكس جيل الرّواد الذين آمنوا بفكرة التّحري الجماعي فلم يقعوا في هذا التّكرار وتبديد الجهد.

ختامًا نلخص سمات خطاب التّرجمة في مدوّنة النّقد السيميائي السّردي بالجزائر في النّقاط التالية:

1- تبدو هذه الترجمات متجاوزة للإشكالية الاصطلاحية، فقد دأب المترجمون على اختيار المقابلات العربية الأكثر تداولاً ووضعها إلى الجانب المصطلح الفرنسي في متن الترجمة، أو إدراج هذه المصطلحات في جداول نهاية كل فصل وترتيبها واقتراح مقابلاتها العربيّة.

2- طغت الترجمة النّظرية على هذا الخطاب، فيما اقتصرت ترجمة الأعمال التّطبيقية على عينات معدودة.

3- تتكرّر بعض المباحث المترجمة عند أكثر من مترجم وفي أكثر من كتاب وكان بالإمكان التنسيق بين هؤلاء المترجمين لتلافي تبديد الجهد والوقت.

4- اتّسم خطاب الترجمة عند جيل الرّواد "رشيد بن مالك خصوصا" بالإيمان بفكرة التّحرّي الجماعي، فألفيناه يستعين بمترجمين آخرين أكفياء من أجل ترجمة علمية دقيقة توثّق الصّلة بين المعرفة السيميائية والقارئ العربي.

5- اقتصرت ترجمات "رشيد بن مالك" على سيميائيات مدرسة باريس، فيما انفتحت ترجمات روّاد آخرين على السّرديات عامّة "عبد الحميد بورايو نموذجا".

6- شملت هذه الترجمات مُنجز روّاد مدرسة باريس، السيميائية، انطلاقا من "غريماس" ومرورًا بتلامذته "آن إينو" "كورتيس"، "كوكي" وغيرهم.

7- تبدو ترجمات "رشيد بن مالك" متميّزة، ولعلّ تميّزها ناتج عن إيمانه بالعمل الجماعي ولقاءاته المتكرّرة بمؤلّفي الكتب التي ترجمها وإتقانه للغة الفرنسية.

8- تقتصر هذه التّرجمات على الفرنسية كلغة أصل، ومع ثبوت نسب السيميائية السّردية الغريماسية إلى اللغة الفرنسية، يحقّ لنا أن نتساءل، ألهذه السيميائيات امتداد في اللّغات الأوروبية الأخرى، وهل بقيت حبيسة التّصور

الفرنسي، مع أنّها مشروع منفتح وقابل للنّقد والتّعديل؟ ألم يكُن حريًّا بمترجمينا إطلاعنا على نسخ أخرى من هذه السيميائيات في لغات غير الفرنسية؟!

9- لم نُصادف في هذه التّرجمات أيّ نقد للنموذج الغريماسي في مجال التّحليل السيميائي السّردي، حيث انصبّ جهد المترجمين على النّقل والتّبسيط لربط القارئ بمظان هذه النّظرية دون أي إشارة إلى نقائصها، كونها –ككل النّظريات الأخرى- تفتقر إلى الكمال المطلق.

المبحث الرابع: خطاب النّقد والتّقويم

يُقصد بهذا الخطاب، ما وُجّه للنظرية السّيميائية الغريماسيّة من انتقادات، سواءً تعلق الأمر بنسختها الغربية الأصليّة، أم بنسختها العربيّة التي تشكّلت بعد تفاعل النّقاد العرب والجزائريين مع منجزات هذه النّظرية تحليلا وتطبيقا، وهو خطاب يستهدف النّظرية بمُساءلتها «وبيان نقاط قوّتها ونقاط ضعفها، وتقديم بعض الانتقادات بشأنها، وتطعيمها —بمقتضى ذلك- ببعض الطّروحات النقدية —الغربية عمومًا- المستجدّة في مجال المعرفة الإنسانية بُغية تجاوز الضعف المعاين فيها، وترميم النّقص الذي يتخلّل بعض مفاهيمها»[1].

ويبدو أنّ هذا الخطاب لم يشهد إقبالاً من لَدُن النّقاد الجزائريين المهتمّين بالسيميائيات السّردية، سواءٌ تعلّق الأمر بالرّواد أم بتلامذتهم وتابعيهم، مقارنة بالخطابين السّالفين (خطاب التّعريف والتّأسيس وخطاب التّرجمة)، ويمكن تسويغ قلّة الاهتمام بخطاب النّقد والتّقويم بكون الرّواد الأوائل استنفدوا طاقتهم في خطابي التّعريف والتّرجمة رغبة منهم في تأصيل هذه النّظرية ومعرفة روافدها وإحداث وصلة بينها وبين القارئ العربي بغية استنباتها في تربة النقد العربي المعاصر وتخليصه من ذاتية النّقود الانطباعية وغياب الصّرامة المنهجيّة واضطراب المصطلح، وربّما تكون الثقة في فعاليّة هذا المنهج إجراءً ومصطلحًا سببًا في إعراض هؤلاء الرّواد عن نقده وتقويمه. وقد انصبّ جهد تلامذة هؤلاء الرّواد على محاولة رصد مستجدّات البحث السيميائي عند تلامذة "غريماس" والمتمثّلة أساسًا في انفتاح التّحليل السيميائي على النّصوص غير اللّغوية (الموكب الجنائزي، الإضراب، النص الإشهاري) وتكثيف الممارسات التّطبيقية مقارنةً بمنجز الرّواد الذي اهتمّ بالدّرجة الأولى بالتّنظير والتّأصيل. ولا يعني عدم الإقبال هذا كمال النّظرية أو تعاليها على النّقد فقد وُجّهت لها الكثير من الانتقادات في عقر دارها وفي حياة "غريماس" وبعدها، وكان منظّرو "مدرسة باريس السيميائية" مدركين أنّ دعائم السيميائيات السّردية لن تقوم إلاّ على مشروع تحرٍّ جماعي يَسدُّ نقائصها ويُثمّن منجزاتها ويتفاعل مع مدارس تحليل السّرد في توجّهاتها المختلفة ولمْ تسلم النّظرية السيميائية السّردية «كشأن كلّ عمل بشري من انتقادات وجّهها إليها هذا الطّرف أو ذاك، ومن سقطات وهفوات آخذها بها هؤلاء، ومن غموض اكتنف بعض مفاهيمها، ومن تناقضات وقعت فيها، ومن إشكاليات بقيت عالقة لم يتم الحسم فيها وتوضيحها بالقدر الكافي، ونعتقد أنّ هذا هو قدر البحث

[1]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص53.

العلمي كما هو قدر كل عمل إنساني»[1]. وفي سبيل رصد الانتقادات التي وُجّهت للنّظرية السيميائية من لدن النّقاد الجزائريين، ارتأينا البدء بـ"رشيد بن مالك" باعتباره أحد أعلام هذا النقد في الجزائر والعالم العربي عامّة.

1- تجليات خطاب النّقد والتّقويم في المدوّنة النّقدية لـ "رشيد بن مالك":

اكتشفنا من خلال مباحث الفصل السّابق مقدار الجهد الذي بذله النّاقد "رشيد بن مالك" في سبيل إرساء دعائم المعرفة السيميائية تأسيسا وتأصيلا وترجمة وتعريبًا، واللاّفت للانتباه أنّ هذا النّاقد قلّما يوجّه انتقادات للنّظرية السيميائية في نسختها الغربية الأصلية خاصّة، لكنّه لا يتورّع في مختلف مؤلّفاته عن كشف الخصاص المعرفي الذي وسم هذه النّظرية في نسختها العربية، إنْ على مستوى المصطلح أو الترجمة أو الدّراسة التّطبيقية فكثيرًا ما يُمهّد لمؤلّفاته وترجماته على السّواء، بالإشارة إلى وضع السيميائية في العالم العربي وما يشوبها من نقائص في ترجماتها ومصطلحاتها وممارساتها التّطبيقية، ففي ميدان المصطلح مثلا، يرى «إنّ وضع المصطلحية السيميائية في العالم العربي، يختلف تمامًا عمّا هو عليه في أوروبا، ولم يرقَ بحكم التّضارب الموجود في المصطلحات المستعملة إلى بلورة نموذج مؤسّس لخطاب علمي دقيق يضبط مفاهيمه وأدواته الخاصّة به سلفًا. يكفي أن تقرأ بعض الدّراسات السّيميائية لتتأكّد من الاختلافات الموجودة بين الباحثين والتي تؤثّر سلبًا في تبليغ الرّسالة العلميّة وتفسّر جانبًا من جوانب الفشل في الاتصال القائم بين القارئ العربي والمعرفة السيميائية»[2]

إنّ هذا الاختلاف في ترجمة المصطلح ووضعه وتوظيفه من أهم الأسباب التي جعلت القارئ العربي يُعرض عن هذا الخطاب المتّفق على صعوبته حتى في لغته الأصلية، فكيف إذا اختلفت مصطلحاته وتضاربت بين أبناء اللغة الواحدة المشتغلين على خطاب نقدي واحد.

وقد كان جهد النّاقد والمترجم "رشيد بن مالك" من خلال تأليفه لقاموس مصطلحات التّحليل السيميائي للنّصوص الثّلاثي اللّغة، من أهم المبادرات التي ساهمت في التّقليل من تفاقم الإشكالية الاصطلاحية دون أن ننسى اجتهاداته في ميدان التّرجمة التي ساهمت هي الأخرى بقدر كبير في رصد المصطلح في سياقه الاستعمالي التّداولي وهذا يُسهم بلاشك في توضيح دلالته وتخصيصها.

[1]- قادة عقاق، مأزق السيميائية، قراءة نقدية في جهازها المفهومي والإجرائي، دراسة، مكتبة الرّشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص23.

[2]- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص70.

ويُجلي النّاقد هذه الإشكالية الاصطلاحية في موضع آخر قائلاً: «ففي الوقت الذي خطا فيه البحث الأوروبي خطوات عملاقة، لازلنا ضائعين في متاهات المصطلح، كل باحث يترجم حسب ما يحلو له، ولم تتوصّل نسبة غير قليلة من البحوث السيميائية العربية إلى بلورة خطاب علمي لا يلقى فيه أصحابه مشقّة في تمرير المعارف السيميائية»[1]

ولم تسْلَم التّرجمات التي أنجزها بعض النّقاد العرب من نقد "رشيد بن مالك" فهذه التّرجمات والمنجز منها خصوصا في مجال سيميائيات مدرسة باريس «كثيرًا ما تسقط في التعميميّة، بدون القدرة على بلورة المفاهيم النّقدية التي افترضتها، أو تعتمد على جزئيات مبتورة من السياقات المنهجيّة التي انبعثت منها والإشكاليات البحثية التي انبنت عليها والمرجعيات العلمية التي تحيل عليها»[2]

وربّما كانت هذه التّرجمات مفتقرة إلى الأصول النّظرية التي انبثقت منها السيميائيات السّردية وغير مدركة لمستويات التحليل السّردي التي تتكامل فيما بينها راصدة سيرورة المعنى وتشكّله في النّص، ومن ثمّ فالاجتزاء من السّياق يؤثر سلبًا في وصل القارئ بهذه المعرفة وتتسّم هذه التّرجمات بالتّعميميّة وانتفاء الدّقة ويُشخّص "رشيد بن مالك" في موضع آخر أدواء هذه التّرجمات العربية قائلا: «وكثيرا ما ترِدُ النّصوص المترجمة بلغة عربيّة مفكّكة، يغلُبُ عليها الغموض والتّضارب في الأفكار والخلط بين المفاهيم واستعمال مصطلحية مضطربة لا يولي أصحابها في أثناء وضعها أهميّة إلى خطورة ما ينجرُّ عنها من انعكاسات سلبيّة على البحوث النّقدية العربيّة، التي لا ترقى لهذه الاعتبارات إلى وضع استراتيجية بحثية هادفة إلى توحيد المصطلحية في مجال الترجمة وصناعة وبلورة خطاب علمي جدير بهذا الاسم»[3]

إنّ صعوبة الخطاب السيميائي تكمن بالدّرجة الأولى في لغته التّقنية وتشابك اصطلاحاته وإحالة بعضها إلى بعض، ومن ثم فالسّعي إلى ترجمته يتطلب دراية بمنحدراته المعرفيّة، وقدرة على تطويعه لينسجم مع اللغة الهدف، وربّما كانت بعض ترجمات "رشيد بن مالك" نفسه متّسمة ببعض الخصائص التي رصدها في الترجمات العربية للخطاب السيميائي الغربي، فإذا كان الكتاب الذي ترجمه والموسوم بـ"السيميائية، الأصول، القواعد والتّاريخ" «يحوي جلّ أفكار أولئك السيميائيين، فإنّ عرض تلك الأفكار يفتقر إلى شيء من الشّروحات

[1]- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص14.

[2]- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص70.

[3]- آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، تر/ رشيد بن مالك، ص12.

التي من شأنها أن تزيل الكثير من الغموض والتّعقيد الذي وقع فيه المترجم بسبب التّرجمة الحرفية لتلك المصطلحات والمفاهيم»[1].

وفي تسويغه لترجمته للسّيرة الذّاتية والعلمية لـ"أ.ج.غريماس" من تأليف "جان كلود كوكي" يقول: «وقد اخترت ترجمة هذا النّص لاعتبارات عديدة، قد يكون أوّلها ما نُلاحظه من خلط كبير في بعض البحوث العربية التي تبدو في الظّاهر ذات وجه سيميائي، وهي في العمق بعيدة كلّ البعد عن أن تمثّل هذا التّوجه، وقد أفرزت هذه الظّاهرة نتائج مضلّلة في هذا التوجّه واضطرابًا في القيم العلمية، أضحى القارئ العربي ضحيّة له، وانعكس ذلك سلبًا على المردود العلمي»[2].

واللاّفت للانتباه أنّ النّاقد في كشفه للنّقائص التي وسمت السيميائية السّردية في نسختها العربية من حيث تذبذب مصطلحاتها وسقوط ترجماتها في مهاوي الخلط والاجتزاء والتّعميمية، لم يُقدّم أيّ عيّنة عن هذه البحوث أو أصحابها، بل اكتفى بإصدار أحكام عامّة قد لا تنطبق على بعض البحوث، فقد ألفيناه يشيدُ ببعض الدّراسات التي استعان بها في ترجمة نص "جان كلود كوكي" "السيرة الذاتية والعلمية لـ: أ.ج.غريماس" فيقول: «فقد اعتمدنا أيضا على دراسات الباحث "عبد الحميد بورايو" الذي يُعدُّ واحدًا من الرُّواد المؤسسين للحركة السيميائية في الجزائر»[3].

ويقول عن الباحث المغربي "سعيد بنكراد": «كما التفتنا أيضًا إلى بحوث صديقنا الباحث بنكراد سعيد لما تتّسمُ به من دقّة وتمثّل واضح للسيميائية الغريماسية في كتابه الموسوم بـ"مدخل إلى السيميائيات السّردية" الذي يُعدّ إنجازًا مهمًّا في الدّراسات السيميائية العربية، وتكمن أهميّة هذا البحث في بساطة خطابه النّقدي ومرونته وأصالته ووضوح مضمونه النّاجم عن تمثّله لهذا التيار في أصوله ومقاصده المنهجية»[4].

ولم تنج المقاربات النّقدية الأكاديمية العربية التي توظّف مستويات التّحليل السّيميائي السّردي من نقد رشيد بن مالك، فقد أضحت هذه البحوث «ببرودتها وجفافها قوالب مسكوكة تبعث على الاشمئزاز والتّقزّز وتنأى عن الخلق والإبداع، ويكفي أن تقرأ نسبة غير قليلة من هذه البحوث المكرورة لتتأكّد من أنّها بوفائها لصرامة المنهج والتّقيد الحركي به، تكاد تكون متشابهة، ولكنّه تشابه يشي من حيث الجوهر باضطراب كبير في رسومات لا معنى لأسهمها النّازلة والصّاعدة الفاقدة لعلة وجودها، وفي خطاب يفتقد إلى تمثّل نظري واضح ويتمنّع

[1]- بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية، ص140.

[2]- آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، تر/ رشيد بن مالك، ص14.

[3]- المصدر نفسه، ص14.

[4]- المصدر نفسه، ص13.

عن الإدلاء بمكنوناته ولا يُخبر عن الرّسائل التي يسرّبها لأنّه لا يُبالي بقاريء هو في جميع الحالات مُبعد عن العملية التّواصلية»[1]

والمؤكّد أنّ التّحليل السيميائي قبل أن يكون خضوعًا مطلقًا لآليات المنهج ينبغي أن يُصغي إلى ما يقوله النّص ويكشف في سياق ذلك طرائق تشكّل المعنى فيه.

ولم يكتف النّاقد والمترجم "رشيد بن مالك" برصد الإشكالات السيميائية في الدراسات العربية المعاصرة متجليّة في المصطلح والتّرجمة وبعض التّحاليل الأكاديمية بل أفرد جزءًا من دراساته لمعاينة بعض البحوث النّقدية العربية التي اتّخذت من السيميائية السّردية منهجًا، فأخضعها للمساءلة والاستكشاف بمراجعة مفاهيمها واستنطاق أسسها واختبار إجراءاتها، ومن ثمّ يتنزّل عمله هذا في اختصاص نقد النّقد باعتباره خطاب واصف للنّقد، يجعل من النّصوص النّقدية موضوع اشتغاله أو هو بتعريف "جابر عصفور" «قول آخر عن النّقد يدور حول مراجعة "القول النّقدي" ذاته وفحصه، وأعني مراجعة مصطلحات النّقد وبنيته المنطقية ومبادئه الأساسيّة وفرضيّاته التّفسيرية وأدواته الإجرائية»[2]

وقد اختار النّاقد "رشيد بن مالك" منجزات بعض النّقاد العرب موضوعًا لقراءاته النّقدية وهؤلاء النّقاد هم "عبد الحميد بورايو" و"سعيد بنكراد" و"محمد الناصر العجيمي" و"محمد القاضي"، وقد سوّغ خياره بكون بحوث هؤلاء الباحثين «تعكس بشكل نسبي الجهود التي تُبذل في سبيل الارتقاء بالنّقد العربي من الرؤية المعيارية إلى الرؤية العلميّة، وتعكس أيضًا الطّاقات التي عبّأها أصحابها لقراءة وفهم التّوجّهات المنهجية في تحليل النّصوص السّردية من منظور سيميائي»[3]، ويشترك النّقاد الثلاثة "عبد الحميد بورايو"، "محمد الناصر العجيمي" و"محمد القاضي" في اتّخاذ خرافات "كليلة ودمنة" مدوّنة لاشتغالهم، مع اختلاف الممارسة النّقدية عندهم من باحث إلى آخر «في طريقة التّحليل أوّلاً وفي التّخريجات الدّلالية ثانيًا»[4]، وقد لاحظ "رشيد بن مالك" بخصوص اشتغال "عبد الحميد بورايو" على نص "الحمامة المطوّقة" من "كليلة ودمنة" أنّه: «التزم حدود النّص وأدرك

[1] – رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص9.

[2] – جابر عصفور، نقاد نجيب محفوظ، ملاحظات أولية، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، مجلد 01، عدد 03، أفريل 1981، ص164.

[3] – رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص34.

[4] – المصدر نفسه، ص35.

مستوياته واستطاع من خلال اشتغاله على اللّغة، صناعة خطاب نقدي يوفّق فيه بين القيود التي يفرضها الجهاز السيميائي وتطلّعات القارئ العربي إلى نصٍّ نقدي ييسّر له سبل الاتّصال بالمناهج الحداثية»[1].

ولم تخلُ هذه الدّراسات من هنات رصدها "رشيد بن مالك" في النّقاط التالية[2]:

– اعتبر "عبد الحميد بورايو" النّقص وظيفة، وانطلاقًا من النّقد الذي وجّهه "غريماس" إلى "بروب" لا يمكن اعتبار النّقص وظيفة بل هو حالة تستدعي فعلا.

– عَدّ "عبد الحميد بورايو" الإطار التّلفظّي "دبشليم، الملك" من خارجيات النّص، وهو ما يتعارض مع رؤية "رشيد بن مالك" الذي يرى «أنّنا لا نستطيع أن نحدث انقطاعًا في المتخيّل الخطابي لكليلة ودمنة، وننظر إلى الحكايات نظرة خارجية عن هذا المتخيّل المنضوي داخل الجهاز التّلفظي الذي ترتهن الحكايات إلى وجوده إنّ بيدبا ودبشليم حاضران في النص الحكائي لا خارجه»[3].

– في استنتاجه للبنية العميقة لحكاية الحمامة المطوّقة لم يعتمد –"بورايو"– في رأي "رشيد بن مالك" على النّتائج المحصّلة من دراسة البنيتين الخطابية والسّردية للنّص، فقد شيّد هذه البنية على مفهوم ثنائية الرّوح والجسد، وهي ثنائية فُرضت على النّص ولم تنبع من داخله[4]. وسوف نقدّم قراءة مفصّلة لهذه الدّراسة في مبحث "سيميائية الحكاية الخرافية" في الجزء الثاني من هذا البحث.

وخصّص النّاقد "رشيد بن مالك" الدّراسة الثانية لحكاية: "الأرنب والفيلة" من كتاب "كليلة ودمنة" والتي حلّلها "محمد الناصر العجيمي" في كتابه "في الخطاب السّردي، نظرية غريماس"* «ولعلّ ميزة هذه الدّراسة أنّها أوّل دراسة تعرض نظرية كريماس في سيميائية السّرد، وتنتخب نصّا سرديًّا عربيًّا قديمًا، ليكون مادّة لتطبيقاتها»[5] وقد سجّل "رشيد بن مالك" في أثناء قراءته لهذه الدّراسة الملاحظات التالية:

– وظّف النّاقد "محمد الناصر العجيمي" مجموعة من المصطلحات لا تتوافق مع الترجمات المستعملة في الخطاب النّقدي العربي، وهو رأي يمكن ردّه إلى كون هذه الدّراسة هي فاتحة الدّراسات العربية التي اشتغلت على المنهج الغريماسي تنظيرًا وتطبيقًا وهذا ما يؤكّده "العجيمي" في مستهل دراسته بقوله «وممّا يزيد مهمّتنا عناءً، أنّ هذه

---

[1]– رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص35.

[2]– ينظر، المصدر نفسه، ص36.

[3]– المصدر نفسه، ص36.

[4]– ينظر، المصدر نفسه، ص38.

*– محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية قريماس (Graimas)، الدار العربية للكتاب، تونس، دط، 1991، ص109 وما بعدها.

[5]– محمد فليح الجبوري، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السرد العربي القديم، منشورات كلمة للنشر والتوزيع، تونس، منشورات دار الأمان، الرباط، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف بيروت، ط1، 2016، ص87.

النّظرية لم تصادف من نفوس الدّارسين العرب هوى، فلم يتوفّر على دراستها وتقديمها إلاّ عدد محدود منهم، حتّى ليُداخلنا شعور بأنّنا نطرق أرضًا بكْرًا»[1] وليس من الملائم أبدًا، مطالبة ناقد بتوظيف المكرّس من المصطلحات وهو يرتاد أرضًا بكرًا ويسعى إلى استنبات هذه المصطلحات فيها.

– بذل النّاقد "محمد الناصر العجيمي" مجهودًا خياليًّا —على حدّ تعبير رشيد بن مالك– ليتواءم التّحليل مع النّظرية، أي أنّه أخضع النّص للنّظرية بالتّطبيق الميكانيكي لآلياتها على الرّغم من أنّ النّظرية «وُضعت أصلاً لفض الإشكالات التي يطرحها النّص السّردي على وجه الخصوص»[2].

– أسقط "العجيمي" محتوى الخرافة على علاقة الحاكم بالرّعية زمن "ابن المقفع"، وبهذه الصّفة عدَّ "ابن المقفع" هو كاتب النّص، وهو طرح يعارضه "رشيد بن مالك" الّذي يرى وجوب وضع هذه الخرافة في إطارها التّداولي كونها تندرج في صلب «الحوار الدّائر بين الملك "دبشليم" والفيلسوف "بيدبا" الّذي يسعى إلى أن يمارس فعله الإقناعي على الملك، وتعمل العملية الإقناعية على تجلية القيم الأساسية المسجّلة على المستوى العميق لحكايات "كليلة ودمنة" التي تجري مجرى الخطاب الحجاجي المسخّر لإقناع الحاكم بأهميّة الحوار والمشاورة في المسائل الإستراتيجية التي تخصّ شؤون الرّعية ومستقبل البلد»[3]

أمّا تحليل "محمد القاضي" لحكاية "الأسود وملك الضّفادع" من "كليلة ودمنة" فيرى فيه "رشيد بن مالك" افتقاره إلى منهجية واضحة إذْ «ينظر الباحث في البداية في ملفوظ الحالة، فيضبط من منطلقات سيميائية علاقات الفاعل الفصلية والوصليّة بالطعام، ثمّ يُزخرف ذلك بنموذج عاملي مضطرب، يفتقد إلى الأسهم وبالتالي إلى معنى ولكنّه سُرعان ما يُغادر البنية السّطحية والاتّجاه السيميائي دون تقديم أيّ تبرير منهجي، ليندرج بحثه في إطار آخر مغاير تمامًا، فيتحدّث عن الإحداثيات الزّمنية وأساليب القصّ وأنماط الرّؤية في النّص من منظور "جيرار جينيت"»[4]

أمّا في مستوى الدّلالة فلم يلتزم "محمد القاضي" بمبدأ المحايثة، بل يخرج عن النّص ليُثير قضايا تتعلّق بانتماء "ابن المقفع" ونواياه المبيّتة.[5]

---

[1]– محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية غريماس، ص13.

[2]– رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص39.

[3]– المصدر نفسه، ص40-41.

[4]– المصدر نفسه، ص40.

[5]– ينظر، المصدر نفسه، ص40.

وفي ختام ممارسات "رشيد بن مالك" لتجربة نقد النّقد، يتوقّف عند نص لـ"سعيد بنكراد" بعنوان "ممكنات النص ومحدودية النموذج" وفيه يستغرب "بنكراد" إدّعاء السيميائيات السّردية بإمكانية الإحاطة بالدّلالة الكليّة للنّص ضمن قراءة واحدة، وهو رأي يفنّده "رشيد بن مالك" حين يؤكّد «إنّ متتبّع سيميائية الجيل الأول والثاني، يدرك أنّها قامت بالفعل على نسف الفكر الواحدي، في الممارسات النقدية السيميائية، وتشييد جهاز نظري كفيل ببناء دلالة النص من الدّاخل وانطلاقا من مستويات محدّدة في أثناء التّحليل، ومن الواضح أنّ الممكنات الدّلالية للنّص مربوطة بزاوية النّظر التي يتبناها الباحث وبالافتراضات التي يُقدّمها في أثناء تصدّيه للنص»[1]، وهكذا يمكن تلخيص خطاب النقد الموجّه للنّظرية السيميائية الغريماسية في نسختها العربيّة عند "رشيد بن مالك" في النقاط التّالية:

– انصبّ نقده بالدّرجة الأولى على إشكالات المصطلح وقصور التّرجمات وميكانيكية التّطبيق في بعض البحوث الأكاديمية.

– رَصَدَ من خلال بعض العيّنات الاضطرابات المنهجيّة التي وَسَمَت بعض الدّراسات السيميائية العربية التي اتّخذت من خرافات كليلة ودمنة مدوّنة تحليلية ممّا جعل اشتغاله هذا من صميم نقد النّقد.

ولم يُقصر "رشيد بن مالك" انتقاده على المنجز العربي في ميدان السيميائيات السّردية، مصطلحا وترجمة ونقدًا، بل امتدّ نقدُه إلى هذه النّظرية في نسختها الأصلية (الفرنسية)، فقد كانت بعض مفاهيمها عرضة للنّقد والمساءلة، خاصّة ما تعلّق منها بالبنيات الزّمانية والفضائية «إذ اقتصرت معظم الأبحاث التي تناولت منهج "غريماس" السّيميائي في الدّراسة على المبادئ الأساسية لنظريته المعتمدة على ضرورة تحديد البنيتين السّطحية والعميقة لكلّ نصّ مُعطى، وأهملت جانبين للتّحليل على درجة من الأهمية هما البنيات الزّمانية والبنيات الفضائية أو المكانية –البنيات الزّمكانية–»[2]

وقد لقي "الفضاء" اهتمامًا من لدن "غريماس" وتلامذته وبالخصوص "جوزيف كورتيس" إذ اعتبروه «متكوّنا من أجزاء متكاملة، ابتداءً من كلّ ماهو مسموع ومصوّر، وهو الكبير المملوء اللامنتهي، ويمكن بناء موضوع الفضاء من وجهات نظر مختلفة كالجانب "الجيومتري" (البعدي)، أو الجانب النّفسي، أو الجانب

[1]– رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص42.

[2]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص109.

الاجتماعي الثقافي للطّبيعة، وفي ميدان السيميائيات تتحوّل الذّات إلى مستهلك للفضاء، ويرتكز تعريف الفضاء على مشاركة كل المعاني بمختلف أنواعها»[1].

ويبدو أنّ "غريماس" وتلامذته لم يحسنوا استغلال جهود البنيويين التي انصبّت على إشكالية الزّمن في النّص السّردي صنيع "رولان بارت" (R.BARTHES) أو "ت، تودوروف" (T.To Dorov أو "ج جينيت" (G.GENETTE)، هذا الأخير الذي تكتسي بحوثه التي تتمحور حول الزّمن في السّرد أهمية بالغة تكمن «في ضبط القنوات التي يمرُّ عبرها المعنى وتمثّل في الآن نفسه، أداة وصفية فعّالة في تحليل النّصوص ومُساءلتها وتحديد برامجها السّردية»[2].

ويرى "رشيد بن مالك" أنّ "غريماس" لم يستثمر بحوث هؤلاء البنيويين في بناء نظريته وتصوّراته، حيث اكتفى هو وغيره من السّيميائيين في بحوثهم «بالتّقطيع الزّمني الثّنائي الذي تنبني فيه الحكاية على الثنائية الزّمنية: (قبل عكس بعد)، مختزلين إيّاه في شكل يخفي كثيرًا من التّفاصيل الزّمنية التي تحكم الحكايات الصّغيرة في صلب الحكاية الأم المروية قبل وقوع الحدث الحاسم»[3].

إنّ فهم المتن الحكائي منوط بضبط البنى الزّمنية المتعدّدة التي تشكّل الحكاية وإنّ اختزالها في شكل ثنائي يؤدّي إلى إشكالات في تداخل المكوّنات الزّمانية على اختلافها، لذلك ينبّه "رشيد بن مالك" إلى ضرورة الأخذ بآراء "جيرار جينيت" من أجل ترميم الخلل الذي طال نظرية "غريماس" وإعادة تشكيل تلك البنيات بصورة أوسع وأشمل بما يوافق تعقّد النّصوص السّردية المعاصرة بعيدًا عن التّصنيف الثّابت الذي تقتصر عليه الحكايات الشّعبية الثابتة، وهو موقف يكشف الوعي المنهجي لدى "رشيد بن مالك" وعدم انصياعه لمقولات "غريماس" دون تفكير ورويّة، تكريسًا لمبدأ التّحري الجماعي الذي طالما ألحّ عليه "غريماس" في بحوثه، فالنّظرية السيميائية السّردية مشروع غير مكتمل قابل للتّجدّد والمراجعة والتّعديل.

2- نقد سيميائيات "غريماس" في كتاب "عبد الملك مرتاض" "في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السّرد":

يُعدُّ النّاقد "عبد الملك مرتاض" واحدًا من النّقاد العرب الرّواد السّباقين لخوض تجربة التّحليل السيميائي وتطبيقها على النّصوص الشعرية والسّردية على السّواء، وكان كتابه "أ-ي، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين

[1]- سعدية بن ستيتي، الإطار المفاهيمي للفضاء الروائي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2017، ص72.

[2]- قادة عقاق، مأزق السيميائية، قراءة نقدية في جهازها المفهومي والإجرائي، ص64.

[3]- قادة عقاق، مأزق السيميائية، ص64، نقلا عن: رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق، رواية "نوار اللوز" نموذجا، رسالة دكتوراه دولة، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 1994-1995، ص85.

ليلاي، لـ"محمد العيد آل خليفة"" والصّادر عام 1992 فاتحة تطبيقاته السيميائية، ثمّ توالت بعده البحوث والدّراسات التي تمتح من المنهج نفسه مثل: "ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد" الصّادرة عام 1993، ثمّ تحليل الخطاب السّردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية "زقاق المدق" الصّادرة عام 1995، تلتها "مقامات السّيوطي" الصّادرة سنة 1996، وهو في كلّ هذه المؤلّفات قلّما يلتزم بحدود منهج بعينه، بل ألفيناه يزاوج بين منهجين في الغالب هما السيميائي والتفكيكي، ممّا جعل أعماله مُعتاصة على التّصفيف ضمن اتجاه سردي معيّن. ومن المفارقات أنّ "مرتاضًا" هو أكثر النّقاد الجزائريين انتقادًا لنظرية "غريماس" في التّحليل السيميائي السّردي وأقلّهم توظيفًا لإجراءاتها التّحليلية في كتبه ودراساته، إذْ ما فتيء يكشف هناتها وقصورها رغم الانتشار الواسع لمدرسة باريس السيميائية في الأوساط العلميّة والأكاديمية العربيّة عامّة والجزائرية خاصّة «إذا ما قورنت بالمدارس السيميائية الأخرى، الأمريكية والأوروبية على حدٍّ سواء، بل يمكن الزّعم أنّها المدرسة الأكثر تقبّلا خاصّة في منطقة المغرب العربي، لأسباب منطقية، ترتبط أساسًا بالموقع الجغرافي القريب من فرنسا، وباللّغة التي كُتبت بها مصادرها الأساسية وأهمّها طبعًا كتابات "غريماس" وهي اللّغة الثانية في هذه الدّول التي كانت سابقًا مستعمرات فرنسية، هذا بالإضافة إلى أثر البعثات العلمية في هذه البلدان، التي كان لوجهة فرنسا فيها نصيب الأسد، فعلى أيدي هؤلاء المبعوثين، وفَدَت إلينا النّظرية وتعرّفنا قسماتها بداية»[1].

ورغم هذا الإقبال اللاّفت على سيميائيات "مدرسة باريس" وما أنتجه من ترجمات وبحوث وتطبيقات فلم يشفع ذلك لهذه المدرسة عند "مرتاض" فراح يتتبّع نقائصها ويكشف تهافتها ويستصغر مُنجزها، رغم قلّة اكتراثه بإجراءاتها التّحليلية في بحوثه السيميائية —مع غضّ الطّرف عن مقدار السيميائية فيها–، فهو يرى أنّ "غريماس" عرض مفاهيم نظريته بلغة مُستغلقة غامضة، وربّما يقصد صعوبة فهم وتمثّل مصطلحات هذه المدرسة «حيث إنّ كلّ مفهوم يُحيل على مفهوم آخر في غرفة مظلمة لا نعتقد أن يهتدي السّبيل إلى بابها إلاّ قلّة من النّاس، ربّما يكون من بينهم "غريماس" ولكن ما يُدرينا، فربّما لا يكون هو أيضا منهم»[2].

ويرى "مرتاض" أنّ "غريماس" حشَدَ مصطلحات كثيرة من حقول معرفيّة متباينة ومنحها دلالات جديدة لتصير مفاتيح السيميائية ولكنّ التوفيق جانبه، والحقيقة أنّ المصطلحات التي اعتمدها "غريماس" وتلامذته ماتزال تثير اللّبس والاختلاف بين الدّارسين والمتخصّصين، ويُعدّ "رشيد بن مالك" في قراءته للمعجم المعقلن لنظرية اللّغة لـ: "غريماس" و"كورتيس" بأنّ «المتعامل مع هذا المعجم يلقى صعوبة كبيرة في إدراك حمولته المعرفية الثّقيلة، فهو لا

[1]– دليلة زغودي، جاذبية العمل وتمنّع الهوى، التّقبل العربي لسيميائية مدرسة باريس، مجلة "العلامة" تصدر عن مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، بكلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، عدد 04، جوان 2017، ص297.

[2]– عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السّرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 1998، ص211.

يقتصر على اللسانيات وأهم نظرياتها، بل يتجاوز ذلك ليقتحم حقولاً معرفية متنوّعة من فلسفة ومنطق ورياضيات وكيمياء، وهذا فضلا عن التيارات النّقدية القديم منها والحديث الشّكلانية البنيوية، السّرديات بمختلف توجّهاتها ....»[1]

ورغم هذه الصّعوبة استطاع بعض الدّارسين توظيف هذه المصطلحات بكفاءة في تحليل نصوص متنوّعة تتراوح بين القصّة القصيرة والرّواية والحكاية الخُرافية، فصعوبة بعض المصطلحات وغموض دلالاتها لا يعني صرف النّظر عن النّظرية جملةً وتفصيلاً.

وينتقد "عبد الملك مرتاض" "غريماس" في سعيه لتقنين الكتابة السّردية أو اقتراح قانون ثابت للمحكي ويرى أنّ هذا السّعي ترسُّمًا لخطى "فلاديمير بروب" "vladimir propp" في تنظيره للحكاية الخرافيّة، وهو سعي محكومٌ بالفشل في رأي مرتاض، لسبب رئيس يتمثّل في البون الشّاسع بين بنية الحكاية الخرافية العالمية الموروثة المرويّة شفاهيا الثّابتة الشّكل التي تدور في أحياز معيّنة، وبين الرواية المتجدّدة الشّكل المستعصيّة على الحصر والتّصنيف المختلفة رغم تشابهها، المتغيّرة بنيتها حسب قدرة الرّوائي على الإبداع والتّجاوز.[2]

وينتهي "مرتاض" إلى تفضيل أعمال "جيرار جينيت" في ميدان السّرديات مقارنة بأعمال "غريماس" و"طودوروف"، بل يؤكّد «إنّ غريماس عالم لسانياتي، فهو منظّر لغوي، ولا نحسب أنْ أحدًا يختلف حول هذا لكن الذي لاحظناه نحن —ولا علينا أن لا يلاحظ آخرون ذلك– أنّ "غريماس" حين يتحدّث عن الأدب، تتعثّر به القدَمُ ويضطرب له الطّريق»[3]

ويعترف "غريماس" بأنّ مدرسة باريس السيميائية هي مشروع تحرٍّ جماعي منفتح على النّقد والإضافة «وأنّ ما قدّمه هو مجرّد محاولة موضوعية، تُعدُّ امتدادًا لمثال "بروب"، قَصَد من ورائها تطوير مجال البحث السّردي بإثرائه وتوسيعه»[4]

لقد انفتحت النّظرية السيميائية الغريماسية على خطابات غير لغويّة وأثبتت فعاليّتها التّحليلية وعليه فهناك «بعض المبالغة فيما ذهب إليه الباحث، وبخاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تلك الفتوحات المنهجية التي حقّقتها هذه

[1]– رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص179.
[2]– ينظر، عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص215.
[3]– المرجع نفسه، ص212-213.
[4]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص124.

النّظرية في دراسة النّص الأدبي عمومًا، والنّص السّردي خصوصًا والتي لازالت روحها التّحليلية بغضّ النّظر عن تفاصيلها وجزئياتها، تفرض راهنيتها على الباحثين والمختصّين»[1]

ومن المفيد التّذكير بأنّ "عبد الملك مرتاض" أقلّ النّقاد الجزائريين اشتغالا على سيميائيات مدرسة "باريس" وأكثرهم نقدًا لها، وهو في بحثه الرّائد "ألف ليلة وليلة، دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمّال بغداد"* يصرّح في عنوانه بالمنهجين السيميائي والتّفكيكي، ويتطرّق في متنه إلى الحدث والشخصية وتقنيات السّرد والحيّز والزّمن في هذه الحكاية «وكعادته عرض تعريفات المصطلحات، ثمّ شطر الموضوعات إلى أقسام ويستشهد على هذه الأقسام بشواهد من الحكاية المدروسة من دون أن نجد لهُ وقفة عند آليات المنهج السيميائي سواء مستوى التّطبيق أو التّنظير، ما خلا حالة واحدة يتحدّث فيها عن تقنية الرّؤية المصاحبة أو الرّؤية مع، كما هو معروف في العرف النّقدي»[2]، وقد ذكر "عبد الملك مرتاض" هذه الحالة في المستوى الثالث من التحليل الذي عقده لـ(تقنيات السرد في ألف ليلة وليلة) في سياق حديثه عن أقسام الرّؤية الثلاث، الرّؤية من الخلف والرؤية المصاحبة أو الرؤية "مع" والرّؤية من الخارج، ولكنّه لم يسقط هذه الرّؤى على النّص المحلّل بل تحدّث عنها حديثا نظريًّا عامًّا، يقول مثلاً عن الرّؤية المصاحبة «أمّا إذا لاحظنا أنّه يكون متساويًّا مع الشّخصية في المعرفة، فإنّ تلك الحالة أو تلك التّقنية مادمنا نتحدّث عن ذلك (يطلق عليها الرّؤية المتصاحبة) وهذا الشّكل السّردي هو الذي يسود الأعمال الرّوائية الحدثية (بمفهوم الحداثية لا بمفهوم المصطلح التاريخي)، حيث لا يلاحظ أيًّا من الشّخصيات أعلم من الأخرى، فالرّؤية مستوية بين المؤلف والشّخصية ...»[3]، ولاشكّ أنّ النّاقد "عبد الملك مرتاض" يتحدّث عن موقع السّارد بالنّسبة إلى الشّخصيات، إلاّ أنّه عندما يتناول الشّخصية «لا يأخذ بما قاله السيميائيون فيها، ولا يوظّف آلياتها سواء أكانت البنية العامليّة أم مقترحات "هامون" التي وقَفَت عندها شارحة وموظّفة لها دليلة مرسلي وزميلاتها قبل تأليف مرتاض كتابه هذا»[4]

بل إنّ العنوان الذي وُسِم به الكتاب وصرّح فيه بالمنهج لا ينطبق على محتوى الدّراسة، فالتّحليل السيميائي «هو آليات إجرائية، فإذا لم نجدْ لها تطبيقًا على النّص فإنّ نسبة الدّراسة إلى المنهج ستكون غير صحيحة، وثمّة أمر آخر لابُدَّ من ذكره، وهي أنّ نصًّا هذه خصائصه، به حاجة إلى وعي كبير بالمنهج وآلياته الإجرائية، ليتسنّى

[1]- قادة عقاق، مأزق السيميائية، ص70.

*- صدر الكتاب بهذا العنوان "ألف ليلة وليلة، دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد" عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد في طبعته الأولى عام 1989، وصدر بعنوان "ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد" عن ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر في أفريل 1993.

[2]- محمد فليح الجبوري، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السّرد العربي القديم، ص83.

[3]- عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية "حمال بغداد"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993، ص86.

[4]- محمد فليح الجبوري، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السّرد العربي القديم، ص83.

كشف دلالات النّص العميقة التي لا تتأتّى من أوّل وهلة، فلابدّ من توافر علامات دلالية من شأنها أن تكون أساسًا ينطلق منها التّحليل السيميائي الحق، بغية كشف الدّلالات العميقة والسّطحية، التي لا نجد لها ذكرًا في هذا الكتاب إلاّ في فاتحته، أمّا التّفكيكية فإنّنا نظنّ أنّ مرتاضًا أخذ دلالتها المعجمية البسيطة، التي يُفهم منها تفتيت الحكاية المدروسة، وليس مفهوم التّفكيك بوصفها إستراتيجية قرائية بمفهوم جاك دريدا»[1]

وإنّ طرائق تحليل السّرد تختلف من ناقد إلى آخر باختلاف المناهج والآليات، وأنّ قيمة المنهج تتبدّى من خلال فعاليته الإجرائية التي تتوضّح أثناء المقاربة التّطبيقية، والملاحظ أنّ "عبد الملك مرتاض" يلجأ في أغلب دراساته السّردية إلى التّركيب المنهجي، دون أن يفي بالتّوقعات التي تثيرها عناوين كتبه في ذهن القارئ حول مضمون الكتاب، فلا سيميائية في تحليله لحكاية حمّال بغداد ولا تفكيكية، ولا شرح لهذين المنهجين في مقدّمة الكتاب وربّما يكون سبب ذلك: «عدم توفّر القصديّة في دراسة هذا الأثر الإبداعي وفقا لهذين المنهجين، وبذا يكون العنوان الفرعي مُلحقًا بالعنوان الرّئيس لغاية إشهارية تجمع بين المعنويّة والماديّة»[2]

نستنتج من خلال ما سبق، قلّة اكتراث "عبد المالك مرتاض" بمستويات التّحليل التي تقترحها السيميائية السّردية في بحوثه، وقلّة انضباطه المنهجي، رغم الانتقادات الكثيرة التي وجّهها إلى "غريماس" ونظريته، دون أن يختبر آلياتها في منجزه السّردي التّطبيقي.

3- تجربة النّاقد "عبد القادر شرشار" في النّقد السّيميائي الأكاديمي:

ومن النّقاد الجزائريين الذين اهتمّوا بخطاب النّقد والتّقويم "عبد القادر شرشار" من خلال قراءته لجملة من البحوث الأكاديمية التي نوقشت في بعض الجامعات الجزائرية والتي تمحورت حول سيميائيات مدرسة باريس وكان هدفه من خلال تقويم هذه الأطاريح البحثية الأكاديمية «تثمين هذه الأعمال والتّعريف بها باعتبارها نماذج في مقاربة مشروع "السيميائيات السردية" من زوايا متعدّدة، مقاربات ارتقى بعضها إلى مستوى الأعمال العلمية النّاضجة وعرف البعض الآخر مستوى متواضعًا في الرؤية والطّرح والإجراء، نظرًا لعوامل كثيرة لا يمكن التّعرض لها في هذا البحث»[3]، وواضح أنّ عمل النّاقد يتنزّل ضمن خطاب نقد النّقد، مادام يتّخذ من الخطاب النّقدي الأكاديمي موضوعًا، مُسائلاً مناهجه ونظرياته ومستنطقًا أسسه ومرجعياته.

---

[1]- محمد فليح الجبوري، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السّرد العربي القديم، ص86.

[2]- المرجع نفسه، ص78.

[3]- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات، ص96-97.

وقبل أن يشرع النّاقد في إبداء ملاحظاته حول هذه البحوث الأكاديمية قدّم جملة ملاحظات حولها تتمحور حول انبهار بعضها بالسيميائيات الغربية بتبنّي مسلّماتها ونظرياتها دون تمحيص وتدقيق وكذا عدم الإلمام بالمدوّنة النّقدية الغربيّة بجميع اتّجاهاتها، وسقوط بعضها في فخ الانطباعية والتّسرع في إصدار الأحكام.[1]

ويحذّر النّاقد من مغبّة تبنّي الباحث لموقف مسبق من القضايا المطروحة في بحثه لما في ذلك من إساءة إلى مبدأ الموضوعية في البحث العلمي «لأنّ تبنّي موقف مسبق لجانب من جوانب القضايا المطروحة للبحث والدّراسة يدفع الباحث أحيانًا إلى حجب بعض الجوانب الإيجابية في سياق عرض حيثيات عمله ليستقيم منطق طرحه وحينئذ تضيع الموضوعية، وتضيع معها صدقيّة البحث العلمي وحيادته في مناقشة القضايا ذات الطابع الإشكالي»[2]

ويشير النّاقد "عبد القادر شرشار" إلى مرونة المنهج السّيميائي وقدرته على التّكيّف مع كلّ جديد دون أن يدّعي القدرة على الوصول إلى نتائج قطعيّة، وهذا مخالف لما ورد في بعض البحوث الأكاديمية التي تصف هذا الخطاب «بالانغلاق الكلي، ورفض التّعامل مع معطياته وحيثياته التّطبيقية»[3]، وينبّه النّاقد إلى أنّ المتتبّع لمسار السيميائيات السّردية سيلحظ حركيّة لافتة مسّت مقولاتها ومعاييرها الإجرائية «الأمر الذي أدّى إلى بروز توجّهات قرائية مختلفة، بل ونتائج مغايرة أحيانًا، داخل إطار التّوجّه العام للسيميائيات السّردية، وما يُستخلص من هذا التّنوع والاختلاف داخل الإطار الواحد شاهد ودليل على انفتاح الخطاب النّقدي السيميائي وتعدّد الرّؤى الذي أدّى إلى ديناميّة البحث وتطويره في هذا المجال المعرفي»[4]

وقبل أن يباشر النّاقد تحليل هذه البحوث الأكاديمية طرح جملة أسئلة تتمحور حول مدى قدرة الخطاب النّقدي العربي المعاصر على استيعاب الحراك السيميائي والتّحولات العميقة التي مسّته، وكذا طبيعة المدوّنة التي يمكن اعتمادها في هذه البحوث ومدى وفائها للسّيرورة النّظرية والتّطبيقية التي وسمت هذا المشروع «وهل بإمكانها أن تشمل عناصر التّمثّل الإيجابي والسّلبي لطبيعة التّحوّلات؟ ولماذا يتشبّث بعض الدّارسين العرب بحيثيات النّزعة السّردية، وتقنين المعطيات الدّلالية العامّة للنّصوص، على الرّغم من وجود حالات الانغلاق والمآزق التي أصبحت تطرحها مثل هذه المقاربات»[5]

[1] – ينظر، عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات، ص99.
[2] – المصدر نفسه، ص99.
[3] – المصدر نفسه، ص100.
[4] – المصدر نفسه، ص101.
[5] – المصدر نفسه، ص102-103.

وهي أسئلة مشروعة تتردّد في مقدّمات جلّ البحوث والأطاريح الأكاديمية التي تشتغل على الخطاب النّقدي العربي المعاصر وتسائله عن مدى تمثّل الأصول النّظرية الغربية التي رفدت مناهجه، ومدى فعاليّة هذه المناهج في مقاربة النّص العربي مصطلحًا وإجراءً، وهل نُطبّق هذه المناهج بحرفيتها رغم حركيتها الدّائمة وسيرورتها النّظرية والإجرائية، أم تكتفي بثوابتها وأسسها ونطوّعها لما يناسب النّص العربي موضوع التّحليل؟

حاول النّاقد "عبد القادر شرشار" الإجابة عن هذه التّساؤلات انطلاقا من النّماذج الأكاديمية التي حلّلها، بِدْءًا بالنّموذج الأول الموسوم بـ"السيميائيات السّردية وتجلّياتها في النقد المغاربي المعاصر، نظرية "غريماس" نموذجا، وهي أطروحة دكتوراه ناقشها الباحث "قادة عقاق" بجامعة "سيدي بلعباس" في السنة الجامعية 2005/2004، تحت إشراف "رشيد بن مالك"، وقد اعتمد "عبد القادر شرشار" في تحليل هذا العمل على النّسخة المخطوطة من الدّكتوراه، ومن المفيد الإشارة إلى أنّ "قادة عقاق" نشر أطروحته في شكل كتاب وسمه بـ"الخطاب السيميائي في النّقد المغاربي" ونشرهُ بدار الألمعية، قسنطينة، في طبعته الأولى عام 2014.

واستهلّ "شرشار" تحليله لهذا النموذج الأكاديمي، بتثمين خصلة الوفاء، إذْ نوّه بجهد "المشرف" "رشيد بن مالك" لكونه المحفّز والمرشد ومن ثمّ فهو يستحق التّهنئة رفقة الطالب الذي أشرف عليه. ثمّ شرع بعد ذلك في تقديم ملاحظات عامّة حول البحث، تمحورت حول انطلاق الباحث من الأصول العلميّة للنّظرية السيميائية بتقصّي روافدها اللّسانية والبنيويّة والأنثروبولوجية، وهي انطلاقة منطقية فمن البديهي أن يكون أصل الشيء أهم من وجود الشيء، ولكنّه رأى خللاً في بنية البحث، سببُه تخصيص جزء كبير من الأطروحة لعرض النّظرية وتوضيح مقولاتها، فيما خصّص «فصل واحد للتّجليات من أصل ستّة فصول في الرّسالة»[1].

ويرى "شرشار" أنّ الباحث اكتفى بعرض المقولات السيميائية لنظريّة "غريماس" ولم يتجاوز ذلك إلى نقد النموذج الغريماسي وإبراز قيمته العلميّة وما انماز به عن البحوث السّابقة له وما طرحه من تساؤلات واستشرفه من إشكالات.

ومن إيجابيات هذا البحث التي رصدها النّاقد "عبد القادر شرشار" تنوّع وثائقه العلميّة المتخصّصة مع توظيف المقالات الحيّة المنشورة في المجلاّت، وكذا التّدرج المنهجي في عرض النّظرية من المستوى السّطحي إلى المستوى العميق «إلاّ أنّ النّظرية الغريماسية تقوم على قلب هذه الوضعية، إذ تنطلق من العمليات الأوليّة التي تصنع الدّلالة لتسمح لها فيما بعد أن تتمظهر على المستوى السّطحي في البنية الخطابية»[2].

[1] – عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات، ص104.

[2] – المصدر نفسه، ص106.

وقد آثر الباحث البدء بالسّهل ليتدرّج نحو الصّعب، على اعتبار أنّ البنية العميقة موسومة بالتّعقيد في نظرية "غريماس".

ومن الملاحظات القيّمة التي ساقها "شرشار" تلك المتعلّقة باعتماد الباحث "قادة عقاق" وهو يضيء مستويات التّحليل في السيميائيات السّردية الغريماسية، على آراء باحثين، وكان من الأرجح الاعتماد على كتب "غريماس"، فخير مفسّر لنظرية غريماس هو غريماس نفسه، وفي الأخير يسوق "شرشار" ملاحظة ختامية تثمّن هذا البحث الذي تجاوز الإشكالية الاصطلاحية، وانتقل إلى مرحلة أرقى، هي مرحلة تقديم المشروع السيميائي ومحاورته بلغة جديدة في ثقافة مُغايرة. وقد لاحظ أنّ الباحث اقتصر في مدوّنة بحثه على ما أنجزه باحثون مغاربة مكرّسون ولم يتطرّق إلى أعمال باحثين آخرين على علاقة وطيدة بموضوع البحث ومدوّنته التي اشترطها الباحث، ومهما يكن من أمر فللبحث فائدة بيداغوجية قيّمة «إذ سيمكّن الطلبة الباحثين من العثور على مادّة ثريّة في الموضوع ستُثري لا محالة، المكتبة الجامعية، بالإضافة إلى ماهو موجود أصلاً»[1].

أمّا النّموذج الثاني الذي حاوره "عبد القادر شرشار" وحلّله، فكان بعنوان: "رواية الحمار الذّهبي أو "التحولات"، قراءات سيميائية" وهو أطروحة دكتوراه، أنجزها الطالب "حبيب بن مالك"، وأشرف عليها الدكتور "محمد سعيدي"، ونوقشت بجامعة "تلمسان"، في السنة الجامعية 2011/2010. نوّه "شرشار" بداية بكتاب "الحمار الذّهبي" عادًّا إيّاه من السّرديات الكبرى التي لم تفقد سحرها العجائبي ومتعتها الفنية، وبقيت مُعْتاصة على المناهج والإيديولوجيات، ثمّ توجّه بالشّكر والعرفان إلى الطالب الباحث نظير ما أظهرهُ في هذا البحث من تحكم منهجي وصرامة علميّة ولُغة أكاديمية موثّقة.

ويبدو أنّ الطالب اشتغل في مرحلة "الماجستير" أيضا على كتاب "التّحوّلات" لذا عاتبه "شرشار" على عدم إثبات بحث الماجستير ضمن مكتبة البحث العامّة، باعتباره مرحلة من مراحل قراءة نص التّحوّلات.

والبحث مُنْجز بشيء "من التوتّر الدّاخلي" على حدّ تعبير "شرشار" وربّما قصدَ بالتوتّر الدّاخلي حماس الباحث وتفاعله مع بحثه، عكس بحوث أخرى فاقدة لحرارة الفكر متعلّلة بالموضوعية.

ويتجلّى جديد هذا البحث حسب النّاقد، في هذا الانسجام بين جزئيه النّظري والتّطبيقي وهو ما «سهَّل عملية القراءة، وكشف عن تحكّم الباحث في فهم النّصوص المؤسّسة للتوجّه السّيميائي السّردي وآلياته، الأمر

[1]- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات، ص108.

الذي انعكس بشكل إيجابي جدًّا على مسألة تطوّر عناصر البحث وانسجامها، وتسهّل بالتّالي انسيابها والتّمكن من استيعابها وتتبّعها»[1].

وقد اتّسم الجزء النّظري في رأي "شرشار" بالتّماسك والتّدرج وإلمام الباحث بالنّصوص الأصليّة للنّظرية السيميائية في لغتها، ووصلها بروافدها اللّسانية والمنطقية والسوسيولوجية والأنثربولوجيّة لفهم حركة التّطور السيميائي، وكلّ ذلك سهّل على الباحث «استثمار الجهاز المفاهيمي للنظرية السيميائية السّردية عند "غريماس" في قراءة نص روائي متفرّد، من حيث آليات بناء حكيِه واستراتيجية السّرد فيه لإجلاء وإبراز ما فيه من الدّلالات الفنيّة، من خلال علاقاتها التّداوليّة حينًا وفي طريقة نظمها وجماليات سحرها الذي لم تمحه السّنون أحيانًا أخرى»[2].

وتتجلّى كفاءة الباحث –حسب النّاقد– في تقيّده بالنّص في تحرّيه عن الشّكل السيميوطيقي للمحتوى كما يفرضه المنهج السيميائي القائم على المحايثة، وكذا استثماره لمستويات التّحليل التي أعانته على كشف البرامج السّردية ومنطق بناء النّص.

ويحاول "عبد القادر شرشار" أن يهوّن من شأن الأخطاء النّحوية والصّرفية التي احتوتها هذه الأطروحة بل يرى أنّ التحرّر من هذه القواعد «بقدر ماهو توجّه ليبرالي في الكتابة المعاصرة (إن جاز لنا هذا الوصف)، هو إجراء محموم ومحفوف بمخاطر كبيرة، قد تؤدّي أحيانًا إلى تأويل خاطئ من قبل القُرّاء وهو أمر حاصل ومتوقّع»[3].

ولا ينبغي الاستهانة بالأخطاء اللّغوية والتّعبيرية على اختلاف أنواعها في هذا المستوى من البحث، ولا يوجد أي توجّه ليبرالي في الكتابة يسمح بالقفز على قواعد اللّغة بنحوها وصرفها وإملائها، وأي تساهل من أي باحث في هذا المجال يسِم بحثه بالنّقص ويُربك القارئ وفعل القراءة على حدٍّ سواء بل يمسّ عن قرب مصداقية البحث وأكاديميته. وربّما يكون التّسرع والاندفاع وراء هذه الهنات، ولكنّ ذلك لا يعفي الباحث من المسؤولية ولا بحثه من مظنّة الاستهانة والقصور.

ومهما يكن من أمر، فالبحث صنّف من قبل "شرشار" ضمن البحوث الجادّة في ميدان السيميائيات السّردية ذات التّوجه الغريماسي بل «يشكّل استمرارًا للأعمال البحثية المؤسسة لهذا التّوجه في النّقد الأدبي المعاصر في الجزائر، والذي يمثّله كلّ من الدّكتور "رشيد بن مالك" جامعة أبو بكر بلقايد "تلمسان" والدكتور "عبد الحميد بورايو" (جامعة الجزائر) والدكتور "أحمد يوسف" (جامعة وهران)، وغيرهم ممّن تركوا بصمات دالّة سواء بإسهاماتهم

[1]– عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات، ص109–110.

[2]– المصدر نفسه، ص110.

[3]– المصدر نفسه، ص111.

العلميّة المنشورة في هذا التّخصص الدّقيق، أو من خلال تأطيرهم وتوجيههم للبحوث الأكاديمية التي نحن بصدد عرض بعضها»[1].

أمّا النموذج الثالث والأخير الذي عرضه "عبد القادر شرشار" في هذا الكتاب فهو "سيميائيات جوزيف كورتيس، أُسُسُها النظرية وآفاقها التّطبيقية" وهو في الأصل رسالة "ماجستير" أنجزها الطالب "دايري مسكين" تحت إشراف الدكتور "أحمد يوسف" بجامعة "وهران" في الموسم الجامعي 2008/2007.

قدّم "شرشار" لتحليل هذا النّموذج بوقفة مع كتاب: "جوزيف كورتيس" "مدخل إلى السيميائيات السّردية والخطابية"، وهو كتاب حلّلنا محتواه في خطاب الترجمة والتّعريب في المبحث الثالث من هذا الفصل، وقد أسهب "شرشار" في الحديث عن هذا الكتاب، بحيث صار الحيّز المخصّص لعرضه أكبر من الحيّز المخصص لقراءة نموذج "دايري مسكين"، ولعلّ ذلك لما يتميّز به هذا الكتاب من «الطّابع الاستقرائي، والابتعاد عن المقاربات التقليدية البلاغيّة، النّفسية، والاجتماعية، والتّركيز أكثر على المنتج الفني والإبداعي الجمعي، كالنّصوص الشّعبية التي يتشابك فيها التّعبير مع المحتوى .. وتأسيسًا على هذه المعطيات، يكون "كورتيس" على غرار أستاذه "غريماس" قد اختار المحتوى حقلاً للتّحليل، وأهمل مستوى الشّكل اللّساني، من أجل العمل داخل حقل المدلول»[2].

وقد لاحظ "شرشار" أن بحث "دايري مسكين" استوحى خطته من كتاب "جوزيف كورتيس" السّالف الذّكر، بحيث تكاد الخطّة تتطابق مع هيكل الكتاب، إلاّ أنّ ما يشفع للباحث، عدم اعتماده على المادّة المعالجة في الكتاب، ويرى "شرشار" أنّ تخصيص مدخل البحث للتّعريف بالسيميائيات السّردية وأصولها ومنطلقاتها المعرفيّة لم يكن مُنسجما مع موضوع الرّسالة وخطّتها: «لأنّ واجهة البحث في الأساس، تشير إلى حصر زاوية الاشتغال في سيميائيات "كورتيس"، المنهجية والتطبيقية، أمّا الخلفية التي هي المنطلقات والمؤشرات وغيرها، فعلى الرّغم من أهميتها، تبقى مادّة مُقحمة على مضمون الرّسالة»[3].

وينتقد "شرشار" الباحث، حين يتحدّث عن الدّراسات السيميائية العربية ويزعم أنّها تُقدّم مفصولة عن أسسها المعرفية، وهو أمر يراه "شرشار" «إجحاف في حق الكثير من الباحثين الذين أفنوا شبابهم وجزء من شيخوختهم في البحث في السيميائيات السردية»[4].

---

[1]- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات، ص112.

[2]- المصدر نفسه، ص113.

[3]- المصدر نفسه، ص115.

[4]- المصدر نفسه، ص115.

ويختم "شرشار" هذه الوقفة بالإشارة إلى محتويات فصول الرّسالة، وما توصّل إليه الباحث من حقائق منهجيّة انتهى إليها البحث السيميائي في أوروبا.

ومن خلال معاينتنا لهذه الرّسالة لفت انتباهنا أمرٌ هام لم يُلق له الناقد بالاً وهو تلك الإضافة النّوعية التي قدّمها "كورتيس" لسيميائيات "غريماس" فالسيميائيات عند "جوزيف كورتيس" -كما أشار صاحب الرّسالة- «تميّزت بالتّطبيقات النّوعية على مختلف النّصوص والخطابات، ولم تنحصر على النّص اللّساني (اللّفظي) فقط، فإذا ثبت أنّ الوصول إلى المضمون لن يتأتّى إلاّ من خلال العبارة، بات من الضّروري التنبيه إلى أنّ مستوى الدّال ليس رهين المواد اللّغوية اللّسانية، وإنّما قد يتمظهر في أشكال مختلفة عبر الصوت والصّورة وكلّ ما تلتقطه الحواس»[1]، ولا شكّ أنّ هذه الإضافة تَسِمُ سيميائيات "كورتيس" بسمة الجِدَّة والانفتاح، وتثْبت إمكانية اتّساع سيميائيات "مدرسة باريس" واشتغالها على أصناف أخرى من أشكال التّواصل.

4- نقد وتقييم "نادية بوشفرة" لأعمال "غريماس":

وخصّصت النّاقدة "نادية بوشفرة" حيّزا من كتابها "مباحث في السيميائية السّردية" لنقد وتقييم أعمال "غريماس" برصد الانتقادات التي وُجّهت إلى نظريته، وقد أوجزت ذلك بالوقوف عند آراء بعض علماء السّرديات بدءًا بـ"كلود بريمون" الذي شَكّك في فعاليّة "المربع السيميائي" الذي سمّاه "النّموذج التأليفي"، فهو يتساءل «إ ذا ما كان النّموذج التأليفي [يقصد المربع السيميائي] بألفاظه الأربعة في علاقات التّضاد والتّناقض والاستتباع التي توحّد ما بين هذه الألفاظ، قادرًا أن يمنحنا معرفة بما يحدث داخل المحكي»[2]، ولقد حاول "غريماس" منطقة السّيميائية، باستعارة المربع السيميائي من أهل المنطق الذين يستخدمونه لأغراض مختلفة، على الرّغم من أنّ السيميائية —حسبه- علم مستقلّ وقائم بذاته. وتواصلت حملات التّشكيك في فعالية وسلامة "مربع غريماس" من أحد المختصّين بالمنطق وهو "بتيتو" "petitot" الذي كشف سعي "غريماس" إلى تبسيط المكوّن الدّلالي «مع أنّه قد يحتمل التّركيب والتّعقيد بين المتناقضات، مُقترحًا تعديله ببديل لشكل ذي ثمانية أضلاع»[3]

ويرى "كلود بريمون" أنّ "غريماس" يولي أهميّة قصوى للمفاهيم اللازمانية على حساب الأحداث المرويّة بينما تحتل هذه الأخيرة الأهمية نفسها التي تحوزها الأحداث، بل إنّ شعريّة الرواية لا يمكن إخضاعها للعبة

---

[1]- دايري مسكين، سيميائيات جوزيف كورتيس، أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية، مذكرة ماجستير، إشراف: "أحمد يوسف"، جامعة وهران السانيا، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2008/2007، ص117.

[2] -C.Brémond, Lovique du récit, collection poétique, sevil, paris 1973, p92.

نقلا عن: مباحث في السيميائية السّردية، نادية بوشفرة، ص119.

[3]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص121.

الإكراهات السيميائية وحصرها بين أضلاع المربع السيميائي، فهي تتولّد من خلال ممارسة التجربة الإنشائية التي لا يمكن إقصاؤها أو تهميشها[1].

ويتمحور نقد "جوناثان كلر" "Jonathan culler" لغريماس، حول قضيّة "النّظيرة" «التي يستعملها هذا الأخير ليشير إلى مستوى من الدّلالة الذي ينهض عن طريق ما يتكرّر في النّص من وحدات معنوية، تحيل في النّهاية إلى مرجعيّة واحدة هي هذه النظيرة»[2].

والظّاهر أنّ "غريماس" لم يحدّد طرق الاهتداء إلى استخراج هذه النّظيرة، بل ترك ذلك لحدس القارئ فهو يقرّ «بأنّ لكلّ نص معنى عامًا يقوم عليه وعلى المرء إدراكه من خلال جملة العبارات المصوغة لذلك المعنى والتي تتضمّن تكرارًا لسيمات سياقيّة، يُرشد الباحث الكفء إلى استنباط وإبراز النّظيرة بفضل رجاحة عقله وقوّة حنكته وسعة أفق معرفته، يقوم بالقراءة وحل الألغاز في اللّغة التي تُسلّم قيادها له، يُنظّمها ويرتّبها تبعًا لفكره ولثقافته»[3].

وتتوقّف "نادية بوشفرة" أخيرًا عند نقد "عبد الملك مرتاض" لنظرية "غريماس"، وقد رصدنا هذا النّقد في موضع سابق من هذا المبحث، وتنهي هذه الوقفة القصيرة مع النّقود الموجّهة إلى نظرية "غريماس" بعدم أخذها مأخذ الجد فالانتقادات التي وجّهها "بريمون" لم تنسه الإقرار «بمدى صلاحية تبصّر غريماس في مثل هذه الأبحاث والتّنظير لها حتى تكتسب مزايا علمية سليمة»[4]، فكأنّ "بوشفرة" تتجاوز نقود "عبد الملك مرتاض" لهذه النّظرية لتكرّس توجّهاتها التي أثبتت فعاليتها التّطبيقية على أكثر من نص.

5- قراءة النّاقد "قادة عقاق" النّقدية للجهاز المفهومي والإجرائي للسّيميائية:

يتوقّف النّاقد "قادة عقاق" في كتابه "الخطاب السيميائي في النقد المغاربي" عند بعض الانتقادات التي وجّهها النّقاد الجزائريون والمغاربة إلى النّظرية السيميائية، صنيع النّاقد "عبد الملك مرتاض" وما لاحظه من نقائص تتعلّق بالبرنامج السّردي والترسيمة السّردية والنّاقد "رشيد بن مالك" وما لاحظه من نقائص تتعلّق بالبنيات الزّمانية والفضائية في سيميائيات غريماس، وضرورة رفدها بمكتسبات "جيرار جينيت" في هذا السياق من أجل المساهمة في إظهار مقطوعات النّص السّردي وضبطها.

[1]- ينظر، نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص121.

[2]- المصدر نفسه، ص122.

[3]- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات، ص113.

[4]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص126.

ولعلّ "قادة عقاق" هو النّاقد الجزائري الوحيد الذي خصّص كتابًا كاملاً هو "مأزق السيميائية" لقراءة الجهاز المفهومي والإجرائي لسيميائية "غريماس" السّردية قراءة نقديّة، برصد مأزقها من منظوري النقد الغربي والعربي، تضمّن الكتاب مقدّمة ومدخلاً منهجيًّا وفصلين، أشارت المقدّمة إلى تفطّن الدّارسين الغربيين والعرب إلى بعض النقائص التي انطوت عليها النظرية السيميائية السّردية ذات التّوجه الغريماسي وبيان وجاهة بعضها وتهافت بعضها الآخر.

أمّا المدخل المنهجي فتمحور حول مرجعيّة السيميائيات السّردية ومستويات النص ومكوّناته حسب رؤيتها، وتكامل العلاقة بين البنيتين السطحية والعميقة وكيفية انبناء المعنى داخل النّص.

ويتضمّن الفصل الأول الانتقادات التي وُجّهت إلى السيميائيات السّردية من قبل النّقاد الغربيين، بدءًا بالمربّع السيميائي وقصوره بعلاقاته وألفاظه عن إخبارنا عمّا يدور داخل المحكي، كما يذهب إلى ذلك "كلود بريمون" وغيره.

ومن المفاهيم الإجرائية الأخرى التي لقيت نقدًا من لدُن النّقاد الغربيين مفهوم التشاكل "Isotopie" الذي قصره "غريماس" على المضمون دون التّعبير، ممّا حدا بأحد تلامذته في "مدرسة باريس السيميائية" وهو "فرانسوا راستي F-Rastier" بتعميمه ليشمل التّعبير والمضمون معًا «ليصبح وفقا لذلك متنوّعا تنوّع مكوّنات الخطاب، من تشاكل صوتي ومعنوي ومنطقي ونبري وإيقاعي وهلُمَّ جرًّا»[1].

ويرى "جوناثان كلر" أنّ تشاكل "غريماس" تطبعه العشوائية وانتفاء طريقة منطقية لاختيار النظيرة في نص مُعطى فـ"عملية استخراج التشاكلات من النّصوص بطريقة موضوعية ليست بالأمر الهيّن، على الرّغم من إقرار "غريماس" بأنّ لكلّ نص معنى عامًّا يقوم عليه، وما على الباحث سوى إدراكه من خلال جملة العبارات الحاملة له والمتضمّنة لسمات سياقيّة تتواتر وتتراكم عبر كامل نسيج النّص"[2].

ومن العناصر الأخرى التي لقيت انتقادا في سيميائيات "غريماس" الترسيمة العاملية حيث تقترح الباحثة "آن أوبرسفالد Anne ubersfeld" ترسيمة جديدة تصحّح تلك التي أرساها "غريماس"، ويتعلق هذا التّصحيح بموقعة العوامل، بحيث ترى هذه الناقدة انطلاقًا من الجملة المفتاحية في قراءة الشّكل «المرسِل يطلب من الذّات تحقيق موضوع لفائدة مرسل إليه، وهذا يعني أنّ السّهم يجب أن يمرّ من المرسِل إلى الذّات ثمّ إلى الموضوع لا من المرسِل إلى الموضوع كما يجسّده الطرح الغريماسي، فالمرسِل لا يمكن أن يطلب شيئا من الموضوع

[1] – قادة عقاق، مأزق السيميائية، قراءة نقدية، في جهازها المفهومي والإجرائي، ص29.

[2] – المصدر نفسه، ص33.

لكونه مسعى وليس ذاتًا، وعليه يصبح من المتعذّر قراءة التّرسيمة على ذلك النحو الذي صاغه "غريماس"»[1]

ولعلّ الفرق بين ترسيمتي "غريماس" و"آن أوبرسفالد" يتوضّح من خلال هذين الشّكلين:[2]

ترسيمة "غريماس"

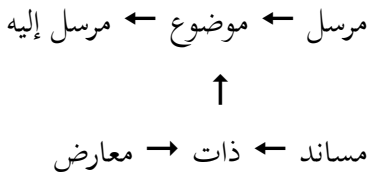

ترسيمة "آن أوبرسفالد"

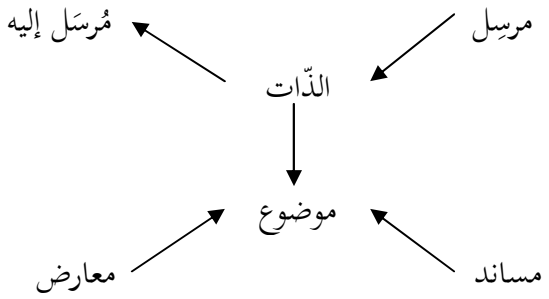

ومضى النّاقد "قادة عقاق" في تتبّع الانتقادات التي وُجّهت إلى سيميائيات غريماس من لَدُن النّقاد الغربيين مثل: غموض معايير تصنيف الشّخصية لدى "غريماس" وانغلاق المعجم المعقلن لنظرية الكلام على نفسه وصعوبة استعماله واهتمام "جان كلود كوكي" بسيميائية التّلفظ وتجاوزه لسيميائية "غريماس" الميكانيكية، إلى أن ينتهي باعتراف باحثين آخرين بسلامة بعض طروحات "غريماس" والإشادة بالصّيت الذي حققته نظريته مثل: "ميشال أريفيه"، ويُقرّ "قادة عقاق" بإمكانية تقادم بعض مفاهيم هذه النّظرية وإمكانية تجاوزها «ولكن حسب هذه النّظرية وصاحبها أنّها قامت بمجهود علمي منظم –سيحفظه لها تاريخ علم الأدب– استطاعت من خلاله ضبط كثير من آليات اشتغال الخطاب الإنساني بعامّة، والمحكي أي الأدبي السّردي بخاصّة»[3]

ويُخصّص النّاقد "قادة عقاق" الفصل الثاني من كتابه لمأزق السيميائيات السّردية من منظور النّقد العربي والحقيقة أنّ النّقاد الذين أدرجهم "قادة عقاق" في هذا الفصل كلّهم مغاربة وهم على التّوالي: "محمد مفتاح، رشيد بن مالك، سعيد بنكراد، عبد الملك مرتاض" ولا تكاد الانتقادات التي وجّهوها تخرج عن تلك التي رصدها النّقاد الغربيون وكشفها "قادة" في الجزء الأول من كتابه، وهي تتمحور حول: المربّع السيميائي، والتّشاكل، والبرنامج السّردي والتّرسيمة السّردية والبنيات الزّمنية والفضائية.

فبخصوص "التّشاكل" مثلاً، يرى النّاقد "محمد مفتاح" عدم قصره على مستوى المضمون فحسب، بل ينبغي تعميمه ليشمل التعبير والمضمون معًا، وهو طرح لا يختلف عمّا ذهب إليه "فرانسوا راسيتي".

---

[1]– قادة عقاق، مأزق السيميائية، قراءة نقدية، في جهازها المفهومي والإجرائي، ص37.

[2]– ترسيمة "آن أوبرسفالد" غير مثبتة في كتاب "مأزق السيميائية" وقد قمنا بنقلها من كتاب: الاشتغال العاملي للسعيد بوالطاجين، ص17.

[3]– قادة عقاق، مأزق السيميائية، ص48.

ولعلّ الإضافة اللاّفتة في هذا الفصل هي ردود النّاقد "قادة عقاق" على هذه الانتقادات التي وجّهها النّقاد المغاربة إلى سيميائيات غريماس بإبراز رأيه وهو الصّنيع الذي تغاضى عنه لما كشف انتقادات النّقاد الغربيين في الفصل الأول، فهو يدحض رأي "عبد الملك مرتاض" الذي يزعم عدم قدرة هذه النّظرية على تحليل نص بحجم رواية فيقول: «فلقد حقّقت الدّراسة السيميائية للرواية تراكُمًا معرفيًّا ومنهجيًّا مع عدّة دارسين بعد غريماس لا يستهان به ...» [1] ويُحصي عددًا من الدّراسات في الغرب والمغرب العربي على السّواء، طبّقت المنهج السيميائي الغريماسي في تحليل الرّواية. ويختم هذا الفصل بالإشارة إلى إشادات بعض النّقاد المغاربة بفاعلية النّظرية وقوّتها الإجرائية كـ"محمد مفتاح" و"رشيد بن مالك" و"سعيد بنكراد".

وجملة القول، أنّ كتاب "مأزق السيميائية" هو الكتاب الوحيد في المدوّنة النّقدية الجزائرية —في حدود علمنا– الذي تمحّض لنقد وتقويم النّظرية السيميائية، وأحاط بنقائص هذه النّظرية من منظور النّقاد الغربيين والمغاربيين.

وفي ختام هذا المبحث نسجل الملاحظات التالية:

1– محدودية خطاب النّقد والتّقويم وقلّة المشتغلين عليه من النّقاد الجزائريين مقارنة بخطابي التّعريف والتّأصيل والتّرجمة والتّعريب.

2– تركّزت جهود بعض النّقاد الجزائريين الرّواد المشتغلين بهذا الخطاب، على النّسخة العربية للسيميائيات السّردية بتقديم ملاحظات حولها، تتعلّق بإشكالية المصطلح ومشكلات التّرجمة، والتّطبيق الميكانيكي لإجراءات المنهج في بعض البحوث الأكاديمية.

3– عاين بعض النّقاد الخطابات النّقدية التي اتّخذت من السيميائيات السّردية موضوعًا لها، الأمر الذي جعل اشتغالهم يتنزّل في اختصاص نقد النّقد، صنيع "رشيد بن مالك" في قراءاته لبعض البحوث العربية التي اشتغلت على خرافات "كليلة ودمنة"، وقراءة "عبد القادر شرشار" لبعض البحوث الأكاديمية الجزائرية، علما أنّ البحوث موضوع القراءتين طبّقت سيميائيات "غريماس".

4– كان النّاقد "عبد الملك مرتاض" من أكثر النّقاد الجزائريين انتقادًا لسيميائيات "غريماس" وأقلّهم التزامًا بإجراءات المنهج السيميائي في بعض دراساته وأبحاثه، وذلكما يتضح في كتابيه "نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد" و"ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد".

[1] – قادة عقاق، مأزق السيميائية، ص74.

5- يُعدّ النّاقد "قادة عقاق" رائدا لخطاب النّقد والتّوجيه، بكتابه "مأزق السيميائية" الذي خصّصه للانتقادات التي وُجّهت للنّظرية السيميائية من لدن النّقاد الغربيين والعرب، إضافة إلى ما ورد في كتابه الآخر "الخطاب السيميائي في النقد المغاربي".

الفصل الثالث: الممارسات التّطبيقية لسيميائيات "مدرسة باريس" في الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر.

المبحث الأول: سيميائية التّأليف القاموسي.

1- قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص لـ"رشيد بن مالك"

2- معجم السّيميائيات لـ "فيصل الأحمر".

المبحث الثاني: سيميائية القصّة القصيرة.

المبحث الثالث: سيميائية الخطاب الرّوائي.

1- الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة، عيّنة.

2- سيميائية الفضاء في رواية "ريح الجنوب"* لـ"رشيد بن مالك".

3- سيميائية الخطاب الرّوائي، تحليل "حسين خمري" لرواية "صوت الكهف" لـ"عبد الملك مرتاض".

4- مقاربة سيميائية قصصية، التّركيب العاملي في رواية "نهاية الأمس" لـ"عبد الحميد بن هدوقة".

5- تحليل سيميائي لرواية "الصحن" للروائية الأردنية "سميحة خريس".

6- التّحليل السّيميائي للبنى السّردية، رواية "حمامة السّلام" للدّكتور "نجيب الكيلاني" أنموذجًا.

7- رواية "مثلث الرافدين" للرّوائية السورية "سها جلال جودت" دراسة سيميائية سردية

المبحث الرابع: سيميائية الحكاية الخرافية والنّص التّراثي.

1- سيميائية الحكاية الخرافية.

2- الاشتغال السّيميائي على الحكاية الخرافية لدى "نادية بوشفرة".

3- سيميائية النّص التّراثي في مدوّنة "رشيد بن مالك".

المبحث الخامس: إشكالية المنهج والمصطلح.

1- إشكالية المنهج.

2- إشكالية المصطلح.

المبحث الأول: سيميائية التّأليف القاموسي

تتطلب ممارسة التّحليل السّيميائي للنّصوص دراية بالمصطلحات السّيميائية ومفاهيمها والخلفيات النّظرية والرّوافد المعرفية التي تمتح منها «فكثيرًا ما أدّى الفهم غير الصّائب لها والتعامل غير الموفّق معها، وبخاصّة في الممارسات التّطبيقية إلى الإساءة إلى النّص أكثر من الإسهام في تحليله»[1] ومن أجل تجاوز هذا الإشكال اضطلع بعض الباحثين الجزائريين بمهمّة تأليف قواميس ثلاثية اللّغة أو ثنائيتها، حاولت الإحاطة بالمصطلحات السّيميائية ونقل مفاهيمها إلى اللّغة العربية ليتمكّن الباحث العربي من توظيفها توظيفًا سليمًا ناجحًا في مقارباته الإجرائية، وسنتوقّف في هذا المبحث عند قاموسين ظهرا خلال العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين أوّلهما "قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص" لـ"رشيد بن مالك" وثانيهما هو: "معجم السّيميائيات" لـ"فيصل الأحمر".

1-قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص لـ"رشيد بن مالك":

بدأ الباحث "رشيد بن مالك" التفكير في تأليف قاموسه منذ عام 1983م، وأتمّه في شهر جوان 1989م.[2]

ولكنّ القاموس تداوله الطلبة والباحثون وهو ما يزال مخطوطا فقد «استخدمه بعض الطلبة في قسم الماجستير لمعهد اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر، والذين هم في طور إنجاز أبحاث تطبق الأدوات المنهجية السّيميائية، فكان لهم خير معين عند مجابهتهم لإشكالية التّعريفات والتّصنيفات التّعليمية في مضمار لا يزال بكرًا في طور التّأسيس في الثّقافة العربية»[3]

ويقرّ الباحث بأنّ المعجم المعقلن لنظرية الكلام* Sémiotique dictionnaire raisonée de la théorie du langage لمؤلّفيه (أ.ج. غريماس A.J areimas) و(ج.كورتيس J.Courtés) هو المصدر الرّئيس الذي اعتمده في ترجمة المصطلحات السّيميائية وشرحها ولكنّه «حاول في أثناء التّرجمة تجاوز التّعقيدات اللغوية والمفهوميّة المتخلّلة في المعجم، بالرّجوع إلى المعاجم اللّسانية والنّصوص السّيميائية التي تشكّل

[1]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص225-226.

[2]- ينظر، رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي، إنجليزي، فرنسي، دار الحكمة، فيفري 2000، ص13.

[3]- المصدر نفسه، كلمة تقديم بقلم عبد الحميد بورايو، ص8.

*- يقترح "رشيد بن مالك" ترجمة أخرى لهذا المعجم في كتابه "من المعجميات إلى السيميائيات" ص179، هي: المعجم المعقلن لنظرية اللغة السيميائية.

نقطة ارتكاز مهمّة لفهم الإنجازات السّيميائية»[1]. ويرى "يوسف وغليسي" بأنّ نسبة كبيرة من المواد الاصطلاحية المدرجة في قاموس "رشيد بن مالك" منقولة عن معجم "غريماس" و"كورتيس"، بل إنّ قاموس "بن مالك" في مجمله «ليس إلاّ ترجمة (معقّدة لغويًّا ومفهوميًّا في بعض الأحيان) حرفية لبعض مواد القاموس الفرنسي».[2]

وقد استعان الباحث ببعض التّرجمات السّيميائية المنشورة في الكتب والمجلاّت العربية المتخصّصة مكتفيًا بها بسبب تعذّر التّواصل بين الباحثين العرب في هذا الميدان، كما نوّه في نهاية التّقديم لقاموسه بثلّة من الباحثين الجزائريين والأجانب، مُمتنًّا لما قدّموه من مساعدات في تقديم مراجع أو مناقشة بعض القضايا المنهجية أو تدقيق مفهوم معيّن.

ويقع القاموس في مائتين واثنين وسبعين صفحة (272 صفحة) من الحجم "16x25سم" يضمّ بين دفّتيه زهاء مائتي مصطلح (200 مصطلح)*، ولا يتعدّى عدد المصطلحات في الصّفحة الواحدة الثلاثة إضافة إلى (سبع وعشرين) (27) رسمًا توضيحيًّا.

ويوردُ الباحث بعد كلّ مصطلح «شرحًا وتحليلاً مُترجمًا ترجمةً سياقية في غالب الأحيان ومدعّمًا بأشكال وترسيمات، ومذيّلاً بإحالة أو أكثر لإزالة ما غمض من المصطلح، حتى يصبح المصطلح سهلاً في تلقّيه، ونجده في مواضع كثيرة يستحضر آراء وأقوال العلماء العرب المحدثين ك "عبد السلام المسدي" و"مرزوقي سمير" والقدامى ك "ابن خلدون" ليدعم بها تعريفات المصطلحات السيميائية»[3]

وقد اختصّ القاموس بمصطلحات السّيميائية السّردية دون غيرها من تفرّعات النّظرية السيميائية، ولعلّ تتلمذ الباحث على أيدي روّاد هذا التّوجه السيميائي لما كان يتلقّى تكوينه العلمي بباريس وراء هذا الخيار. إلاّ أنّه لم يتقيّد تقيّدًا صارمًا بهذه المصطلحات الغريماسية إيمانًا منه بأنّ هذه النّظرية لم تنته مفاهيمها إلى ثبات واستقرار

---

[1]- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنّصوص، مقدمة بقلم رشيد بن مالك، ص12.

[2]- يوسف وغليسي، في ظلال النّصوص، تأمّلات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2009، ص223.

*- أشار "قادة عقاق" في كتابه "الخطاب السيميائي في النقد المغاربي" في الصفحة 229 إلى أنّ "قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص" ترجم إلى العربية أكثر من ثمانمائة مادة (مصطلح)، وقد تكررت الإشارة ذاتها في كتاب "عبد القادر شرشار" "تحليل الخطاب السردي وقضايا النص" في الصفحة 209، إذ يزعم أنّ القاموس يتضمّن أكثر من ثمان مئة مادة، وهو الرقم ذاته الذي أثبته "حفناوي بعلي" في محاضرته "التجربة العربية في مجال السيمياء" التي قدّمها بالملتقى الوطني الثاني "السيمياء والنص الأدبي" المنعقد بجامعة "محمد خيضر" بسكرة أيام 16/15 أفريل 2002م، حيث يقول في الصفحة 164 من محاضرات هذا الملتقى: "يتضمن القاموس أكثر من ثمان مائة مادة"، ويبدو أن هؤلاء الباحثين لم يتجشّموا عناء إحصاء مواد القاموس ولو فعلوا لوجدوها مئتي مادة (200 مادة) فقط لا غير.

[3]- عيسى بربار، تجربة رشيد بن مالك في وضع قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، مجلة البدر، جامعة بشار، مجلد11، عدد 07، ص875-876.

فهي في طور التّشكل والتّحوّل «ذلك أنّ الحوار لازال قائمًا بين مختلف التيارات المتبنية للنّظرية السيميائية والأبحاث لازالت سارية من خلال الممارسات الفكرية السائلة لأنظمة المعاني المتجذّرة في الخطاب السردي والتي تحاول أن ترقى بخطابها العلمي إلى أقصى حدّ ممكن من التّنظير للأدب وفهم نظامه وسيره، وتسعى إلى تأسيس حقل معرفي في نظرية ملتحمة».[1]

ولم يكن الباحث "رشيد بن مالك" بِدْعًا في هذا التّوجه، فهناك معاجم أخرى نحت منحى "قاموس التحليل السيميائي للنصوص" في اقتصارها على مصطلحات السيميائية السّردية ذات التّوجه الغريماسي، منها "معجم مصطلحات السيميوطيقا" الذي سوّغ هذا التوجه بكون «مدرسة باريس أصبحت أكثر شمولية في مقاربتها، كما أنّها في التّحليل الأخير كانت الأكثر تطبيقا، وهذا المعجم يركّز تمامًا على نظريات هذه المدرسة وممارساتها».[2]

وقد تضمّن القاموس الكثير من الأشكال والترسيمات والجداول بهدف تبسيط المعارف السيميائية وتقريبها من أفهام القُرّاء على اختلاف مستوياتهم، كما أنّها «قد تعوّض في بعض الأحيان ما يعجز التراكم الوصفي في الكلام عن بلوغه».[3]

ولم يسلك الباحث وهو يترجم مصطلحات السيميائيات السّردية مسلك الترجمة الحرفيّة بل اعتمد «الترجمة السياقية Traduction texte وهو أسلوب معتمد لدى مختلف المترجمين والمتعاملين مع المصطلح، وفيه تُهمل الترجمة القائمة على الاشتقاق اللغوي أو ترجمة le mot a mot، كلمة بكلمة»[4]

وينبغي لمن يتصدّى إلى عمل بهذا العُسر، أن يكون مُلّمًا باللّغة والثقافة التي ينقل عنها متضلّعًا في المعرفة التي يترجمها وبالقدر ذاته في اللّغة والثقافة التي ينقل إليهما، وهي ميزات اتّضحت بجلاء في هذا القاموس «ولعلّ أهميّته تكمن في كونه لا يُورد المصطلح معزولاً عن سياقه بل مقرونًا بسيّاقه العام الذي يندرج ضمنه، مع مراعاة القيود الدّلالية التي يخضع لها، وهذا نظرًا لما للسياق من وظائف أساسية في توليد المعنى وبلورته»[5]

---

[1]- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، افتتاح، ص5.

[2]- برونوين مارتن وفليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقا، تر/عابد خزندار، مراجعة محمد بريري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008، ص10.

[3]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص229.

[4]- عبد القادر شرشار، قراءة لقاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، إنجليزي، فرنسي، عربي، الأستاذ: رشيد بن مالك، مجلة بحوث سيميائية، يصدرها مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية في الجزائر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، مجلد 05، عدد 07، ص90.

[5]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص230.

وقد رتّب الباحث مواد قاموسه ترتيبا ألفبائيًّا حسب الأبجديّة الفرنسية (A,B,C, ...) فكان يُورد المصطلح باللّغة الفرنسية فمقابله باللّغة الإنجليزية فترجمته العربية «وهذا ما جعله يتميّز بميزتين أساسيّتين هما التّجزؤ والدّائرية، فإذا كانت الميزة الأولى تتمثّل في كونه يخضع كسائر المؤلفات المعجمية التقليدية، إلى تنظيم المادة وفق التّرتيب الأبجدي ممّا يُفضي إلى فصل المفاهيم المنتظمة في سياق نظري واحد بعضها عن بعض، فإنّ الصّفة الثانية "الدّائرية" استطاعت التخفيف من غلواء التّجزيئية من خلال إحالته بعض المواد على بعض وشرح بعضها لبعض، ممّا يوحي بانتظامها، جميعًا في نسق فكري متكامل»[1].

ويستهدف القاموس جمهور الباحثين بُغية تجاوز الفوضى الاصطلاحية التي تعانيها البحوث العربية في مجال السيميائيات السّردية وكذا تذليل بعض المصاعب المتعلّقة بالترجمة وذلك بإيجاد مقابلات عربية للمصطلحات الأجنبية، تمكّن الباحث من الإلمام بخلفياتها المعرفية، وتوظيفها توظيفًا سليما، فهو يطمح «إلى أن يكون جامعًا وشاملاً لمصطلحات نظرية واحدة هي نظرية "غريماس" يعاين فيه طبيعة هذه المصطلحات في أصولها ويتتبع أطوارها ومراحل تشكّلها ويرصد من خلال ذلك طرائق توظيفها ودلالاتها على الرغم من الصّعوبات التي يمكن أن تعترض سبيل طموح كهذا»[2].

وقد اعترف الباحث بصعوبة الإلمام بكلّ مصطلحات السيميائيات السّردية فمن العسير أن يتولّى هذا العمل باحث واحد، بل هو عمل جماعي تتظافر فيه الجهود لبلوغ هذا المطمح، إلاّ أنّه ترجم نسبة من المصطلحات رآها كافية لتحليل النصوص وفهمها «فالمصطلحات التي أوردها الباحث تمثّل المفاتيح الأساسية لمقاربة مختلف النصوص السّردية أيّا كان نوعها»[3].

وأمام استفحال إشكالية المصطلح السيميائي التي تتجلّى في اختلاف التّرجمات بسبب اختلاف المرجعيات المعرفية للنّقاد العرب المعاصرين، وما نتج عنها من تعدّد المقابلات العربية للمصطلح الغربي الوافد، أو وضع مقابل عربي واحد لمصطلحين غربيين أو أكثر، وعدم وضوح بعض المفاهيم أو سوء فهمها من قبل بعض النّقاد العرب وهي إشكالات سنقاربها في مباحث تالية من هذا البحث، كان لزامًا على الباحث —من أجل التأسيس لخطاب علمي جديد– أن يولي المصطلح ما يستحق من اهتمام باعتباره مفتاح من مفاتيح المعرفة ف «المصطلحات

[1]– قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص231.

[2]– المرجع نفسه، ص228.

[3]– المرجع نفسه، ص230.

التي اشتغل عليها، المؤلف تمثل مفاتيح لمقاربة أي نص سردي فهي بمثابة الضّوابط العلمية التي يستأنس إليها الباحث في التّحليل السيميائي»[1].

وممّا يحسب لهذا القاموس أيضا أنّه يقدّم مرجعية لكلّ مادة يعالجها حتى يتمكّن القارئ من مراجعة المادة المصطلحية في مصادرها، ومواصلة رحلة البحث إن شاء[2].

وقد عَمَدَ الباحث في مواضع من قاموسه إلى تعريب بعض المصطلحات الأجنبية بحجة عدم وجود مقابل عربي لها، وهي قليلة بالنسبة للعدد الكبير من المصطلحات التي أوجد لها مقابلا عربيًّا مبينًا وهذه المصطلحات المعرّبة هي:

المصطلح الأجنبي	تعريبه	الصفحة
Idéologie	إيديولوجية	88
Isotopie	إيزوتوبيا	93
Motif	موتيف	115
Sémantéme	سيمانتيم	164
Séme	سيم	167
Séméme	سيميم	169
Sémiologie	سيميولوجي	170
Thématique	ثيمتي	237
Théme	تيم	238
Topique	طوبيقي	240
Utopique	إيطوبيقي	247

وبعض هذه المصطلحات المعرّبة استقرّت لها مُقابلات عربية نحو:

Idéologie: علم الأفكار.

Isotopie: تناظر أو تشاكل أو قطب دلالي.

Séme: معنم.

Sémiologie: علم العلامات.

Thématique: موضوعاتي.

[1]- عبد القادر شرشار، قراءة لقاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص92.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص94.

Théme: موضوع.

Topique(espace): فضاء الفعل.

Utopique(espace): فضاء وهمي.

وجملة القول أنّ هذا القاموس لقي رواجًا عند الباحثين السيميائيين الجزائريين وتبوّأ منزلة معتبرة في مسار التّأليف القاموسي في الجزائر.*

2- معجم السّيميائيات لـ "فيصل الأحمر":

صدر المعجم في طبعته الأولى عام ألفين وعشرة "2010م"، عن الدّار العربية للعلوم، ناشرون، بالاشتراك مع منشورات الاختلاف، فالفارق الزّمني بينه وبين "قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص"، هو عشر سنوات وهي عشرية كاملة من عمر التأليف المعجمي في ميدان السيميائيات بالجزائر، والمتوقع أن يستفيد المعجم الثاني من هنات القاموس الأول ويسدّ نقائصه ويتدارك ما سها عنه أو نساه من مصطلحات ومفاهيم، خاصّة وأنّ الكتابين كليهما من تأليف باحثين أكاديميين يدركان ولاشك قيمة التراكم المعرفي في بناء الوعي وتصحيح مسار الفكر.

ولعلّ ما يلفت الانتباه –بادئ ذي بدء- هو اختلاف وسم الكتابين فقد وسم "رشيد بن مالك" كتابه بالقاموس، ووسم "فيصل الأحمر" مُنجزه بالمعجم، فهل من فرق بين الوسمين؟!

في مقاله الموسوم بـ: "دراسة تطبيقية في علم المصطلح" يحيل "علي القاسمي" إلى الباحثة اللسانية المغربية "ليلى السعودي" التي تفرّق بين مُفردتي "معجم" و"قاموس" «فقد خُصّص لفظ "معجم" للدّلالة على المعاجم

*-كان هذا المعجم موضوعا لدراسات وبحوث نقاد جزائريين كُثر منهم:

"قادة عقاق" في كتابه "الخطاب السيميائي في النقد المغاربي"، إذ خصص له الفصل الثالث من الباب الثاني والموسوم بـ: "خطاب التأليف القاموسي وإشكالية المصطلح النقدي".

"عبد القادر شرشار" في كتابه "تحليل الخطاب السردي وقضايا النص"، خصّه بدراسة موسومة بـ: "قراءة لقاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (إنجليزي، فرنسي، عربي).

"عيسى بربار" في مقال له منشور بمجلة "البدر" "جامعة بشار" بعنوان: "تجربة رشيد بن مالك في وضع قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص".

"يوسف وغليسي" في كتابه: "في ظلال النصوص تأمّلات نقدية في كتابات جزائرية في دراسة بعنوان: "فقه المصطلح السيميائي قاموس التحليل السيميائي للنصوص أنموذجًا".

"لعجال لكحل" في أطروحة دكتوراه الطور الثالث الموسومة بـ: "المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك"، إذ خصّ هذا المعجم بمبحث خاص أسماه: "قراءة في قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص".

المتعدّدة اللّغات التي لا تشتمل على تعاريف واستعملت لفظ "قاموس" للدّلالة على المعجم الأحادي اللّغة أو المتعدّد اللّغات الذي يشتمل على تعاريف»[1]-

ومادام كلا الكتابين يضم مصطلحات متعدّدة اللّغات ويهدف إلى تحديد مفهوم كل مصطلح بدقّة، فهما قاموسان، ويعضد هذا الطّرح ما تذهب إليه البحوث اللغوية الحديثة في تفريقها بين مفهومين «الأول المجموع المفترض واللامحدود من الألفاظ التي تملكها جماعة لغوية معيّنة يتكامل أفرادها وهو ما اصطلح اللّسانيون على تسميته بالإنجليزية LEXION وبالفرنسية LEXIQUE، والمفهوم الثاني هو مجموعة من الألفاظ المختارة المرتبة في كتاب ترتيبًا معيّنًا مع معلومات لغوية أو موسوعية عنها، وهو ما اصطلح عليه بالإنجليزية DICTIONARY وبالفرنسية Dictionaire»[2]-

وواضح أنّ المفهوم الأول يتطابق في العربية مع مفردة "معجم" أمّا المفهوم الثاني فيتطابق مع مفردة "قاموس". بيد أن الاستعمال العربي المعاصر للفظين يرادف بينهما، ولكن من يتصدّى إلى وضع المصطلحات وتحديد المفاهيم، ينبغي أن يتحرّى الدّقة للفصل بين كلمة وأخرى ومفهوم وآخر.

استهلّ الباحث "فيصل الأحمر" معجمه بـ"شيء كالمقدمة"، وضّح فيه بداية الحافز الذي دفعه إلى خوض مغامرة التّأليف المعجمي، وهو هذا التداول المفرط لمصطلحي السيميائية والسيميولوجيا والذي يوحي بتمثّل موضوعيهما ومعرفته معرفة جيّدة ولكن المفهومين –حسب المؤلّف– مجهولان في كثير من الأدمغة، فكانت المبادرة هي تأليف «كتاب واحد كبير، جامع نافع مانع، موقع معرفي واحد يجمع هذه الأشتات المتفرقة ويدقّق في التّفاصيل المجملة ويفرّق بين العناصر المختلطة والأشياء المتداخلة لشدّة الشبه والتقارب»[3]-

وهو طموح معرفي مشروع، تحقق جزء يسير منه وبقي الجزء الأكبر في انتظار من يكمل المسيرة والمسار فلكي يستقيم المعجم وفق هذه المواصفات لابدّ من جهد جماعي تضطلع به كفاءات في ميدان السيميائيات الشاسع الواسع، كلٌّ في مجال اختصاصه.

واللاّفت أنّ الباحث تجشّم وحده عناء هذا المعجم، وإن أشار باقتضاب في نهاية "شيء كالمقدمة" لأسماء نكرات لا لها في هذا الميدان الموحش زادٌ ولا عتاد.

لقد كان هدف الباحث من معجمه، جمع أشتات المصطلحات السيميائية المتفرقة في مظانها المختلفة وتنظيمها وتبويبها، وتقديمها إلى القرّاء في حلّة جديدة تروق المتلقين وتفيدهم.

---

[1]- علي القاسمي، دراسة تطبيقية في علم المصطلح، مجلة اللغة العربية، تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، المجلد 04، العدد 01، ص75.

[2]- المرجع نفسه، ص71-72.

[3]- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص07.

وقد تمكّن فعلا من رصد ثمانية وثلاثين مصطلحا (38 مصطلحا)، خصّص لكلّ مصطلح نحو عشر صفحات (10 صفحات) لإضاءة مفهومه مستعينا بمراجع مختلفة عربية ومترجمة بحيث يصير مفهوم كلّ مصطلح مبحثا علميا قائما بذاته ثريًّا بالمعارف والمعلومات بلغة واضحة خالية من الالتواء والتّعقيد، وقد توزّعت هذه المصطلحات على ثلاثمائة وأربعة وسبعين صفحة (374 صفحة)، وبعد قراءتنا لهذا المعجم قراءة فاحصة دقيقة لابد من الإقرار بأنّه جهد تجميعي ضخم، لامس مباحث النّظرية النقدية المعاصرة بمختلف اتجاهاتها وكشف صلاتها بالسيميائيات و«يبدو جليًّا أنّ المؤلّف "فيصل الأحمر" غرضه جمع أطروحات النّقاد العرب حول السيميائيات، وتحديد منظومتها الإصطلاحية –لاغير ذلك– دون الخوض في محتواها والرجوع إلى جملة المفاهيم في مظان المصادر الأصلية الغربية حيث لوحظ اعتماده على المراجع المترجمة دون الأجنبية ...»[1] ويشير "الأحمر" إلى هذا المنحى في مقدمة معجمه حين يقول: «من هنا جاء التّفكير في كتاب واحد كبير جامع نافع مانع، موقع معرفي واحد يجمع هذه الأشتات المتفرقة ويدقّق في التّفاصيل المجملة ويفرّق بين العناصر المختلطة والأشياء المتداخلة لشدّة الشّبه والتّقارب»[2]

ومن ثم يمكن عدّ هذا المعجم سندًا بيداغوجيا هامًّا ينير طريق الطلبة الجامعيين والباحثين في مَهَامِه النّظرية النقدية المعاصرة عامّة والنّظرية السيميائية خصوصًا، ولن يتأتّى له هذا إلاّ إذا جمع أشتات هذه النّظرية ونظمها "ووضعها بعضها إلى جوار بعض ثمّ تقديمها في حلّة تتماشى مع طالبها، ثمّ نفض الغبار عمّا اعتراه الغبار منها وعلينا تبيان أثر الزّمن على هذه المفاهيم"[3]، والملاحظ أنّ "الأحمر" –في جهده المضني هذا– لم يحالفه التّوفيق في كلّ ما كان يصبو إليه، وقد وقفنا على بعض الهنات الاصطلاحية والمنهجية واللّغوية التي وسمت مباحث هذا المعجم وتفصيلها كما يلي:

2-1- هنات اصطلاحية:

- أورد الباحث في مستهلّ معجمه "شيء كالمقدّمة" بعض المقابلات العربية للمصطلح الفرنسي Sémiologie في السّياق التّالي: «تتقدّم السيميائية كمشروع شجاع بنواة جديدة للعلم، فالسّيميائية

[1]- سهام أوصيف، تأصيل المصطلح السيميائي في النقد المغاربي، أطروحة دكتوراه علوم، إشراف أ.د السعيد بوطاجين، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الآداب واللغة العربية، السنة الجامعية 2018/2017، ص61.

[2]- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص07.

[3]- المصدر نفسه، ص08.

Sémiologie –معناها- -اصطلاحا- علم الإشارات أو علم الدّلالات»[1]-

والمتّفق عليه بين الباحثين والمترجمين العرب أنّ المقابل العربي الأكثر تداولاً للمصطلح الفرنسي السّابق هو علم العلامات، وقد تكرّست هذه التّرجمة منذ صدور معجم "المصطلحات الأدبية المعاصرة" لـ"سعيد علوش" في طبعته الأولى عام 1985م*.

- عندما حاول التّفريق بين المصطلحين:"Sémiologie" المنسوب إلى "دي سوسور" والمتأثّرين بالثقافة الفرنسية، و"Semiotics" المنسوب إلى "بيرس" "Peirce" والمتأثّرين بالثقافة الإنجليزية.[2]- لم يلتفت إلى هذا التفريق البيّن بين المصطلحين الذي قدّمته الباحثة "آن إينو" «فخصّصت السيميولوجيا لدراسة تكون على جانب قليل من التّنظير للدّلالات بصفة عامّة، وحدّدت السيميائية بالدّراسة الشّكلية للدّلالات في كلّ أنواع النّصوص اللّغوية وغير اللّغوية»[3]-

وقد تدارك "الأحمر" هذا الفرق في موضع آخر من معجمه فـ«السيميوطيقا بهذا المصطلح تختص بالجانب التّطبيقي في العرف العام، بينما تختص السيميولوجيا بالجانب النّظري، وسنتعرف عن قرب على هذا النّوع بذكر تاريخه وأهم عتباته»[4]- والملاحظ أنّ "الأحمر" لم يأبه بهذه الفروق وهو يعنون مواد معجمه فتارة يستخدم مصطلح السيميائي كما في قوله "النّقد السيميائي" وتارة مصطلح سيميولوجيا كما في قوله "سيميولوجيا التّواصل" وطورا مصطلح "سيميوطيقا" كما في قوله "سيميوطيقا الثقافة"، والجدير بالإشارة أنّ جلّ الباحثين العرب جمعوا بين المصطلحين الغربيين واستبدلوا بهما مصطلح السيمياء في عناوين كتبهم مثل: "سيمياء اللغة"، "مقدمة في السيميائية السردية"، "مدخل إلى السيمياء" ...

- في حديثه عن التّشاكل والتّباين Isotopies et Paradoxes قصر الشرح على مصطلح التّشاكل فقط وأبان مفهومه عند مجموعة من النّقاد أمثال: (غريماس، راستيي، محمد مفتاح، عبد الملك مرتاض، وغيرهم)، ولكنّه لم يتطرّق إلى مفهوم التّباين ولا إلى الذين طبّقوه في بحوثهم ليستنتج بعد ذلك هذه الخلاصة الغريبة: «وما يمكن قوله أخيرا أنّ التّشاكل والتّباين مفهوم حديث جدًّا تبنّاه كلّ السّيميائيين في تحليلاتهم لأنواع الخطابات، لأنّه

[1]- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص08.

*- ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني بيروت، سوشبريس الدار البيضاء، ط1، 1985، ص293.

[2]- ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص13.

[3]- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص201.

[4]- المصدر نفسه، ص97.

بواسطته يحصل الفهم الموحّد للنّص وهو الضّامن لانسجام أجزائه وارتباطها»[1] والملاحظ أنّ هذا الاستنتاج يتجاهل بصفة مطلقة صيغة المثنّى رغم أنّه يتحدّث بداية عن مصطلحين ثم يقصر الحديث على مصطلح واحد فيفسد الصّياغة والفكرة.

- في المبحث الموسوم بـ: "السيميائيات والإرث الشّكلاني" " La sémiotique et le patrimoine formaliste" يقول الباحث: «يبني (يقصد غريماس) نموذجه العاملي المرتكز على أعمال "بروب" خاصة عندما يوزّع هذا الأخير الوظائف على سبع شخصيات وإن كان لم يستعمل مصطلح العامل، وفي تحليل "غريماس" –كما في التّحليلات السّابقة للحكايات– يركّز على جانبين جانب وظيفي وجانب وصفي، الجانب الوظيفي يشمل الأفعال التي يقوم بها الإله والجانب الوصفي يشمل الألقاب والأسماء المتعدّدة التي تحدّد صفاته (حميد لحميداني: 32)»[2]

إن هذا القول المنسوب إلى "حميد الحميداني" مأخوذ من كتابه «بنية النص السّرد من منظور النّقد الأدبي»[3] وهو غير منسجم مع السّياق الذي أورده فيه "الأحمر"، فقد كان "الحميداني" يتحدّث عن الرّوافد التي غذّت فكرة العوامل: Les actans عند "غريماس"، فقد استفاد من دراسات الميثولوجي الفرنسي "جورج دوميزال" وهو يصف العالم الإلهي المنظور إليه من الجانب الوظيفي والجانب الوصفي، ومن ثمّ استلهم "غريماس" هذا التّوصيف في صياغة "فكرة العامل".

- في المبحث الذي عقده للمربع السيميائي (Le carré sémiotique) يورد "الأحمر" مربّعًا سيميائيا[4] لكنه لا يحيل إلى مصدره وقد جسّده في الصيغة التّالية:

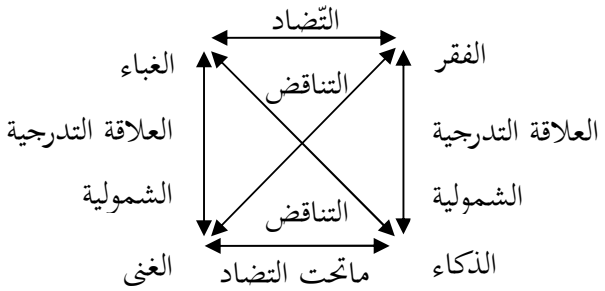

[1]- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص242.

[2]- المصدر نفسه، ص286.

[3]- ينظر: حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي لبنان، ط1، آب 1991، ص31-32.

[4]- ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص233.

والملاحظة اللافتة للانتباه أنّ العلاقات بين أطراف هذا المربّع المنطقي غير منطقية فلا تضاد بين الفقر والغباء ولا تناقض بين الفقر والغنى أو بين الغباء والذّكاء ولا توجد علاقة تدرّجية شمولية بين الذّكاء والفقر، ولا توجد علاقة يطلق عليها ما تحت التّضاد، ولو تجسّد هذا المربّع بالصّيغة التّالية لأمكننا عدّه مربّعا منطقيا:

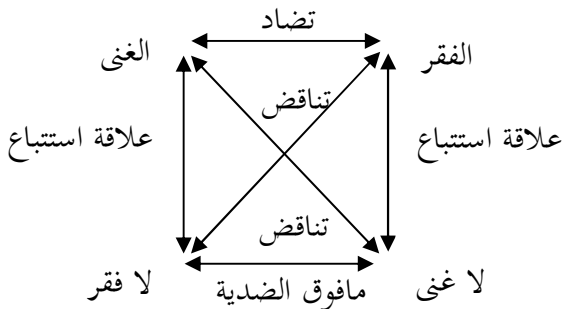

- أورد "الأحمر" في مقاله "سيميائيات السينما" العبارة التالية: "ولدراسة السينما إذن –ككلّ الفنون- علينا تقطيعها إلى أجزاء، ويسمى الجزء فيها لقطة "Séquence" وهي أهمّها، إذ أنّها مجموعة الصّور المتتابعة المشكّلة للفيلم" -[1]-

والمصطلح الأجنبي "Séquence" يقابله بالعربية، "مقطوعة" أو "متوالية" وهي «أصغر حلقة مكتملة وممثّلة للقصة إنّها تحقّقات منطقية لقصّة صغرى تمثّل تتابع اللّحظات: الماقبل/ الأثناء/ المابعد»-[2]- فالاصطلاح الذي يصدق على المقطوعة القصصية المسرودة باللّغة لا يتطابق مع اللقطة السينمائية، هذه الأخيرة يستخدم للدّلالة عليها المصطلح الإنجليزي "Shot" ف «اللقطة "Shot" جزء مفرد من أي فيلم ينتج عن تشغيل مستمر للكاميرا»-[3]- ويقابل المصطلح الإنجليزي "Shot" المصطلح الفرنسي "Plan" -[4]-

2-2- هنات منهجية:

تُورد المعاجم عادة المادّة المعجمية مرتّبة بطريقة هجائية أو أبجدية، إلاّ أنّ معجم "الأحمر" لم يهتم بترتيب المادة التي يحتويها، وهذه المادّة –على خلاف المألوف في المعاجم- ليست مصطلحات بل مباحث ومقالات كما صرّح بذلك في مواضع مختلفة من معجمه كما في قوله: «ختامًا نقول أنّه قد يلاحظ القارئ لمقالنا هذا أنّنا لم

[1]- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص112.

[2]- عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص17.

[3]- ويليام قي كوستانزو، السينما العالمية من منظور الأنواع السينمائية، تر/ زياد إبراهيم، مراجعة مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي سي آي سي، بريطانيا، دط، 2017، ص624.

[4]- ينظر: ماري تيريزجورنو، معجم المصطلحات السينمائية، تر/ فائز بشور، دط، دت، ص81.

نتحدّث عن أرسطو...»[1]، وقوله في سياق آخر: «أمّا موضوع السيميائيات الغربية، فسنعرض له مقالاً خاصًّا بإذن الله»[2]

ويكتفي "الأحمر" حين يعرض هذه المقالات بترجمة عناوينها إلى اللّغة الفرنسية، ثمّ لا يلتفت بعد ذلك إلى المصطلحات الأخرى التي يتضمّنها متن المقال، فهو يكتفي بتوظيف المقابل العربي دون أن يأبه بالصّيغة الأجنبية الأصلية للمصطلح، ففي حديثه عن رائد السيميائيات السّردية "غريماس" يقول: «وقد كان لبرنامجه السّردي بالغ الأثر في هذا المجال الذي أضاف إليه مصطلحات ومفاهيم من مثل: التفعيل أو التّسخير، الكفاءة الأداء ...»[3]، وقد ألفينا باحثين آخرين يوردون المصطلح الأجنبي ومقابله العربي توخّيًا للدّقة وتحجيمًا لإشكالية المصطلح*.

وتجدر الإشارة أيضا إلى ذلك التّباين بين أصحاب الاقتباسات التي يستدلّ بها "الأحمر" وإحالاتها، فهو لا يهتم بالعودة إلى مظان هذه الاقتباسات بل ينقلها من غير مصادرها الأصلية كما يتّضح في قوله –على سبيل المثال لا الحصر–: «هذا ويرى "مبارك حنون" أنّ سيميائيات "لايبنتز" عبارة عن التقاء مصطلحي بين التّعبير والتّمثيل والتّواصل (رشيد بن مالك: 23)»[4] فالكلام المقتبس لـ"مبارك حنون" ولكنّ "الأحمر" نقله عن "رشيد بن مالك"، وثمّة ملاحظة أخرى تتعلّق بالإحالات عند الاقتباس فأحيانًا يشير "الأحمر" إلى اسم المؤلّف ورقم الصفحة بهذه الصّيغة (فيصل الأحمر: 10)، وفي أحيانٍ أخرى يكتفي بذكر المؤلّف دون الإشارة إلى الصّفحة بالشّكل التّالي: (سعيد بنكراد)[5]، ولا يهتم "الأحمر" بإيراد المعلومات الكاملة حول المراجع والمصادر الموظّفة في مباحثه ومقالاته، ففي نهاية هذه المقالات يذكر فقط اسم المؤلّف وعنوان الكتاب، ممّا يضطر القارئ إلى العودة إلى قائمة المصادر والمراجع في نهاية الكتاب، إذا ما دعته الضرورة العلمية أو الفضول المعرفي لمعرفة معلومات النّشر الأخرى.

ويُورد "الأحمر" أحيانًا معلومات تعوزها الدّقة العلمية، ففي مبحث السّيمائيات السّردية يتحدّث عن منجزات "غريماس" قائلا: «وقد كان لبرنامجه السّردي بالغ الأثر في هذا المجال الذي أضاف إليه مصطلحات

---

[1]– فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص27.

[2]– المصدر نفسه، ص20.

[3]– المصدر نفسه، ص210.

*– على سبيل المثال، نادية بوشفرة في كتابيها: مباحث في السيميائية السردية ومعالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي.

[4]– فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص25.

[5]– ينظر، المصدر نفسه، ص53.

ومفاهيم من مثل: التّفعيل أو التّسخير، الكفاءة، الآداء، أنواع الاتّصال بالموضوع ...»[1]-، فأنواع الاتّصال بالموضوع ليس عنصرًا من عناصر الخطاطة السّردية المتكوّنة من (التّحريك، الكفاءة، الآداء والتّقويم)، وربّما قصد بأنواع الاتّصال بالموضوع الحالات والتّحويلات المتعلّقة بعلاقة الفاعل بموضوع القيمة والتي ينشأ عنها البرنامج السّردي.

ويلجأ "الأحمر" في أغلب مباحث معجمه إلى التّعميم ومعلوم أنّ المصطلحات التي أوردها تتقاطع في توظيفها مناهج نقدية مختلفة، ولكلّ منهج رؤيته الخاصّة، فإذا أخذنا مصطلح الفضاء عيّنة، نجد اختلافا بين النّقاد في فهمه وتوظيفه، فالفضاء عند "بروب" يختلف عن الفضاء عند "غريماس"، ويختلف "جيرار جينيت" عنهما في فهمه وتوظيفه. وقد أدّى هذا التّعميم إلى الاستفاضة في الشّرح والتّحليل في مواضع كثيرة، فهو عندما تحدّث عن السّيميائيات والأسلوبية أو السّيميائيات والتّفكيكية، لا يُظهر العلاقة بين هذه المناهج إلاّ بعد استعراض تاريخها وأهمّ اتّجاهاتها ومقولاتها الأساسية وروّادها الغربيين والعرب ثمّ يخصّص جزءًا يسيرًا من مقاله لكشف صلتها بالسّيميائيات.

وقد كان بوسع "الأحمر" إدراج المباحث التي تنتمي إلى اتّجاه واحد ضمن مبحث واحد، فمقال السيميائيات السّردية مثلا يتّسع لضمّ المربّع السّيميائي والتّشاكل والتّباين.

2-3- هنات لغويّة:

وهي أخطاء طباعية !-في أغلب الظّن- سنكتفي بالإشارة إليها وتصويبها، عساها تُتدارك في طبعة أخرى من طبعات هذا المعجم.

الخطأ	الصفحة	التّصحيح
-هذا بالنسبة للمصطلح وفُضيته.	13	-هذا بالنسبة للمصطلح وفوضويته.
-لذا سنكتفي بإيراد أهم بعض الإشارات السيميائية.	29	-لذا سنكتفي بإيراد بعض الإشارات السيميائية.
-الجرجاني وآراءه حول العلامات والتّحول الدّلالي.	33	-الجرجاني وآراؤه حول العلامات والتّحول الدّلالي.
-ويتمّ ذلك بفضل الدّلالات المصاحبة التي ينتجها كاتب النّص أو مهيؤ العرض.	106	- ... أو مُهَيِّء العرض.

[1]- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص210.

-بالإضافة إلى سدّ الثغرات التي وقعوا فيها هؤلاء.	240	-بالإضافة إلى سدّ الثّغرات التي وقع فيها هؤلاء.
- وهكذا نصل إلى أنّه كلّما تصرّف مستعملوا اللّغة في هياكل دلالاتها أو أشكال تراتيبها بما يُفرج عن المألوف "كلّما انتقل كلامه من السّمة الإخبارية إلى السّمة الإنشائية".	333	- كلّما تصرّف مستعملو اللّغة ... انتقل كلامه. (بحذف كلّما الثانية).

ولو عقدنا مقارنة بسيطة بين مواد قاموس الباحث "رشيد بن مالك" ومباحث معجم الباحث "فيصل الأحمر" لاكتشفنا غزارة المادة الاصطلاحية عند الأول مئتي مصطلح (200 مصطلح) وقلّتها عند الثاني ثمانية وثلاثون مصطلحا (38 مصطلحا)، رغم أن صفحات القاموس مائتان وإثنان وسبعون صفحة (272صفحة) وصفحات المعجم ثلاثمائة وأربع وسبعون صفحة (374صفحة)، بمعنى أن المعجم كثير الصفحات قليل الاصطلاحات، بينما القاموس قليل الصفحات كثير الاصطلاحات، ولا يُفسر هذا التباين إلاّ بسعة الأحياز التي يخصصها "الأحمر" لشرح مباحثه فيما يكتفي "بن مالك" باللّمح والإشارة دون إطناب أو إخلال. فمبحث واحد للأحمر قد يستهلك عشر صفحات، فيما يضيء "بن مالك" ثلاثة مصطلحات في صفحة واحدة.

ولئن اختّص قاموس الباحث "رشيد بن مالك" باتجاه سيميائي واحد هو الاتجاه السّيميائي السّردي الغريماسي الباريسي، فإنّ معجم الباحث "الأحمر" صال وجال في ميادين السيميولوجيا والسيميوطيقا والنص وعلمه والتناص وسيميائيات الشخصية وغيرها... ممّا جعل بعض الباحثين يسم هذا المعجم بمجرّد مسرد للمصطلحات "ومن الملاحظ أنّ المسارد التي اطّلع عليها الباحث ومنها ما يطلق عليه "معجم السيميائيات" لمؤلّفه "فيصل الأحمر" وهي في الواقع ليس أكثر من مسرد، ينزع فيه صاحبه إلى عملية تسريد المصطلحات السيميائية المتداولة في المشهد النقدي وتعريفها بشكل لا يبعث على الاطمئنان"[1]- فكلّ مادّة من مواد معجم "فيصل الأحمر" تطرح إشكالا ممّا دفع الباحث إلى «معالجة المادّة كما هي في نظرية الأدب عمومًا وكيف طرحها نقادها في جميع العصور، قديمًا وحديثًا من "أرسطو" و"أفلاطون" إلى نقاد العصر الحديث على اختلاف مشاربهم

[1]- هامل بن عيسى، إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي، دراسة في نقد النقد، مخطوط دكتوراه، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة 2012-2013، ص182.

المنهجية سواء عند العرب أو عند الغرب، مع إضافة اعتبار كون هذه المعارف جديدة على الذّاكرة العربية لصعوبة تمثيلها رغم رسوخها في الثقافة الغربية ولدى النخبة العربية»[1]-

وإذا كان الباحث "رشيد بن مالك" يستعين بالأشكال والجداول لتوضيح بعض القضايا وإضاءة بعض المفاهيم فإنّ "فيصل الأحمر" في الغالب يعتمد الشرح والتفسير والتعليق ممّا أدى في كثير من الأحيان إلى الإطناب والإسهاب.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤلّفات "رشيد بن مالك" نالت حصّة الأسد بين المراجع الكثيرة التي وظفها الباحث، فقد كان يُذيّل كلّ مبحث في معجمه بجملة المراجع التي وظّفها أو استأنس بها في عرض المسارد. ولا يبدو "الأحمر" في معجمه مهتمّا بترتيب المواد المعجمية وفق الطّرق المعروفة، فالمسارد تُعرض دون أن تخضع لمنطق مُعيّن أو ترتيب محدّد، وماذا يبقى من معجم لا تُعرض مواده وفق حروف المعجم؟! ومهما يكن من أمر فإنّ هذا المعجم لا يخلو من فوائد، فقد استطاع أن يضيء مداخل سيميائية كثيرة، على عكس قاموس التحليل السيميائي للنصوص الذي اكتفى باتجاه سيميائي واحد هو السيميائيات السّردية الغريماسية.

وحسب "الأحمر" هذا الإلمام الموسوعي بمناحي السيميائيات ومحاولة تقريب مفاهيمها بأسلوب عربي مبين.

وجملة القول، إنّ خطاب التأليف المعجمي في ميدان السيميائيات في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر مايزال بحاجة إلى جهود أخرى تستثمر الجهدين السابقين لتضيء مستجدّات النظرية السيميائية في مساراتها وتحوّلاتها.

[1]- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص10.

المبحث الثاني: سيميائية القصّة القصيرة

نحاول من خلال هذا المبحث تفحّص المنجز النّقدي التّطبيقي الذي قارب القصّة القصيرة وفق المنهج السيميائي أو بعض إجراءاته عند مجموعة من النّقاد الجزائريين هم على التّوالي: "رشيد بن مالك"، "عبد الملك قجور"، و"عبد الحميد بورايو".

استهلّ النّاقد "رشيد بن مالك" قراءته السيميائية لقصّة "العروس" للرّوائي الفلسطيني "غسّان كنفاني" بمقدّمة منهجية، تناول فيها الأهداف المتوخاة من هذا التحليل، وهي إرساء مشروع نقدي يتفحّص القصّة القصيرة وفق إجراءات المنهج السيميائي، اختبارا لفعاليته التّطبيقية، وعزوفا عن الأحكام المعيارية والانطباعات الذّاتية، فكان النّاقد يسعى إلى علمنة الدّراسة النقدية، وإن كان الحديث عن علم النّص الأدبي سابقا لأوانه ــ كما يعبّر- لاعتبارات ثلاث، أوّلها: افتقار الأدب إلى قوانين علمية ترقي إلى ما هو معروف منها في العلوم التجريبية أو العلوم الدّقيقة، أمّا الاعتبار الثّاني فينبني على رؤية "رومان جاكبسون" لمفهوم الأدبية الذي بمقتضاه يميّز بين الأدبي وغير الأدبي، وهي رؤية قاصرة في رأي الناقد، ذلك أنّ الأشكال الأدبية قد «لا تملك ما يزكّي خصوصيتها الأدبية التي تلتقي مع النماذج الخطابية الأخرى».[1]

أمّا الاعتبار الثالث فيتمثّل في كون الرّؤية العلمية في المجال النّقدي لم تتبلور إلاّ مع كتاب "علم الدّلالة البنيوي" لـ"غريماس" الذي ظهر عام 1966، وفي تلك المرحلة «نما الشّعور بضرورة التّفكير في علمنة الممارسة النّقدية من خلال تحديد المنهج والموضوع وتطويق إشكالية البحث»[2]

يصرّح النّاقد بعد ذلك بالهدف من دراسته وهو «اكتناه التمفصلات الأساسية للنص استنادًا إلى الهيئة التلفظية المؤسسة للفاعل والقنوات التي يمرّر عبرها مضامينه»[3]

ويشرع النّاقد في الدّراسة والتّحليل فيُقَطّع النّص إلى مقطوعتين وهما في الأصل رسالتان تضمّنتهما القصّة يحدّد مبتدا كلّ رسالة ومنتهاها، ففي الرّسالة الأولى يطلب الرّاوي من "رياض" تنفيذ برنامج سردي «ابحث معي حيث أنت عن رجل طويل جدًّا، لا أعرف اسمه ولكنه يلبس بدلة خاكيّة عتيقة ويلوح لأول وهلة وكأنّه مجنون»[4]

[1]- رشيد بن مالك، مقدّمة في السيميائية السّردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص50.
[2]- المصدر نفسه، ص51.
[3]- المصدر نفسه، ص51.
[4]- المصدر نفسه، ص52.

وهو برنامج مرهون بالفشل لأنّه يفتقر إلى موضوع قيمة، فالمبحوث عنه لا يحمل علامات خصوصية تجعل العثور عليه ممكنا، فالمسار الأول هو مسار الافتقار.

«أمّا المسار الثاني "الإحباط والتدهور"، فينتج في جانبه الأول الإحباط، عن عجز الرّجل في تحقيق وصلة بـ"موضوع القيمة المرغوب فيه والمبحوث عنه" ويتمثل في جانبه الثاني في إصابته بالجنون بسبب ذلك»[1].

ولعلّ ما يميّز هذه الدّراسة هو قدرة الباحث على استكناه المسارين اللّذين يوجّهان الأحداث وتوظيفه لآليات السيميائيات السّردية الغريماسية التي تفكك شفرات النّص بهدف ضبط دورته الدّلالية ورصد طرق تجلّي المعنى فيه.

أمّا في تحليله لقصّة "عائشة" لأحمد رضا حوحو، فيتناول في المهاد النّظري عنصرين هامين أوّلهما: مكانة البحوث السيميائية من الدّراسات النّقدية العربية المعاصرة، وثانيهما الفوضى المصطلحية والحلول الممكنة لتجاوزها.

يُفرد العنصر الأول للحديث عن التّحول المنهجي الذي وسم الدّراسات النقدية بالمغرب والجزائر بداية الثمانينيات وما أحدثه من قطيعة مع الممارسات النّقدية التّقليدية متطلّعًا إلى التّعامل مع النّص وفق معرفة علمية مؤسسة على مصطلحات تقنية تحيل إلى مرجعيات محدّدة. ويشير النّاقد إلى أنّ تطوّر النّظرية السيميائية في الغرب مدين للدّراسات اللّسانية فقد استمدّت منها السيميائيات الكثير من المصطلحات، هذه المصطلحات تلقى إجماعا بين الدّارسين الأوروبيين بينما تتضارب مفاهيمها في الدّراسات العربية ممّا يؤثّر سلبا في تلقي القارئ العربي للمعرفة السيمائية.

وقد كشف النّاقد في العنصر الثاني حالة التذبذب والفوضى في ترجمة المصطلح السيميائي والتي تتجلّى في الترجمات المختلفة للمصطلح الواحد أو الترجمة الواحدة لمصطلحين مختلفين، لينهي هذه المقدمة المنهجية بالتّأكيد على «أنّ ترجمة المصطلح في الخطاب السيميائي المعاصر يتّسم بالاضطراب الذي يحول دون بثّ وتلقي الرسالة العلمية، ويؤدّي في جميع الحالات إلى نسف الأسس التي ينبغي أن يبنى عليها التواصل العلمي».[2]

بعد ذلك شرع الباحث في تحديد مفاهيم المصطلحية المعتمدة في البحث والتّصريح بهدف الدّراسة «فحص

[1] – قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص205.

[2] – رشيد بن مالك، مقدّمة في السيميائية السّردية، ص72.

قصّة "عائشة" باستجلاء العناصر السّردية حسب ظهورها في النص، وتحديد الحالات والتحولات التي تحكم بنية الخطاب السّردي»[1]

بعدها حدّد المقطوعتين اللّتين تتشكّل منهما القصّة وشرع في تحليل المقطوعة الأولى بالإشارة إلى خطابها الموضوعي المتضمّن وصف السّارد لوضع المرأة المظلم في المجتمع الجزائري، وهو وضع ثابت تكرّسه الأشكال الثقافية القارّة.

«وقد توصّل الباحث بناءً على المعطيات السّابقة وانطلاقًا من المقابلة الأساسية: الثابت/ المتحوّل، أن يحدّد مختلف القيم الدّلالية في هذه المقطوعة السّردية، وتمثيلها في المربّع السيميائي المحدّد لمكانة المرأة في المجتمع الجزائري»[2]

أمّا الخطاب السّردي، فاستهلّ به تحليل المقطوعة الثانية باستعراض البرنامج السّردي لـ"عائشة" عبر حالاته وتحوّلاته، ثمّ أبرز النّاقد «الآلية التي تحكم البنية السّردية في هذا النّص عن طريق تفحّصه لمجموع الحالات والتّحويلات والاختلافات والانزياحات عبر ملفوظين سرديين، ملفوظ حالة وملفوظ فعل، حيث يبيّن ملفوظ الحالة وضعية الذّات الفاعلة في علاقتها بموضوع القيمة (الاتصال أو الانفصال)، أمّا ملفوظ الفعل فيتّم عبره إنجاز التّحول في البرنامج السّردي بانتقال الذّات من حالة الانفصال إلى حالة الاتصال بموضوع الرغبة أو العكس»[3]

ويختم النّاقد دراسته بالإشارة إلى الدّورة الدّلالية للنص، والمتمثّلة في سعي الذّات "عائشة" إلى الخروج من منطق الثّبات إلى منطق التّحول، وهذا التّحول مرهون بالانتقال من الفضاء العائلي إلى الفضاء الأوروبي، غير أنّ ذلك لم يتمّ ولم تحقّق "عائشة" موضوع قيمتها، إلاّ أنّ بقاءها القسري أدخلها في وصلة بقيّم جديدة «تعيد لها الاعتبار وتعترف بوجودها كإنسان فاعل في مجتمع اضطرّ في نهاية الأمر إلى الرّضوخ لسلطانها والخضوع لإرادتها»[4]

ومن خلال ما سبق يمكن تلخيص إجراء التحليل السيميائي للقصّة القصيرة عند "رشيد بن مالك" في النّقاط التالية:

1- استهلّ دراسته بمقدّمتين منهجيّتين أثار فيهما قضايا نقدية على علاقة وطيدة بمنهجية التّحليل.

2- يستهلّ كلّ دراسة بالتقسيم المقطعي للقصّة.

---

[1]- رشيد بن مالك، مقدّمة في السيميائية السّردية، ص72.

[2]- فايد محمد، حسين علي، أبحاث في الرواية ونظرية السّرد، طكسيج.كم، للدّراسات والنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2014، ص165.

[3]- المرجع نفسه، ص165.

[4]- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص92.

3- يوظّف آليات ومصطلحات السيميائية السّردية الغريماسية في التحليل ولكنّه يطوّعها لخدمة النّص المحلّل.

4- كان الهدف من الدّراستين كلتيهما البحث عن الشروط الدّاخلية المتحكمة في انتاج المعنى.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الناقد وهو يحلّل القصّتين لم يلتزم تلك الخطوات المكرّسة في مسار التّحليل السيميائي السّردي، وقد ألفينا الكثير من النّقاد العرب يلتزمون تلك الخطوات للإحاطة بمختلف الآليات الموظّفة لإنتاج المعنى، وعليه يبدؤون في الغالب بتحليل العنوان ثمّ الإشارة إلى المسار السّردي في الوظيفتين الافتتاحية والختامية، بعدها الوقوف على المستوى السّطحي للنّص بمكوّنيه السّردي والخطابي ثمّ التّطرق إلى المستوى العميق للنّص وينتهي بالمربع السيميائي، والهدف من كلّ ذلك الكشف عن مستويات بناء النّص وطرائق تشكّل المعنى فيه[1].

فلماذا لم يسلك النّاقد "رشيد بن مالك" في تحليله للقصّتين السّابقتين هذا المسلك، وهو من أكثر النّقاد العرب استيعابًا للسيميائيات السّردية ووفاءً لنهجها التحليلي؟

إنّ النّاقد "رشيد بن مالك" عبر مختلف دراساته النّقدية التّطبيقية يعمل على تكييف النّظرية السيميائية «مع الأثر الأدبي المقارب خدمة له لا العكس. وهذا ما استطاع الباحث القيام به ضمن نظرة تأليفية جامعة من خلال تطويعه لتلك المفاهيم السيميائية التي ترسم خطاها، وتكييفه لها مع النص المقارب ممّا مكنّه من الدّخول بمرونة إلى عمق النص واستقراء دلالاته عبر اكتشاف آليات انتظامه وتحديدها»[2].

ومن المفارقات أنّ النّاقد "عصام واصل" في دراسته المشار إليها سابقا يؤكد: "لقد تلقّف النّقد العربي هذا المنهج، خصوصًا في بلدان المغرب العربي، فأنتجوا فيه تنظيرا وتطبيقًا، غير أنّ ما يؤخذ على بعض التطبيقات التزامها الصّارم بالاشتغال الإجرائي الآلي الحرفي، وإغفال البعد التأويلي والاكتفاء بسؤال الكيف، وقد وجدنا من خلال اطلاعنا على كثير من التطبيقات أنّها تقبع تحت هيمنة الإرث النّظري الصّارم دون محاولة اختبار جدواه"[3]. ومن خلال المعاينة والمقارنة بين تحاليل القصص الثلاث، نلفي "عصام واصل" أكثر خضوعًا للاشتغال الإجرائي الحرفي، أمّا "رشيد بن مالك" فاكتفى برصد الدّورة الدّلالية لكلّ نص على حدة مستخدمًا مصطلحات السيميائية السّردية الغريماسية مخضعًا المنهج للنص، ممّا يكشف إلمامه بخصوصيات هذا المنهج وقدرته على استنطاق النص وكشف مغيباته.

---

[1]- ينظر: عصام واصل، دراسة سيميائية في قصة "نصف امرأة مؤقّتا"، مجلة جسور المعرفة تصدر عن مخبر تعليميه اللغات وتحليل الخطاب بجامعة الشلف، مجلد 04، عدد 01، مارس 2018، ص105 وما بعدها.

[2]- قادة عقاق، سيميائية النص السّردي في النقد الجزائري المعاصر، مجلة "بحوث سيميائية"، مجلد 3، عدد 3، ص265.

[3]- عصام واصل، دراسة سيميائية في قصة "نصف امرأة مؤقتا"، ص105.

ورغم هذه الحُظْوَة المعرفية التي حازَها النّاقد "رشيد بن مالك" في ميدان التّحليل السّيمائي السّردي للقصّة القصيرة فإنّ النّاقد العراقي "محمد فليح الجبوري" في رَصده للنّقاد العرب الذين اشتغلوا على النّقد القصصي لم يذكُر ناقدًا مغاربيًا واحدًا، والمفارقة أنّ "الجبوري" يقتبس في أكثر من موضع من كتب "رشيد بن مالك" بل إنّه يقرّ: «يمكننا أن نعدّ "رشيد بن مالك" في طليعة النّقاد الجزائريين الذين عُنوا بالنّقد السيميائي، وجاءت عنايته بسيميائية السّرد في وقت مبكّر إذ ألّف كتابًا وسمه بـ: "مقدّمة في السيميائية السّردية 1992" وفيه يعرض الأصول اللّسانية والشّكلانية للمنهج السّيميائي»[1]

فبم نسوّغ هذا التّغافل عن دراستين توظفان باقتدار آليات المنهج السيميائي السّردي لواحد من الذين تلقّوا المعرفة السيميائية من مظانّها وبلغتها الأصلية؟

قد يكون "الجبوري" تغاضى عن دراستي "رشيد بن مالك" لأنّهما لم تنفردا بكتاب مستقل إذ ضمّنهما كتابه السّالف الذّكر في جزئه التّطبيقي لاسيّما وأنّ النّقاد الآخرين المذكورين أفردوا جلّهم كتبا مستقلة لتحليل القصص وفق إجراءات هذا المنهج.*

ولم يول المنجز السيميائي الجزائري في مجال النّقد اهتمامًا كبيرًا للقصّة القصيرة مقارنة بالفنون السّردية الأخرى كالرواية والحكاية الشّعبية والخرافية، بل إنّ الكثير من الدّراسات اكتفت بتحليل جزئية من البناء السّردي القصصي، كأن تكون سيميائية العنوان أو سيميائية الشخصية أو سيميائية الفضاء ...

ومن الدّراسات الأخرى التي اتّخذت القصّة القصيرة عيّنة للتّحليل باستخدام بعض إجراءات السيميائيات السردية، دراسة النّاقد "عبد الملك قجور" الموسومة بـ: «تحليل القصّة القصيرة "في المقهى" (وقصّة "في المقهى" موضوع التحليل، للكاتب الجزائري"محمد ذيب")، وقد ضمّنها "قجور" كتابه "مقاربة النص وفق بعض الطّرائق الحديثة (قراءتان في نصين سرديين)»[2]

---

[1]- محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، منشورات ضفاف، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف، ط1، 2013، ص189.

*- منهم: دراسة سلمان كاصد "الموضوع والسّرد/ دراسة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي" ودراسة "عبد الهادي الفرطوسي" "سيميائية النص السّردي" ودراسة "خالد حسين" في كتابه: "شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل"، ينظر: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي، ص279، 285، 291. ومن المؤلّفات النّقدية العربية التي رصدت اشتغال النّقاد العرب على النّص القصصي بتطبيق آليات السيميائيات السّردية، دراسة النّاقد العراقي "محمد فليح الجبوري" الموسومة بـ:"الاتجاه السيميائي في نقد السّرد العربي الحديث"، فقد أفرد مبحثا من مباحثه للقصّة في النّقد السيميائي العربي، واصفًا فيه الدّراسات العربية التي طبّقت المنهج السيميائي السّردي في تحليل القصّة القصيرة مستعرضا أعمال خمسة نقاد عرب هم على التّوالي: "سامي سويدان"، و"صالح هويدي" و"سلمان كاصد" و"عبد الهادي الفرطوسي" و"خالد حسين".

[2]- عبد الملك قجور، مقاربة النص وفق بعض الطرائق الحديثة (قراءتان في نصين سرديين)، مؤسسة البحر الأبيض المتوسط الدولية للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، ط1، 2008.

وقد قسّم النّاقد دراسته إلى مرحلتين اثنتين، واهتم في المرحلة الأولى بمكوّنات المبنى الحكائي «الذي يُعالج من خلال الإجابة عن السؤال المركب: من يسرد، وماذا يسرد، وكيف يسرد؟ الذي انتظم مسعى الإجابة عنه في ما أصبح يُعرف كمادّة "مقولات الحكي الثلاث" التي هي الزمن، الضيعة والرؤية السّردية»[1].

أمّا المرحلة الثانية من التحليل فقد أفردها لمعالجة المتن الحكائي«باعتماد طريقة قريماس السيميائية في تحليل النصوص السردية»[2].

فالدّراسة إذًا، لا تتنزّل ضمن حدود هذا البحث "السيميائيات السردية" إلاّ في شقّها الثاني الذي يستهلّه بدراسة البنية السّردية كاشفا عن البرامج السّردية التي حصرها في "برنامج البحث عن عمل ثم برنامج الاستراحة فبرنامج الاغتصاب وختاما برنامج محاولة السّرقة، محدّدا الحالة البدئية والحالة الختامية لكل برنامج مستعرضًا علاقات الاتصال والانفصال بين الذّات وموضوع القيمة خاتمًا كلّ برنامج بترسيمة عاملية.

ثم يتطرّق إلى الصّور فالأدوار الغرضية التي يلخّصها في دورين، دور الإنسان صاحب الضمير الإنساني الحي ودور الضّحية، ويُفرد عنوانا ثالثا للحديث عن "المعنى على المستوى المنطقي" يستهلّه بموضعة الأحداث الزمنية والفضائية بداية بالزمن وانتهاءً بالفضاء، ويختتم مرحلة التحليل السيميائي السّردي بالمربّع السيميائي ملخصًا البنية العميقة للنص القصصي موضوع التحليل بتأكيده "إنّ حياة اليأس والبؤس والتعاسة تعني بمعنى من المعاني الموت من حيث تأتي الثنائية التعارضية، حياة/ موت، التي يمكن أن تمثّل شفرة النص على مستوى البنية العميقة للدّلالة (المستوى المنطقي)، حيث ينفي النص أن يكون العيش في وضع استعماري حياة، ليثبت أنه موت وهو ما يمكن إبرازه من خلال المربع السيميائي:[3]

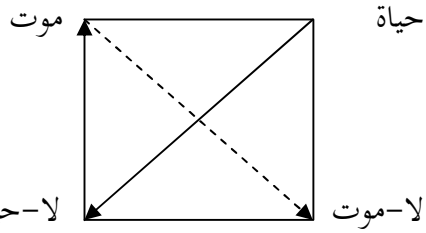

ولم تنته الدّراسة بالمربع السيميائي كما ألفنا في المقاربات التي تسلك هذا المنحى في التحليل، بل أضاف الباحث عنصرًا آخر وسمه بالرّسالة وخصّه بكشف مغزى القصّة، بعد كلّ ذلك الجهد الذي بذله في عملية التحليل المحايثة التي لا تهتم بمضمون القول بل بكيفيته مصداقًا لتصريح الباحث في متن دراسته: «إنّ ما اهتممنا

[1] – عبد الملك قجور، مقاربة النص وفق بعض الطرائق الحديثة (قراءتان في نصين سرديين)، ص3.

[2] – المصدر نفسه، ص3.

[3] – المصدر نفسه، ص39.

به في تلك العناصر توقف عند حد وصف الطريقة التي عرض بها القصة ومعالجة المعنى الذي قرّرته البنية بالطريقة السيميائية باعتبار أنّ النص بنية لغوية دالّة»[1]

ويبدو أنّ الناقد يريد الإحاطة بدلالات النص بشكل أوسع وأعمق لذا يسعى إلى ربط النص بسياقاته الخارجية عبر طرح مجموعة من الأسئلة، «ماذا أراد الكاتب تبليغه؟ لمن يتوجه إليه بنصّه؟ أو ماهي الرّسالة التي يحملها نص الكاتب إلى من يتوجّه إليه بنصّه؟»[2] ويختتم تحليله بتقديم إجابات عن هذه الأسئلة: «يتّضح في ضوء ما تقدّم أنّ القصّة القصيرة "في المقهى" قد جاءت لتعبّر عن معاناة شعب يرزح تحت وطأة واقع استعماري مظلم –كما جاءت لتدعو من طرف خفي الجزائريين إلى الالتحاق بأولئك الذين نهضوا في وجه المستعمر البغيض باستخدام العنف (الحرب) لإحداث عالم جديد.

وقد جاءت هذه القصّة أيضا حاملة لرسالة مزدوجة إلى المثقّفين الفرنسيين: تبرير استخدام الجزائريين العنف لأجل التّغيير، ثم دغدغة مشاعر هؤلاء المثقّفين الفرنسيين بغرض استمالتهم لمساندة الشعب الجزائري في دفاعه عن قضيته العادلة»[3]

والنّاقد بهذا الإصرار على توضيح المغزى والقصد ينزلق من مبدأ المحايثة إلى القراءة الانطباعية الذّاتية التي تخضع بالدّرجة الأولى إلى قدرات الناقد وثقافته، كما أنّ هذا الصّنيع يفرض على النص قراءة واحدة في حين تؤكد المدارس النقدية النّصية على مبدأ تعدّد القراءات واتّساع فضاء التّأويل «ويبدو أنّ الوصول إلى قصدية القاص أمر لا يحظى باحترام الدّرس السيميائي بقدر ما تحظى به كيفية التّوظيف العلامي»[4]

يمكن في ختام هذه الدراسة الإشارة إلى الملاحظات التالية:

1- عمد الدّارس إلى التّركيب المنهجي بتوظيف آليات المنهجين البنيوي والسيميائي في مرحلتي التحليل ولم يقدّم تسويغا لهذا الفعل.

2- كان التحليل تطبيقيا محضًا، فلا يكاد النّاقد يشرح مفهوما أو يوضّح مصطلحًا.

3- لم يكتف النّاقد بما كشفه التحليل من بنى تركيبية ودلالات مضمرة، بل انفتح على السياقات الخارجية للنص بغية توضيح رسالة القاص وهو إجراء خرق مبدأ المحايثة وانزلق إلى المرجعيات السياقية والانطباعات الذّاتية.

---

[1]- عبد الملك قجور، مقاربة النص وفق بعض الطرائق الحديثة (قراءتان في نصين سرديين)، ص39.

[2]- المصدر نفسه، ص40.

[3]- المصدر نفسه، ص46.

[4]- محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السّرد العربي الحديث، ص284.

أمّا تجربة النّاقد "عبد الحميد بورايو" في مقارباته النّقدية فتبدو مختلفة كمًّا وكيفًا عن تجربة النّاقدين السّابقين، فقد ركّز في بحوثه ودراساته على الحكايات الشعبية والخرافات مستثمرا المنجز النّقدي الغربي بدءًا بشكلانية "فلاديمر بروب" ثم بنيوية "كلود ليفي شتراوس، فالبنيوية التكوينية لـ"لوسيان غولدمان" وأخيرا سيميائيات غريماس وسرديات "كلود بريمون".

ولم نكد نعثر في مدوّنته النّقدية الفنية سوى على دراسات معدودات حلّل فيها قصصًا قصيرة وروايات في كتابه "منطق السّرد" «وتكمن أهمية هذا المؤلف في المادّة العلمية التي رصدها الكاتب في المدخل المنهجي، وهو مبحث نظري خصّص جزء منه للحديث عن البنية التّركيبية للقصّة من منظور المدوّنة الشّكلانية المتمثّلة خاصة في تجربة "بروب" وما سبقها من جهود وما تلاها من دراسات، قدّمت إضافات مهمّة في موضوع تحليل النّصوص السّردية لا غنى للباحث المتمرّس وغير المتمرّس عنها»[1].

وُسِمَ القسم الثاني من الكتاب بـ: "مقاربات حول القصّة القصيرة الجزائرية" تناول فيه بالتّحليل أربع قصص قصيرة لثلاث قصّاصين جزائريين "الأجساد المحمومة" و"الجنين العملاق" لـ: "إسماعيل غموقات" و"مجرّد لعبة" لـ"أحمد منور"، و"آدم وحوّاء والتّفاحة" لـ"بوعلي كحال".

استهلّ النّاقد "بورايو" تحليله لقصّة "الأجساد المحمومة" بتحديد هدفه من الدّراسة والمتمثل في رصد بعض مظاهر البنية القصصية في هذا العمل، ثمّ رصد الوحدات الكبرى التي تتكامل فيما بينها لتشكل الحبكة الرئيسية للقصّة، كاشفًا العلاقات المهيمنة بين هذه الوحدات والمتمثلة في العلاقات المنطقية والعلاقات الزمنية ويقصد بالعلاقة المنطقية العلاقة السّببية "حيث يكون وراء وجود كل وحدة في القصّة وجود وحدة أخرى"[2]، أمّا العلاقات الزّمنية فيعني بها مبدأ التّتابع الزّمني، وقد رصد الناقد ثلاث أنواع من العلاقات الزّمنية (التّوازي أو الاقتران، التّقاطع والتضمين) [3] ثمّ مثّل لكل علاقة بما ورد في النّص القصصي من أحداث مع الإشارة إلى بعض المظاهر التقنية المتعلقة بسردها، ليشير بعد ذلك إلى البناء الزّمني للقصّة المتميّز بنوعين من الزّمن:

1- زمن الإبلاغ: وهو الزّمن الذي تجري في مستواه رواية الأحداث.

[1] - عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب السّردي وقضايا النص، منشورات دار القدس العربي، وهران، ط1، 2009، ص178.

[2] - عبد الحميد بورايو: منطق السّرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص71.

[3] - المصدر نفسه، ص72.

2- زمن البلاغ: وهو الزّمن الذي تجري في مستواه الأحداث[1] وانطلاقا من هذه الرّؤية الزّمنية، رصد الأزمنة المتداخلة في القصّة ليخلص إلى أنّ هذه الأزمنة تأخذ اتّجاها واحدًا "هو اتّجاه السّيولة الزّمنية العادية وهي الصّورة التي يأخذها الزمن في مستوى الشعور (الوعي الإنساني) من البداية إلى النهاية ومن الماقبل إلى المابعد"[2]

وفي الأخير كشف النّاقد "عبد الحميد بورايو" الرّؤية السّردية المهيمنة على القصّة وهي الرّؤية مع، فالرّاوي يعرف ما تعرفه الشخصيات. وواضح أن الناقد وظّف آليات التّحليل التي اقترحها "تودوروف"* بدءًا بتقسيم القصة إلى وحدات ثمّ كشف العلاقات المهيمنة ثمّ البناء الزّمني وأخيرًا الرّؤية السّردية.

ويبدو تحليله لقصّة "الجنين العملاق" أكثر ارتباطا بسيميائيات "غريماس" فقد ألفيناه يبدأ بتحديد مشاهد القصّة وما تمثّله من مواقف وفقا لطريقة عرضها بِدْءًا بالموقف الاختتامي فالافتتاحي فالأوسط، راصدًا التّحول القيمي من خلال الموقف الختامي من القيم السلبية إلى القيم الإيجابية، ثمّ شكّل الترسيمات العاملية للمواقف الثلاث، الافتتاحي والوسيط والختامي، ولعلّ هذه الترسيمات العاملية الثلاث تكشف سبق "عبد الحميد بورايو" لآليات التّحليل السيميائي الغريماسي على اعتبار أن المقال صدر سنة 1981.

ويستهلّ تحليله لقصّة "مجرّد لعبة" بتحديد مشهدي القصّة واشتراكهما في موضوع واحد يتمثل في اتصال يُعقب بانفصال ويرتبط المشهدان بعلاقة تضمن، فالمشهد الثاني مجرّد فقرة من المشهد الأول وترتبط الوظائف داخل المشهدين بعلاقة سببيّة نفسيّة، أمّا العلاقات بين الشخصيات فتقوم على التّضاد.

ويشير النّاقد إلى نوعي الحوار اللّذين قام عليهما خطاب القصّة، وهما الحوار الدّاخلي والخارجي مع إشارته إلى الأحياز التي تجري فيها الأحداث وعلاقتها بالشخصيات، ويخلص إلى أن سياق القصة «القائم على التركيب بين شكلين من الحوار ونوعين من الأزمنة والانتقال بينهما، أنّها تعبّر عن عزلة فئة من الفنانين في مجتمعنا ورغبتهم في الاتصال بالنّاس وتصوّر القصّة هذه الهوّة القائمة بين الفنان ومجتمعه في ظروف اجتماعية وثقافية معينة»[4]

ومن خلال منهجية التحليل والمصطلحات الموظّفة فيه، يتبدّى المنهج البنيوي جليًّا فمصطلحات من قبيل "الراوي، الفاعل، الوظائف، علاقتي التّضاد، حيّز مكاني مغلق تكشف بنيوية التّحليل إلاّ أنّ «المطّلع على تحليلات بورايو" سيلحظ من دون شك محاولته التأسيس لرؤية في مجال النّقد تفيد من الآخر دون الارتباط به

[1]- عبد الحميد بورايو: منطق السّرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ص73.

[2]- المصدر نفسه، ص73.

*- ينظر ص55 من الكتاب (منطق السرد).

[4]- عبد الحميد بورايو، منطق السّرد، ص82.

ارتباطا ساذجا وحرفيا، أي لابدّ من مراعاة طبيعة النص المعالج وخصوصيته، فهو في تعامله مع النصوص السّردية يُنصت إلى ما يمليه النص وما يتطلبه من انسجام منهجي، ولا يُنصت إلى ما يمليه المنهج، فالسلطة حسب هذا النّاقد تعود إلى النص، لا إلى المنهج وإجراءاته»[1]-

أمّا في دراسته الموسومة بـ: "آدم وحواء والتفاحة" فيحلّل قصّة أخرى بعنوان "من دفاتر الطفولة"، ويستهل تحليله بتحديد قسمي القصّة انطلاقا من اختلاف طبيعة الملفوظات في كل قسم.

كشف الملفوظ السّردي في القسم الأول اعتمادا على الحقول المعجمية التي حصرها في ثلاث، مفردات دالة على عالم الطفولة ومفردات دالة على عالم الواقع الخارجي ومفردات دالة على الحركة والاضطراب وبتحليل هذه الحقول المعجمية استخلص «أنّ المجموعة الأولى الموسومة بالقيم الإيجابية هي الدّالة على عالم الطفولة بينما المجموعة الثانية الدّالة على العالم الخارجي المعاش (كذا) هي الموسومة بالقيم السلبية، أمّا المجموعة الثالثة الدّالة على الحركة والاضطراب فهي تتسم بالذّاتية لأنّ أغلبها ترتبط بالعالم الدّاخلي للإنسان كما أنّها تعني الانتقال في الزّمان والثّبات في المكان»[2]-

أمّا الملفوظ السّردي في القسم الثاني من النص فاستعان في تحليله بمفهوم الوظيفة المستخدم في تحليل الحكاية الشعبية، لذا بدأ برصد الاختبار الأولي، ثمّ الهبة، ثمّ ردّ فعل البطل تجاه الواهب فالمواجهة فالاختبار الرّئيسي وأخيرا الاختبار الإضافي، أمّا في القسم الثاني المتعلق بالشّكل السّردي أو مستوى التّلفظ فرصد الصّيغة التي يهيمن عليها ضمير المتكلّم والذي يمثّل الرّاوي والمروي عنه والمروي له، ويحدّد في العنصر المتعلّق بالذّاكرة والكتابة وحدود المكان وظائف الأحياز في القصة، فالذّاكرة حيّز نفسي يستحضر عالم الطفولة والغرفة حيّز مكاني مادي يتّسم بالضّيق والانغلاق، أمّا الحيّز النّصي فهو تلك الأوراق التي يحملها الرّاوي ويشكوها هموم الحاضر وومضات الماضي المشرق.

وواضح أنّ النّاقد في تحليل هذه القصّة أيضًا يزاوج بين بنيوية "بروب"، وشكلانية "تودوروف" مصطلحا وإجراء. ويبدو الجزء التّطبيقي من كتاب "منطق السّرد" محاولة من الناقد لإحداث انسجام مع ما طرحه في القسم النّظري حين استعرض نظريات القصّة قبل "بروب" و"بعده" «وقد تحقق له ذلك إذ نراه يستثمر قراءاته للمنهج الشكلي والبنيوي والسيميائي في مقاربة النّصوص السّردية العربية محققا أهدافا علمية كان من نتائجها وضع الأعمال المدروسة في سياقها الزّماني والمكاني ومواجهتها بالنقد الأدبي الجمالي، بعيدًا عن النّظام العسير الذي كان

[1]- حمزة بسو، الوعي النقدي في تلقي المنهج الغربي عند عبد الحميد بورايو، التحليل الوظائفي نموذجا، مجلة الآداب العلوم الاجتماعية، علمية محكمة تصدرها جامعة لمين دباغين سطيف، مجلد 12، عدد 02، ديسمبر 2015، ص196.

[2]- عبد الحميد بورايو، منطق السّرد، ص85.

يواجه النّصوص الإبداعية بالأحكام الجاهزة، التي تنصرف –غالبا- عن النصوص، فتنهال على أصحابها بحثا عن أصولهم وفروعهم وثقافتهم وبيئتهم الجغرافية والسياسية والاجتماعية»[1].

ختاما يمكن تلخيص تجربة النقاد الجزائريين في نقد القصّة القصيرة وفق إجراءات المنهج السيميائي السّردي في النقاط التالية:

1- يبدو "رشيد بن مالك" أكثر هؤلاء النّقاد وفاءً لسيميائيات السّرد الغريماسية في تحليلاته، وإن لم يكن يلتزم بخطوات التّحليل السيميائي التزاما صارمًا.

2- لجأ بعض النّقاد إلى التّركيب المنهجي وأخلّوا بمبدأ المحايثة حين انشغلوا بربط العمل القصصي بسياقاته الخارجية، واهتمّوا برسالته ومغزاه.

3- يستثمر "عبد الحميد بورايو" منجزات الشكلانية والبنيوية والسيميائية في تحليل النص القصصي، ويحاول من وراء ذلك تطويع المنهج للنص واستنطاقه وكشف بنياته ودلالاته.

4- لم يُول النّاقد الجزائري كبير اهتمام للتّحليل السّيميائي السّردي للقصّة القصيرة، مقارنة بالرّواية والحكاية الشّعبية والخرافية –كما سيتّضح في المباحث الموالية-.

5- طوّع النّاقد الجزائري –من خلال العيّنات المدروسة- المنهج لخدمة النّص، فلم يلتزم –في الغالب- بالآليات الإجرائية ومستويات التّحليل التي اقترحها رواد هذا المنهج في الغرب (غريماس وتلامذته).

[1]- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السّردي وقضايا النص، ص185-186.

المبحث الثالث: سيميائية الخطاب الرّوائي

اشتغل روّاد السّيميائيات السّردية في مسقط رأسها على النّصوص القصيرة كالخطب الدّينية والأساطير والقصص القصيرة، وربّما كان "غريماس" ورفقاؤه يتهيبون الخوض في تحليل النّصوص الرّوائية «لأنهم يعرفون حظوظهم وإمكانياتهم، وأن تحليلا لرواية من ثلاثمائة صفحة قد يحتاج إلى زمن طويل لإنجازه بدقة وشموليّة كما يذهب إلى ذلك "محمد مفتاح" في آخر حواراته»[1].

وقد تلقف النّقاد العرب عامّة والجزائريون خاصة هذا المنهج وطبقوا آلياته على نصوص روائية كاملة وإن لم يلتزموا التزامًا صارمًا بمستوياته وإجراءاته التّحليلية، إذ يختارون منها ما يرونه متوائمًا مع النّص موضوع التّحليل* وسنحاول من خلال هذا المبحث مُساءلة عيّنات من البحوث والدّراسات النّقدية الجزائرية التي قاربت النّص

---

[1]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 207.

*- تتنوّع الدّراسات العربية والجزائرية التي طبّقت المنهج السّيميائي في تحليل الرّواية فمنها الكتب المؤلّفة ومنها الدّراسات الأكاديمية وهذه بعضها:

1.الكتب المؤلّفة:

أ-نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الرّوائي، دراسة تطبيقية لرواية الزيني براكات، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط، 2012.

ب-عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة)، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2002 (موضوع الكتاب تحليل رواية "اللجنة" للروائي المصري "صنع الله إبراهيم").

ج-عبد المجيد العابد، سيميائيات الخطاب الروائي، "اللص والكلاب" و"ذات" رؤيا جديدة، كتاب "الرافد" العدد 59 ديسمبر 2013، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، دط، دت.

د-محمد الداهي، سيميائية الكلام الروائي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006.

هـ-عبد اللطيف محفوظ، البناء والدلالة في الرواية، مقاربة من منظور سيميائية السرد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010 (موضوع الدراسة تحليل رواية "البحث عن وليد مسعود" لـ"جبرا إبراهيم جبرا").

و-لطيفة الحبي، الخطاب السردي مقاربة سيميائية، منشورات مقاربات، فاس المغرب، ط2، 2016 (موضوع الدراسة رواية "العيب" لـ"يوسف إدريس").

2.الدراسات الأكاديمية:

أ-أمين بوضياف، استراتيجية البناء العاملي وديناميكيته في الخطاب الروائي "مدينة الرياح" لـ"موسى ولدبنو" نموذجًا، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور "علي ملاحي"، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، السنمة الجامعية 2007/2006.

ب-توام عبد الله، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، رواية "كتاب الأمير –مسالك أبواب الحديد- لـ"واسيني الأعرج" نموذجا، مذكرة ماجستير، إشراف أ.د "هواري بلقاسم"، جامعة وهران السانية، قسم اللغة العربية وآدابها، العام الجامعي 2009/2008.

ج-راضية لرقم، النص السردي عند الحوطئى وعمر بن الأهشم، دراسة سيميائية، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور "محمد بن زاوي"، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2009/2008.

د-جريوي آسيا، السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة دراسة في ثلاثية (حكاية بحار) لـ"حنّا مينة"، أطروحة دكتوراه علوم، إشراف أ.د "بن غنيسة نصر الدين"، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الأدب العربي، السنة الجامعية 2013/2012.

هـ-عبد الله توام، دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائية، رواية: "الآن هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى" لـ"عبد الرحمن منيف" أنموذجًا، دكتوراه علوم، إشراف أ.د "هواري بلقاسم"، جامعة أحمد بن بلة، وهران1، قسم اللغة والأدب العربي، الموسم الجامعي 2016/2015.

الرّوائي الجزائري أو العربي بتوظيف آليات هذا المنهج، يحذونا في ذلك اختبار فعاليته ومدى قدرته على كشف خبايا النّص واستكناه خصوصيّاته دون السّقوط في مهاوي الخضوع الصّنمي لميكانيكية إجراءاته التي تجعل كلّ المقاربات متشابهة مكرورة، وقد قدّمنا هذه العيّنات وفق خطّة* خاضعة لترتيب منطقي تقتضيه الدّراسة الأكاديمية دون خضوع هذا التّرتيب لأي حكم من أحكام القيمة.

1- الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة، عيّنة:

تعدّ تجربة النّاقد "السعيد بوطاجين" في ميدان التّحليل السيميائي من خلال كتابه العلامة "الاشتغال العاملي دراسة سيميائية" غدا يوم جديد لـ"ابن هدوقة" عيّنة[1]- من التّجارب النّقدية المتميّزة في النقد السّيميائي الجزائري التي خصّت رواية واحدة بكتاب كامل، وقد سوّغ اختياره للرواية موضوع التحليل، بكونها آخر روايات "عبد الحميد بن هدوقة"، ناهيك عن اختلافها عن بقية رواياته في البناء واللّفظ والأسلوب[2]-، إضافة إلى أنّ الرواية في رأي الناقد لم تحظ بالعناية اللازمة من طرف النقاد، لذا بادر بالكشف عن بعض بناها راصدا أبنيتها.

ومن العوائق التي اعترضت سبيل الناقد وهو يحلل هذا العمل إشكالات المنهج والمصطلح، وقد تجاوز إشكالية المصطلح، باعتماد ترجمات مصطلحية لروّاد النقد الألسني العربي أمثال: "عبد السلام المسدي، وسمير المرزوقي

---

*- التزمنا في عرض هذه العينات -بناء على توجيهات الأستاذ المشرف- الخطة التالية:

1-قدّمنا الدراسة التي اشتغلت على نص جزائري وانفردت بكتاب كامل وهي دراسة "السعبد بوطاجين" الموسومة بـ: "الإشتغال العاملي دراسة سيميائية" "غدا يوم جديد" لـ"ابن هدوقة" عينة.

2-الدراسات التي اشتغلت على نصوص جزائرية لكنها لم تنفرد بكتاب بل جاورتها دراسات أخرى في كتاب واحد وهي:

أ-سيميائية الفضاء في رواية "ريح الجنوب" لـ"رشيد بن مالك".

ب-دراسة تحليلية لرواية "نوّار اللوز" للرّوائي الجزائري "واسيني الأعرج" لـ "رشيد بن مالك".

ج-قراءة سيميائية في رواية "عواصف جزيرة الطيور" لـ"جلالي خلاص" لـ"رشيد بن مالك".

د-سيميائية الخطاب الروائي تحليل رواية "صوت الكهف" لـ"عبد الملك مرتاض" لـ"حسين خمري".

3-الدراسات التي تناولت نصوصًا جزائرية وقدّمت في ملتقيات جامعية ثم جمعت في شكل محاضرات ومن أمثلتها: مقاربة سيميائية قصصية، التركيب العاملي في رواية "نهاية الأمس" لـ"عبد الحميد بن هدوقة"، لـ"حسن مزدور".

4-الدراسات التي تناولت نصوصا عربية وقدّمت في كتاب إلى جانب دراسات أخرى ومن أمثلتها: (التحليل السيميائي لرواية "الصحن"، للروائية الأردنية "سميحة خريس" لـ"رشيد بن مالك").

5-الدراسات التي تناولت نصوصا عربية وقدّمت في ملتقيات سيميائية جامعية وهي:

-التحليل السيميائي للبنى السردية، رواية "حمامة السلام" للدكتور "نجيب الكيلاني" أنموذجا، لـ"بلقاسم دفة".

- رواية "مثلث الرافدين" للروائية السورية "سها جلال جودة" دراسة سيميائية سردية لـ"عبد الناصر مباركية".

[1]- السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لبن هدوقة عيّنة، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، أكتوبر 2000.

[2]- المصدر نفسه، ص 08.

وجميل شاكر" وغيرهم إضافة إلى الجهد الشخصي للناقد متمثلا في اقتراح مقابلات عربيّة لبعض المصطلحات الغربيّة.

وتتجلى الإشكالية المنهجية في الايقاع السريع الذّي تتحرك به المناهج «بحثا عن ذاتها وعن طريقة مثلى لامتلاك النص»[1]، وقد كان الناقد دقيقا وهو يحدد إطار دراسته ويقصرها على البنية العاملية متناولا "الذّوات الكبرى المهيمنة نصيا وربطها بالبرامج السردية لتبيان أهم الاتصالات والانفصالات بين الذّوات والموضوعات حتى يتسنّى [له] توضيح كيفية انتشار مختلف القيم وفق بنى عاملية متميّزة"[2]

حدد بعد ذلك أهم المقطوعات التي تضمّنتها الرّواية حاصرا إيّاها في خمسة كما يوضحه الجدول[3]:

الجملة	الموضوع
–مسعودة تريد الذهاب إلى العاصمة	– المدينة ⟵ الموضوع (1)
– مسعودة تريد تدوين حياتها	– الكتابة ⟵ الموضوع
– الحبيب يريد الذّهاب إلى الزّاوية	– الزاوية ⟵ الموضوع
– عزوز يريد الحصول على الأرض	– الأرض ⟵الموضوع
– العمة حليمة تريد تزويج خديجة بقدور	– المدينة ⟵ الموضوع (2)

أمّا في التمهيد فانصب الحديث على جهود "غريماس" في التأسيس للبحث السيميائي من خلال كتابيه "الدلالة البنيوية" الصادر عام 1966، ومعجمه المشترك مع "جوزيف كورتيس" الصّادر عام 1979.

ولأن الدراسة تتمحور حول فكرة "العامل" فقد استعرض الناقد تطور هذا المفهوم انطلاقا من فكرة الوظيفة fonction عند "بروب" وتحولها إلى عامل عند تنيير tesniere وتضم عنده: «الأشياء والمجردات والكائنات المجرّدة والمؤنسنة»[4]

وقد تخلصّ "غريماس" من تأثيرات"بروب" و"تنيير" على حد سواء وحصر عوامل الترسيمة العاملية في ستة وهي: «المرسل والمرسل إليه، وذلك على مستوى التواصل، وذات وموضوع على مستوى الرّغبة، ومساعد ومعاكس على مستوى الصّراع. ويمكن أن يكون المرسل شخصا أو جمادا أو حيوانا أو مؤسسة أو فكرة مجردة

[1]– السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لـ "بن هدوقة عيّنة"، منشورات الاختلاف، ط1، أكتوبر 2000، ص 09.

[2]– المصدر نفسه، ص 10.

[3]– ينظر: قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 214.

[4]– السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 14.

وبالتالي نتعامل مع العامل سيميائيا من خلال منطق نحوي أصولي، يتكون من مسند وفاعل ومفعول به، أي: من وظيفة وذات وموضوع»[1]

وضبط "غريماس" أكثر مسألة اشتغال العوامل في مقالة: "العوامل الممثلون والأدوار"، بحيث يمكن لذات واحدة أن تسهم في عدّة عوامل، كما يمكن اشتراك عدّة ذوات في عامل واحد، ويستعرض النّاقد الترسيمة العاملية لـ "غريماس" ومقترحات المسرحية "آني أوبرسفالد" Anne Ubersfeld في تعديلها لتلك الترسيمة مؤكدًا التّكامل الواضح بينهما وعدم تأثير الفروق بين الترسيمتين على الاشتغال العاملي.

وقد اكتفى الناقد بدراسة البنى العاملية الشاملة وإغفال البنى الصّغرى لأنّها تتطلب عملا موسوعيّا على حدّ تعبيره، كما صرّح باعتماده في دراسته نظرية "غريماس" التي تمثل خلاصة الجهود التي سبقته، وضبط العملية التحليلية بانتقاء الذّوات الكبرى المهيمنة نصيًّا وربطها بالبرامج السّردية الممكنة[2]

وقد لجأ النّاقد "السعيد بوطاجين" إلى نظام المقطوعات «نظرا لقدرته على تفكيك الوحدات الألسنية للخطاب إلى أجزاء شبه مستقلة قابلة للاشتغال كقصص منفردة»[3]، ولا بد أن تخضع عملية التقطيع في التّحليل السيميائي إلى معايير منها، المعيار العاملي أو الفاعلي الذي يعدّ «من أهم المعايير التي يعتمد عليها السيميائيون لتقطيع النصوص السردية لأنّ ظهور فاعل أو عامل أو شخصية في ساحة الأحداث، أو غيابها ليحضر عامل أو فاعل آخر، فإنّ ذلك يساهم بلا شك في تحديد المقاطع النّصية بشكل مضبوط ودقيق، كما أنّ الصراع بين العوامل لتحصيل الموضوع المرغوب فيه، بالإضافة إلى ربطها بالبرامج السّردية تحفيزًا وتأهيلا وإنجازًا وتقويمًا، يمكن أن يشكل ذلك محدّدات أساسية في عملية تقطيع النصوص والخطابات»[4]

ومن الواضح أنّ النّاقد اعتمد هذا المعيار في عملية التقطيع، إذ يقوم بحصر خمس جمل مفاتيح تمحورت حولها الرواية هي[5]:

1- مسعودة تريد الذّهاب إلى العاصمة، 2- مسعودة تريد تدوين حياتها، 3- الحبيب يريد الذّهاب إلى الزاوية 4- عزوز يريد الحصول على الأراضي، 5- العمة حليمة تريد تزويج خديجة بقدور.

---

[1]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السّردية، من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، دط، 2013، ص 52، 53.

[2]- ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 19.

[3]- المرجع نفسه، ص 20، 21.

[4]- جميل حمداوي، السيميوطيق السردية، ص 16، 17.

[5]- ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 21.

والملاحظة التي يمكن تسجيلها بعد هذا المهاد النظري الموجز هي اعتماد الدّارس طريقة تعليمية توضيحية مبسّطة «إذ تلافى الخوض في التفاصيل الجزئية، وتجنّب التعمق في ربط المفاهيم واكتفى بعرض مبسط ومركز للآليات الإجرائية ومرتكزاتها المفهومية اعتقادًا منه أنّه آمن المسالك إلى تبسيط المنهج وتقريبه»[1].

بعد هذا التمهيد المركّز شرع النّاقد في حصر الترسيمات العاملية وتحليلها بدءًا بالمدينة- الموضوع 1، يمثّل النّاقد للبنية العاملية بمقاطع سردية مجتزأة من النّص الرّوائي، فالدّشرة مكان مغلق يدفع "مسعودة" إلى الاقتران بقدور من أجل تحقيق موضوع القيمة المتمثل في المدينة، ولم تحقق "الذّات" موضوع قيمتها بسبب ظهور عراقيل عفويّة تمثلت في تأخر القطار وظهور رجل المحطة الساعي إلى إذلال قدور، أمام زوجته، ورد الفعل العنيف من "قدور" الذي كانت نتيجته اقتياده رفقة خصمه من قبل رجال الدّرك، مما يعني نهاية حلم "مسعودة" وعودتها إلى الحالة البدئية (الدّشرة) من جديد، جسد النّاقد هذه الجملة في الترسيمة العاملية التالية:[2]

المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه
الدشرة الذهاب إلى المدينة مسعودة
↑
المساند ← الذّات ← المعارض
مسعودة

- الدركيان (القبعة، بدلة الكاكي، المسدس، اللغة الغرائية).
- رجل المحطّة.
- القطار.
- قدور (تواطؤ عفوي).

ثم شرع الناقد في شرح ثنائيات الترسيمة العاملية بدءًا بمزدوجة المرسل والمرسل إليه، فالدّشرة بما تحمله من قيم هي الدافع الذّي جعل "مسعودة" تنفصل عنها وتسعى إلى الاتصال بموضوع القيمة (المدينة).

وفي مزدوجة الذات والموضوع تمثل "مسعودة" الذّات، وموضوع قيمتها الانفصال عن القرية والاتصال بالمدينة ويمكن للمدينة في هذه الحالة – كما يلاحظ الناقد- أن تصير مرسلا لأنها تسهم في تقوية رغبة "الذّات". أمّا في مزدوجة (المساندة- المعارضة) فتبدو "الذّات" وحيدة في مسعاها لا ممثل يعاضدها من أجل تحقيق موضوع القيمة في حين يكون عامل المعارضة حافلا بالممثلين (الدّركيان، تأخر القطار، تواطؤ قدور العفوي باعتدائه

[1]- سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، دار سحر للنشر، تونس، ديسمبر 2009، ص 358.
[2]- السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 33.

على رجل المحطة...)، ويختتم النّاقد تحليل هذه الجملة بتجسيد مكوّنات الترسيمة العاملية والوضعيات التي تحتلها مختلف العوامل في جدول يُعقّب بشرحه وتحليل محتوياته متمثلا بملفوظات سرديّة من الرّواية.

أما الجملة الثانية التي قام النّاقد بتحليلها فتتمثل في (الكتابة– الموضوع)، وتتلخص في جملة واحدة: مسعودة تطلب من الكاتب تدوين قصّة حياتها، فبالإضافة إلى الموضوع الأول المتمثل في رغبّة الذّات في الذّهاب إلى المدينة «هناك موضوع آخر يجاور الأول، الذّهاب إلى الحج ولا يتحقق الموضوع الثاني إلا بعد كتابة قصتها»[1]

يقترح الناقد بعد ذلك ترسيمة عاملية للجملة الثانية موضّحة بالشكل التالي:

المرسل ⟵ الموضوع ⟵ المرسل إليه

مسعودة تدوين قصة حياتها – مسعودة

↑ –أبناء الأثرياء

المساند ⟵ الذّات ⟵ المعارض

Ø مسعودة Ø

وقبل أن يستقر الباحث على هذه الترسيمة العامليّة أقام سلسلة من العمليات الاستبدالية بين العوامل ووظائفها محاولا «من جهة أولى تفعيل أحد الإجراءات الأساسية المكوّنة للنّظرية السيميائية (مبدأ الاختيار أو الاستبدال) الذي يغدو معه النّص منفتحا على احتمالات وتأويلات مضمرة وغائبة، لا تظهر على صعيد التجّلي النّصي، ومن جهة ثانية يحاول إجراء تعديل على بعض الأدوار العامليّة ومنحها وظائف أخرى، ممّا جعله يسهم في تأسيس نص جديد بعوامل ووظائف جديدة»[2]

ويقدّم الناقد "السعيد بوطاجين" تحليلا لهذه الترسيمة منبهًا إلى الانزلاقات العامليّة التي كان سببها التدّاول على عملية القص بين الكاتب وشخصيته ممّا أدّى إلى تشابك الأدوار العامليّة وانزلاقاتها المتكرّرة[3]، أمّا إيراده للمقطوعات التحتية فكان الهدف منه "تبيان مدى قدرة الجملة على استيعاب عدد أكبر من الأدوار العامليّة التي تتطلب عملا تجزيئيًا غاية في الدقة"[4]

[1]– السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 42.

[2]– سحنين علي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي في النقد الجزائري، كتّاب الاشتغال العاملي للناقد السعيد بوطاجين أنموذجا، مجلة مقاليد، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، العدّد الرابع/ جوان 2013، ص 122.

[3]– ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 57.

[4]– المصدر نفسه، ص 59.

وهذا ما يُسَوّغ اقتصار النّاقد على تحليل المقطوعات المفاتيح والتّغاضي عن البنى الصّغرى وقد «أكدّ الناقد من خلال تحليلاته للجملة النّواة –مسعودة تريد تدوين قصة حياتها– على تفننه في صنع عمليات اللعب الاستبدالي المولّدة لسلسلة من الانفجارات العامليّة، كما برهن من جانب آخر على مدى تشابك هذه الأدوار العاملية وتداخلها وتعارضها وتباينها لتصبح بذلك القيّم المجرّدة ذواتًا على خلاف ما قالت به "آن أوبرسفالد" من أن الذّات ينبغي أن تكون مشخّصة دوما»[1].

وتتلخص جملة (الزاوية– الموضوع3) في الجملة التالية: "الحبيب يريد الذّهاب إلى الزّاوية"، ويلاحظ النّاقد أن "الذّات" "الحبيب" تعيش حالة لا توازن وهذا ما يدفعها إلى مغادرة القرية والالتحاق بالزاوية، إلاّ أنّ هذه الرغبة تصطدم برغبة "الحاج أحمد" أبيه، في الذهاب إلى الحج «لذا تعتبر الرغبتين المتقابلتين مؤشرا لبروز حالات صدامية بين الذاتين لأنّ كل واحدة منهما تنوي تحقيق رغبتها على حساب الأخرى»[2].

يلجأ الابن إلى أمه إلاّ أنّها تعارض مسعاه وتقف إلى جانب الأب فيلجأ إلى سرقة مبلغ من المال ويلتحق بالزاوية وقد جسد النّاقد هذه المقطوعات في الترسيمة التّالية:

المرسل	⟵	الموضوع	⟵ المرسل إليه
رجل المحطة		الذّهاب إلى الزّاوية	– الحبيب
– القرية		↑	– القرية
المساند	⟵	الذّات	⟵ المعارض
Ø		(الحبيب)	– الأب
			– الأم

ويمضي النّاقد في تحليله هذه الترسيمة ملاحظًا خلو خانة المساند من أي ممثل، الأمر الذّي أدّي بالذّات "الحبيب" إلى السرقة والسّفر وعدم إخبار أحد، أمّا شخصيته فتلعب وظيفتين نحويتين مزدوجتين، فهو الذّات والمرسل إليه «أي أنّه السّاعي والمستفيد الأول من المسعى في حالة تركيزنا على البدايات الأولى للمقطوعة»[3].

وبعد التحاق "الحبيب" بالزاوية ينبذ طريقة التدوين السّائدة فيها ويفكر في العودة إلى القرية "فيؤدي هذا البناء الجديد إلى ظهور ترسيمة عـــامليّة نقيضة بسبب تحوير الموضوع المركزي واستبدالـــه برغبة مختلفة تتمثـــل في العودة

[1]– سحنين علي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي في النقد الجزائري، ص 123.

[2]– السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 67، 68.

[3]– المصدر نفسه، ص 75.

إلى القرية الشيء الذّي يسهم في إبراز انزلاقات عاملية جليّة"[1].

وتتلخص ترسيمة (الأرض –الموضوع 04) في جملة نواة "عزوز يريد الاستيلاء على الأراضي" ويتتبع النّاقد الملفوظات السّردية في الرواية التي أظهرت رغبة "عزوز" وبرامجه السردية لتحصيل موضوع القيمة، ويجسد النّاقد هذه المقطوعات في ترسيمة عاملية متمفصلة كما يلي:

المرسل	← الموضوع	← المرسل إليه
-حب الأرض	الاستيلاء على الأراضي والناس	- عزوز
- الطمع		
- الجشع		
المساند	← الذّات	← المعارض
- فقر النّاس	عزوز	Ø
- غباؤهم		
-كسلهم		
- إهمالهم		

ويمضي النّاقد في تحليل العوامل انطلاقا مما يبوح به النّص الرّوائي فمعرفة "عزوز" لشؤون القرية كفاءه مكّنته من تحقيق وصلة بموضوع القيمة، كمّا أنّ فقر النّاس وغبائهم وكسلهم وإهمالهم ساند "عزوز" في مسعاه، «في حين بقيت خانة المعارضة فارغة لعدم ظهور رغبات أو ذوات جديدة»[2].

ويحتل خانة التلقي ممثل واحد هو "عزوز" «أي أنّ عزوز هو المستفيد الوحيد من وراء الحصول على القطع الأرضية، إن نحن غضضنا الطّرف عن العناصر غير النّصية التي يمكن أن تستفيد من الموضوع نفسه، ونقصد هنا العائلة والأقارب»[3].

والملاحظ أنّ النّاقد من خلال تحليله لهذه المقطوعة لم يشر إلى الانزلاقات العامليّة واللعب الاستبدالي ولعل سبب ذلك وضوح الأدوار العاملية وبساطتها.

أمّا فيما يتعلق بجملة المدينة- الموضوع 05، فتتلخص في سعي العمّة حليمة إلى تزويج خديجة بقدور ومن ثم ترك القرية والذّهاب معها إلى المدينة.

---

[1]- السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 75.

[2]- المصدر نفسه، ص 89.

[3]- المصدر نفسه، ص 91.

ويقر النّاقد بصعوبة تحديد الذّات في النّص، فشخصية "خديجة" غائبة ومستسلمة على حد تعبير النّاقد في حين تعتبر شخصيّة العمّة «الذّات الوحيدة التي لها رغبة واضحة»[1].

وانطلاقا من المعطيات السّابقة، اقترح النّاقد ترسيمة عاملية أوليّة تحسبًا للانفجارات العاملية التي ستحدث في المقطوعة فيما بعد:

المرسل	⟵	الموضوع	⟵	المرسل إليه
-طيبة خديجة		تزويج خديجة بقدور		- العمة
-المدينة		↑		- قدور
المساند	⟵	الذّات	⟵	المعارض
- المدينة		العمة		- الوشم
				- الأغنية

ومضى النّاقد بعد ذلك في قراءة الثنائيات المشكلة للترسيمة العامليّة بدءًا بثنائية المرسل والمرسل إليه، فالحافز الذّي جعل العمّة ترغب في تزويج قدور بخديجة هو طيبة هذه الأخيرة وصلاحها، وبما أنّ "قدور" مستفيد من هذا الزّواج يبدو مرسلا إليه، «لكن ما يأتي بعده يثبت أنّ العمة هي المتلقيّة الأولى بحكم أنّ الزّواج سيخلصّها من القرية»[2].

أمّا فيما يتعلّق بالثنائية الثانية (المساندة- المعارضة) "فالمدينة مساندة للذّات العمة"، «أمّا المعارضة وإن كانت موجودة (خديجة وقدور)، فإنّها لا تظهر أي صدام أو معارضة للبرنامج الرّئيسي للذّات، بمعنى آخر أنّ الأفعال والبرامج السردية تدخل حيز التنفيذ دون أن تكون هناك ردود أفعال أو رغبات نقيضة»[3].

وبخصوص الثنائية الثالثة (الذّات- الموضوع) تتداخل رغبة العمة في تزويج قدور بخديجة برغبة أخرى غير مجسّدة بشكل صريح، وهي الذّهاب إلى المدينة ومن ثمّ يصبح الزّواج برنامج سردي استعمالي لدى العمّة لتحقيق برنامج أساسي.

ولم يغفل النّاقد "السعيد بوطاجين" الحديث عن الانزلاقات العامليّة، فقد فشلت "العمّة" "الذّات" في تحقيق مسعاها، ونشأ عن ذلك "انفجار الأدوار العامليّة وظهور برامج سردية مختلفة، وهذه المتغيرات كان سببها الوشم الذّي وضعته "خديجة" على خديها، وتلك الأغنية التي أصبحت ترددها فتيات الدّشرة، والتي تحيل على العلاقة

[1]- السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 95.

[2]- المصدر نفسه، ص 97.

[3]- سحنين علي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي في النقد الجزائري، ص 126، 127.

القديمة بين "خديجة" و"محمد بن سعدون"، وبهذا تغيرت مجريات الأحداث والمعطيات السّردية، الأمر الذي أدّى إلى إعادة بناء الأحداث والعوامل وفق التّرسيمة العامليّة الآتية:[1]

المرسل	←	الموضوع	←	المرسل إليه
-الأغنية		- فسخ الخطوبة والاعتداء على محمد بن سعدون		- قدور
		- فسخ الخطوبة والزواج بمحمد بن سعدون		-خديجة
		↑		
المساند	←	الذّوات	←	المعارض
- الوشم		- الذّات-أ- قدور		-العمّة حليمة (معارض ضمني)
-الأغنية		-الذات- ب- خديجة		- قدور (معارض لزواج خديجة بمحمد)

ويخصص النّاقد الجزء الثاني من الدراسة للمثلثات العامليّة، ويُعدّد بداية الأسباب التي جعلته يغفل بعض الشخصيات عند تحليل المقطوعات السّابقة، وأهمها ظهور بعض الشخصيات واختفاؤها المفاجئ وورود بعضها على مستوى السرد والحوار دون أن يكون لها أثر فاعل في مسار الأحداث، أو القيام بأدوار غرضية لم تؤثر في مجرى الحكاية، ويُقرّ النّاقد أن التّعامل مع هذه البنى الصغرى يتطلب دقة متناهية وعملاً موسوعيًا، لذا أغفل شخصيات أخرى واكتفى بالشخصيات التالية (محمد بن سعدون، قدور، الحاج أحمد، ابن القائد والقائد).

وقد سوّغ الباحث فكرة المثلثات العامليّة «بالاقتصاد الواضح في العوامل الذّي يُرَدُّ في الأساس إلى افتقاد الأفعال لطبيعتها وانحسارها في بضعة ردود أفعال تنتج عن رغبات ظرفية تقصر المسافة بينها وبين الفعل ممّا يؤدي إلى غياب عاملي "المساند" و"المعارض" من جانب أو غياب المرسل وحلول الدّافع محلّه في الذّات من جانب آخر»[2]

يستهل النّاقد تحليله لشخصيات البنى الصغرى بشخصية "محمد بن سعدون" وهي شخصية تظهر في سياقي الحوار والسرد، أي أنّ الآخرين هم من يذكرونها في أحاديثهم وتمثل هذه الشخصية حسب النّاقد، «تصوّر القرويين للجمال في فترة معينة»[3]

أمّا شخصية "قدور" فقد هيمنت في مواضع عدّة سردًا وحوارًا ووصفًا، واتّسمت بكون أفعالها آنية فلا رغبة لها سوى ما يثيره فيها الآخرون من مشاعر، ويخلص النّاقد إلى بناء مثلث عاملي خاص بهذه الشخصية:

---

[1] - سحنين علي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي في النقد الجزائري، ص 127.

[2] - سليمة لوكام، تلقي السرديات في النّقد المغاربي، ص 361.

[3] - السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 113.

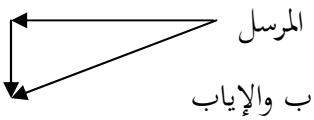

1-الذّهاب والإياب

2-الأسئلة

3-السلوك

4-الأغنية

5-التجوال أمام العمارة

1- الاعتداء على رجل المحطة

2-الاعتداء على الدركي

3-الاعتداء على رجل المجبد

4-الاعتداء على محمد بن سعدون

5-الاعتداء على شاب وقتله

ويرى النّاقد أن استقرار الدّور العاملي للذّات جعل هذه البنية العاملية ذات الخانات الثلاث لا تعرف أي تغيير و«يرجع هذا الاقتصاد العاملي إلى الأفعال الآنية المسندة إلى هذه الشخصية، وهي أفعال تصب في دلالة واحدة الانتقام من الأفراد ومن القرية»[1]

وما دامت هذه الشخصية «هيمنت نصيا في عدة صيغ متباينة، السّرد، الحوار، الوصف، ملفوظات الحالة ملفوظات الفعل، ولم تكن شخصية سلبية بالمفهوم السيميائي للكلمة»[2]، فقد كانت جديرة «أن يتجسد دورها العاملي وفق ترسيمة عاملية كبرى»[3]

أمّا شخصية "الحاج أحمد" فقد اضطلعت حسب الناقد بموضوعين اثنين يتمثلان في إنقاذ مسعودة بأخذها من المحطة إلى بيته ومحاولة إنقاذ قدور، والفعلان مبعثهما واحد، هو القناعة الذّاتية بضرورة مساعدة جزائريين في حاجة إلى المساعدة، وعليه يبيّن النّاقد أفعال "الحاج أحمد" وفق المثلث الإيديولوجي التالي:

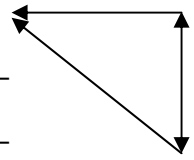

[1]- السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 110.

[2]- سحنين علي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي في النقد الجزائري، ص 128.

[3]- المرجع نفسه، ص 128.

وتستغرق حكاية "ابن القائد" وفق –الناقد– نحو عشرين صفحة من الرواية وتتشابك هذه الشخصية مع شخصيات أخرى كالقائد وعزوز والمعلم الفرنسي والرئيس الفرنسي والحمار، فالمعلم الفرنسي كان دائم المواجهة مع تلاميذه بسبب نطقه المشوه للعربية والبربرية، لذا عمل على الفصل بين التلاميذ العرب والقبائل ولتجسيد مجرى السرد اقترح النّاقد مثلثين عاملين، نفساني وإيديولوجي، يكون المرسل في المثلث النفساني سخرية التلاميذ والمرسل إليه المعلم، والموضوع، التفريق بين العرب والقبائل كما يوضحه الشكل:

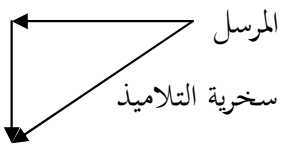

أمّا المثلث الثاني الإيديولوجي، «فيخرج التجلي اللفظي من وظيفته الحيّادية»[1]، فيصير المعلم ذّاتا والمستعمر مرسلا إليه، أمّا الموضوع فهو التفرقة بين العرب والقبائل كما يوضّحه الشّكل:

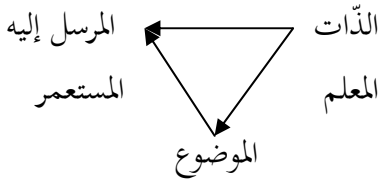

ويخلص النّاقد في الأخير «إلى أنّ هذا الانزلاق يؤكد تداخل الممثلين وتراوح المقطوعة بين النّفساني والايديولوجي بين التلقي الذّاتي الذي يوحي بالانتقام وبين التلقي الجماعي الذّي يحيل على القيم التاريخية، لأن السلطة الفرنسية ستستفيد من عامل التفرقة»[2]

ويُعدّ "ابن القائد" من مثيري الشغب في المدرسة بسبب لهجة المعلم الفرنسي من جهة وسعيه الحثيث للتفريق بين التّلاميذ العرب والقبائل، يجسد النّاقد هذه المقطوعة السردية في مثلث عاملي وفق الشكل التالي:

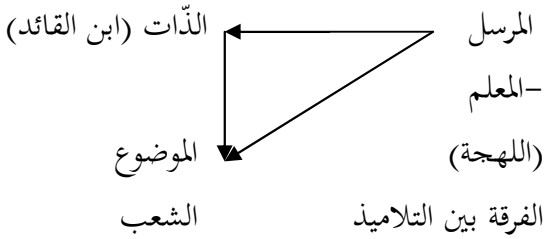

[1]– السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 123.

[2]– المصدر نفسه، ص 126.

ويتمادى المعلّم في محاولات التفريق ولكنّ محاولاته تبوء بالفشل رغم تفننه في تدجينهم قصد السّيطرة عليهم بالعقاب والإذلال «وهذا يعني أن هدف المعلم لا يتمثل في الانتقام من التلاميذ وحسب، وإنّما في الانتقام من آبائهم أيضا هم الذين احتجّوا على الفرقة بين أبنائهم، أبناء القرية الواحدة»[1].

ولهذه الأسباب ينتقل المثلث العاملي من طابعه النفساني ليغدو مثلثًا إيديولوجيًا كما هو موضح في الشكل:

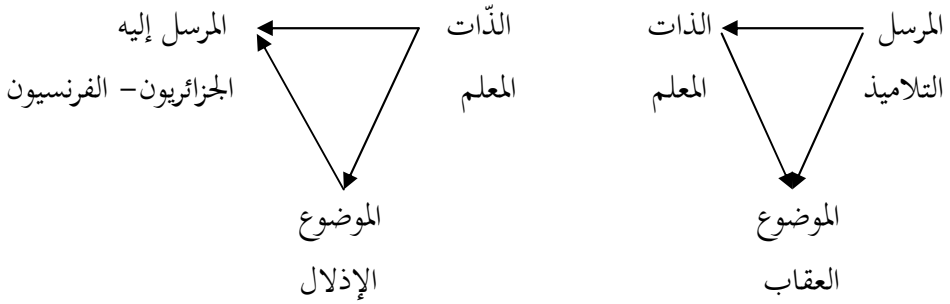

ولم يستطع القائد كبح جماح ابنه في السّخرية من المعلم الفرنسي لذا راح يفرق الهدايا عليه وعلى زوجته حتى يحافظ على علاقاته بالحاكم ولا يطرد ابنه من المدرسة، يجسد النّاقد هذا الملفوظ السّردي في مثلث عاملي بالشكل التالي:

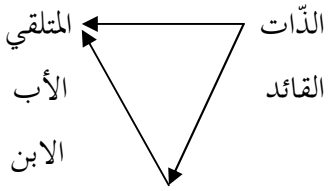

الموضوع (التقرب من المعلم)

ويصل النّاقد "السّعيد بوطاجين" أخيرا إلى "الموضوع الإنشائي" الذّي تقف شخصيّة ابن القائد وراءه، فقد قرّر المعلم أن يكون موضوع اختبار الشهادة الابتدائية في الإنشاء، كتابة نص حول حمار عومل معاملة سيئة من طرف الأهالي، ولكنّ ابن القائد يكتب الموضوع بطريقة منافية لما أراده المعلم، ويفقد الأب بهذا الصنيع حظوته لدى السلطات الفرنسية، ثم قام النّاقد بتجسيد المقطوعة وفق نموذج عاملي يبين «كيفية تشابك الأدوار العاملية وطابعها التوفيقي انطلاقا من اللعب الاستبدالي للذّوات والموضوعات»[2]، ويتبع الترسيمة العاملية بشرح مفصّل ينهيه بالخلاصة التالية: «لا توجد في حقيقة (كذا) فروقات بين الحمار وكاتب الموضوع الإنشائي، ثمّة تشاكل كلي بينهما، لذا نعتبر اختفاء هذا الأخير كذات عاملة، هو تقنية مكنته من الدخول إلى الحكاية والمشاركة في تقديم الأحداث بشكل مختلف»[3].

[1] – السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 129.

[2] – المصدر نفسه، ص 138.

[3] – المصدر نفسه، ص 140.

وعلى غير العادة يختتم الناقد تحليله بتقفيلة لخّص فيها ما ورد في المتن تلخيصًا مركزًا.

ونستطيع بعد هذا التحليل استخلاص النتائج التالية:

– ابتدأ النّاقد تحليله بالمقطوعات الكبرى، بحيث يحدد لكل مقطوعة جملة مفتاح ينطلق منها في تجسيد البنية العاملية، ثم يشرح هذه الترسيمة منتهيا إلى الإمكانات المتاحة عن طريق اللعب الاستبدالي والانزلاقات العامليّة أمّا في القسم الثاني من الدّراسة فكان اهتمام الناقد منصبا على البنى العاملية الصّغرى التي جسدها في مثلثات عامليّة لتضمنها عوامل محدودة وافتقارها عنصر الصّراع.

– وقد استطاع الناقد «اكتناه دلالات النّص والكشف عن بنيته العميقة، من خلال استقراء مكوناته وشبكات العلاقات التي تحكمه، وكذا التفاعلات القائمة فيما بينها والمجسّدة لبنية كبرى ومعقدة هي بنية عالم المتخيل الروائي لرواية "غدا يوم جديد»[1].

– سلك النّاقد طريقة المقاربة التّجزيئية في تحليل النّص الرّوائي مكتفيًّا بالبنية العاملية ولاشكّ أنّ هذه البنية لا تنفصل عن ملامح البناء الرّوائي بصفة عامّة ومن ثمّ فالإكتفاء بها يظلّ قاصرًا عن إدراك هذه البنية في كلّيتها.

– لقد أبدى النّاقد تمثله لهذه المعرفة الوافدة من الغرب وطّوعها لتحليل نص روائي بلسان عربي مبين ودون التضحية بجماليات الرواية أو معانيها المضمرة.

– تنفرد هذه القراءة مُصطلحًا وإجراءً بتوظيف مفاهيم من قَبيل الانزلاقات العاملية، المثلثات العاملية، اللّعب الاستبدالي.

2– سيميائية الفضاء في رواية "ريح الجنوب"* لـ"رشيد بن مالك":

لا يمهدّ النّاقد "رشيد بن مالك" لهذه الدراسة بإطار نظري كما عهدناه في دراسات أخرى، بل يشرع مباشرة في التحليل منوّهًا بما حققته السيميائية من فعالية في تحليل النصوص ومعاينتها وتقصّيها، وينطلق في تحليله «من فرضية مفادها أن الفضاء دال بمعنى أن نحلله بإحداث التعالق بين شكلي التعبير والمضمون، وننظر إليه

[1]– قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 216.

*– "ريح الجنوب" للروائي الجزائري "عبد الحميد بن هدوقة" المولود بالمنصورة ولاية برج بوعريريج عام 1925م تعدّ هذه الرواية فاتحة الرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، وقد صدرت عام 1971م ومن رواياته الأخرى، "نهاية الأمس"، "بان الصّبح"، "غدا يوم جديد" ... توفي سنة 1996م وترجمت رواياته إلى عديد اللّغات العالمية كالفرنسية والإسبانية والإيطالية والروسية والصينية ...

على أنّه مركب كالكلام، أي ما يدل عليه "المضمون" هو من غير طبيعة ما يدل به "التعبير" ويرتهن في وجوده الدّلالي إلى الفعل الممارس فيه والقيم المحققة من استعماله»[1]

بمعنى آخر تُكتسب قيمة الفضاء من خلال ما يُمارس فيه من أفعال، ولا قيمة لفضاءٍ لا يحدث فيه شيء، وواضح أن النّاقد يستثمر مصطلحات اللّساني الدانمركي "هيلمسليف" (Hjelmslev) وقد كانت لسانياته من الروافد المعرفية الكثيرة التي غذّت السيمائيات السردية الغريماسية ويرى هذا اللساني أن «شكل المحتوى يكمن في العلاقات التي تنتظم المادّة الدّلالية "العلاقات الشكلية للدّلالات"، وأمّا شكل التعبير فهو الشبكة العلائقية التي تحدد الوحدات الصوتية "العلاقات الشكلية للأصوات"»[2]

وقد رصد الناقد "رشيد بن مالك" فضائيين مركزيين في النص الروائي موضوع الدّراسة، فضاء القرية وفضاء المدينة، وتبدو الذّات "نفيسة" في فضاء القرية نهبًا للضياع من خلال مسار صوري، يحيل على واقعها المأساوي (الغربة، الصّمت، الخراب، الصحراء، المنفى، القبور...)[3]

هذا الواقع المأساوي يعيق "نفيسة" عن تحقيق برنامجها السردي في قضاء عطلة مريحة وتتعاضد عناصر أخرى لتعيق رغبة نفيسة وتجعلها في فصلة عن موضوع القيمة كالغرفة الضيقة التي تعزلها عن الواقع الخارجي وتسلب حريتها، فالفضاء متشبع بقيم المنع.

وبما أن الفضاء الطوبيقي (الموضعي) عند "غريماس" يعتمد على «تجسيد مجموعة من العلاقات المتقابلة والتي تسمح في الأخير بتحقيق رغبة معيّنة لدى الفاعل (الذات)، أو تحول دون تحقيقها»[4]

فالفضاء المقابل هو فضاء المدينة الذّي «يوازي الفضاء الأول ويناهضه سواء من حيث الملامح (السّعة، الجمال، الضوء) أم من حيث القيم (الحرّية، عدم التمييز بين الرجل والمرأة...»[5]

فالمدينة موضوع قيمة ترغب الذّات في تحقيق وصلة به عن طريق الفرار، فإذا كانت القرية تمثل الموت فالمدينة تمثل الحياة «وهكذا يتضح لنا أن رواية "ريح الجنوب" منبنية أساسا على فضائيين مركزيين يمران عبر تضادهما مجموعة من القيم تعبر عن التناقضات التي أفرزها انتقال الجزائر المستقلة من عالم التخلف إلى عالم التحضر»[6]

---

[1] – رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 97.

[2] – عبد الواحد المرابط، مدخل إلى السيمياء، الأسس اللسانية والامتداد المعرفي، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، ط1 ، 2018، ص 65.

[3] – ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 97.

[4] – سعدية بن ستيتي ، الإطار المفاهيمي للفضاء الروائي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017، ص 72.

[5] – قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 210.

[6] – رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 102، 103.

وقد استطاع الناقد "رشيد بن مالك" التغلغل في عمق النص واستجلاء جوهره انطلاقا من علاقة العامل "نفيسة" بالفضائين و«عبر تفحص التّحويلات الدّلالية التي ينهض عليها والمجسدة في تلك الثنائيات الضّدية المثبوتة في كامل نسيج النّص والمؤطرة له من بدايته إلى نهايته»[1]

وجملة القول، إنّ القراءة المتفحصة للنّص والمرفقة بعدة نقديّة ملائمة تمكن الناقد من الكشف عن العلاقات التي تحدد مسارات المعنى فيه سواء أكان هذا النّص طويلا أم قصيرا..

2-1- دراسة تحليلية لرواية "نوار اللوز":

وتبدو دراسة النّاقد "رشيد بن مالك" الأخرى الموسومة بـ: "دراسة تحليلية لرواية "نوّار اللوز" للروائي الجزائري "واسيني الأعرج"* أطول دراساته حجما وأكثرها تفصيلا وأوفاها التزاما بآليات التحليل السيميائي السردي وهي في الأصل الجزء التطبيقي لأطروحة الدكتوراه التي ناقشها بجامعة تلمسان شهر جانفي عام 1995، والموسومة بـ: "السيميائية بين النظرية والتطبيق، رواية "نوار اللّوز" لـ: واسيني الأعرج نموذجا، وقد نشر هذه الدّراسة في كتابه "السيميائيات السردية"**، وقد استهلها بقراءة النّظام السيميائي لفاتحة الرواية/البحث في مستويات النّص وأشكال بنيته، وفاتحة الرواية عبارة عن نصين أولهما لكاتب الرّواية "واسيني الأعرج" وثانيهما للمؤرخ "المقريزي" يدعو الروائي جمهور القراء إلى قراءة نص "تغريبة بني هلال" باعتبارها معبرًا لفهم أحداث الرواية وتأويل واقعهم الاجتماعي المتسم بالفقر والبؤس. أما النّص الثاني فقد أُجتُزيء من كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغُمّة، أو تاريخ المجاعات في مصر" ويتمحور حول التأريخ للمجاعات واعتبارها ظواهر اجتماعية تعود أسبابها إلى فساد الساسة وانصرافهم عن الاهتمام بشؤون شعوبهم، ويحكم الناقد الرّبط بين النصين والقارئ من جهة وبينهما وبين النّص الرّوائي من جهة أخرى، وقد أولى النقد المعاصر أهميّة بالغة لهذه العتبات «وتكمن أهميتها في كون قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص فكما أنّنا لا نلج فناء الدّار قبل المرور بعتباتها، لأنّها تقوم من بين ما تقوم به، بدور الوشاية والبوح، ومن شأن هذه الوظيفة أن تساعد في ضمان قراءة سليمة للكتاب، وفي غيابها قد تعتري قراءة المتن بعض التشويشات»[2]

---

[1]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 211.

*- واسيني الأعرج روائي جزائري من مواليد 08 أوت 1954م بسيدي بوجنان ولاية تلمسان، كتب القصّة القصيرة والدراسة النّقدية ولكنّه عرف روائيا غزير الإنتاج، وكانت بعض رواياته مواضيع لأطروحات جامعية كثيرة، من أشهر أعماله: نوار اللوز، مصرع أحلام مريم الوديعة، كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد) ... وهو مايزال على قيد الحياة والكتابة.

**- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، درا مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.

[2]- عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النّص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، دط، 2000، ص 23، 24.

ينتقل النّاقد "رشيد بن مالك" بعد ذلك لتحليل عتبة أخرى تتمثل في "سيميائية العنوان" منبها إلى اعتبار العنوان رسالة من الكاتب إلى القارئ تثير فضوله وتُحرّضه على القراءة وقد لاحظ الناقد أن العنوان يتشكل من ثنائية يحيل جزءه الأساسي "نوار اللوز" على الأمل والحياة بينما جزءه الفرعي "تغريبة صالح بن عامر الزّوفري" يحيل على الغربة والموت، وهذه المفارقة التي يحملها العنوان تحفز القارئ على القراءة والتأويل..

أمّا العلاقة بين النّص والعنوان فرصدها الناقد باستقراء ظهور الوحدات المعجميّة المشكلة للعنوان في نص الرّواية، ومع النّمو السّردي والخطابي للأحداث تزهر أشجار اللّوز وتتحقق أبوة صالح" بتحقيق صلته بـ: "لونجا" فيغدو النّص إذ ذاك آلة حقيقية لقراءة العنوان.

أمّا العنوان الفرعي "تغريبة صالح بن عامر الزوفري"، فهو يتناصص مع السّيرة الهلاليّة ويتقاطع معها فالهلاليون انتقلوا إلى فضاء أجنبي رغبة في البقاء والوجود، و"صالح" هو الامتداد الطبيعي لهؤلاء، إلاّ أنّه لم يتغرب بسبب انقطاع أسباب العيش، بل لأنّه حرم حقه وصودرت القيم التي ضحى من أجلها، و«يستطيع العنوان أن يقوم بتفكيك النّص من أجل تركيبه عبر استكناه بنياته الدّلالية والرّمزية، وأن يضيء لنا في بداية الأمر ما أشكل من النّص وغمض، إنّه مفتاح تقني يجس به السيميولوجي نبض النص وتجاعيده وترسباته البنيوية، وتضاريسه التركيبية على المستويين الدّلالي والرّمزي»[1].

والملاحظ أنّ قراءة النّاقد "رشيد بن مالك" للعنوان أثبتت هذه العلاقة العضوية بينه وبين النّص وأضاءت بعض البؤر المعتمة في المتن النّصي وأثارت فضول القارئ وجعلته يتوقع مسارا سرديا معيّنا..

ينتقل النّاقد بعد هذه الوقفة مع سيميائية العنوان إلى تحليل البنية السردية وتجلياتها الدّلالية في الرواية مفترضًا أنّ الأحداث في الرواية منظمة وفق مبدأ السّببية وخاضعة لمتتالية زمنية متماسكة، ويحدد في عنصر "البناء الداخلي للنّص" المكوّن السردي انطلاقا من متتالية من الملفوظات تجسد سلسلة من الحالات والتحوّلات التي مرّ بها الفاعل "صالح" وتذبذبه بين حالات الاضطراب والتوازن، لتتبدّى البنية السّردية في شكل صراع بين "صالح" و"الجمركي" من أجل موضوع قيمة يختلف من منظور كل طرف في الصراع، لينتهي الناقد إلى نتيجة مؤداها «حضور صالح القوي والمكثف في النّص وقدرته على اختراق فضاءات دلالية متعدّدة، إنّه حاضر في كل النّقاط الاستراتيجية يحاور الجمارك، يدخل في صراع معهم ومع "الميلود" وفي سِلم مع "موح الكتاتيبي" وآخرين وفي حب

[1] – خالد حسين خالد، في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النّصية، دار التكوين، سوريا، (د، ط)، (د، ت)، ص 47.

مع "المسيردية" و"لونجا" ويسلم نفسه في الأخير للدركيين، هذه الشخصيات التي التقى بها أو نقلها عبر ذاكرته ما كان لها أن توجد لولا غنى بطاقته الدّلالية وتنوع برامجه السردية»[1]

ينتقل الناقد "رشيد بن مالكّ" بعد ذلك للحديث عن شخصيات الرواية بتصنيفها وتأطير مكوناتها الشكلية والدّلالية، ويستهل هذا العنصر بمقدمة منهجية تتمحور حول إشكالية تحديد مفهوم الشخصية ومكوّنات مستوياتها، فالشخصية مفهوم إشكالي قرنت المناهج السياقية بينها وبين الشّخص، إلا أنّ المناهج النسقية وعلى رأسها المنهج السّيميائي قاربتها من منظور مختلف فـ «عوض أن تكون مقولة الشخصية مقولة سيكولوجية تحيل على كائن حي يمكن التأكد من وجوده في الواقع، وعوض أن تكون مؤنسنة لقصر الشخصيات على الكائنات الحيّة، "الإنسان خصوصا"، وعوض أن تكون مقولة خاصة بالأدب وحده، فقد نظر إليها في سياقنا هذا على العكس من ذلك، باعتبارها علامة يصدق عليها ما يصدق على كل العلامات، بعبارة أخرى، إنّ وظيفتها وظيفة خلافية، فهي كيان فارغ أي "بياض دلالي" لا قيمة لها إلا من خلال انتظامها داخل نسق هو مصدر الدّلالات فيها، وهو منطلق تلقيها أيضا»[2]

ومن خلال انتظام الشّخصيات داخل نسق الرواية وتعامل النّاقد معها بوصفها علامات، شرع في تصنيف الشّخصيات بدءًا بالشّخصية المرجعية التي تحيل على واقع غير نصي، وتتفرّع في نص الرّواية إلى فئتين، الشّخصية التّاريخية المستوحاة من التّاريخ الجزائري والشّخصية التّناصية التي تحيل على شخصيات أدبية أجنبية عن النّص الرّوائي، من أمثلة الفئة الأولى "نابليون" و"أولاد لا ليجو" أما الفئة الثانية فيمثلها "بنو هلال "الذين تتماثل تجربتهم مع تجربة "صالح" وكذا السيف الدّال على العنف والنفوذ والسلطة.

أما الصنف الثاني من الشخصيات فيتمثل في الشخصية المرجعية الذاتية، وهو صنف لا يتحقق وجوده إلا من خلال ذكريات الراوي وهي كائنات ورقيّة لا تكتمل صورتها إلا بنهاية الرواية وأغلب الشخصيات من هذه الفئة.

وقد أخضع النّاقد "رشيد بن مالك" بعض الشخصيات إلى التصنيف استنادا إلى مقياس الزمن السردي فهناك شخصيات خارجة عن القصة (غائبة) extradiegitique، وهناك شخصيات داخلية في القصة (حاضرة) intradiégetique[3]

---

[1]- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 128.

[2]- فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الرّوائية، تر: سعيد بن كراد ، تقديم: عبد الفتاح كيلطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2013، ص 12، 13.

[3]- ينظر: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 135.

تتميز الشّخصيات الغائبة بحضورها القليل وغياب برنامجها السّردي وتمثلها في الرواية شخصيات "المسيردية لخضر، والإمام" وتؤدي وظيفتين تتمثلان في ربط ماضي الشخصيات بحاضرها وتفسير وضعها الراهن إضافة إلى ضمان التّواصل في القصّة بين الماضي والحاضر، أمّا الشّخصيات الحاضرة فتتموضع في حاضر القصّة ويمثلها "القوال" وتتميّز بالغموض والحضور القليل وقلة الأوصاف وعدم امتلاك برنامج سردي.

وواصل الناقد "رشيد بن مالك" دراسته بالحديث عن نظام التسمية في الرواية، فحصر أسماء الشخصيات في جدول ووزّعها تبعا لانتمائها الطبقي «في صلب هذا الانتماء يتصدّر المكوّن الاسمي مكانة تخضع لمعايير السن والمهنة، المركز الاجتماعي والانتماء الجغرافي»[1].

وتكشف قراءة هذا الجدول معطيات عديدة تتمثل في:

– استقراء الناقد وتقصيه لشخصيات الرواية وتصنيفها بدقة مما يعكس شمولية نظرته وإحاطته بتفاصيل المتن الرّوائي.

– بيّن الباحث دلالة الأسماء بأبعادها الاجتماعية والمهنية والثقافية ووظائفها في المتن السردي.

– لا تنفصل هذه الأسماء عن السّياق العام للرّواية فهي متماشية مع الأحداث في نظام متناسق مما يؤكد قصدية الرّوائي في اختيارها وتحديد سماتها.[2]

ويختتم الناقد "رشيد بن مالك" دراسته بجدول يلخص مسار الرّواية ويطوق الآليات التي تحكم الشبكة الدّلالية للنّص انطلاقا من انبنائها «على أساس طبقي يتماهى في السياقين الاجتماعي/ التاريخي، ليجسد صراعا حادا بين فئتين متناحرتين ومتقابلتين: فئة تتحرك من موقع رغبتها في تنمية رأس مالها وتركيع القرية بكاملها وتعذيب أهلها وفئة تتحرك دفاعا عن شرفها وحقها في الوجود والحياة»[3].

والملاحظ أن الدّراسة تفتقر إلى المراجع التاريخية والسّياسية والاجتماعية، فالرواية مشحونة بالإيديولوجية ومن شأن هذه المراجع المساهمة في إضاءة المعنى وكشف أبعاد الصّراع في المتن الرّوائي.

وفي الختام نسجل الملاحظات التالية حول هذه الدّراسة:

– إنّها طويلة نسبيًّا، وهي جزء تطبيقي من بحث أكاديمي أنجزه الباحث لنيل شهادة الدكتوراه، وتتضح أكاديميتها من خلال الصرامة المنهجية ودقة الاصطلاح.

---

[1] – رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 140.

[2] – ينظر: لعجال لكحل، المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك، مخطوط دكتوراه الطور الثالث، إشراف: د. هاجر مدقن، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، قسم اللغة والأدب العربي، السنة الجامعية 2016، 2017، ص 151، 152.

[3] – رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 149.

– غزارة المادة المعرفية في الدّراسة وتشعبها وإحالتها في الغالب إلى مراجع أجنبيّة.

– إخلاصها لسميائيات السرد القريماسية إجراءً ومصطلحا.

– قدرتها على استكناه الدّلالات انطلاقا من شبكة العلاقات المنسوجة في الخطاب الرّوائي.

– أصالة الدّراسة وتفردها، فرغم أن الإطار العام للدّراسة هو السيميائيات السردية إلا أن الناقد لم يترسم خطى دراسات سابقة ولم يرضخ للخطوات المتبعة في التحليل كما هو الحال في بعض الدراسات.

2-2- قراءة سيميائية في رواية "عواصف جزيرة الطيور":

أمّا قراءة النّاقد "رشيد بن مالك" السميائية في رواية "عواصف جزيرة الطيور"* للروائي"خلاص جيلالي"** فاستهلها بمنهجية حدد فيها إطارها العام الذّي يتمحور حول تحليل البرامج السّردية للرواية ومواضيع القيمة المستهدفة والرهانات السياسية الموجودة بين الفاعلين المنفذين والتي تمس بشكل مباشر العلاقة بين السلطة والشعب عبر حقبة تاريخية ممتدة من بداية الغزو الفرنسي للجزائر وانتهاءً بأحداث أكتوبر 1988.

ترصد ذاكرة الرّاوي الأحداث التاريخية التي عرفتها "جزيرة الطيور" «هذه الأحداث تمر عبر فترة زمانية تبدأ من القرن الثالث عشر من جهة الغرب الجزائري تحديدا، حيث عرفت عاصمة هذه الجهة "وهران" الغزو الإسباني والقرصنة واحتلال (المرسى الكبير) وتمر متثاقلة على العهد العثماني، وكيف هيأ الأجواء للاحتلال الفرنسي ثم عرّج على مقاومة الأمير عبد القادر، وتنتهي عند أحداث أكتوبر 1988 التي عصفت بالدّولة الجزائرية ورمتها في أحضان التغيير»[1]

ويبرئ النّاقد "رشيد بن مالك" دراسته هذه من أحكام القيمة، أو اتخاذ الممارسة النقدية وسيلة للدّفاع عن القضايا السّياسية أو دراسة النّص من خارجه؛ فالناقد يسعى لأن يكون تحليله موضوعيا يصوغ فرضيات ويتحقق من صحتها عبر مراحل التحليل «فغاية أي تحليل هي مطاردة المعنى وترويضه وردّه إلى العناصر

*– صدرت الرواية عن منشورات مارنيور، الجزائر، 1998.

**– جيلالي خلاص، روائي جزائري ومترجم وكاتب لقصص الأطفال، من مواليد 20 أفريل 1952م بمدينة "عين الدفلى" من مجموعته القصصية "خريف رجل المدينة" و"نهاية المطاف بيديك" ومن رواياته "رائحة الكلب"، "حمائم الشفق"، "زهور الأزمنة المتوحشة"، ومن القصص التي كتبها للأطفال: "الديك المغرور" و"السلحفاة والنهر"، كما ترجم إلى العربية روايتي: "الإراثة" لـ"رشيد بوجدرة" و"البحث عن العظام" لـ"الطاهر جاووت"، ترجمت بعض رواياته إلى الفرنسية والإيطالية والروسية وهو مايزال على قيد الحياة والكتابة.

[1]– شايف ميزاري، كتابة العنف أو محنة المعنى في رواية "عواصف جزيرة الطيور" لـ: جيلالي خلاص، مجلة متون، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة سعيدة، مج 01، ع 01، ص 184.

التي أنتجته، وتبعًا لذلك عوض أن يكون الأثر الجمالي قوّة حدسية، لا يتحكم فيها ولا يحدد حجمها سوى الذّات المتلقيّة، فإنّه سيتحوّل إلى عملية تحليلية تستند إلى العناصر النّصية بانزياحاتها وتقابلاتها وتماسكها»[1]

يحدّد النّاقد"رشيد بن مالك" رهانات الصّراع في الرّواية، وهو صراع محتدم بين السّلطة والشّعب (الأمواج الهائجة)، فالأمواج الهائجة فاعل منفذ يسعى إلى قلب نظام الحكم.

ويخصّص العنصر الموالي إلى رصد الأبعاد الدّلالية لتسيير الفعل السيّاسي: السّلطة/ الشعب/ المثقف، انطلاقا من استقراء الملفوظات السردية في القصّة بتوجيه نظرية الجهات وبتحليل ثلاثة مقاطع سردية يتضمن المقطع السّردي الأول فاعلا جماعيا يسخر إرادته لتنمية ثروته وقمع الأمواج البشرية، فهو يتصرّف في شؤون الدّولة وحياة الشّعب وكأنّها ملكه الخاص وتتحقق في المقطع السّردي الثاني صورة الجشع المتوحشة المناقضة للقيم الإنسانية والتي يبدي إزاءها الرّاوي الكثير من التّقزز.

أمّا المقطع السّردي الثالث فيقف فيه الرّاوي منتقدا رجال السلطة لاستحواذهم على مراكز القرار ودخولهم في وصلة بموضوع قيمة لا يتعدى المال والجنس والخمر. تجسد سياقات أخرى مسارًا صوريّا للإذلال تمارسه السلطة لقطع وسائل الإعلام، فيكون الرّاوي في هذه الحالة منفصلا عن موضوع القيمة (الحرّية)، فإذا كانت السلطة هي المرسل المحرك لكل برنامج صحفي فإن الفاعل الرّاوي أخلّ بشروط العقد حين نشر خبرا خطيرا على أمن المشيخة، ومن ثم فالسلطة تسعى إلى تعطيل قنوات التواصل بينها وبين السكان وتعمل على محاصرتها وفرض الرّقابة عليها عن طريق رجال "الأ ع" كما يسميهم الراوي .

شعر الرّاوي إزاء هذا الوضع بالاغتراب «إلا أن عناصر كفاءته تتحقق على مستوى جهات الوجوب، والأداء والقدرة»[2]، وتبعث فيه رغبة الانتقال من عا لم الدّناءة إلى عا لم السّمو.

وينهي الناقد "رشيد بن مالك" هذا العنصر بالتأكيد على أنّ استراتيجية الخطاب في هذه الرّاوية، «ترتكز أساسا على آلية منطقية يتم فيها بناء الفعل الإقناعي من داخل النّص وعلى أساس الوضعيات السردية المفرزة على الصعيد السطحي وانطلاقا من برامج سردية محكومة سلفا برهانات صراع الفاعلين في صلب النّص، وهي رهانات خطيرة تمس إشكالية السّلطة في تسيير شؤون الرعيّة وتصدّع العلاقة بين السّلطة والشّعب من ناحية والسّلطة والفئة المثقّفة من ناحية ثانية»[3]

---

[1]- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، الرباط، 2001، ص 10.

[2]- رشيد بن مالك، السيميائيات السّردية، ص 164.

[3]- المصدر نفسه، ص 168.

يرصد النّاقد "رشيد بن مالك"بعد ذلك التّجليات الدّلالية للخطاب التّاريخي في النّص الرّوائي، فقد صُدّرت الرّواية بنص للأمير عبد القادر الجزائر مأخوذ من كتابه "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر الجزائري" يتضمّن الإشارة إلى الاضطرابات والتّمزق الاجتماعي الممتد في هذه البلاد عبر حقب تاريخية موغلة في القدم، إلاّ أنّ الفقرة الثانية من النّص التاريخي تحيل على عالم متسم بقيم السّلم والتّسامح* ولتجاوز هذا الإشكال، ألحق الناقد هذا النّص بالسّياقات السرديّة والمضامين الدّلالية التي تفاعل معها استنادا إلى التّناظر الدّلالي Esotopie sémantique، فنص الأمير عبد القادر والنّص الروائي يلتقيان ويتفاعلان دلاليّا، ويختم النّاقد هذه الدّراسة بالإشارة إلى أنّ استراتيجية الخطاب في الرواية شُيدّت «على آلية منطقية يتم فيها بناء الفعل الإقناعي من داخل نص الرواية وعلى أساس الوضعيات السردية المفرزة على الصعيد السطحي وانطلاقا من مراجع سردية محكومة سلفا برهانات صراع الفاعلين في صلب النّص، وهي رهانات خطيرة تمس إشكالية السلطة في تسيير شؤون الرعيّة وتصدع العلاقة بين السلطة والشعب من ناحية والسلطة والفئة المثقفة من ناحية ثانية»[1]

ومن خلال هذا الرصد لتجلّيات المنهج السيميائي في هذه الدّراسة نسجّل الملاحظات التالية:

– الدّراسة قصيرة نسبيا مقارنة بتحليل الناقد لرواية "نوار اللوز".

– استطاع النّاقد إثبات الفرضيات التي انطلق منها في مقدمة الدّراسة انطلاقا من تحديد الفاعلين ومحاور الصراع وتحليل الملفوظات والبرامج السردية.

– قدرة النّاقد على التغلغل في أعماق النّص وكشف مضمراته عبر آليات واصطلاحات من صميم السيميائيات السّردية.

3– سيميائية الخطاب الرّوائي، تحليل "حسين خمري" لرواية "صوت الكهف" لـ"عبد الملك مرتاض":

تضمّنت هذه الدّراسة الموسومة بـ: "سيميائية الخطاب الروائي" تحليلاً سيميائيا لرواية "صوت الكهف" لـ"عبد الملك مرتاض"، وقد نشر الناقد الجزائري "حسين خمري" دراسته في كتابه "فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية"[2]

*– أثبت الناقد هذا النص بحرفيته في المصدر ذاته، ص 169.

[1]– رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 168.

[2]– حسين خمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، ط1، 2002، ص 155 وما بعدها.

استهل الناقد "حسين خمري" دراسته باقتراح مفهومًا للرّواية، ثم بيّن العلاقة التكاملية بين مستويات القراءة والكتابة، «فنحن نقرأ النّص القديم بقوانين الكتابة القديمة»[1]

ويعتبر النّاقد "حسين خمري" رواية "صوت الكهف" قراءة للتراث الروائي العربي والعالمي، كما لا تَخْفَى صلتها بتقنيات الرواية الجديدة بفرنسا كما عند روادها: "ناتالي ساروت"، و"ميشال بوتور" و"جان ريكاردو" و"ألان روب غرييه"[2]، ويبدو أن اختيار المنهج السيميائي في مقاربة المتن الروائي لم تكن غاية الناقد الأساسية «بقدر ما كان إجراءً منهجيًا أراد من خلاله إجلاء التقنيات السردية التي وظفتها الرواية الجديدة، ولعل ما يؤكد هذا النزوع هو أن هذه الدراسة قد نشرت في مجلة تجليّات الحداثة التي أصدرها معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران في عددها الثالث الخاص بالرواية الجديدة*»[3]

والرواية من ناحية أخرى، تحيل على بدايات تشكل الوعي الوطني عند الشعب الجزائري وما صاحب ذلك من مخاض عسير على حد تعبير الناقد، ويحدد الناقد بدقة الهدف المتوخى من هذه الدّراسة وهو «محاولة الكشف عن النظام الرّمزي الذّي يحكم أجزاء العالم الروائي الذّي تعرضت له الرواية ومحاولة إبراز دلالاته»[4]

وبعدها شرع الناقد في تفحص نظام الأشياء في الرواية القائم على شكل ثنائيات تبرز طبيعة الدراسة القائمة على صراع بين فئتين «فئة غربية وفئة محليّة، فئة المواطنين، وفئة المستعمرين (بفتح الميم)، والمعمّرين (بكسر الميم)»[5]

وعلى ضوء هذا النّظام الثنائي كان عنصر (الصوت/ الكهف) فاتحة التحليل، فقد تشكل عنوان الرواية من عنصرين لغويين لهما صلة وثيقة بمضمون الرواية، ملاحظا تنكير اسم "صوت" «لأنّه يتخذ سياقات عديدة ومصادر متعددة»[6]، فيما وردت كلمة الكهف معرّفة لاحتفاظها بوظيفة ثابتة في كل السياقات التي وردت فيها

---

[1]- حسين خمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، ص 156.

[2]- المصدر نفسه، ص 156.

*- نشرت الدراسة بمجلة "تجليات الحداثة" جامعة وهران الجزائر، عدد3، جوان 1994، ص 174- 202.

[3]- سحنين علي، السرديات السيميائية وتطبيقاتها في النقد الجزائري، قراءة في كتاب فضاء المتخيل لحسين خمري، مجلة النّص، تصدر عن كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، مج1، ع2، ديسمبر 2015، ص 20.

[4]- حسين خمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، ص 157.

[5]- المصدر نفسه، ص 157.

[6]- المصدر نفسه، ص 158.

ويلاحظ النّاقد اعتماد الضمير "أنت" وهو تقنية من تقنيات الرواية الجديدة، إلاّ أنّ الضمير "هو" هو الطاغي ولا يوجد انسجام بين الصّوتين «نظرًا لطبيعة العلاقة العدائية بينهما».[1]

ويشير النّاقد إلى أنّ الصّوت هو الإنسان ذاته، ولكنّه عارٍ من المواصفات التي يسندها الروائيون الكلاسيكيون للشخصيّة «وهذه التقنية اعتمدها أصحاب الرواية الفرنسية الجديدة وتتمثل في إعدام الشخصية وقتلها وذلك لتأكيد الحدث وتثبيته».[2]

ويَتّخذ الكهف في الرواية أبعادًا مقدّسة لأنّه أصبح مكانًا للتحريض على الثورة ضد المعمّرين وأعوانهم وينتهي النّاقد إلى نتيجة مؤدّاها «التحام الصّوت بالكهف وتفجير شرارة الثورة فكان الصّوت هو المحرّض وكان الكهف هو المكان الذّي أصدر التعليمات للعصيان ثم الثورة»[3]

إنّ صوت "الأنت" في الرواية هو الشعب الجزائري المغلوب على أمره بفعل تسلط صوت الآخر "هو" ولكنّه سرعان ما ينتفض منددا بالطغيان محرّضا على العصيان ومن هذا المنطلق يتوضّح أنّ «تحديد الباحث لهذه الثنائية اللّغوية (الصّوت والكهف) هو في الحقيقة قراءة لعنوان الرّواية، وقد توصّل –من خلال ذلك– إلى اكتشاف جملة من الدّلالات المتخفيّة وراء هذا العنوان والتي تُعد على ارتباط وثيق بمضمون الرواية العام»[4]

أما العنصر الثاني الذّي توقف النّاقد عنده وهو يدرس نظام الأشياء فيتمثل في ثنائية (العقد/ الحقد): فالعقد رمز من رموز العز، وبين العقد والحقد تجانس صوت جلي كما أنّ «العقد هو الذّي ولّد الحقد، ويمكن القول أن العِقد قد ربط أغلال الحقد بين سكان الربوة العالية وسكان السّهل. وهذا يبدو جليا من خلال أحداث الرواية»[5]

ومن خلال سياق الرواية يتضح أن العقد المفقود هو قيم الهوية الجزائرية التي سعى المستعمر إلى سحقها ومصادرتها ممّا ولدّ رغبة جامحة في نفوس الجزائريين لاسترداد عقدهم، هويتم وحريتهم.

وتُعدُّ ثنائية: (المرآة/ الخنجر) هي الثنائية الثالثة التي رصدها النّاقد، والعنصران يوضحان مجموعة من العلاقات الاجتماعية والثقافية.

---

[1]– حسين خمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، ص 160.

[2]– المصدر نفسه، ص 161، 162.

[3]– المصدر نفسه، ص 163.

[4]– سحنين علي، السرديات السيميائية وتطبيقاتها في النقد الجزائري، ص 21.

[5]– حسين خمري، فضاء المتخيل، ص 164.

فالمرآة في الرواية منتوج حضاري وافد يلتم حوله نساء الربوة فقد كانت أداة من أدوات الزينة ثم تحولت إلى «كشف بعض أسرارهن... وجعلتهن يلتفتن إلى الشكل وفي بعض الأحيان التهرب من العمل الموكل لهن»[1] فالمرآة هي رمز لتلك القيم الوافدة قبل الثورة التحريرية والتي أثرت سلبًا في مسار العلاقات بين سكان الربّوة العالية.

ورغم أنّ الخنجر ليس له كبير حضور في النّص الروائي إلاّ أنّه حاسم في صناعة الحدث، فزينب تدافع عن عرضها باستخدامه فهو إذًا «يلعب في هذه الرواية دورًا تطهيريًّا، تطهير العِرض والدفاع عن الكرامة»[2]

إنّ الثنائيات التي رصدها الناقد وهو يتفحص نظام الأشياء في الرواية «شكلت نظامًا سيميائيًا متكاملاً جعل الأشياء تكتسب دلالتها في إطار علاقاتها مع بعضها البعض داخل النّسق الرّوائي العام، كمّا أدّى هذا النّظام، من جانب آخر إلى التحكم في النّص الرّوائي والإمساك بدلالاته العميقة»[3]

ومن خلال عنصر "لعبة السرد والشخوص" يرصد النّاقد تجليات الرّواية الجديدة كما عند "ميشال بوتور" M. Butor في رواية "صوت الكهف" متمثلة أساسًا في توظيف الروائي للضمير "أنت" في عملية السرد بهدف إشراك القارئ وتوريطه في أحداث الرواية، وكذا ممارسة الروائي للنّقد السّردي داخل المتن الروائي من ذلك إدراك السّارد لورقية الشخصية بما هو «إعادة كتابة للمقولة النّقدية الشهيرة لبارت، والتي مفادها أن الشخوص السّردية هي كائنات ورقية وذلك لكي يمحو كل مرجعية خارجية لهذه الشخوص والنظر إليها في إطار النّص الروائي»[4]

ويرصد النّاقد في عنصر "الجنس والتواصل المستحيل" اصطباغ الجنس في الرواية بسمة اللاّتواصل IncoMmunicabilité لأنّه قائم على الإرغام والاغتصاب واللاّتكافؤ.

ويستدل النّاقد على ذلك بملفوظات سرديّة وردت في سياق الرّواية ليستخلص في الأخير «أن الجنس في هذه الرواية يعتبر فعلا من أفعال التواصل المستحيل لأنّه لم يستطع تمرير أية رسالة أو أن يجعل الآخر يتحاور معه، بل إنّه يدخل في دائرة الاستهلاك المجاني والاستغلال المبني على العنف والقهر»[5]

أمّا في عنصر البنية الأسطورية، فقد لاحظ النّاقد أنّ رواية "صوت الكهف" تشكل الأسطورة فيها خلفية بارزة، سواء على مستوى الشخوص أم الأمكنّة أم الأحداث ولعلّ ذلك أثر من آثار اهتمام الروائي بدراسة

[1]- حسين خمري، فضاء المتخيل، ص 168.
[2]- المصدر نفسه، ص 168.
[3]- سحنين علي، السرديات السيميائية وتطبيقاتها في النقد الجزائري، ص 22.
[4]- حسين خمري، فضاء المتخيل، ص 170، 171.
[5]- المصدر نفسه، ص 175، 176.

الفولكلور والأدب الشعبي في بعض مؤلفاته، ففي مستوى الشخوص، رصد النّاقد ثلاث فئات شكلّت مسار الأحداث في الرواية وهي سكان الرّبوة العالية وهم الأهالي، وسكان السّهل الخصيب وهم المستعمرون والقائد ومن يدور في فلكه، أما الفئة الثالثة فهي فئة العمال الذّين يخدمون سكان السّهل الخصيب، ويقومون بدور الوسيط بين الفئتين.

وبهذا تكون فئة العمال حسب التّرسيمة العاملية لـ"غريماس" شخوصًا معيقة بالنسبة للأهالي وشخوص مساعدة بالنسبة لسكان السّهل الخصيب، وإذا كانت الشخصيات المساعدة في القصص الأسطوري تقوم بأدوار محدّدة «فإننا نلاحظ أنّ وظيفتها في رواية "صوت الكهف" متأرجحة وذلك لأن وظيفتها كشخوص مساعدة لفئة سكان السّهل الخصيب تتناقض مع موقعها الاجتماعي والحضاري»[1]، من جهة أخرى يتجلى موضوع القيمة في القصص الأسطوري في شيء واحد بينما يزدوج في رواية "صوت الكهف" «من خلال السهل الخصيب من جهة والعقد الذّهبي رمز الحرية والشرف من جهة أخرى»[2]

وقد أظهر الناقد "حسين خمري" في بعض الشخصيات أبعادًا أسطورية مثل: "الطاهر العفريت" و"حلومة العرافة العجوز" وكذا "بيبيكو" المستعمر الذّي يشيع الحكايات الخرافية حتّى يبقى سكان الرّبوة العالية في حالة سكون وتخذير دائم، وشخصية "رابح الجن"، وكل هؤلاء «أبطال أسطورية وشخصيات خرافيّة ساهمت في نسج الذّاكرة الجماعية المتكئة على السّحر والشعوذة، وعبرّت عن ذهنيّة خرافية وواقع اجتماعي عاشته الجزائر في فترة من فترات الاستعمار».[3]

وقد لجأ الروائي إلى أسطرة الأمكنة من خلال الأوصاف التي خلعها عليها، فالربوة العالية يأخذ شكلها رأس الكلب ولا تنبت سوى الأشواك والأشجار العقيمة وهي بذلك طاردة للبشر، ومن خلال الأوصاف العجائبية أصبحت الربوة العالية شبيهة بحدائق بابل المعلقة حينا وقرية "موكوندو" أحيانًا أخرى،تلك القرية الأسطورية التي دارت فيها أحداث رواية "مائة عام من العزلة" "لغبريال غارسيا ماركيز الكولومبي"، و«هذا يعود إلى اشتراك الربوة العالية و"موكوندو" في الطابع الشعبي والطعم الأسطوري»[4]، ولعل باعث هذا النزوع الأسطوري

[1]- حسين خمري، فضاء المتخيل، ص 177.

[2]- المصدر نفسه، ص 177.

[3]- سحنين علي، السرديات السيميائية وتطبيقاتها في النقد الجزائري، ص 24.

[4]- حسين خمري، فضاء المتخيل، ص 181.

في رواية "صوت الكهف" «هو التجريب، فقد أصبحت الأسطورة مظهرًا من مظاهر الحداثة في الأدب وضرورة فنية يستوفى بها النّص إشعاعه الحداثي»[1].

وقد بالغ الناقد "حسين خمري" وهو يُحمّل الفضاء النّصي هذه الأبعاد الأسطورية، «فالفضاء أو المكان في رواية (صوت الكهف) هو فضاء لغوي بامتياز، حيث تشكل اللغة النّسق العلامي والسيميائي للمكان داخل هذا النّص، ولذلك ينبغي قراءة الفضاء النّصي قراءة سيميائية ترتكز على جماليات اللغة والخيال»[2].

ولا تتضح الأبعاد التاريخية والحضارية التي أضفاها الكاتب على الرّبوة إلاّ إذا تفاعلت مع السّهل الخصيب لإبراز الصّراع والتناقض بين الحيزين «بمعنى آخر أنّ القراءة السيميائية للفضاء السّردي، تفرض علينا النّظر إلى الأمكنة على أنّها نظام علامي شامل ومتكامل، لا يمكن له أن يكتسب دلالته، إلاّ من خلال ارتباطه بمكان آخر يشكل معه ثنائية ضدية تجعله –في مرحلة أخرى– مرتبطا بجميع الأمكنّة داخل النّسق الروائي العام».[3]

وقد لاحظ النّاقد "حسين خمري" في مستوى الأحداث أنّها مشكلة من برنامجين سرديين متضادين، برنامج البطل وبرنامج البطل المضاد وقد تجسّد برنامج البطل –حسب النّاقد– من خلال "الطاهر" الذّي يبدو في البداية في حالة انفصال عن موضوع القيمة وهو يحاول استعادة العقد الذّهبي، ولكي يستعيد موضوع القيمة لابدّ من القضاء على حالة العدم والفراغ، وعبر مجموعة من الإنجازات القولية والفعلية وبعد مكابدة وعنت يستعيد الشيء المفقود ويستعيد معه حالة الاستقرار.

أمّا البرنامج السّردي الثاني الذّي أنجزه البطل المضاد فقد تجلّى من خلال شخصية "بيبيكو" فقد تبدّى في بداية الرّواية في حالة اتصال بموضوع القيمة "الأرض" لكنّه سرعان ما يفتقدها في نهاية أحداث الرواية.

بعد ذلك استفاد النّاقد من النموذج الوظائفي البروبي في تحليل أحداث الرواية «وذلك لأنّ البنية الأسطورية في رواية صوت الكهف تنظم كل الأحداث وتوجهها باتجاه جو أسطوري له كل عناصر الحكاية العجائبية»[4] وقد استطاع النّاقد تحديد ست وظائف من بين إحدى وثلاثين وظيفة كما عند "بروب" ومرتبة وفق الترتيب الذّي أقرّه هذا الأخير.

---

[1]– رجاء بن منصور، الأسطورة في الرواية الجزائرية، دراسة نقدية أسطورية مقارنة، أطروحة دكتوراه علوم، إشراف: د. الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2014– 2015، ص 142.

[2]– سحنين علي، السّرديات السيميائية وتطبيقاتها في النقد الجزائري، ص 24.

[3]– المرجع نفسه، ص 25.

[4]– حسين خمري، فضاء المتخيل، ص 185.

«وكان الباحث قد وضع أمامه مجموع الوظائف (31 وظيفة) مرتبّة كما وردت عند "بروب" ثم راح يبحث عنها في رواية (صوت الكهف)، لكنّه ينبغي علينا والحالة هذه –أن لا نقوم بعملية الإسقاط المباشر للنموذج الوظائفي مع النّص السردي، فقد لا ينسجم هذا الأخير ويتناسب مع طبيعة بعض الأحداث مثل: يتزوج البطل ويعتلي العرش (الوظيفة 31)، كما هو الحال بالنسبة للنّص الروائي المدروس (صوت الكهف)، الذّي لا نعتقد بأنّه يحتوي أو يتضمن معطيات (الملك، والمملكة، والعرش) فهذه معطيات تخص الحكايات التي اعتمدها "بروب" في دراسته المورفولوجية للحكاية الشعبية الروسية»[1]

والواقع أن بنية الرواية وبنية الحكاية الشعبية مختلفتان على كافة الأصعدة فضاءً وشخصيات، وأحداثا، وإن تضمنت الرواية بعض السمات الأسطورية فذلك لبواعث فنيّة وسيّاسية وتجريبية تثري هذا الفن المنفتح المتعدّد الأصوات.

وفي الختام لابد من الإشارة إلى قدرة النّاقد على استكناه دلالات النّص وكشف مغيباته مستفيدًا من سيميائيات "غريماس" ومقولات "بروب"، غير أنّه في سياق ذلك أوضح بعض تجليات الرواية الجديدة في المتن الروائي المدروس، ولعلّ ميزة هذه الدراسة هي الوضوح والبعد عن ضبابية الأشكال والجداول والمعادلات التي لا توضح –في غالب الأحيان– بقدر ما تزيد الدّراسة الوصفية التواء وتعقيدًا.

4– مقاربة سيميائية قصصية، التّركيب العاملي في رواية "نهاية الأمس" لـ"عبد الحميد بن هدوقة":

من الدراسات النقدية الأخرى التي قاربت الرواية بتطبيق المنهج السيميائي السردي، دراسة النّاقد "حسن مزدور" الموسومة بـ: «مقاربة سيميائية قصصية، التركيب العاملي في رواية نهاية الأمس لعبد الحميد بن هدوقة»[2]

استهل الناقد دراسته بمدخل تناول فيه أثر الدراسات اللسانية الحديثة في التحليل الأدبي، على اعتبار أن النّص نظام إرشادي لغوي يهدف تحليله إلى الكشف عن هذا المعنى اللغوي الأولي بادئ ذي بدء. يحدد بعد ذلك هدفه من التحليل ومساره وهو «الاقتراب من المسار العام الذّي يتخذه المعنى»[3]، ويتحقق ذلك بـ: "تحليل التركيب العاملي الذّي سندرس فيه البنية العاملية والأفعال التي تنجزها، حيث يعتبر مستوى العوامل في منهج السيميائية القصصية المستوى الأول من حيث بساطته وعموميته وفعاليته في أداء المعنى أداءً بنيويا يتيح فهم مواقع

[1] – سحنين علي، السرديات السيميائية، ص 27.

[2] – حسن مزدور، مقاربة سيميائية قصصية، التركيب العاملي في رواية "نهاية الأمس" لـ"عبد الحميد بن هدوقة"، السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها جامعة عنابة، باجي مختار 15/ 17 ماي 1995، ص 299.

[3] – المرجع نفسه، ص 300.

الشخصيات وأدوارها وعلاقاتها أو أوضاع القوة الفاعلة في البناء القصصي ونمط صلاتها ببعضها واتجاه حركتها الكليّة"[1]، ويشرع الناقد في تحديد الثيمات بتجميع الوحدات المعجمية التي تُحدّد سمات كل شخصية، وبعد استقراء النص الروائي حدد الناقد الشخصيات الأساسية الأربعة وهيّ ، المعلم "سي البشير"، "ابن الصخري" "بوغرارة" و"معلم القرآن"، ثم راح يرصد سمات كل شخصية انطلاقا من ملفوظات الرواية، وصنفها في مجموعات بحيث تشير كل مجموعة إلى ثيمة معينة، فالمجموعة، الأولى المتعلقة بـ "المعلم" سي البشير" تشير إلى تيمة الوقار والمجموعة الثانية تشير إلى تيمة الثقافة وتشير المجموعة الثالثة إلى تيمة الجهاد وتكشف المجموعة الرابعة إيديولوجيته وتترابط المجموعتان الخامسة والسادسة في ثيمة موحدة هي المشروع الاصلاحي، أما المجموعة السابعة فتبين النتيجة التي آل إليها الصراع القائم حول موضوع القيمة، لتدرج وحدات هذه المجموعة في ثيمة متجانسة هي النجاح في المهمة، ويسلك المسلك نفسه مع بقية الشخصيات الأخرى ليخلص إلى توزيع الأدوار الثيماتيكية، فالثيمات تتوّزع على الممثلين وهؤلاء ينجزون أدوارًا ثيماتيكية من شأنها تحديد العوامل ضمن البنية العامليّة فشخصية "ابن الصخري"مثلا "تتحدد سيماتها من خلال ممارساتها ويمكن اختزال هذه الثيمات إلى الأدوار الثيماتيكية التالية: «إن ثيمة الملكية العقارية، تتضّمن دورًا ثيماتيكيا ملاّك، وثيمة الاستغلال تتضمن دورا ثيماتيكيا مستغل وثيمة النفوذ التي تعني هنا التغلغل في السلك الإداري والوصول إلى مراكز اتخاذ القرار، يتضّمن دورا ثيماتيكيا، ذو نفوذ»[2]، وهكذا تتحول الثيمات إلى أدوار ثيماتيكية عند بقية الشخصيات «ومما يسجل على هذه القراءة، أن تحويل الثيمات إلى أدوار ثيماتيكية، يشعر القارئ، بأنّ الأمر لا يتعدى أن نحول الوقار إلى وقور والاشتراكية إلى اشتراكي والحاقد إلى حقود، وصاحب الأخلاق إلى متخلق، والأمر ليس كذلك، لأنّ الأدوار ليس صياغات صرفية، إنّما هي أدوار تقوم بها شخصيّة سرديّة يشعر القارئ بوجودها»[3]

أمّا في مرحلة توزيع الأدوار الثيماتيكية، فيشير الناقد إلى أنّ الممثل يؤدي دورين على الأقل، ثيمياتيكي وعاملي فالعوامل تحدد البرنامج السردي العام للنّص، ويُمكن للعامل الواحد أن يتمظهر في الخطاب عبر عدّة ممثلين والعكس ممكن أيضا إذ يمكن لممثل واحد أن يشترك في عدّة عوامل، بعدها استثمر النّاقد الترسيمة العاملية لـ"غريماس" وأسقطها على المتن الروائي، محددّا العوامل والممثلين كما يلي: موضوع القيمة هو فتح المدرسة وإيصال

[1] – حسن مزدور، السيميائية والنص الأدبي، ص 300.

[2] – المرجع نفسه، ص 309.

[3] – محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي فينقد السّرد العربي الحديث، ص 217.

الماء إليها، والذّات هو السي البشير والمساند، بوغرارة، والمعارض معلم القرآن والمرسل "السلطة" والمرسل إليه سكان القرية، وعليه تتجسد الترسيمة العاملية في الشكل التالي:[1]

المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه
(السلطة) (فتح المدرسة) (سكان القرية)
↑
المساعد ← الذّات ← المعارض
بوغرارة سي البشير -ابن الصخري
-معلم القرآن

ويتجسّد خطاب "ابن الصخري" المضاد لخطاب السّلطة في الترسيمة التالية:

المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه
-الله استمرار الوضع (سكان القرية)
-المصلحة الطبقية ↑
المساعد ← الذّات ← المعارض
معلم القرآن ابن الصخري -المعلم سي البشير
-بوغرارة[2]

ويبدو أن ترسيمة الخطاب المعارض لخطاب السّلطة لا تنسجم مع آليات التحليل السيميائي «فالناقد يخلط بين الحدث الرئيس وما يطرأ من أحداث أخرى جاءت ردًا عليه، فالثيمة الرئيسية التي قامت عليها أحداث الرواية، هو المشروع الإصلاحي الذّي جاء به البطل المعلم سي البشير، ويمثل الموضوع الرئيس، أما الذات الفاعلة في النص فهي شخصية سي البشير ولا نجد غيرها ذاتا رئيسية، ولذا عندما نحلل النص لابدّ من أن نعتمد الذات التي تهيمن على أحداث النّص من حيث الفاعلية. أمّا الأصوات الأخرى كصوت ابن الصخري ومعلم القرآن وصوت بوغرارة، فهي أصوات تنتظم في صف العوامل المساعدة والمعيقة، وتمثل الرتبة الثانية من حيث الأهميّة في التحليل السيميائي»[3]

وفي ختام هذه الدراسة نسجل الملاحظات التّالية:

[1]- حسن مزدور، السيميائية والنص الأدبي، ص 313.
[2]- المرجع نفسه، ص 313.
[3]- محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص 219.

1-تعدّ الدّراسة من المحاولات الأولى التي حاولت استثمار المنجز النّقدي في ميدان السيميائيات السّردية وتطبّقه على نص روائي جزائري، ولهذا كانت المصطلحات المستخدمة غير دقيقة بالقدر الكافي "سيميائية قصصية" "التركيب العاملي" "موضوع الرغبّة"...

2-وُفّق النّاقد في تحديد سمات كل شخصية، ولكنّه قصّر في تحديد أدوارها الثيماتيكية حينما حوّل هذه الأدوار إلى صيغ صرفية بدلا من أن تكون أفعالاً تقوم بها الشخصيات في سياق الرواية.

3-تبدو إشارة النّاقد إلى الخطاب المضاد لخطاب السّلطة وتخصيص ترسيمة عاملية له منافية لخصوصيّات التحليل السيميائي الذّي ينطلق في رصد الترسيمة العامليّة من الحدث الرئيس والذّات الفاعلة، واعتبار الأصوات الأخرى عوامل مساعدة أو معارضة.

5- تحليل سيميائي لرواية "الصّحن" للرّوائية الأردنية "سميحة خريس":

الدّراسة الرّابعة للنّاقد "رشيد بن مالك"* التي سنتوقف عندها بالقراءة والنّقد تحمل عنوان "تحليل سيميائي لرواية الصّحن" للروائية الأردنية "سميحة خريس"**، ولعل ما يميز هذه الدراسة هو اشتغالها على نص روائي غير جزائري، وقد ألفينا الباحث في دراساته السّابقة يحلل نصوصا روائية لروائيين جزائريين، أمثال "عبد الحميد بن هدوقة" و"واسيني الأعرج" و"جيلالي خلاص" والدّراسة محتواة في كتابه من المعجميات إلى السيميائيات"[1].

ويستهل النّاقد تحليله بالإشارة إلى الدّراسة التي أنجزها "محمد عبد الله القواسمة" والموسومة بـ:"حول قراءة الرّواية من خلال العنوان"[2]، وقد أفضت هذه القراءة حسب الناقد "رشيد بن مالك" إلى إصدار أحكام «لا تغادر ذاكرة النقد التقليدي، متنافرة مع القراءة بوصفها مفهوما يتنافر مع الإسقاطات الذاتية والانطباعات التي لا تنسجم مع الممارسة النقدية التي تنهض على قراءة متأنية، تفترض منذ البداية أنّ النّص إذا بدا غامضا وصعب

*- تجدر الإشارة إلى أن الناقد حلّل نصوصا روائية أخرى نكتفي بالإشارة إليها مع الدّراسات التي قاربتها قراءة وتحليلا، نذكر منها: قراءة سيميائية في روايتي "ثورة بورا" و"دروب العتمة"، وقد نشرهما في كتاب "الرواية في عمان برؤية عربية" "الكتاب الأول، النادي الثقافي العماني، دار سؤال للنشر، دط، 2018، ينظر: شرشار فاطمة الزهرة، تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر، ص 174.

**- سميحة خريس، روائية أردنية ولدت بعمان عام 1956م، وعملت في مجال الصحافة والإعلام منذ 1978، نالت جوائز عربية عديدة وترجمت روايتها "الصحن" إلى الألمانية، من أهم رواياتها القرمية، دفاتر الطوفان، نارة، الصّحن، وقد تكرّمت بإرسال نسخة إلكترونية من الرواية موضوع الدّراسة إلى كاتب هذه السطور.

[1]- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014.

[2]- المصدر نفسه، ص 305.

الإدراك على القارئ، فإنّ ذلك راجع إلى قصور الأدوات النّقدية واضطراب الكفاءة العلمية الجديرة بالتأسيس لقراءة تأخذ في الحُسبان تنوع المنظورات التي تُسخّر لتأويل ظاهرة نصيّة معطاة»[1]

تتلخص الأحكام التي أصدرها "عبد الله القواسمة" حول الرواية في انتفاء الانسجام بين عناصرها وتهلهل نسيجها، وغموض أزمنتها ووهمية شخصياتها[2]، وقد لفتت هذه الرّواية انتباه نقاد آخرين وعدّوها نقطة انعطاف في مسار "سميحة خريس" الروائي فهي «تقتحم بهذه الرّواية مساحة جديدة جريئة جدية، وتنطوي على إحساس جدي بالمسؤولية تجاه العمل الرّوائي بوصفه عالما إبداعيّا مهمته أكبر من التوثيق الاجتماعي كما عودتنا خريس وتعبّر أبلغ من أي تعبير آخر عن الإنسان وقلقه الوجودي بكافة أبعاده»[3]

إنّ نظام الأحداث في الرواية يتطلب قارئًا يقظًا يستطيع الإمساك بمسارات الرواية في خضّم هذه اللغة الشّاعريّة الحافلة بالصوّر «ولكنّ هذه النّبرة "السّامية "– ومع أنّها تبدو مقصودة– تصعب على القارئ في بعض الأحيان، التّعرف على العالم الذّي تعالجه الرّواية والتعاطف مع شخصياتها، أما من ناحية أسلوب السرد فهناك تيار من الأفكار يتدفق دون انقطاع ويهيمن على فصول الرّواية التي تتذبذب بين السّرد من منظور الشخصية المنفردة والسّرد من منظور ضمير الغائب»[4]

فرواية "الصّحن" إذًا تمتلك مقومات العمل الإبداعي الذّي يرتفع بالخطاب الأدبي إلى آفاق الرمز والإيحاء وينزاح عن التقريرية السّاذجة والحبكة البسيطة، وتقع الرّواية في مائة وأربع وعشرين صفحة (124 صفحة) ومقسّمة إلى قسمين، القسم الأول عنوانه "إلهام" يتمفصل إلى أجزاء وُسم كل منها بوسم "الحلم" المكرر سبع مرّات. أمّا القسم الثاني فعنوانه "هو" يتمفصل هو الآخر إلى أجزاء وُسم كل منها بوسم "رؤيا" بداية ثم يتكرر الوسم "الرؤيا" ست مرات.

يستعرض الناقد "رشيد بن مالك" «الإطار العام للرّواية منوها بانبناء أحداثها وفق سببية حدثية وتسلسل منطقي، مستدلا على رجاحة هذا الحكم بشخصية "إلهام" المتأرجحة بين عالمين، يحيل أحدهما على الانقباض

[1]– رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ، ص 305.

[2]– ينظر، المصدر نفسه، ص305.

[3]– سليمان الأوزعي، هواجس الرواية الأردنية الجديدة الآن، ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص 36.

[4]– فولكر كامينيسكي، تر: نادر الصراص، موقع قنطرة على الرابط: http : //ar.Quantara. De/mod/9140 تاريخ الزيارة، الخميس 04 جوان 2020، السّاعة: 00:56.

والبرودة والموت ويحيل الثاني على الانشراح والسخونة والحياة، تسعى إلى تحقيقه لكنّها فشلت، واستتبع ذلك أزمة نفسية كادت تعصف بحياتها "لولا الصمود الذّي أبدته على خلفية صحن يشع بالنور والأمل بمستقبل واعد»[1]-

بعد ذلك شرع النّاقد في تحليل سيميائية العنوان، منطلقًا من الخلفيات النّظرية لدراسة العنوان مستعرضًا أبرز البحوث التي عنيت بهذه المسألة لينتهي إلى إيراد آراء الباحث "جوزيب بيزا كمبروبي" Josep BesaCamprubi الذّي يجعل للعنوان ثلاث وظائف أساسيّة، وهي الوظيفة التعيينية، والوظيفة الميتالسانية والوظيفة الإغرائية[2]-

وفي قراءته للعنوان استكشف التجليات الدّلالية للصّحن، بتتبع الملفوظات السّردية التي تضمنت هذه الكلمة وما تكشفه من علاقة مضطربة بين "إلهام" و"منير" فقد أصبح الصحن الفضاء الوحيد الذّي يحكم صلتها بـ: "منير" ويخرجه من عشقه النرجسي لتماثيله الباردة. إنّ "منير" يقصيها من عالمه ممّا يجعلها تفكر في إحداث فصلة عنه، والدخول في عالم تسترجع فيه إنسانيتها المفقودة، لكنّ هذا القرار يصطدم بعوائق نفسيّة، فهي ترغب في التوّحد به وفك حصار التماثيل عنه ولذا تتحرى عن فضاء تتوسّم فيه التقرب من "منير" وتهتدي إلى وضع الدُّراق في الصّحن فصارت فاعلا محرّكًا تسعى إلى حمل "منير" على الانخراط في رؤيتها والالتحاق بعالمها ولكنّه «لم ينتبه لشعاع الشمس الخارج من قلب الصّحن ولا إلى استدارة الدّراقات التي لم تكتمل ولا اشتهى قضمة»[3]-

ينطلق الناقد "رشيد بن مالك" بعد ذلك في رصد التجليّات الدّلالية للصّحن من خلال القسم الثاني المتضمّن قصّة "هو" و"حنان" وهي قصّة تعبر فيها شخصية جماعية عن رغبتها في تحطيم الطفلة "حنان" دون دافع واضح، رصد النّاقد الملفوظات السّردية التي تكشف العلاقة بين العصبة والصحن والطفلة "حنان"، تنفّذ العصبة برنامجا يستهدف الطفلة بتقديم وجبة مصحوبة بمسحوق الزّجاج في صحن، ولا يُسخَّر الصحن في هذا السّياق «كذريعة تستثمر من خلالها قيمة الحياة، بل لإقصاء هذه القيمة وتثبيت الموت»[4]-

تكشف الأم خطورة المؤامرة ويصير الصّحن شاهدا على الجريمة ثم يكمل "هو" ما تبقى في الصّحن «ويهدف تنفيذ الفعل الحاسم إلى تعويض الافتقار والتخفيف من معاناته النّاتجة عن المشاركة في المؤامرة بإنزال العقوبة على نفسه»[5]-، ورفض قيم العصبة والتخلي عنها.

---

[1]- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص 307.

[2]- المصدر نفسه، ص 308.

[3]- المصدر نفسه، ص 318.

[4]- المصدر نفسه، ص 321.

[5]- المصدر نفسه، 328.

وهكذا تتضح التمفصلات الدّلالية للصّحن وهيمنته على البرامج السردية لمختلف الذّوات مما يجعله مستحقا لتوؤّس النص ووسمه.

ومن خلال النماذج الأربعة السابقة للنّاقد "رشيد بن مالك" نستشف فعالية التّحليل السيميائي للرّواية وقدرة هذا المنهج على إضاءة البؤر المعتمة في النّص متى كان النّاقد ملمًّا بآليات المنهج محيطًا بمستوياته قراءةً وفهمًا.

6- التّحليل السّيميائي للبنى السّردية، رواية "حمامة السّلام" للدّكتور "نجيب الكيلاني" أنموذجًا:

ومن الدّراسات الأخرى التي طبقت آليات المنهج السّيميائي على المتن الرّوائي دراسة* النّاقد "بلقاسم دفّة" الموسومة بـ: التّحليل السّيميائي للبنى السّردية، رواية "حمامة السلام" للدّكتور نجيب الكيلاني أنموذجا-[1]-

افتتح النّاقد هذه الدّراسة بطرح إشكالات نقدية تتعلّق بمدى نجاعة المناهج الغربية التي هي نتاج حضارة مغايرة في تحليل النّص العربي، وهل تطبق هذه المناهج بحرفيتها على النّص العربي أم يلتمس الناقد إشارات في النص المحلل يجعلها منطلقا لاختيار منهج يكيّفه مع معطيات النّص وخصوصياته؟ وهي أسئلة طالما ناقشها النّقاد العرب في سرديات نقودهم، صنيع الناقد الجزائري "حسين خمري" الذّي «يرى أنّ النّص الأدبي نظرًا لما يتضمنه من خصائص شكلية ومضمونية فإنّه يطلب المنهج الذّي يجب أن يعامل به»-[2]-، ويبدو أنّ الرواية موضوع التحليل قد طلبت المنهج السيميائي مع إقرار الناقد بعدم تطبيق هذا المنهج بصرامة ودقة يقول: «بل أخذت منه ما يلائم النص العربي آخذًا بواحدية الدال، وتعددية المدلول ولم أتوقف عند المعنى المعجمي للدّلالة بل تجاوزت ذلك إلى البحث عن كوامن النص الإيحائية المضمرة خلف الإشارات والرموز»-[3]-

بعد ذلك حدّد الناقد العناصر التي تناولها في تحليل الرواية انطلاقًا من "سيميائية العنوان" حيث يحلل بنيته المشكلة من مسند مذكور هو "حمامة السلام" ومسند إليه محذوف تقديره "هذه"، ويشير إلى أنّ الحمامة كثيرًا ما يرمز بها إلى المرأة أو السِّلم؛ ويؤكد هذه الفرضية من خلال مسار الأحداث في الرواية، فحمامة السّلام هي

---

*- تناول الناقد في مقدمة دراسته تاريخ صدور الرواية ومكانها (مؤسسة الرسالة، بيروت 1997، الطبعة الرابعة)، ثمّ عرف بالروائي تعريفا موجزًا منوّهًا باتجاهه إلى الأدب الإسلامي منذ عام 1952 تاريخ تقديم بحثه عن الشاعر الأفغاني "محمد إقبال" وذكر جملة من أعماله الروائية منها: قاتل حمزة، حكاية جاد الله، مواكب الأحرار...

[1]- بلقاسم دفّة، التحليل السيميائي للبنى السرديّة، رواية "حمامة السّلام" للدكتور نجيب الكيلاني أنموذجا، محاضرات المتلقي الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي 15-16 أفريل 2002، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الأدب العربي، ص 33 وما بعدها.

[2]- حسين خمري، سرديات النقد، في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011، ص 53.

[3]- بلقاسم دفّة، التحليل السيميائي للبنى السردية رواية حمامة السلام نموذجًا، ص 34.

"سكينة" «وهي شخصية رئيسية تعد الشخصية الثانية من حيث الوظيفة التي أسندت إليها ومن حيث تواترها على مسرح الأحداث حيث بلغ ستًّا وستين (66) مرّة، وقد أسهمت بقسط كبير بمعيّة بعض رجالات القرية في إطفاء نار الفتنة ودفع عملية السلام، وذلك بإقناع زوجها (عبد الودود) عن (كذا) عدم مواصلة انتقامه من فلاحي القرية وظلمهم والزج بهم في السجون، واقتناعه كذلك بعدالة قضية الفلاحين»[1]، فسكينة إذًا شخصية محوّرية خيرة ساهمت في إحلال الأمن والسلام، ثم يعرض الناقد ملخصًا مركزًا لأحداث الرواية ليثبت ارتباطها بالعنوان منتهيا إلى تأكيد «إنّ هذه الأفكار وغيرها تتعلق بالعنوان الذي يعني في بعض مكوّناته الدّلالية السلم والأمن ويتضح من مضمونها إيديولوجية الكاتب المدافع عن الحق والعدل والسّلام وهي رؤية إسلامية»[2] فالعنوان تجميع مكثف لدلالات النص، يرتبط به ارتباطًا عضويًا معنىً ومبنىً.

وفي عنصر "سيميائية الغلاف" تناول الناقد الغلاف باعتباره عتبة من عتبات النّص، وهو نص محيط مادام يتعلق بالشكل الخارجي للكتاب ويتضمن الصورة المصاحبة للغلاف أو الأيقونة باعتبارها «عنوان بصري يتشكل من صور فوتوغرافية أو رسوم تجسيدية أو تجريدية تكون الغاية منها ترجمة عنوان الكتاب إلى تشكيلات لونية وخطيّة، وتلخيص مقصدية متنه واختزال فكرته العامّة»[3]

وقد قدّم النّاقد وصفًا لصورة الغلاف وهي «صورة حمامة بيضاء باسطة جناحيها في الفضاء الذّي تكتنفه سحب بيضاء وهي تحلّق قرب مساحة خضراء، وفي الصورة مسحة من اللون الأبيض الذّي يخالطه لون أحمر»[4]

وبعد قراءته لعلامات الصورة يستنتج «إنّ ما ترمز إليه صورة الغلاف يوشك أن يطابق عنوان الرواية "حمامة سلام" فهما إذن يعتبران مفتاحا إجرائيا للولوج إلى مدخل النّص»[5]

وتجدر الإشارة إلى أن صورة الغلاف قد تكون من اختيار الناشر ويراعى فيها بالدرجة الأولى العنوان، ولذا فالتوافق في الرواية موضوع التحليل كان بين صورة الغلاف والعنوان، وليس بين الصورة والعمل الروائي[6]

---

[1]- بلقاسم دفّة، التحليل السيميائي للبنى السردية رواية حمامة السلام نموذجًا، ص 36.

[2]- المرجع نفسه، ص 37.

[3]- يوسف الإدريسي، عتبات النّص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 2015، ص 95.

[4]- بلقاسم دفة، التحليل السيميائي للبنى السردية، ص 37.

[5]- المرجع نفسه، ص 38.

[6]- ينظر: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي، ص 237.

وفي العنصر الثالث من الدّراسة انصبَّ الحديث عن "سيميائية الأسماء"، فاختيار اسم الشخصية في العمل الرّوائي ليس اختيارا اعتباطيًا فكل اسم يشير إلى دلالة معينة وينسجم مع القيم التي يريد الكاتب بثها في النّص كما أنّه بمثابة عقد يتم إبرامه بين النص والقارئ، فتوالي هذا الدّال على مستوى الخطاب، «هو شرط أساسي ومهم لضمان انسجام النّص ومقروئيته»[1].

وقد أخضع النّاقد أسماء شخصيات الرواية إلى تحليل لغوي كاشفا دلالتها رابطا بين هذه الدّلالة وسيرتها داخل المتن الروائي، ففي اسم "سكينة" مثلا «معنى السكينة والارتياح والطمأنينة والوقار والمهابة وكلها تدل على أنّ هذه الشخصية قد وفّرت الهدوء والارتياح والأمن والطمأنينة لزوجها، وجنبت القرية أهوال الفتنة والدّمار»[2]، ويبدو أن النّاقد استنتج هذه الصفات من بعض أجزاء العمل الروائي إذ نجده «يتغافل عن سيرة "سكينة" إذ انتقلت في حبها من الابن إلى الأب الذّي وجدت فيه ملبيا لطموحاتها فهي شخصية مادية ووصولية غير مُخلصة، وبذا تكون هذه الصّفات منافية لسمات السكينة والوقار»[3].

ويفرد الناقد العنصر الموالي من دراسته لإشكالية الشخصية الرئيسية ومعيار تحديدها في النص السردي مستبعدا معيار التواتر في هذا التحديد، فهو يميل في تحديدها إلى «الوظيفة المسندة إليها في النّص السردي»[4] وتبعا لذلك رتب هذه الشخصيات جاعلا المرتبة الأولى "للحاج عبد الودود رضوان" التي وردت بتواتر بلغ 154 مرّة.

ويقتصر في عنصر الوظائف السردية للشخصيات، على شخصية واحدة هي "سكينة" حاصرًا أهم وظائفها في الحب والغواية والنصح، فالعنوان لا ينسجم مع محتواه، وركز في عنصر "البناء الخارجي للشخصيات على إبراز قدرة الروائي على رسم ملامح الشخصيات «فلم يترك وجها ولا فما ولا شعرا ولا لونا ولا قامة ولا صوتا ولا عينا ولا أطرافا إلا رُسم بشيء من التفصيل»[5]، وراح الناقد يثبت سدادة حكمه بإظهار أوصاف "الحاج عبد الودود" و"سكينة" و"ربيع".

---

[1]- فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر/ السعيد بنكراد، تق: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2013، ص71.

[2]- بلقاسم دفّة، التحليل السيميائي للبنى السردية، ص 39.

[3]- محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص 237، 238.

[4]- بلقاسم دفة، التحليل السيميائي للبنى السردية، ص 40.

[5]- المرجع نفسه، ص 42.

ويختتم الناقد "بلقاسم دفّة" دراسته بكشف البناء الداخلي للشخصيات، بإظهار ما يعتمل في أعماقها من مشاعر وأحاسيس وانفعالات مستخلصًا «أن الكاتب استطاع أن يغوص في أعماق الشخصيات فيصور ما يختلج في نفوسها من حب وكره وفرح وحزن...»[1]

وفي ختام هذه الدراسة نسجل الملاحظة التالية:

– خلو هذه الدراسة ممّا ألفناه في الدّراسات الأخرى التي تمارس التّحليل السيميائي، فلم نجد مثلثات عامليّة أو ترسيمات عاملية ولا مربع سيميائي، بل إنّنا في بعض المواضع نستشعر أحكامًا انطباعية ذاتية لا تمت بصلة إلى التحليل السيميائي المحايث، خاصّة في إغفاله لذلك التناقض بين اسم "سكينة" وأفعالها، واكتفائه بإصدار أحكام انطلاقًا من ملفوظات سردية مجتزأة من سياق الرواية.

7– رواية "مثلث الرّافدين" للرّوائية السّورية "سها جلال جودت" دراسة سيميائية سردية:

وهذه دراسة أخرى لناقد جزائري اشتغل فيها على رواية سورية موسومة بـ "مثلث الرّافدين" لصاحبتها "سها جلال جودت"، وقد وسم دراسته بالعنوان التالي: "رواية "مثلث الرافدين" للروائية السورية "سها جلال جودت" "دراسة سيميائية سردية"[2]

افتتح الناقد "عبد الناصر مباركية" دراسته بهذه العبارة «تعتبر السيميائية من الدراسات النقدية التي اهتمت بدراسة النصوص السردية بشكل خاص والظواهر اللسانية بصفة عامة ...»[3]، ونعتقد أن العبارة في حاجة إلى إعادة صياغة فالسيميائية ليست دراسة نقدية، بل هي منهج نقدي تدرس به النصوص وتُحلل وفق آليات معيّنة وجهاز إصلاحي خاص بهدف الكشف عن المعنى، يتطرّق الناقد في بداية التحليل إلى سيميائية العنوان مشيرًا إلى العلاقة التكاملية التي تربط بين العنوان والنص الروائي ثم يشرع بعد ذلك في تحليل العنوان ملاحظا انزياحيته شأن بقية عناوين الروايات، فالكلمة الأولى "مثلث" تدل –حسبه– على الحب أو القلب «لأن هذا الأخير يأخذ

[1]– بلقاسم دفة، التحليل السيميائي للبنى السردية، ص 45.

[2]– عبد الناصر مباركية، رواية مثلث الرافدين للروائية السورية سها جلال جودت – دراسة سيميائية سردية، محاضرات الملتقى الدولي الخامس، السيمياء والنّص الأدبي، 15، 17 نوفمبر 2008، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الأدب العربي، ص 455 وما بعدها.

[3]– المرجع نفسه، ص 455.

شكل المثلث، فالقلب في كل الثقافات الإنسانية دليل على الحب والعاطفة أو التواصل العاطفي بين الرّجل والمرأة ورمز للحياة والخصوبة والدّفء الإنساني»[1]

وقد التمس الناقد ما يؤكد مذهبه بأمثلة مجتزأة من سياق الدّراسة، أمّا كلمة "الرّافدين" فتدل على نهري دجلة والفرات، ليستنتج أخيرًا "والأديبة تريد من هاتين الكلمتين قصّة حب في الرافدين أو قصّة عشق بين أديبة وشاعر"[2]

وقبل الانتقال إلى العنصر الثاني في هذه الدّراسة، نلفت الانتباه إلى أنّ جل الدراسات التي اهتمّت بتحليل عناوين الأعمال الإبداعية، تبحث بداية في بنيتها ودلالاتها ثم تحاول إحكام الربط بينها وبين المتن الإبداعي، إلاّ أنّ الناقد في هذه الدّراسة أشار إلى الترابط المحكم بين العنوان والمتن، ثم شرع في تحليل العنوان، وهو بهذا الصّنيع يصدر حكما سابقا لأوانه مخالفا لما تكرس من مراحل التحليل، أما في عنصر "البرنامج السردي" فقد أشار إلى اعتماد الرّواية على برنامجين سرديين متضّادين وجعله ذلك يعتمد في تحليله "طريقة الناقد حسين خمري" في دراسته لرواية "صوت الكهف" "لعبد الملك مرتاض باعتبارها تتألف من برنامج البطل وبرنامج البطل المضاد"[3]

إنّ انتهاج طريقة ناقد ما في تحليل نص له خصوصيّته وشفراته مغامرة محفوفة بالمخاطر، فالمنهج غالبا يفرضه النّص، وما يتواءم مع نص قد لا يتواءم مع نص آخر إضافة إلى ذلك فإنّ "ما ذهب إليه النّاقد يوحي بأنّ النّاقد حسين خمري صاحب منهج أو نظرية في قراءة البرامج السردية، والأمر ليس كذلك، لأن فكرة البرامج السردية فكرة عامة قال بها عدد من النّقاد الغربيين من بينهم قريماس، الذّي ركزّ فيها على موضوع القيمة، الذّي يقابل في مخطط البنية العامليّة عامل "الموضوع""[4]

ويتمثل برنامج بطلة الرواية "زينب" في السعي إلى إيجاد الرجل الذّي تكتمل به أنوثتها وتسكن إليه، أما برنامج البطل المضاد فيتمثل في شخصية الشاعر الذّي حاول أن يراود الأديبة عن نفسها ومن ثمّ تتخلّى عنه.

ولقد ألفينا النقاد والمحللين يجسدون هذه البرامج السّردية في شكل معادلات ومخططات، فيما اكتفى الناقد بقانون "غريماس" المتعلق بالبطل المضاد والذّي جسده في المعادلة التالية: $0 \longrightarrow s \cap opn = so \cap$ (وتقرأ كالآتي: البرنامج السردي يساوي امتلاك البطل للشيء ⟵ يتحول إلى افتقاد البطل إلى الشيء"[5]، وعقد الناقد عنصرا

[1] – عبد الناصر مباركية، رواية مثلث الرافدين للروائية السورية سها جلال جودت – دراسة سيميائية سردية، ص 455.

[2] – المرجع نفسه، ص 455.

[3] – المرجع نفسه، ص 456.

[4] – محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص 246.

[5] – عبد الناصر مباركية، رواية "مثلث الرافدين"، ص 458.

آخر لـ «سيميائية الحكاية الأسطورية، وما تضفيه على الكتابة الروائية من أبعاد جماليّة، ويرى النّاقد أن الروائية وظفت أسطورة "دون جوان" تأكيدا لمعاني ودلالات الأحداث السّردية التي وردت في سياق الرّواية، فلكي يتم إقناع القارئ بالرؤية الفكرية للبطلة استشهدت الروائية بأسطورة "دون جوان»[1]

ويمضي النّاقد في سرد أحداث هذه الأسطورة منتهيا إلى مُساهمتها في بناء الحدث الروائي بسبب التشابه القائم بين شخصية "دون خوان" و"الشاعر"، ويسرد الناقد تفاصيل أسطورة أخرى هي حكاية "سيابند وخجوك" ولكنّه «لم يأت على ذكر توظيفها في النّص الروائي، بل لا نكاد نجد رابطا بين الرواية والأسطورة، إلا إذا كانت الروائية تتحدث عن العلاقات الإنسانية الخالدة، كثيمة الوفاء للحبيبة التي لا تتوافر في شخصية الشاعر الحبيب»[2] ونالت "عشتار" هي الأخرى نصيبا من سرد النّاقد ولكنّه لم يوضح صلتها بأحداث الرواية والغاية من توظيف الرواية لها.

ولعل باعث هذا النزوع الأسطوري في هذه الرواية وفي غيرها «هو ظاهرة التجريب في الأدب العربي الحديث، حيث أصبحت الأسطورة مظهرا من مظاهر الحداثة في الأدب وضرورة فنيّة ليستوفي النّص إشعاعه لحداثي»[3]

ويشيد الناقد في عنصر اللغة الشعرية في الرواية، بجاذبية اللغة وجمالياتها، فقد وظفت الأديبة «كل طاقاتها الشعرية والجماليّة لجعل النص عالما سحريا وبلاغيا وشاعريا»[4]

أمّا في عنصر التواتر أو التكرار السّردي فيشير النّاقد إلى الحدث الذي تكرّر في الرواية مرّات عديدة وهو تلك المناجاة الشاعرية التي خاطب بها الشاعر "زينب". وفي الختام يتتبع الناقد أنماط الرؤية في الرواية وبعد استعراضه لأنواع الرؤى الثلاث والتفريق بينها (الرؤية مع، الرؤية من الخلف، الرؤية من الخارج) وبالعودة إلى الرواية يؤكد الناقد أن الرؤية الغالبة هي الرؤية "مع" لأن «الشخصية المركزية في هذه الرواية هي زينب، حيث نتعرف عبرها معظم الأحداث والشخصيات»[5]

وفي ختام قراءتنا لهذه الدّراسة نسجل الملاحظات التالية:

---

[1]- عبد الناصر مباركية، رواية "مثلث الرافدين"، ص 460.

[2]- محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص 248.

[3]- رجاء بن منصور، الأسطورة في الرواية الجزائرية، دراسة نقدية أسطورية مقارنة، مخطوط دكتوراه علوم، ص 142.

[4]- عبد الناصر مباركية، رواية "مثلث الرافدين"، ص 463.

[5]- المرجع نفسه، ص 467.

1-تحدّث الناقد عن علاقة العنوان بالمتن الروائي قبل تحليل العنوان، وقد ألفينا جل النّقاد يبدؤون بتحليل العنوان ثم إحكام الصّلة بينه وبين المتن.

2-في حديثه عن البرامج السردية في الرواية لم يستعن مثلما هو سائد بالمعادلات والمخططات لإظهار حالات الاتصال والانفصال بين الفواعل وموضوع القيمة.

3- أسهب النّاقد في سرد الحكايات الأسطورية التي تضمّنتها الرواية دون استثمارها في بيان علاقتها بالحدث الرّوائي وفك شفراتها باعتبارها علامات تستحق التحليل والتأويل.

4- زاوج الناقد في دراسته بين سيميائيات غريماس وسرديات "جيرار جنيت"، و"جون بويون" وغيرهم.

بعد هذه القراءات لنماذج من الدراسات النقدية السيميائية في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، نسجل الملاحظات التالية:

1-اشتغلت هذه الدراسات على نماذج روائية لروائيين جزائريين وعرب، وإن كانت الرواية الجزائرية هي التي نالت الحظ الأوفر في هذه الدّراسات.

2- تتنوّع هذه الدّراسات من حيث أحجامها وآليات تحليلها ونتائجها والمرجعيات التي استندت إليها.

3-لامست هذه الدّراسات مجتمعة أغلب عناصر التحليل السيميائي، العنوان، الفضاء، الترسيمةالعاملية، العوامل المثلثات العامليّة، المربع السيميائي.

4-يبدو الناقدان "رشيد بن مالك" و"السعيد بوطاجين" أكثر التزاما بآليات التحليل السيميائي لمدرسة باريس السيميائية، كما يبدو تحكمهما في منهجيّة التّحليل والدّقة في توظيف المصطلح والقدرة على استكناه أسرار النّصوص وكشف دلالاتها المضمرة، ويعكس ذلك تمثّلهما لإجراءات هذا المنهج بحكم تلقّيهما لمستوياته من روّاده الفرنسيين أثناء تلقّيهما لهذه المعارف بباريس في مرحلة الدّراسات العليا.

5-استعانت جل هذه الدراسات بالجداول والمعادلات والمخططات والأشكال، بنسب مختلفة بغرض توضيح بعض الإشكالات وتجسيد بعض القضايا، وهذا هو السّائد عند جُل الدّارسين الذين مارسوا التحليل السّيميائي سواءٌ أكانوا عربًا أم غربيّين، وتختلف فعالية هذه الأشكال والمخطّطات من ناقد لآخر.

6-تراوحت بعض هذه الدّراسات بين سيميائيات مدرسة باريس وسرديات "بروب" و"جيرار جنيت" وغيرهم فالجمع بين السّرديات والسيميائيات سمة غالبة نجدها في جُل المقاربات المهتمة بتحليل النّصوص السّردية ولعلّ ذلك يعود لتقارب هذه المناهج مصطلحًا وإجراءً.

7-تُبدي بعض هذه الدّراسات التزامًا صارمًا بآليات المنهج السيميائي، فيما تتهاوى بعضها في مهاوي الانطباعية والذّاتية مما يفقدها قيمتها العلميّة، ولعلّ ذلك يعود لعدم تمثّل بعض النّقاد لمستويات التّحليل السّيميائي وتأثّرهم بالمناهج السّياقية التي تغلّب في كثير من الأحيان الذّوق على المنهج.

8-اكتفت بعض هذه الدّراسات بالاشتغال على عنصر واحد من عناصر التحليل السيميائي (الفضاء) أو "الاشتغال العاملي" فيما تعدّت أخرى إلى عناصر سيميائية كالعوامل والعناوين والمربعات السّيميائية وغيرها.

المبحث الرابع: سيميائية الحكاية الخرافية والنّص التّراثي

نُفرد هذا المبحث للمنجز النّقدي الجزائري الّذي قارب الحكايات الخرافية كحكايات "كليلة ودمنة" و"ألف ليلة وليلة"، والخرافة الشّعبية صنيع "عبد الحميد بورايو" في تحليله لحكاية "ولد المتروكة"، باستخدام آليات المنهج السيميائي. ونقصد بالنّص التّراثي، ما أنجزه "رشيد بن مالك" في تحليله لنص: "إغاثة الأمّة بكشف الغُمّة" أو تاريخ المجاعات بمصر "للمقريزي" موظّفا هو الآخر آليات المنهج السيميائي.

1- سيميائية الحكاية الخرافية:

وظّفنا مصطلح "الحكاية الخرافية" في هذا السّياق لوسم المدوّنة المدروسة تمييزا لها عن أشكال حكائية شعبيّة تشاكلها وقد تلتبس بها، فالخرافة كما عرّفتها بعض القواميس: «حكاية قصيرة نثرية أو شعرية تبرز أحداثا وشخصيات وهميّة تتراءى من خلالها أحداث وشخصيات واقعية، بحيث أنّ الذّهن يتتبّع عند قراءتها أو سماعها المعنى الظاهر والمعنى الباطن في الوقت نفسه، وقد يكون أبطالها أناسًا أو حيوانات أو حشرات أو نباتات أو معادن»[1].

ولعلّ أبرز ما يمكن استخلاصه من هذا التّعريف، تضمّن الخرافة للمعنى ولمعنى المعنى، وكذا رمزية الشّخصيات فيها، وإمكانية أن تكون البطولة فيها للحيوانات أو غيرها من الكائنات والموجودات.

وتوازن بعض المعاجم بين "الحكاية الشّعبية" (Conte populaire) و"الخرافة" (Fable) وتؤكّد بأنّ: «الخرافات هي في الغالب أكثر طولاً وذات بنية أكثر تعقيدًا، ولكلّ راوٍ في مجال ثقافي محدّد صيغ مألوفة للابتداء والاختتام، وفي "ألف ليلة وليلة" صورة من تلك الصّيغ إذْ نجد "شهرزاد" تقول في الكثير من الفواتح "بلغني أيّها الملك السّعيد، أنّه كان في قديم الزّمان وسالف العصر والأوان ..."ونجدها تقول عند الانتهاء "ولم يزالوا في عشرة ومودّة إلى أن أتاهم هادِم اللّذات ومفرّق الجماعات"، هذه العبارات تكون في العادة موقّعة تُعلن بداية الحكاية أو انتهائها، وبالتّالي الدّخول إلى عالم مُتخيّل عصيب أو الخروج منه، وتمثّل تجسيدًا لميثاق تخييلي ينعقد بين الرّاوي والمروي لهم»[2].

ولعلّ الإضافة التي قدّمها هذا التّعريف، تتمثّل في طول الخرافة مقارنة بالحكاية الشّعبية وتعقّد بنيتها وتميّزها بصيغ مألوفة موقّعة في بدايتها وخاتمتها.

---

[1]- جبّور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، يناير 1984، ص102.

[2]- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر- تونس، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2010، ص151-152.

وتركّز بعض المعاجم على وظيفة هذا اللّون من الحكايات فهي تؤدّي «كباقي الأشكال القديمة وظيفة إبستيمولوجية وتربوية، تُلقّن معايير وسلوكات وقيما تساعد الفرد على مُساكنة الجماعة وتعزيز الأخيرة لوحدتها لهذا فمن السّهل التّمييز بين الخرافة وباقي المحكيات، التي لها الوظيفة نفسها، حيوانيا ولُغزيا وحكميّا وحكائيا وأسطوريًا بوصفها أنماطًا نصية اختلطت بصُلب الخرافة»[1].

وواضح من خلال هذا المفهوم أنّ وظيفة الخرافة هي تعزيز العلاقة بين الفرد والجماعة، وعليه فكل الأشكال الحكائية الأخرى التي تمتلك الوظيفة نفسها هي أنماط خرافيّة.

ومن خلال ما سبق يُمكن إجمال سمات الخرافة في النّقاط التّالية:

1- تتضمّن الخرافة معنى ظاهر ومعنى باطن.

2- رمزية الأحداث والشّخصيات فيها.

3- شخصياتها قد تكون حيوانية أو إنسيّة أو كائنات وموجودات أخرى.

4- غالبًا ما تُضفي الخرافة سلوكات بشرية على الحيوانات والموجودات الأخرى.

5- للخرافة وظائف معرفيّة وتربويّة وأخلاقيّة.

وقد سوّغ "عبد الحميد بورايو" اختياره لمصطلح "خرافة" لوسم كتابه "الحكايات الخرافية للمغرب العربي" بقوله: «نقصد بالحكاية الخرافيّة ذلك الشّكل القصصي ذا الطّابع العالمي، الّذي يُطلق عليه دارسو الفولكلور في العالم مصطلح "Conte mervielleux"، وقد استخدم الباحثون العرب لتعيينه مجموعة من التّسميات من بينها: الحكاية العجيبة، الخرافة، الحكاية السّحرية، وقد فضّلنا استخدام مصطلح الحكاية الخرافية، نظرًا لشيوعه في ميدان الدّراسات الشّعبية العربية»[2].

ورغبة من النّاقد في إيضاح مفهوم الحكاية الخرافية، لجأ إلى كشف بنيتها ومسارها السّردي موظّفا بعض مصطلحات "فلاديمير بروب" ومحدّدًا إيّاها بكونها: «خطاب قصصي يكشف في مستهلّه عن ضرر ما أو إساءة لحقت بأحد الأفراد أو عن رغبة في الحصول على شيء ما، يخرج البطل من المنزل فيلتقي بالمانح الذي يقدّم له الأداة أو المساعدة السّحرية التي تسمح له بالحصول على الشيء المرغوب. وتأتي بعد ذلك مرحلة العودة حيث يظهر الصّراع الثّنائي بين البطل وخصومه الذين يتابعونه ويضعون في طريقه العقبات، ويتمكّن من اجتيازها ويؤدّي

[1]- سعيد علوش، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر (فرنسي، عربي)، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1، مارس 2019، ص297.

[2]- عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، دراسة تحليلية في "معنى المعنى" لمجموعة من الحكايات، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، "آب"، "أغسطس" 1992، ص05.

المهمّات التي تفرض عليه، وينجح في جميع الاختبارات، ويصل إلى منزله ويتمّ التّعرف عليه فيتجلّى في أحسن صورة، وفي الأخير يكافأ ويتزوّج ويعتلي العرش»[1]

وقد لا تخضع الحكاية الخرافية إلى هذا المسار السّردي الصّارم، فهي تتلوّن بألوان المجتمعات والثّقافات التي تتداولها، وفي كلّ الأحوال فقد تعدّدت أنواع الحكايات الخرافيّة وتعدّدت مساراتها السّردية، ولعلّ الثابت فيها هو شخصياتها الوهميّة فهي: «تعتمد على الخُرافة في سير أحداثها وإضفاء الصّفات الخارقة على شخصياتها ويمثّلها في السّرد العربي حكايات "ألف ليلة وليلة"، الحكاية الأقرب إلى مخيّلة القارئ العربي و"مئة ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة»[2]

وبناءً على المعطيات السّابقة اخترنا الصّفة "خرافيّة" لوسم الحكايات التي قاربها ثلّة من النّقاد الجزائريين بتوظيف آليات المنهج السيميائي، يأتي على رأسهم النّاقد "عبد الحميد بورايو" في مقارباته لحكاية "ولد المحقورة" من التّراث الشّعبي الجزائري، ومجموعة من حكايات "ألف ليلة وليلة" وحكاية "الحمامة المطوّقة" من "كليلة ودمنة"، وكذا "رشيد بن مالك" في تحليله للحكاية الإطار في كتاب "كليلة ودمنة"، وأخيرًا المقاربة السيميائية لحكاية "الأرنب والأسد" من "كليلة ودمنة" التي أنجزتها النّاقدة "نادية بوشفرة".

1-1- المقاربة السّيميائية للحكاية الخرافية عند "عبد الحميد بورايو":

1-1-1- مقاربته لخرافة "ولد المتروكة":

استهلّ النّاقد تحليله للحكاية الخرافية "ولد المتروكة" بمدخل حدّد فيه المرجعيات المعتمدة في الدّراسة بِدءًا ببحوث فلاديمير بروب "Propp" و"كلودليفي ستروس"، ثمّ من جاء بعدهم وانتهج نهجهم مثل "كلود برومون" "Bremond" و"أ.ج جريماس" "Greimas" و"ج. كورتيس" "Courtés" وآخرون.[3]

وقد عرض النّاقد مرجعياته وسوّغ منحاه النّقدي في سياقات مختلفة ففي بدايات اشتغاله النّقدي على الحكاية الشّعبية نهاية التّسعينيات اعتمد المنهج البنائي* «ثمّ المنهج السيمياء سردي في المرحلة الثانية»[4]

---

[1]- عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص11، 12.

[2]- محمد فليح الجبوري، تجليات النقد السيميائي، في مقاربة السّرد العربي القديم، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2016، ص71.

[3]- ينظر، عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص15.

*- يتجلى ذلك في كتابه: "القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المنشور عام 1986، وهو عبارة عن رسالة ماجستير ناقشها في قسم اللغة العربية بكلية الآداب- جامعة القاهرة سنة 1978، تحت إشراف الدكتورة: نبيلة إبراهيم.

[4]- عبد الحميد بورايو، الحكاية الخرافية بين الدرس البنيوي السيميائي والدرس الأنثروبولوجي عند الدارسين الجزائريين، مجلة التغيير الاجتماعي، والعلاقات العامة في الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، عدد 03، جويلية 2017، ص465.

يقول: «اعتمدت في المرحلة الأولى على عدّة تيارات منهجية منضوية تحت المنهج البنائي وهي: 1) التحليل الوظائفي عند "فلاديمير بروب"، 2) شعرية النّثر عند "تزفيتان تودوروف"، 3) علم الدّلالة البنيوي عند "ألجيرداس غريماس"، 4) منطق السّرد عند "كلود بريموند"، 5) تحليل الأسطورة عند "ليفي ستروس"، 6) البنائية التّوليدية عند "لوسيان غولدمان"، كان ذلك في السبعينات أثناء تنامي البحوث النّصية البنائية في فرنسا خاصّة، وكان مصدري المنهجي المدرسة الفرنسية بالخصوص، وكنت حينذاك مُطّلعًا على أهم الدّراسات المنشورة لأقطاب المنهج البنائي المذكورين خلال السبعينات، سعيت إلى الاستفادة من قراءتي المنهجية، وتمثّل جهدي في محاولة تكييف المنهج مع طبيعة نصوص الحكايات الشّعبية التي جمعتها من ميدان الدّراسة».[1]

ولعلّ الجامع بين هذه المرجعيات كونها مناهج نسقيّة تعتمد مبدأ المحايثة في عملية التّحليل، إلاّ أنّ النّاقد طوّع هذه المناهج لخدمة النّص، فكان كثيرًا ما يتمرّد على سلطة النّسقية في سبيل إضاءة أعمق لدلالات النّص وكشف القيم الرّمزية التي يحتويها الأثر موضوع التّحليل، يقول: «هذا لم يمنعني من العناية ببعض التّيارات المنهجية الأخرى التي حاولت أن استثمرها مثل الدّرس الأنثروبولوجي والتّحليل النّفسي والتّداولية، أعتبرها جميعًا مداخل وأدوات منهجيّة لتحليل النّصوص السّردية بمراعاة القيمة التي تبرزها أكثر، أو نريد أن نركز عليها ونكشف عن أهميّتها».[2]

وبعد استعراضه للمرجعيات التي اعتمدها في تحليل هذه الحكاية الخرافية، بسط خطوات الدّراسة بِدْءًا بتقسيم الحكاية إلى متواليات ووظائف، وهو في تعريفه للوظيفة لم يخرج عمّا كرّسه "بروب" وأكّده دارسو تحليله الوظائفي، فقد اكتشف وهو يحلّل الحكايات الخرافية الرّوسية، أنّ الثّابت فيها أفعال الشّخصية، والمتغيّر هو الشّخصية «وبما أنّ الشّخصيات في حالة تبدّل من حكاية إلى أخرى، وقد لا يربط بينها رابط في تلك الحكاية فإنّ دراستها تتّصف باللاجدوى وبإمكاننا أن نبحث عن اللازم الثّابت الذي يمكن تطبيقه على كلّ الحكايات الخرافية، ويتمثّل ذلك في الوظائف التي تقوم بها تلك الشّخصيات، وكأنّ الحكايات تمثّل قوالب ثابتة، تملأ من القاص بمادّة الحكي».[3]

---

[1]- عبد الحميد بورايو، الحكاية الخرافية بين الدرس البنيوي السيميائي والدرس الأنثروبولوجي عند الدارسين الجزائريين، ص463.

[2]- حمزة بسو، آليات التحليل النقدي عند "عبد الحميد بورايو"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: أ.د محمد عزوي، جامعة سطيف2، كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية 2012-2013، حوار مع "عبد الحميد بورايو"، أجراه الدكتور "علي ملاحي"، ص154. نقلا من الموقع: www.almaktaba.com

[3]- محمد فليح الجبوري، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السّرد العربي القديم، ص29.

أمّا المتوالية فهي عبارة عن قصّة صُغرى، تتتابع فيها اللّحظات بطريقة منطقية: الماقبل/ الأثناء/ المابعد.[1]

ويتكوّن خطاب الحكاية موضوع التّحليل من متواليّتين، تتلخّص المتوالية الأولى في شعور الملك بالضّيق وخروجه من القصر ليتفسّح في الغابة، وهناك يصادف عفريتا هاربا من ساحرين يتقصّيان أثره، يَعِدُ الملك العفريت بعدم إخبار السّاحرين بما رأى، لكنّه يتعرّض لضغطهما فيبوح بما رآه، يتمكّن السّاحران من سجن العفريت ويتحيّن الملك الفرصة ويطلق سراحه، ومع ذلك يعاقبه هذا الأخير بتحويل لون وجهه إلى سوادٍ فاحم.[2]

أمّا المتوالية الثانية فتتلخص في سعي أبناء الملك من زوجتيه لإحضار الدّواء الشّافي وما انجلت عنه هذه المغامرة من صراعات وخوارق وحقائق، ونلاحظ أنّ كلّ متوالية من المتواليتين تنقسم إلى وظائف، وكلٌّ منهما تشكّل قصّة، وتسندُ أحداث المتوالية الأولى إلى الملك أساسًا، بينما يتولّى أبناء الملك أحداث المتوالية الثانية.

يشرع النّاقد في عرض وظائف المتوالية الأولى انطلاقًا من الوضعية الافتتاحية التي تتمثّل في وجود نقص ثمّ القضاء عليه، فالنّقص يتمثّل في شعور الملك بالضّيق، والقضاء عليه، تمثّل في خروجه ليسري عن نفسه في الغابة «ويلاحظ، أنّ النّاقد جعل للوضعية الافتتاحية وظيفتين يمكن اختزالهما في وظيفة واحدة وهي "خروج" لأنّ الخروج ناجم عن نقص، والنّقص ليس وظيفة وإنّما هو حالة»[3]، أمّا الوظائف الأخرى فحصرها في: التعاقد، التّهديد الخضوع، الإنقاذ، ثمّ الوضعية الختامية.

ويكشف في عنصر انبثاق القصّة المدخل ونظامها، علاقات التّضاد الدّلالي بين المخلوقات البشرية ومخلوقات العالم الآخر، ويكشف النّاقد أشكال أخرى من التّضادات ووساطات تمهّد لتضادات جديدة، حتى الوصول إلى الوضعية الختامية للقصّة المدخل، أين تغيب مرحلة الوساطة «ويكون العقاب المسلّط على الملك هو الدّاعي للمتوالية الثانية، التي تحكي مغامرة "ابن المتروكة" للبحث عن الدّواء»[4]

ويستعرض النّاقد بعد ذلك وظائف المتوالية الثانية، بِدءًا بالموقف الافتتاحي ومرورًا بالاختبار التّأهيلي والهبة والاختبار الرّئيسي فاكتشاف البطل الحقيقي ثمّ الوضعيّة الختامية.

والملاحظ أنّ النّاقد لا يلتزم التّرتيب الّذي اقترحه "بروب" للوظائف ولا عددها، وقد لاحظ ذلك باحثون ونقّاد آخرون صنيع "يوسف وغليسي" الذي يقول: «وتحديد النّاقد للوظائف هو تحديد واعٍ، يضع النّص فوق كلّ اعتبار، ثمّ يستنبط منه ما تيسّر من وظائف حسب ورودها فيه، ومن غير أن يتعسّف في إخضاعها آليًّا لسلّم

[1] – ينظر، عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص17.

[2] – ينظر، المصدر نفسه، ص25.

[3] – حمزة بسو، آليات التحليل النقدي عند "عبد الحميد بورايو"، ص77.

[4] – عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص27.

"بروب" ذي الدّرجات الإحدى والثّلاثين، المرتبة ترتيبًا مُقدّسًا، وهي من المآخذ التي أخذت على منهجه الذي لا يُراعي كثيرًا الخصوصية البنيويّة والحضارية للحكاية الشّعبية (غير الرّوسية)، وقد سلم "بورايو" عن السّقوط فيها وهذا دليل على أصالة منهجه».[1]

ملاحظة أخرى لافتة للانتباه، هي ربط النّاقد بين الوظائف والشخصيات التي تؤدّيها فعن وظيفة -الخديعة- على سبيل المثال لا الحصر يكتب النّاقد: «يقوم إخوة البطل بتدبير خدعة، فيشُدُّون وثاق ابن المتروكة ويربطانه إلى شجرة في غابة تكثر فيها السّباع، ويسرقان منه الدّواء ويعودان إلى أبيهم»[2]

فهذه الوظيفة لا ترتبط بالبطل فحسب، بل بشخصيات أخرى أيضًا «وهو في ذلك يعمل بانتقاد "كلودبريمون" لـ "بروب"، فالأول يرفض فصل الوظيفة عن الشخصيّة بخلاف الثّاني الّذي يعزل الوظيفة عن الشّخصية، ومن هذا المنطلق قام "بورايو" برصد الوظائف، من خلال تتبّع مسار الشّخوص، حيث نجد في الحكاية التي حلّلها ثلاثة مسارات؛ "مسار الملك" و"مسار الشّقيقين" و"مسار البطل الحقيقي»[3]

أمّا في عنصر "انبثاق القصّة الرّئيسية ونظامها" فيُحدّد النّاقد الوضعيّتين الافتتاحية والختامية، بحيث يمثّل العقاب الّذي اختتمت به المتوالية الأولى، النّقص الّذي تسعى المتوالية الثانية إلى القضاء عليه، وتضيف المتوالية الثانية نقصًا جديدًا يتمثّل في انتفاء العدالة في عائلة الملك، ويمثّل هذا الملمح أنسنة العلاقات بين طرفي العمل القصصي «إذ وقع الانتقال من علاقة العالم البشري بالعالم الآخر إلى العلاقة بين أفراد المجتمع البشري أنفسهم»[4]

ويرصد النّاقد شبكة علاقات القرابة التي تجسّدت بفعل هذا الانتقال والتي جعلت عائلة الملك تنفتح على الخارج ومن ثمّ: «يقدّم الموقف الافتتاحي نمطين من العلاقات العائلية، الأولى تمثّل وُدّا مبالغًا فيه، وتمثّل الثانية جفاءً واضحًا، في الموقف الختامي تظهر القصّة القيمة السّلبية للنّمط الأول والقيمة الإيجابية للنّمط الثّاني، يمكن القول إذن بأنّ القصّة تبرزُ تعارضًا مابين نمطين من العلاقات العائلية المستندة على القيم الاجتماعية»[5]

أمّا في عنصر "الوساطة الرّئيسية" فيظهر النّاقد هذا التّسلسل المزدوج للوظائف بين الوضعية الافتتاحية والوضعية الختامية، ويسوّغُه بكون القصّة تمثّل تنافسًا بين طرفين يحملان المشروع نفسه، ويكشف النّاقد علاقات التّضاد التي تطبع كلّ وظيفة وينتهي إلى تجسيد المتوالية الثانية في ترسيمة عاملية تتحدّد أطرافها كما يلي: "الملك

---

[1]- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، دط، دت، ص126.

[2]- عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص29.

[3]- حمزة بسو، آليات التحليل النقدي عند "عبد الحميد بورايو"، ص84.

[4]- عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص30.

[5]- المصدر نفسه، ص32.

باعتباره مرسلا، لأنّه أوحى لأفراد عائلته بوجود الشّيء موضوع البحث (أي قدّم معرفة)، وابن المتروكة باعتباره فاعلا لأنّه رغب في إحضار الشيء موضوع البحث، وتمثّل "الأم" الزّوجة الثّانية «والغولة والشّيخ الطّرف المساعد على تحقيق مشروع البحث، وفي المقابل تمثّل الزّوجة الأولى وولداها وإخوتها الطّرف المعارض للمشروع»[1].

وواضح من خلال بعض المعطيات الموظّفة في هذا العنصر استثمار الباحث لسيميائيات "غريماس" حين يستخدم مصطلحي الاختبار التّأهيلي والاختبار الرّئيسي «وهو مبدأ ثابت في الحكايات الشّعبية التي تقوم أساسًا على الرّبط بين تطوّر الحدث والطّاقة السحرية الكامنة المحيطة بالبطل، [لقد استخدم النّاقد الاختبارين المذكورين وهما:]

1- الاختبار التّمهيدي، يُسمّيه "غريماس" Epreuve qualifiante ويترجمه البعض بالتّرشيحي أو التّأهيلي ويكتسب البطل الكفاءة خلاله.

2- الاختبار الرّئيسي، يسمّيه "غريماس" Epreuve principale بينما يترجمه البعض، بالنّهائي أو حتى الحاسم "Decisive"، لأنّ فيه يحصل الصّراع الحاسم»[2].

ويختتم هذا العنصر بجدول يتضمّن التّنظيم الغرضي السّردي للحكاية المدروسة، حكاية "ولد المتروكة" بِدءًا بالقصّة الافتتاحية، فالقصّة الرّئيسية بمساراتها الثّلاث (المسار السّردي الخاص بالبطل، والمسار السّردي الخاص بالشّقيقين والمسار السّردي المشترك بين الإخوة الثلاثة)[3].

ويستخلص النّاقد من خلال عنصر النّظام العام للحكاية، من أن المعنى في كلّ وحدة سردية محكوم بثلاثة مبادئ: ① التّضاد، ② الوساطة، ③ الاستبدال.

فالعنصر الوسيط يدخل بين الطّرفين المتضادين لوضع حدّ للتّضاد، وفي الآن ذاته يفتح المجال لتضاد جديد يتطلب هو الآخر وسيطًا، وهكذا ... والمبادئ الثلاثة المشار إليها (التّضاد، الوساطة، الاستبدال) تشكّل «نموذجًا من النّماذج التي اعتمدها "ليفي ستروس" في تحليله للأسطورة، حيث رأى أنّ الفكر الأسطوري قائم على مبدأ التّضاد ثمّ الوساطة، فالاستعاضة أو الاستبدال»[4].

ويُدرج النّاقد في ختام تحليله عنصرًا يسمّيه بـ: "معنى الحكاية" يحاول من خلاله استنطاق النص وكشف مغيّباته، انطلاقا من ملاحظة طبيعة العلاقات العائلية في الحكاية والقائمة على التّضاد: علاقات وُدّية مقابل

[1]- عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص36.

[2]- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألفية، ص126.

[3]- ينظر: عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص38-39.

[4]- حمزة بسو، آليات التحليل النقدي عند "عبد الحميد بورايو"، ص86.

علاقات تسلّط، فالنّظام الأوّل يمثّل العلاقات الأسرية الأموسية، بينما يمثّل النظام الثّاني العلاقات الأسرية الأبوية (البطريركية) وهو النّظام الذي يقدّم «من خلال نمو القصّة وعقدتها على أنّه المثالي والكامل، يلعب الدّور الأساسي في التّحولات السّردية، ويتعاظم دوره مع مسار الحكاية، ويحتلّ في النّهاية مكانته ويبرهن على فعاليته ونتائجه المثمرة وعلى عدالته وأخلاقيته»[1].

وهو منحى متميّز، نحاه النّاقد في هذه الدّراسة وفي غيرها، فهو لا يكتفي بميكانيكية التّحليل الشّكلي بل يتجاوزه «باعتبار أنّ الحكاية تمثّل منتوجًا ثقافيًا يكشف عن رؤية للعالم وتصوّر للكون منبثق من الجماعة التي تتداوله»[2].

فإذا كان التّحليل الشّكلي يكشف الأنساق الرمزية في الحكاية، فلابدّ من إضاءة البنية الاجتماعية التي أنتجت هذه الأنساق.

1-1-2- مقاربة "عبد الحميد بورايو" لخرافة "التّاجر والعفريت" من "ألف ليلة وليلة":

النّموذج الثاني الذي سنتوقّف عنده في هذا المبحث هو كتاب: المسار السّردي وتنظيم المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات "ألف ليلة وليلة"*، وقد حلّل الباحث فيه مجموعة من حكايات اللّيالي سنختار منها واحدة لمعاينتها ووصفها وكشف تجليات المقاربة السّيميائية السّردية فيها، هذه الحكاية هي الموسومة في الكتاب بعنوان: "قصّة التّاجر والعفريت".

وقد كانت حكايات "ألف ليلة وليلة" موضوعا للكثير من الدّراسات والأبحاث من قبل الدّارسين الغربيين والعرب على السّواء، ويبدو اعتماد النّظرية السّيميائية في مقاربة هذا الأثر محاولة لتوكيد «مدى فعاليتها في قراءة متن سردي كلاسي وتحليله، وقد تبيّن بالملموس، أنّ الاشتغال بمتون قديمة يسهم في الحفاظ على خصوبة المنهج وتطويره، وقد تولّدت عملية اعتماد منهج حديث في قراءة متن كلاسيكي من خلال إمعان النّظر في الدّراسات الغربيّة التي انطلقت من متون كلاسيّة لوضع أسُس مناهجها ونظرياتها الحديثة، ويهمّنا في هذا السّياق: الدّراسات التي حبّرها "بروب" والشّكلانيون الرّوس، وستروس وجريماس»[3].

---

[1]- عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص45.

[2]- عبد الحميد بورايو، الحكاية الخرافية بين الدرس البنيوي السيميائي والدرس الأنثروبولوجي عند الدارسين الجزائريين، ص463.

*- الكتاب في الأصل هو رسالة الدكتوراه التي تقدّم بها الباحث لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الجزائر في السنة الجامعية (1995-1996).

[3]- محمد تنفو، قالت شهرزاد، البنيات الحكائية في مائة ليلة وليلة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015، ص8.

فكأنّ النّصوص القديمة هي محك فعالية المنهج الحديث ومدى نجاعة إجراءاته التّطبيقية، «ويعود ذلك إلى استقرار النّص التّراثي بوصفه نصًّا راكزًا يحظى باحترام الذّائقة النّقدية، بل يمكن أن نعدّه من أهم منطلقاتها التّطبيقية، وصِمام أمانها بصحّة تلك التّطبيقات ونجاعتها، وكأنّ استجابة النّص التّراثي لهذه الإجراءات هو جواز دخولها إلى النّقد العربي الحديث»[1].

وقد صرّح النّاقد في مقدّمة كتابه بالهدف المنشود من الدّراسات التي احتواها والمتمثّل أساسًا في «استكشاف عملية تشكيل المعنى في الحكايات المدروسة، انطلاقا من البنيات السّطحية ووصولا إلى البنيات العميقة، بمراعاة أنّ المعنى ليس كيانًا جاهزًا ولا معطى بديهيًّا يمكن إدراكه بدون وسائط، بل باعتباره سيرورة خاضعة لمجموعة من الشّروط، تسعى السيميائيات السّردية ذات التّوجه المنهجي الشّكلاني إلى معرفة قواعدها»[2].

لقد اختار النّاقد آليات السيميائية السّردية ذات التّوجه الغريماسي لمقاربة المتون الحكائية المدروسة، لما لها من أثر في «تطوير "السّرديات" أو "علم السّرد" منذ الستينات حتى اليوم، وكان لها امتدادها في الدّراسات السّردية الحديثة عبر دوائر البحث العلمي في الشّرق والغرب»[3].

ورغم أنّ النّاقد يُصرّح بالهدف من الدّراسة والمنهج الّذي سيسلكه لبلوغ هذا الهدف، إلاّ أنّه يدرك العوائق والصعوبات التي تعترض هذه التّجربة فـ «من أجل وضع مراحل اختزال المادّة القصصيّة في مقاطع سرديّة متجانسة ومتماثلة، يجد الباحث نفسه في مواجهة نصوص ذات كثافة عالية، تركيبها شديد التّعقيد، بحيث تصبح عملية اختزالها إلى ترسيمات خطيّة قابلة للتّحليل والتّعليق، أمرًا صعب المنال يحتاج إلى حذاقة خاصّة وإلى عناءٍ وجَلد وحسن تقدير، وحذر شديد من الوقوع في التّعسّف والميكانيكيّة والابتعاد عن روح النّصوص»[4].

وبما أنّ النّاقد يعتمد في تحليله لحكايات ألف ليلة وليلة في هذا الكتاب خطّة ثابتة تنتظم عناصرها في كلّ القصص المحلّلة، فقد اخترنا قصّة "التّاجر والعفريت" عيّنة، نتلمّس من خلالها خطوات التّحليل وآلياته.

وقد استهلّ النّاقد تحليله لهذه الحكاية بتحديد المسار السّردي في الوضعيّتين الافتتاحية والختامية فالوضعية الافتتاحية تتضمّن برنامجا سرديًّا يكون فيه العفريت "ذات الفعل" سببًا في حدوث انفصال بين "ذات

[1]- محمد فليح الجبوري، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السرد العربي القديم، ص71.

[2]- عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، دار السّبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر العاصمة، دط، دت، ص3.

[3]- المصدر نفسه، ص5.

[4]- المصدر نفسه، ص13.

الحالة" التّاجر وموضوع القيمة "الحياة الهنيئة"-[1]- وبوجود وساطة من ثلاثة شيوخ، يسترد التّاجر الحياة الهنيئة (موضوع القيمة) في الوضعيّة الختامية.

يجسّد النّاقد بعد ذلك الوضعيّتين الافتتاحية والختامية في "بنية فاعليّة"، والملاحظة اللافتة للانتباه في هذا السّياق: هو استخدام "عبد الحميد بورايو" لمصطلح البنية الفاعلية، على خلاف النّاقد "رشيد بن مالك" الّذي يستخدم مصطلح "التّرسيمة العاملية" رغم أنّهما يَمْتحان من معين واحد هو السيميائيات السّردية ذات التّوجه الغريماسي.

بعد تجسيد البنية الفاعلية، يختصر النّاقد المسار السّردي لمتن قصّة "التّاجر والعفريت" في جدول، حاصرًا الأصناف الوظائفية والوظائف ومُلخّصًا الجمل السّردية.-[2]-

ثمّ يشرع في تحليل قصّة الشّيخ الأول بِدءًا بالوضعية الافتتاحية التي تصوّر هذا الشّيخ ذا الزّوجتين في حالة مستقرّة قائمة على شبكة من العلاقات الأسرية، تتعرّض هذه العلاقات للاهتزاز بسب الغيرة بين زوجتيه العاقر والولود، وتنتهي القصّة نهاية مأساوية، فقد فَقَدَ الشّيخ زوجته الولود وظلّ مرتبطا بزوجته العاقر التي مُسخت في هيئة "كلبة" عقابًا لها.

يُقسّم النّاقد في عنصرٍ موالٍ متن القصّة إلى وحدات سرديّة ويُجسّد هذه الوحدات السّردية في جدول يتشكّل من أربع خانات، تّخصّص الخانة الأولى لرقم المقطع وخانة لأصناف الوظائف وخانة للوظائف والخانة الأخيرة لملخّص الجمل السّردية.

بعد ذلك يجسّد البنيات الفاعلية لمتن القصّة في ترسيمات، ليصل إلى عنصر تنظيم المحتوى وفيه يستنتج العلاقات التي تضمنّتها قصّة الشّيخ الأول والقائمة على التّناقض والمخالفة ويبيّنها في مربّع سيميائي، ثمّ يسترسل في شرحه مستشهدًا بأحداث القصّة، ويسلك المسلك ذاته مع القصّتين المتضمّنتين الأخريين، وهما قصّة الشّيخ الثاني وقصّة الشّيخ الثالث.

والملاحظ أنّ النّاقد يستثمر المنجز البروبي في بعض مراحل تحليله للحكاية، بإشاراته المتكرّرة إلى الوظائف الواردة في متون القصص التي حلّلها، رغم إشارته في المقدّمة إلى أن أغلب الأدوات المنهجية المستخدمة في التّحليل مُستمدّة من المدرسة الغريماسيّة ذات التّوجه الشّكلاني.

[1]- ينظر، عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، ص71.

[2]- يُنظر: المصدر نفسه، ص73-74.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الدّراسة التّطبيقية التي نعاينها وكثيرا من الدّراسات الأخرى التي يحتويها الكتاب، لا يُحيل فيها الباحث إلى أي مرجع أو مصدر، ولا يتوقّف عند شرح بعض المصطلحات أو تسويغ بعض الخيارات المنهجيّة، ولا يُصدّر دراساته بمقدمات نظرية صنيع النّاقد "رشيد بن مالك" تضيء مسار التّحليل لديه «ويبدو أنّ عدم عناية "عبد الحميد بورايو" بالعرض النّظري، وعدم إغراقه في البسط والتّفصيل يرتدّ من جهة إلى إيلاء اهتمامه إلى الخصائص البنيوية المتميّزة لنصوص "ألف ليلة وليلة" وإلى حرصه على تحليلها تحليلا يتناسب مع تفرّد بنائها، وخصوصيّة السياق الثّقافي الّذي ظهرت فيه، ومن جهة ثانية، نعتقد أنّ ما ورد في الدّراسات التي أنجزها من عروض نظريّة ممهدّة وشارحة —ما يُغني– على إيجازه النّسبي– عن تكراره في هذا الموضع الّذي غدت فيه فكرة اختبار النّظرية السّردية السيميائية في تحليل نصوص اللّيالي، من أوكد ما اهتمّ به الباحث»[1]

ومهما يكن من أمر، فإنّ النّاقد سلك مسلكا واحدًا ثابت الخطوات في تحليله لهذه الحكايات السّت في كتابه، "الحكاية الإطار الأم، قصّة الملك شهريار"، الحكاية الإطار "قصّة التّاجر والعفريت" الحكاية الإطار "قصّة الصّياد والعفريت" والحكاية الإطار "قصّة الحمّال والنبات" والحكاية الإطار: "قصّة هارون الرّشيد" وأخيرًا القصّة الإطار الأساسيّة "قصّة الخياط والأحدب".

يبدأ النّاقد تحليل كلّ حكاية بتقديم يستعرض فيه تلخيصًا مُرَكّزًا لمضمونها، ثمّ يشير إلى المسار السّردي في الوضعيّتين الافتتاحية والختامية، وما ينتج عنه من برامج سرديّة توضّح علاقات الاتصال والانفصال بين ذات الفعل وذات الحالة وموضوع القيمة.

ثمّ يضع مخطّطًا (ترسيمة عاملية) أو بنية فاعلية — على حدّ تعبيره– لتجسيد الوضعية الافتتاحية والوضعية الختامية.

بعد ذلك يرسم جدولاً يُمَوْضع في خاناته الوحدات السّردية التي احتواها متن القصّة، يُخصّص الخانة الأولى لرقم المقطع والخانة الثانية لأصناف الوظائف والخانة الثالثة للوظائف والخانة الرّابعة لـ "ملخّص الجمل السّردية، كما هو واضح في هذا الجدول الخاص بالوحدات السّردية التي احتوتها الحكاية الإطار "قصّة التّاجر والعفريت"، مع الإشارة إلى أنّنا اخترنا للتّمثيل المقطع الأول فقط:[2]

[1]– سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، دار سحر للنشر، تونس، دط، دت، ص328.

[2]– ينظر: عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، ص73.

المقطع	أصناف الوظائف	الوظائف	ملخص الجمل السردية
I	اضطراب	حصول أذى	رمى التّاجر بنواة تمر فأصاب صدر جني فقتله.

وبعد التّعليق على الجدول، يُبدي النّاقد ملاحظات ويستخلص استنتاجات حول المسار السّردي ثمّ يُجسّده في نموذج خطّي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الرّموز الموظّفة في هذه النّماذج الخطيّة على امتداد الدّراسات في الكتاب، بيّن النّاقد دلالتها مرّة واحدة فقط في الصفحة "38" كما يلي: [وف: وضعية افتتاحية، ض: اضطراب، ت: تحوّلون: وضعية ختامية، ⇠: استبدال، >: الاستتباع][1].

مما يضطرّ القارئ –أحيانا– إلى العودة إلى الصّفحة المذكورة للتّأكد من دلالة رمز، وما يحدثه ذلك من إضعاف للتّركيز وتشتيت للانتباه. وفي تحليله للبنيات الفاعلية في متن القصّة ينشئ النّاقد ترسيمات عاملية لكلّ مقطع على حدة، ويشير إلى العلاقات الضّمنية التي تكتنف القصص المحلّلة ويعقد الصّلات بينها وبين القصّة الإطار.

وتحت عنوان "نظام المحتوى" يدرس النّاقد المسارات الغرضيّة للقصص المحلّلة بالإشارة إلى مسار الشّخصيات ومآلاتها وفق ثلاث مراحل، الماقبل والأثناء والمابعد، مع رصد شبكة العلاقات التي تتأسّس في الغالب، على قيّم متناقضة ومتقابلة ومتلازمة وتجسيدها في مربّع سيميائي لكشف البنية الدّلالية العميقة لكلّ مقطع على حدة.

إنّ التزام النّاقد بهذه الخطوات في تحليله للحكايات المدروسة، رغم الاختلافات القائمة بينها بنية ودلالة وسَم اشتغاله بالنّمطية والآلية، –أو هكذا يتبدّى لأول وهلة– وهي ملاحظة كانت الباحثة "سليمة لوكام" قد أثارتها بقولها: «وقد يسأل سائل: هل من فائدة تُجنى من وراء تحليل ست قصص من اللّيالي متشابهات بالأدوات ذاتها إلاّ التّكرار؟»[2] وقد حاولت تسويغ هذا التكرار بما يلي:

– خصوصيّة نص اللّيالي وتفرّدُهُ.

– الكم الوافر من الدّراسات العربية والغربية التي حلّلت نص اللّيالي بمختلف المناهج، فكان لابُدّ من اختيار زاوية نظر جديدة واختيار طريقة تحليل مغايرة اجتنابا للإعادة والتّكرار.[3]

[1]– عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، ص38.

[2]– سليمة لوكام، تلقّي السرديات في النقد المغاربي، ص334.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص335.

- «كانت غاية الباحث هي الكشف عن خصوصيات نص "اللّيالي" من خلال الاشتغال على عينات متنوعة إذ جعل من عناصر تفكيك القصص السّت واستنطاق بنياتها السّطحية والعقيمة، سبيلاً إلى تجلية ملامح تُميّز سردية نصوص "اللّيالي" ومظاهر تشكّلها وثراء دلالاتها»[1]

وفي الختام، لابدّ من الإشارة إلى اقتصاد الباحث في المخطّطات والأشكال والجداول، فلم يستخدم منها إلاّ ما يُضيء ويوضح ويُغني الدّراسة التّحليلية المحايثة في بحثها عن المعنى.

1-1-3- مقاربته لخرافة "الحمامة المطوّقة" من كتاب "كليلة ودمنة":

نشر النّاقد "عبد الحميد بورايو" هذه الدّراسة الموسومة بـ: "نص حكاية الحيوان مقاربة سيميائية بنيوية "الحمامة المطوّقة" نموذجا، في مجلة "اللّغة والأدب" التي تصدر عن معهد اللّغة العربية وآدابها –جامعة الجزائر-* وإذا كان النّاقد في تحليله لحكايات "ألف ليلة وليلة" قد سلك خطّة ثابتة العناصر في مقارباته السيميائية لتلك النّصوص، انطلاقًا من خصوصياتها البنيوية وفرادة السّرد فيها، فهو يسلك مسلكًا مغايرًا في هذه الدّراسة، مما يعكس ثقافته النّقدية الباذخة ووعيه المنهجي بآليات التّحليل السيميائي وتنوّع أدواته الإجرائية وقدرته على تلوين قراءاته بألوان النّصوص التي يُحلّلها، فهو يطوّع المنهج ليستجيب لخصوصيات النّص دون إخلال بما يفرضه من صرامة وانضباط.

افتتح النّاقد دراسته بالإشارة إلى أنّ السّردية هدفُه في التّحليل، وهو الهدف ذاته الّذي تسعى السيميائية الغريماسية إلى تحقيقه، بمعنى أنّ النّاقد يُصرّح بمنهجه بداية، كما عهدناه في الدّراسات السّابقة. ولا يتأتّى للنّاقد الإمساك بهذه السّردية إلاّ عبر الخطاب متجليًّا في بنياته التّالية: "الحقل المعجمي، المقطوعات الخطابية والتّجسيدات الخطابية"، ومن خلال هذه البنيات يعمل النّاقد على إبراز العلاقات المتعلّقة بالرّؤية والزّمن والمكان.

بَدَأَ النّاقد عملية تحليليه بإقامة جداول الحقل المعجمي لأنّها «تسمح بمعالجة أوليّة للمعنى من خلال المظهر اللّفظي للخطاب، وبإدراك مراتب التّشاكل الدّلالي في النّص، وكذلك باكتشاف بنيات: القيم والأدوار الغرضيّة والأغراض وموضوعات القيمة والفاعلين، ومختلف الأداءات المشكلة للبرامج السّردية».[2]

---

[1]- سليمة لوكام، تلقي السّرديات في النقد المغاربي، ص335.

*- عبد الحميد بورايو، نص حكاية الحيوان، مقاربة سيميائية-بنيوية "الحمامة المطوقة" نموذجا، مجلة: "اللغة والأدب"، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، مجلد8، عدد 01، ديسمبر 1999، ص187 وما بعدها.

[2]- عبد الحميد بورايو، نص حكاية الحيوان، مقاربة سيميائية-بنيوية "الحمامة المطوقة" نموذجا، ص187-188.

إنّ جداول الحقل المعجمي تكشف –حسب الطّرح- البنية السّطحية للنّص موضوع لتّحليل، ولا يتمّ استخراج المفردات وتصنيفها في جداول وفق مبدأي التّشابه والتّخالف إلاّ بعد قراءات عديدة للنّص واعتمادًا على دلالاتها السّياقية.

حَصر النّاقد الحقول المعجمية في أربع عشرة جدولاً هي: جدول الهوية، وجدول الموقع وجدول الغذاء وجدول الطبيعة وجدول الثّقافة وجدول الحاسّة، وجدول الصّدق وجدول الأسر وجدول الحريّة وجدول التّضامن وجدول المصير المتوقّع وجدول التّواصل، وجدول القيم المتبادلة وجدول العاطفة، ويمثل لكلّ جدول بمفردات مختارة من متن القصّة.

وانطلاقا من هذه الجداول، صَنّفَ النّاقد الحقول المعجمية المشكّلة للنّص إلى صنفين، يتعلّق الأول بما يُسهم في إظهار أطراف الفعل القصصي من فواعل وممثلين والحالات التي تمرّ بها، وتشترك في هذا الفعل مقولات: الهُويّة والموقع والغذاء والطّبيعة والثّقافة والحاسّة والصّدق.

أمّا الصّنف الثّاني فيتعلّق «بحركيّة القصّة ونمو الفعل، موضوعات القيمة وطبيعة العلاقات التي تربط فيما بين الأطراف الفاعلة والعاملة في القصّة»[1] وتشترك في هذا الصّنف مقولات: «الأسر، الحريّة، التّضامن، المصير الموقع، التّواصل، القيم المتبادلة، العاطفة»[2] وبعد تحديد الحقول المعجمية وتصنيفها وبيان مقولات كلّ حقل يلجأ النّاقد إلى تقطيع النّص وفقا لثلاثة معايير «**أولا**: الاستقلال النّسبي للأحداث الأساسية التي يشكل كلّ منها قصّة دنيا، **ثانيا**: الانتقالات المكانية، **ثالثا**: تغيّر الشّخوص المساهمة في الفعل القصصي»[3].

بتعبير آخر، المعيار الأول الذي اعتمده النّاقد في تقطيع النّص هو المعيار الدّلالي أو الثيماتيكي، وهو المعيار المعتمد بكثرة في تقسيم النّص وتقطيعه و«يُعنى بتقسيم المعطى إلى وحدات معنوية دلالية، وصور معجمية وغرضية بارزة، وكان ذلك يتمّ بشكل من الأشكال عن طريق تحديد الأفكار العامّة والأساسية والثّانوية والفرعية انطلاقا من المسح الإستقرائي الّذي يشمل النّص أو الخطاب من البداية حتى النّهاية»[4].

[1]- عبد الحميد بورايو، نص حكاية الحيوان، مقاربة سيميائية-بنيوية "الحمامة المطوقة" نموذجا، ص192.

[2]- المرجع نفسه، ص193.

[3]- المرجع نفسه، ص193.

[4]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء، منشورات المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 2013، ص17.

أمّا المعيار الثّاني فهو المعيار الفضائي ويتمثّل «في استعمال المؤشرات الزّمانية والمكانية في تقطيع النّصوص والخطابات تحذيرًا وتموقعًا واندماجًا، وبالتّالي يمكن للزّمان أو المكان أن يسهلا عملية القراءة والاستيعاب وفهم النّص فهمًا جيّدًا وتأويل مقاصده ورسائله القريبة والبعيدة»[1].

أمّا المعيار الثالث الّذي اعتمده النّاقد في التّقطيع فهو المعيار الفاعلي أو العاملي ويُعدّ هذا المعيار «من أهم المعايير التي يعتمد عليها السيميائيون لتقطيع النّصوص السّردية، لأنّ ظهور فاعل أو عامل أو شخصية في ساحة الأحداث أو غيابها ليحضر عامل أو فاعل آخر، فإنّ ذلك يساهم بلاشك في تحديد المقاطع النّصية بشكل مضبوط ودقيق، كما أنّ الصّراع بين العوامل لتحصيل الموضوع المرغوب فيه، بالإضافة إلى ربطها بالبرامج السّردية تحفيزا وتأهيلاً وإنجازًا وتقويمًا، يمكن أن يُشكل ذلك محدّدات أساسية في عملية تقطيع النّصوص والخطابات»[2].

وانطلاقا من معايير التّقطيع التي اعتمدها، يرصُد النّاقد ثلاثة مشاهد، يتمثّل المشهد الأول في قدوم الصّياد ونصبه الشَّرك ووقوع الحمامات فيه، وفرحة الصّياد بصيده، ومن ثمّ ينبني المشهد على ثلاث وظائف: ① نقص (حاجة الصّياد إلى الغذاء)، ② تحوّل (السّعي من أجل سدّ النّقص)، ③ اصطياد الحمامات.

والملاحظ أنّ النّاقد يعتبر "النّقص" وظيفة، كما نصَّ على ذلك "بروب" دون أن يولي أهمية للانتقاد الّذي وجّهه "غريماس" إلى "بروب"، «فإذا كان الفعل هو أساس تعريف الوظيفة، فإنّ الدّارس، كما يرى ذلك غريماس سيحتار أمام التّناقض الّذي يميّز تعريف وظيفتين: فإذا كان رحيل البطل، باعتباره شكلا من أشكال النّشاط الإنساني، يعدُّ فعلاً، أي وظيفة، فإنّ "النّقص" لن يكون كذلك، ولا يمكن التّعامل معه باعتباره وظيفة، بل هو حالة تستدعي فعلاً»[3].

يتضمّن المشهد الثّاني رفع الحمامات للشّبكة والطّيران بها واختفائها عن الصّياد، وهو مشهد يتألّف من وظائف ثلاث: وقوع أذى ← مواجهة ← نجاح.

ويظهر عنصر جديد هو الجرذ في الوظائف المشكّلة للمشهد الثالث وهي: نقص ← سعي من أجل سدّ النّقص ← نجاح في سدّ النّقص.

وهكذا تتوضّح المعايير الثلاثة التي انتهجها النّاقد في عملية التّقطيع، وهي المعيار الثيماتيكي المتجلّي في استخلاص النّاقد للوظائف، والمعيار العاملي المتجلي خصوصًا في المشهدين الأول والأخير، من خلال ربط

[1]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء، ص16.

[2]- المرجع نفسه، ص16-17.

[3]- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، الرباط، دت، دط، ص35.

الوظائف بالصّياد في المشهد الأول، وظهور عنصر جديد يتمثّل في الجرذ في المشهد الثالث، أمّا المعيار الفضائي فيتوضّح من خلال مسرح الأحداث الّذي تضمّن المشاهد الثلاثة: «جرت القصّة – الدنيا الأولى في الغابة وجرت القصّة –الدّنيا الثانية في الجو، بينما وقعت حوادث القصّة – الدّنيا الثالثة في "العمران"، كما يصرّح بذلك النّص»[1].

ويلجأ النّاقد في عنصر التّحليل السّردي والخطابي إلى تحديد علاقة الذّات بموضوع القيمة "اتصال/ انفصال" ومدى امتلاك هذه الذّات لعناصر الكفاءة (المعرفة بالفعل والقدرة على الفعل وإرادة الفعل)، وذلك في المتواليات الثلاث.

ويحدّد في عنصر "الاستعمال"، الفعل الاستعمالي الصّادر من الحمامة المطوّقة في دفع بقيّة الحمامات والجرذ لإنجاز فعل التّحرر، وقد نتج عن هذا الاستعمال «تمكين الذّات المنجزة من كفاءة كفلت لها القيام بدورها المتمثّل في وصل الحمام بحريّته التي افتقدها لما وقع في الشَّرك، وبالتّالي عودته إلى وضعه الأول»[2].

وفي عنصر التّقويم، يتوقّف النّاقد عند تقويم الصّياد من قبل السّارد الخارجي "بيدبا"، حين وصفه بقبح المنظر وسوء الخُلق[3] وقوّمت "الحمامة المطوّقة" باعتبارها "سيّدة الحمائم" من قبل مُرسل القصّة "بيدبا" كما قوّمت على لسان الجرذ، في نهاية القصّة بقوله: «هذا ما يزيد الرّغبة فيك والمودّة لك»[4].

ويشير النّاقد في عنصر الأداء، إلى أنّ القصّة قدّمت ثلاث أداءات، بعدد البرامج السّردية التي تأسّست عليها أداء الصّياد المنتهي بالفشل الذّريع، والأدائين الآخرين اللّذين قامت فيهما الحمامة بدور ذات الفعل في المرّة الأولى، دفعت الحمامات إلى التّضامن من أجل التّحرر، وفي المرّة الثانية دفعت الجرذ إلى إعانة الحمام وتحريره من ورطته، وجسّدَ النّاقد الأدائين الأخيرين في مربّع سيميائي.

وفي عنصر "نظام الانتقالات المكانية، يشير النّاقد إلى أنّ الآداءات الثلاثة المذكورة تحقّقت عبر ثلاثة أمكنة، ①شجرة كثيرة الأغصان، ②الجو، ③العمران؛ ينتمي المكانان الأوّلان للطّبيعة، بينما ينتمي المكان الثالث للثّقافة، ظهر الصّياد في المكان الأوّل، وكاد أن يُهلك الحمامات، ويمثّل المكان الثّاني الفضاء الّذي سمح للحمامات بالابتعاد عن الصّياد، أمّا المكان الثّالث ففيه تمّ استبعاد الخطر وتحقيق الحُريّة. ولاحظ النّاقد أنّ خطاب الحكاية ربط بين الطبيعة والقيم السّلبية بينما ربط النّهاية السّعيدة بالعمران، ويستنتج «إنّ مثل هذه

[1]- عبد الحميد بورايو، نص حكاية الحيوان، مقاربة سيميائية-بنيوية "الحمامة المطوقة" نموذجا، ص194.
[2]- المرجع نفسه، ص197.
[3]- المرجع نفسه، ص198.
[4]- المرجع نفسه، ص198.

الدّلالة المجسّدة في الفضاء الّذي تجري فيه حوادث القصّة، تدعم الغرض التّعليمي الّذي ألّفت من أجله حكايات كليلة ودمنة، التي تمثّل نتاجًا ثقافيًا يرمي إلى تلقين المعرفة وتثقيف المتلقّي (بمعنى إرشاده إلى السّلوك المناسب)»[1]

ويلخّص النّاقد المسار الغرضي للقصّة تبعًا للتّسلسل الزّمني، الماقبل والأثناء والمابعد، وقد اتّسمت مرحلتا الماقبل والأثناء بالتّحقق في فضاء طبيعي والسّلبية، بينما تميّزت المرحلة الثالثة بالإيجابية وتحقّقت في فضاء موسوم بالثّقافة[2].

ويختتم النّاقد دراسته، باستكشاف البنية الدّلالية العميقة وتجسيدها في مربّع سيميائي علّق عليه بقوله: «ويتّضح من طبيعة هذه العلاقات الدّلالية، أنّ القصة تستند على مفهوم فلسفي كان سائدًا زمن روايتها، يقوم على ثنائية الرّوح/ الجسد، وأنّ الطّرف الأول يرتبط بالقيم الإيجابية، بينما يرتبط الطّرف الثاني بقيمة سلبية»[3] وهي نتيجة «لم ترتكز على النتائج المحقّقة في دراسة البنية الخطابية والبنية السّردية للنص، وعلى الرغم من أنّه انتهى إلى بعض الدّلالات الفرعية في خلال تحكمه في التّقابلات الأساسية للنّص وحصره لمختلف الصّور التي تعمل على تجلية الوحدات المضمونية، فإنّه شيّد البنية العميقة على مفهوم فلسفي كان سائدًا زمن روايتها يقوم على ثنائية الروح/الجسد. وقد جاءت هذه الثنائية مفروضة على النص فرضًا وغريبة عنه ومتنافرة مع ما سبق من تحليل، وليس لها ما يبررها في الحكاية»[4]

وبعد هذه الوقفات الطّويلة نسبيًّا مع تحليلات النّاقد "عبد الحميد بورايو" للحكاية الخرافية نستنتج ما يلي:

1- يبدو النّاقد متجاوزًا للإشكالية الاصطلاحية، فكأنّما مفهوم المصطلح استقرّ وتحدّد بين يديه، بحيث يكتفي في تحليلاته بتوظيف المقابل العربي للمصطلح الأجنبي دون الإشارة إلى هذا الأخير.

2- لا يكثر في تحليلاته من المخططات والجداول والترسيمات، بل يقتصد في توظيفها إلاّ ما دعت إليه الضّرورة وكان فعّالا في تجسيد بنية عاملية أو استخلاص مربّع سيميائي.

3- لا يحيل النّاقد في جُلّ دراساته التّطبيقية إلى أيّ مصدر أو مرجع، إلاّ في النّادر.

4- لا يسهب في بسط منهجية التّحليل وإجراءاته وأهدافه.

---

[1]- عبد الحميد بورايو، نص حكاية الحيوان، مقاربة سيميائية-بنيوية "الحمامة المطوقة" نموذجا، ص200.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص201.

[3]- المرجع نفسه، ص202.

[4]- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص38.

5- يستثمر النّاقد، التّحليل الوظائفي البروبي ولكنّه لا يتقيّد بعدد وظائفه ولا بتسلسلها، كما لا يفصل بين الوظيفة والشّخصية على خلاف "بروب".

6- يُعدِّد مرجعياته في بعض تحليلاته، فيزاوج بين وظائفية "بروب" وسيميائيات "غريماس" والأنثروبولوجية البنيوية عند "كلود ليفي شتراوس" .

7- تمكّن النّاقد في الكثير من تحليلاته من تطويع المنهج لخدمة النّص، فقد كان يُصغي إلى صوت النّص ولا يهتم بالتّطبيق الميكانيكي لآليات المنهج.

8- رغم مبدأ المحايثة الّذي وسم دراسات النّاقد، إلاّ أنّه كثيرًا ما سعى إلى كشف رؤية العالم التي تكتنف بعض الحكايات، باعتبار الحكاية منتوجًا ثقافيا، يكشف رؤية الجماعة التي تتداوله للعالم.

2- الاشتغال السّيميائي على الحكاية الخرافيّة لدى "نادية بوشفرة":

نشتغل في هذا المبحث على دراسة للباحثة "نادية بوشفرة" موسومة بـ: "تطبيق، حكاية الأرنب والأسد نموذجا"، وقد ضمّنتها كتابها "مباحث في السيميائية السّردية"، تطرقت في الجزء النّظري من هذا الكتاب إلى المنهج السّيميائي الغريماسي في تحليل النّص السّردي بخطواته وآلياته ومصطلحاته، وعملها في هذا الجزء يشبه «إلى حدّ كبير كتاب "بن مالك""مقدمة في السيميائية السردية" خاصة في مضمونه» [1]

أمّا الجزء التّطبيقي من الكتاب فخصّصته لتحليل حكاية "لأرنب والأسد" من كتاب "كليلة ودمنة" لـ:"ابن المقفع"، ومن ثم فإنّ اشتغالها يتنزل في سياق "سيميائية الحكاية الخرافية".

وقد آثرنا تأخيرها إلى هذا الموضع حتى نقف على مسافة بين تحليل الرّواد لهذه الحكايات وتحليل غيرهم من تلامذتهم والسّالكين دربهم في ميدان السّيميائيات السّردية، هذه المسافة تمكّننا من تبيّن الاختلافات في طرق المعالجة وفي توظيف المصطلح والنّتائج المستخلصة بين هذه الدّراسة وما سبقها من دراسات الرّواد.

أوضحت النّاقدة في البداية هدفها من هذا التّحليل، والمتمثّل أساسا في وضع المعطيات النّظرية التي استعرضتها في النّصف الأول من الكتاب حيّز التّطبيق لاختبار فعاليتها الإجرائية إضافة إلى «تبيان تجليات السّردية التي تحظى بذلك الثراء في الاستعمال لمختلف النّصوص» [2]

[1]- خلف الله بن علي، النص السردي في ضوء المقاربات النسقية في النقد الجزائري، قراءة في نماذج، مجلة اللغة الوظيفية، تصدر عن مخبر اللغة الوظيفية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، المجلد5، العدد 2، ص189.

[2]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، دط، دت، ص126.

وقد سوغت اختيارها لهذه الحكاية بالذات "حكاية الأرنب والأسد" لصلاحيتها لـ «تطبيق نظرية السردية وعرضها، انطلاقا من التّصورات التي انبنت عليها والقواعد التي هيّأت لظّهور" نحو (Grammaire) يحدّد أصولها وتوجّهاتها»[1]

وتبدو الباحثة على وعي بانفتاح المنهج السّيميائي وتعدّد المقاربات في إطاره مما ينفي عنه الثّبات والتّقيد بأحكام تقييمية، و«لعلّ أهم ما تتميّز به هذه النّظرية، وبخاصّة في المجال السّردي، هو شموليتها في التّصور وعمقها في التّحليل، وقدرتها على النّفاذ إلى باطن النّص، من خلال الكشف عن آليات انتظامه، وتحديد القواعد المتحكّمة في تنظيم مستوياته»[2]

وقد أثبتت النّاقدة، الحكاية موضوع الدّراسة في مستهلها، وبيّنت دلالة الرّموز التي ستستخدمها في عملية التّحليل.[3]

ربطت الباحثة الحكاية موضوع التّحليل بالحكاية الكبرى التي تضمّنتها وهي حكاية "الأسد والثور"، على خلاف ما دعا إليه "رشيد بن مالك" في تحليله للحكاية الإطار في "كليلة ودمنة" من أنّ «حكايات كليلة ودمنة لا يمكن أن تُفهم إلاّ إذا قرأنا قراءة معمّقة النّصيحة التي نعتبرها النّص/ الإطار الّذي يُغذّي دلاليّا الحكايات. ومن ثمّ فإنّ أي تأويل دلالي لهذا النّص السّردي المروي على لسان الحيوان، يخرج عن النّص/ الإطار ومحاوره الدّلالية الكبرى سيضلّل القارئ لاشك وينقله إلى مواقع مهزوزة تفتقد إلى القواعد المؤسسة التي ينهض عليها النّص في شموليته»[4]

ويبدو أنّ الباحثة قرأت النّص بمعزل عن الحكاية الإطار ولكنّنا لم نتبيّن في هذه القراءة أيّ ضلال أو تناقض أو غموض.

ففي اشتغالها على المكوّن السّردي، استهلّت تحليلها بتحديد المقاطع ويبدو أنّها استندت في ذلك إلى المعيار الدّلالي أو الثيماتيكي: «الذي يُعنى بتقسيم المعطى إلى وحدات معنويّة دلاليّة، وصوّر معجمية وغرضية بارزة وكان ذلك يتم بشكل من الأشكال عن طريق تحديد الأفكار العامّة والأساسيّة والثانويّة والفرعيّة، انطلاقا من المسح الاستقرائي الّذي يشمل النّص أو الخطاب»[5]

---

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص127.

[2]- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دراسة، ص21.

[3]- ينظر، نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، هامش ص128.

[4]- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص45.

[5]- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، ص17.

وقد تسنّى لها عزل المقطع الأول استنادًا إلى إدراك الوحوش للظّلم الّذي استبدّ بها بسبب تعنّت الأسد وتوصّلها إلى اتّفاق يقضي بتسليم فدية له كلّ يوم وقت غذائه لتحقّق بذلك بعض الأمن. وقد قسّمت هذا المقطع إلى مقطوعتين، تتمحور الأولى حول فقدان الوحوش لحياتها المطمئنّة بسبب خوفها من الأسد، وتتمحور الثّانية حول التّفاوض الّذي دار بينها وبين الأسد واستردّت بمقتضاه بعض الاستقرار والحرية، وانتهى تقطيع النّاقدة بتحديد أربع مقاطع تلخّص أحداث كلّ مقطع على حدة.

بعد ذلك رصدَت النّاقدة المسار السّردي بِدءًا برصد حالة التّوازن في افتتاح الحكاية حيث كانت الوحوش تنعم بالأمن والطمأنينة، ثمّ يختلّ التّوازن بفعل تعنّت الأسد وخوف الوحوش منه، ليعود التّوازن في آخر الحكاية بعد قضاء الأرنب الذّكي على الأسد. جَسَّدَت النّاقدة هذا التّحليل السّردي في نموذج عاملي يؤطر النّص بكامله بالشّكل التّالي: [1]

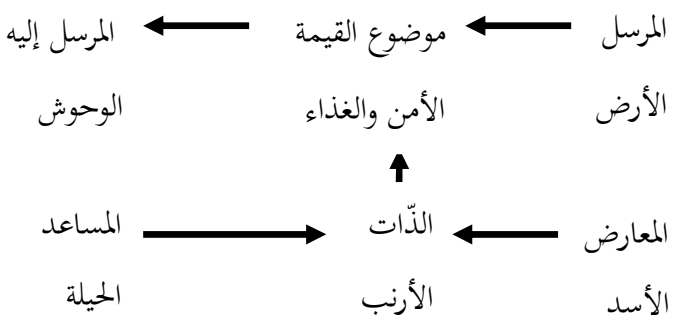

قدّمت النّاقدة بعد ذلك شرحًا مفصّلاً لهذا النّموذج بتبيان العلاقات بين أطرافه ثمّ تطرّقت إلى الحالات والتّحويلات التي تحكم البرنامج السّردي وقامت بصياغته وفق المعادلة التالية:

ف ت (ف) ⇐ [(ف$_1$ ٧ م) ← (ف$_1$ ٨ م)]

فقد استطاع الأرنب باعتباره الفاعل الذّات إقامة تحويل، جَعل الوحوش على علاقة بموضوع القيمة (الأمن والغذاء) بعد أن كانت منفصلة عنه.

ولم يتأتّ للفاعل العملي (الأرنب) إحداث هذه التّحويلات إلاّ لتوافر عناصر الكفاءة لديه، وتكتفي النّاقدة بإظهار بعض عناصر الكفاءة دون غيرها كإرادة الفعل ووجوب الفعل، لأنّ القدرة على الفعل والمعرفة به لا تتوافران لدى الفاعل الذّات، فلا قدرة له على مصارعة الأسد، ولا علم له بما يمكن أن يحدثه الأسد إن

[1] – نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص132.

اكتشف حيلته وما أخفاه عنه، ومن عناصر الكفاءة الأخرى التي ذكرتها النّاقدة "الإنجاز" الّذي أثبت كفاءة الفاعل بانتصاره على الفاعل المضاد "الأسد" وقد جسّدت النّاقدة هذا الإنجاز في معادلتين:[1]

ف ت (ف) ⇐ [(ف2 ∧ م) ← (ف2 ∨ م)]

ف ت (ف) ⇐ [(ف1∨ م) ← (ف1∧ م)]

ففي المعادلة الأولى كان الأسد في علاقة اتّصال بموضوع القيمة ثمّ صار في علاقة انفصال معه بفعل الحيلة التي أدّت إلى غرقه.

بينما الوحوش في المعادلة الثانية كانت في حالة انفصال مع موضوع القيمة ثمّ صارت في علاقة اتّصال معه.

جمعت النّاقدة معادلتين في صياغة جديدة واحدة كما هو موضّح في المعادلة التالية:

ف ت ⇐ [(ف2∧م ∨ ف1) ← (ف2∨م∧ف1)][2]

فالأسد كان في علاقة اتّصال مع موضوع القيمة والوحوش في حالة انفصال عنه، ثمّ أصبح الأسد في علاقة انفصال مع موضوع القيمة والوحوش في حالة اتّصال به.

تتوقّف النّاقدة بعد ذلك مع الاختبارات الثلاثة التي مرّ بها العامل "الذّات" "الأرنب" لتحقيق مهمّته وهي الاختبار التّأهيلي والاختبار الرئيسي والاختبار التّمجيدي ثمّ تتطرّق إلى عنصر آخر من عناصر البرنامج السّردي وهو التحريك الّذي بمقتضاه يتغيّر مجرى الأحداث، وقد نتج: «بواسطة الفعل الإقناعي الّذي سعت إليه باعتبارها مرسلا إليه عندما أصابتها القرعة لتكون غذاء للأسد»[3]

ومادام التّحريك مرتبط بالتّقويم، فقد أبرز النّص السّردي «جملة من الأحكام التّقييمية الهادفة إلى وضع آليات معرفية بخصوص المصداقية والمتجليّة في الصّدق، الكذب، السّر، البطلان»[4] وتلتمس النّاقدة من خلال النّص هذه الأحكام التقييمية لتجسّدها في مربّع تصديقي.

وبعد هذا التّحليل المفصّل للبرامج السّردية تشرع النّاقدة في تحليل المقاطع مقطعًا مقطعًا، منتقلة من الكلّ إلى الجزء ومن الإجمال إلى التّفصيل.

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص134.

[2]- المصدر نفسه، ص134.

[3]- المصدر نفسه، ص135.

[4]- المصدر نفسه، ص136.

ففي تحليلها للبرنامج السّردي للمقطع الأول أشارت إلى احتوائه على مقطوعتين تتجسّد المقطوعة الأولى من خلال نموذج عاملي مفصّل كالتالي: -[1]-

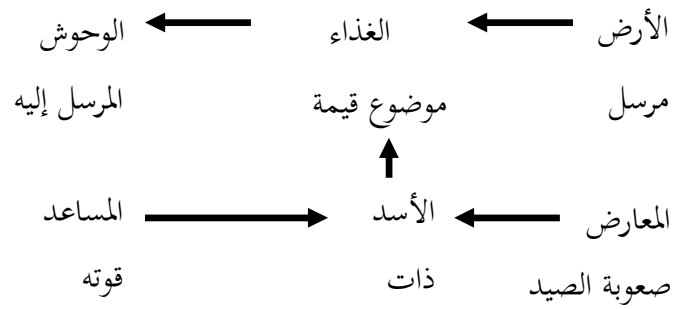

وتجسّد هذا الشّكل في الصّياغة الرمزية للبرنامج السّردي كما يلي:

ف ت (ف2) ⇐ [(ف2 ٧ م1) ← (ف2 ٨ م1)]

كان الأسد وهو عنصر دخيل على تلك المنطقة- كما افترضت الباحثة- منفصلا عن موضوع القيمة "الغذاء"، ثم صار في علاقة اتّصال به. أمّا الوحوش ففقدت الأمن منذ حلّ الأسد بأرضها لما يمتلكه من قوّة بدنية، ومن ثمّ انفصلت عن موضوع القيمة.

وتجسّد الناقدة هذا البرنامج السّردي في ترسيمة عاملية كالتالي:

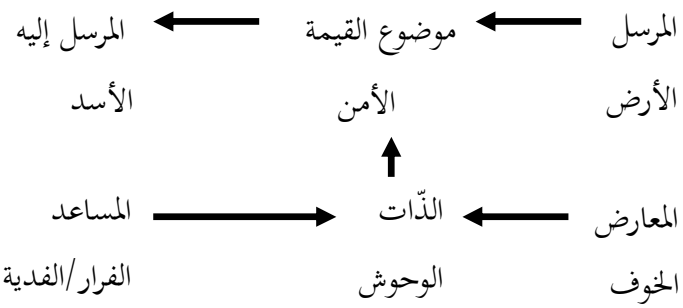

وتختصر النّاقدة –كدأبها- هذا الشّكل في التعبير الرّمزي التالي:

ف ت(ف2) ⇐ [(ف1٨م2) ← (ف1 ٧ م2)]

تكون الوحوش في علاقة "اتّصال" بموضوع القيمة "الأمن"، ثمّ تنفصل عن هذا الموضوع بعد أن اضطرت إلى إخلاء المكان للأسد بفعل قوّته وسيطرته.

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ، ص138.

وسلكت النّاقدة نفس المسلك في تحليل المقطوعة الثانية، وقد لاحظت أنّ هذا المقطع يقوم على ضربين من الانتقال: «هما التّنازل والمنح، فالأول تمارسه هذه الوحوش عن رضى وقناعة، بإرسال دابّة كلّ يوم لتكون غذاءً للأسد، ويأتي الآخر، حين تجاوب الأسد مع هذه الفكرة، فمنحها الأمن الّذي افتقدته بسببه»[1].

تجسّد النّاقدة هذه التّحولات في معادلات تجريدية، ثمّ تنتقل إلى التّحليل الخطابي لهذا المقطع الأول مشيرة إلى وجود صورة مفردة معجمية هي "السّعة"، تتنوّع دلالاتها بحسب السياق الّذي يردُ فيه إلاّ أنّها تتضمّن سمة نواتية مفادُها الشّمول والبسط والوفرة.

وتجسّد السّعة في النص الحياة الطبيعية والحيوانية، فالسّعة المجسّدة للحياة الطبيعية تحيل إليها جملة صور تعبيرية "كالمياه، الغذاء، العشب ..." والسّعة المجسّدة للحياة الحيوانية تحيل إليها صور تعبيرية أخرى "وحوش كثرة، دواب ..." و«يشكّل الجمع بين الحياة الطبيعية والحيوانية في النص عامة، ما نسمّيه تجميعا خطابيًا والذي يدلّ على "الحياة في الغابة»[2].

وتتضمّن المقطوعة الثانية صورة أولى هي الفعل "اجتمعت" التي تضمّ مسارات صوريّة كالاتّفاق والوحدة والضّم والألفة، ونُصادف صورة أخرى في هذا المقطع هي "المصالحة" وهي تدل معجميا على "السّلم" ولكنّها تتضمّن دلالات حافّة بحسب السياق، كالاتفاق والتّراضي ومن ثمّ «فإنّ الدّور الموضوعاتي الموكل للوحوش في هذه المقطوعة، يفيد أنّها مسالمة توّاقة إلى الاستقرار وراحة البال»[3].

وتنتقل النّاقدة لتحليل المقطع الثاني بإتباع الخطّة ذاتها التي حلّلت بها المقطع السّابق، بحيث جسّدت محتوى المقطع في ترسيمة عامليّة ثمّ صاغت تحويلات البرنامج السّردي في تعبير رمزي (معادلة) ويتجلّى المكوّن الخطابي لهذا المقطع في صورة "إصابة القرعة" بحيث استعرضت النّاقدة مساراتها الصّورية، واستفادت من السياق لتحديد الثنائيات الشّكلية للمربّع السيميائي في شكل شبكة من العلاقات المنطقية.

ويتمحور المقطع الثالث حول الحيلة التي لجأ إليها الأرنب للإيقاع بالأسد، جسّدت النّاقدة محتوى هذا المقطع في نموذج عاملي، ثمّ استعرضت البرنامج السّردي في شكل تعبير رمزي، لتشرع في تحليل المكوّن الخطابي بتحديد الصّورة المهيمنة في هذا المقطع وهي "الإبطاء" «التي وردت في السّياق سبع مرّات بمرادفاتها المحقّقة

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص141.

[2]- المصدر نفسه، ص143.

[3]- المصدر نفسه، ص144.

في الألفاظ التّالية" يمهلُني/ريثما/أبطئ/ الإبطاء/متباطئة/جاوزت الوقت/تقدّمت ... رويدا. وجميعها تأكيد لصورة الإبطاء وإثبات لضرورتها وهي فيما تعنيه معجميا: غياب للسّرعة، للنّشاط وللحيوية في الحركات قصد التّأخير»[1]

تحدّد النّاقدة "نادية بوشفرة" بعد ذلك الأدوار الموضوعاتية، ثمّ تكتشف الثنائيات الضدّية التي يقوم عليها المربّع السيميائي. وحلّلت النّاقدة المقطع الرّابع بإتباع نفس الخطوات التي حلّلت بها المقاطع السّابقة.

وفي عنصر "تتمّة تحليل النّص السّردي" عرضت النّاقدة ما تستخلص من الحكاية من عبرة «فذاك الضّعيف جسديّا قد يكون قويًّا فكريًا وعلى حظ وافر من المعرفة والفطنة، كما هو الحال عند الأرنب، كذلك يكون القوي جسديًّا وضخم الجثّة البدنية، ضعيفًا على المستوى الذّهني، جاهلا به، ليس له تحصيل معرفي يؤهّله لتوخّي الحذر واستعمال الحيلة والفطنة وقت لزومها»[2]

ونعتقد أنّ هذه العبرة يمكن استنتاجها بمجرّد القراءة الأولى للحكاية وهي ليست في حاجة إلى كلّ هذه الأشكال والمخططات والجداول والمعادلات، إضافة إلى أنّ هذا الاستنتاج يبدو معزولا عن السّياق التّحليلي مفصولا عن المسارين السّردي والخطابي.

ولكي تظهر النّاقدة تفاعل المقاطع بعضها ببعض، جسّدت الأدوار الموضوعاتية المقابلة للبرامج السّردية في جدول لنستخلص في الأخير النظرة المتولّدة عن الثنائيات الضّدية في النص وهي الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة.

وتختتم النّاقدة تحليلها بمربّع سيميائي، يبرز البنية العميقة للنّص من خلال البنيات المرصودة في مقاطعه والتي تنحصر في ثنائية الخير والشر "التي تستوي" في محور دلالي هو العمل.[3]

وقد تجسّد المربع السيميائي في الشكل التالي:[4]

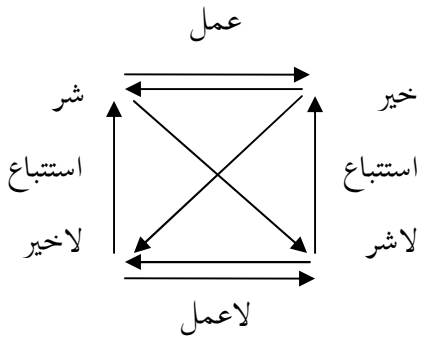

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص150.

[2]- المصدر نفسه، ص156.

[3]- المصدر نفسه، ص157.

[4]- ينظر، المصدر نفسه، ص157.

ولاحظت النّاقدة في دراستها للبنية الزّمانية في الحكاية التّضاد بين زمني الماقبل والمابعد وأثرهما في كشف البنية المنطقية للنّص، فالحياة الطبيعية التي كانت تحياها الوحوش أعقبها تحوّل بعد ظهور الأسد معيقًا حيويتها ونشاطها، سعت الوحوش إلى إحداث استقرار بعقدها اتفاق بينها وبين الأسد، ثمّ يأتي تحوّل آخر بعد حيلة الأرنب التي أوقعت بالأسد، ليعود الاستقرار مجدّدا باختفاء الأسد. ولاحظت النّاقدة حضور قوي للبنية الزمانية في سياق النّص من خلال بعض الملفوظات «فلولا إرسال الوحوش لدابّة وقت الغذاء للأسد، لما رضي بهذا العرض، والأمر سيّان بالنّسبة إلى الأرنب، فلو لم تُبطيء عليه لتجاوز وقت الغذاء، ولما تسنّى لها إيهامه بوقائع لا أساس لها من الصّحة والحال كذلك حينما فكّرت الوحوش في مصيرها وعقدت العزم أن تكون الفدية يوميًّا»[1].

وتندرج البنية الفضائية –حسب النّاقدة– في موضوع القيمة الّذي له ارتباط بفضاء الوحوش "الأرض" والمتّصل بحالة التّوازن في بداية النّص ونهايته، واختلال التّوازن في وسط النّص مرتبط بفضاء الفعل بشقّيه الجانبي والوهمي، فالفضاء الجانبي يقع بين الفضاء الخارجي والفضاء الوهمي ويتمثل في الطّريق التي يسلكها الأرنب مع رسول الوحوش، أمّا الفضاء الوهمي فيتمثل في مكان القتال أي مكان الأسد المزيّف والمتمثّل في الجب المليء بالماء الصّافي.[2]

وتختتم النّاقدة دراستها بالإشارة إلى محاولة تبسيط نظرية "السّردية" عند "غريماس" عبر هذه الدّراسة التّطبيقية معترفة بعدم الإلمام بكامل رؤى وجوانب هذه النّظرية التي يمكن أن تستخدم إجراءاتها في مجالات العلوم باختلاف أنواعها وقوانينها.

ويمكن أن نستخلص من هذه الدّراسة مايلي:

1- أبدت النّاقدة تمثّلاً جيّدا للمنطلقات النّظرية التي صدّرت بها كتابها وقد تجلّى هذا التمثّل في حسن توظيفها لتلك المتطلقات في تحليل الحكاية.

2- التزمت النّاقدة التزامًا صارمًا بآليات التّحليل الغريماسية مما أضفى على اشتغالها النّقدي نوعًا من الميكانيكية وإخضاعًا قسريًّا للنّص إلى المنهج.

3- تبدو بعض النّتائج المستخلصة في نهاية الدّراسة غير نابعة من التّحليل النّسقي المحايث، خاصّة في حديثها عن العبرة من القصّة، فما توصّلت إليه الباحثة عبر هذه الرّحلة الطويلة من الشرح والتّحليل والتّمثيل والتّجسد يمكن استنتاجه بمجرد القراءة الأولى للحكاية.

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص158.

[2]- المصدر نفسه، ص159.

4- ما يميّز دراسة الباحثة هو توقّفها عند البنيتين الزّمانية والفضائية وهما البنيتان المقصيتان من جميع المقاربات السّابقة ولو أنّ الباحثة مرّت عليهما مرور الكرام، وهي تشير في ختام كتابها: «بأنّ الدّراسة الزمانية والفضائية في "السيميائيات السردية"، لا تزال تشقّ طريقها لأنّ الاشتغال بها هو في أولّه، لذلك لم نتعمّق في معالجتها واكتفينا بما وجدناه قابلا للاستيعاب والإدراك»[1]، والملاحظ أنّ عمل الباحثة ترسّم مستويات التّحليل التي نصّ عليها "غريماس" وتلامذته دون عدول ودون إصغاء لخصوصيات النّص وفرادته على عكس مقاربات "رشيد بن مالك" و"عبد الحميد بورايو".

5- تبدو الباحثة متحكّمة في الجهاز الاصطلاحي في أصوله الفرنسية وترجماته العربية. وإن كانت لا تكثر من توظيف المصطلحات باللّغة الأجنبية (الفرنسية خصوصًا).

3- سيميائية النّص التّراثي في مدوّنة "رشيد بن مالك":

نُفْرِدُ هذا الحيّز لقراءة مقاربتين سيميائيتين لنصّين تراثيين، أنجزهما "رشيد بن مالك"، أوّلهما: نص الحكاية الإطار في كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع، وثانيهما كتاب "إغاثة الأمّة بكشف الغُمّة" "للمقريزي".

3-1- قراءته لنص "الحكاية الإطار" في كتاب "كليلة ودمنة":

وسم المقاربة الأولى في كتابه "السيميائيات السّردية" بعنوان: قراءة سيميائية في "كليلة ودمنة" لـ: "عبد الله بن المقفع"، وفي الكتاب نفسه قدّم دراسة مطوّلة بعنوان: "قراءة في بعض البحوث السيميائية العربية" تناول فيها جوانب من المنجز النّقدي السيميائي لمجموعة من النّقاد العرب هم: "عبد الحميد بورايو" و"محمد الناصر العجيمي" و"محمد القاضي" و"سعيد بنكراد"، ويشترك الثلاثة الأوائل في اشتغالهم السيميائي على خرافات من "كليلة ودمنة"، إلاّ أنّ ممارساتهم النّقدية «اختلفت من باحث إلى آخر، في طريقة التّحليل أوّلا وفي التّخريجات الدّلالية ثانيا».[2]

فالنّاقد "عبد الحميد بورايو" مثلا، عزل الإطار التلفظي (دبشليم/بيدبا) في أثناء تأويله لحكاية الحمامة المطوّقة والحمامة والثعلب ومالك الحزين واعتبره من خارجيات النص.[3]

أمّا "محمد الناصر العجيمي" في تحليله لحكاية الأرانب والفيلة، وبالرّغم من اعتراف "رشيد بن مالك" بأنّه: «التزم خطة واضحة في فحص النّص، بِدءًا من تقطيعه وتحديد مستوياته والنّظر في بنيتيه على الصّعيدين

---

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص163.

[2]- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص35.

[3]- المصدر نفسه، ص36.

السّطحي والعميق»[1] إلاّ أنّ دراسته هذه في رأي "رشيد بن مالك" ينبغي أن توضع أيضا: «في قلب الحوار الدّائر بين الملك "دبشليم" والفيلسوف "بيدبا" الّذي يسعى إلى أن يمارس فعله الإقناعي على الملك، وتعمل العملية الإقناعية على تجلية القيم الأساسيّة المسجّلة على المستوى العميق لحكايات "كليلة ودمنة" التي تجري مجرى الخطاب الحجاجي المسخر لإقناع الحكام بأهمية الحوار والمشاورة في المسائل الإستراتيجية التي تخص شؤون الرّعية ومستقبل البلد»[2]

أمّا دراسة "محمد القاضي" لـ: "مثل الأسود وملك الضّفدع" من "كليلة ودمنة" فيراها "رشيد بن مالك" وفقا للنّتائج المتوصّل إليها محصّلة تحليل «تقف وراءه مقاربات منهجية متنوّعة ومتضاربة أيضا، وتختلف من حيث الأهداف المسطّرة وتفتقد إلى إشكالية بحثية واضحة».[3]

وواضح من خلال الملاحظات التي وجّهها النّاقد للدّراسات التي اشتغلت على حكايات "كليلة ودمنة" من منظور سيميائي سردي «إنّه يمتلك رؤية نقدية مغايرة إزاء تحليل هذه الحكايات، وقد تجلّى ذلك في دراسته الموسومة بـ: "قراءة سيميائية في كليلة ودمنة" لـ "عبد الله بن المقفع"»[4]

صدّر النّاقد هذه القراءة بعبارة منهجية، سَوَّغَ فيها اختياره لنص النّصيحة التي أسداها الفيلسوف الهندي "بيدبا" للملك "دبشليم" بقوله: «إنّ هذا الاختيار صادر عن قناعتنا بأنّ حكايات "كليلة ودمنة" لا يمكن أن تُفهم إلاّ إذا قرأنا قراءة معمّقة النّصيحة التي نعتبرها النّص/الإطار الّذي يُغذّي دلاليّا الحكايات»[5] فكأنّه بهذه الإلتفاتة يُقدّم بديلاً قرائيا يسدّ النّقص الّذي لاحظه في القراءات السّابقة.

قسّم النّاقد النّص إلى ثلاث مقطوعات أساسية:[6]

المقطوعة الأولى: قبل ذهاب "بيدبا" إلى القصر.

المقطوعة الثانية: أثناء انتقال "بيدبا" إلى القصر وإسداء النّصيحة للملك.

المقطوعة الثالثة: بعد تبليغ "بيدبا" الرّسالة للملك.

---

[1]- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص38.

[2]- المصدر نفسه، ص39-40.

[3]- المصدر نفسه، ص40.

[4]- المصدر نفسه، ص45.

[5]- المصدر نفسه، ص45.

[6]- ينظر، المصدر نفسه، ص45.

ولا يُسوّغ الباحث المعايير التي اعتمدها في هذا التّقطيع، باستثناء إشارة مقتضبة يُحدّد فيها المقطوعة الأولى استنادًا إلى الإحداثيات الزّمنية والفضائية، ورغم اعتباطية هذا التّقطيع الّذي يبدو: «تقطيعًا على الطّريقة التّقليدية التي تقوم بتجزئة النّص الأدبي إلى أفكار أساسية وأخرى ثانوية، دون أن تراعي ذلك التّداخل والتّعالق والتّكامل بين مفاصل النّص الأدبي والمؤسس لبناه الدّلالية والجمالية والثقافية، فإنّه سيعمل على تمكين القارئ من إدراك مجموع الحالات والتّحولات النّاتجة عن سلسة الآداءات والبرامج السّردية التي ينبني عليها نص النّصيحة للفيلسوف الهندي "بيدبا"»[1]

ومادامت الموضوعات المنتقلة من هيئة اللاّفظ إلى الملفوظ له ترتهن في وجودها إلى فعل تلفّظي، كان لابدّ من توضيح آلية الحجاج في النّص، «إذ غاية الخطاب الّذي هو رسالة اتصالية، عادة ما تكون الطموح إلى إقناع المتلقي بشيء ما. ومن ثمّ فإنّ أهم وظائف الحجاج والخطاب في آن، الدّفع إلى الفعل، وهي خطوة تتطلب وعيا محكمًا بالوسائل والآليات التي من شأنها، إذا ما أُدرجت باعتدال في الخطاب، أن تحرّك المعنيين بالكلام صوب الفعل والتّغيير»[2]

والملاحظ أنّ النّاقد في اعتماده هذه الاستراتيجية في تحليله لنص النّصيحة قد تجاوز النموذج الغريماسي، حيث أنّ الآليات المنهجية السيميائية، كانت معبّأة لدراسة الموضوعات السيميائية في استقلاليتها عن الجهاز التّلفظي، وكان يُتعامل مع الملفوظ كما لو أنّه يملك دلالة مستقلّة عن تلك المتعلّقة بالتّلفظ، ولذا لاحظنا أنّ النّاقد "رشيد بن مالك" «أولى أطروحة "كورتيس" عناية خاصّة، حيث تمثّلها نظريًا وسعى إلى تجسيدها تطبيقيًّا»[3] وقد نصّ "كورتيس" أنّه في حال التّلفظ أو التّداولية "لا نستطيع اختزال أو تجاهل العلاقة بين ذات التّلفظ وبين العلامات التي تستخدمها"[4]

يقرأ النّاقد المقطوعة الأولى انطلاقا من إستراتيجية التّحريك، فالملك "دبشليم" وصل إلى الحكم بعد تمرّد الرّعية على ملك سابق أذلّها، ومن ثمّ فالملك جاء ليسدّ وضعية افتقار، ولكنّه طغى بعد أن استتبّ له الوضع ولما كان "بيدبا" ممتلكًا للمعرفة، جمع تلامذته بُغية تحريكهم للقيام بفعل جماعي، غايته كبح الملك عن التّمادي

[1]- فايد محمود، سحنين علي، أبحاث في الرواية ونظرية السّرد، ص157.

[2]- عبد الرحمن عبد السلام محمود، تعالقات الخطاب السردية والمقالية "طه حسين أنموذجا"، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2005، ص30-31.

[3]- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، قراءة في مشاريع "عبد الحميد بورايو، عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك، دكتوراه علوم، إشراف: أ.د محمد عزوي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، السنة الجامعية 2018-2019، ص290.

[4]- جوزيف كورتيس، سيميائية اللغة، تر/ جمال حضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010، ص122.

في أساليبه القمعية وإحداث وصلة بالرّعية، إنّه يرغب في انخراط تلامذته في برنامج يرتكز أساسًا على البعد المعارفي Dimension congnitive في مواجهة الملك.[1]

إنّ هؤلاء التّلامذة، ورغم اقتناعهم بخطاب "بيدبا" رفضوا الامتثال لمشروعه «إنّ خوفهم من ردّ فعل الملك، وتوقعهم للهزيمة، والشّعور بالقلق من خطر وشيك الوقوع يودي بحياتهم، أبطل مفعول رغبتهم وعطّل قدرتهم، وقلّل من أهمية مواجهته بالحيلة (المعرفة)»[2]

وتجسّد المقطوعة الثّانية (أثناء المقابلة) المواجهة الحجاجية بين "دبشليم الملك" و"بيدبا – الفيلسوف" يقرّر "بيدبا" مواجهة الملك، رغم فشله في تعبئة تلامذته معتمدًا كفاءته المعرفية لترغيب الملك في إقامة العدل ورعاية شعبه وصون كرامته، يعتمد في هذه المواجهة طقوسا معيّنة على رأسها السكوت، هذا الطقس «أحدث افتقارا لدى الملك وحرّكه للقيام بعملية التّحري عن مضمون النّصيحة ومغزى الزّيارة ومن ثمّ إعطاء معنى للسّكوت»[3]

وقد قدّم الملك بفعل استراتيجية السكوت تنازلات أخرى منها السّماح لبيدبا بالحديث بكلّ حريّة فانتهز الفرصة وشرع في سرد سيرة الملوك السّابقين الذين ساسوا الرّعية بسياسة حسنة فنالوا منها جميل الذّكر، ثمّ انتقل إلى الحاضر مقوّمًا البرنامج السياسي للملك تقسيما سلبيا اعتمادًا على القيم السّلبية التي أفرزتها سياسته ومن ثمّ فالهدف من المحاججة حمل الملك على تغيير سياسته والتّكفل بحقوق الرّعية «ويهدف من جهة ثانية على مستوى البنية العميقة للنص إلى نفي الجهل وتثبيت المعرفة التي تنهض عليها الممارسة السّياسية»[4]

والحقيقة أنّ "بيدبا" استثمر في مواجهته الحجاجية استراتيجيات أخرى غير السّكوت، كقول السّارد في الحكاية: «حتّى إذا كان اليومُ المختارُ ألقى عليه مسوحهُ وهو لباس البراهمة»[5] وقولُه في موضعٍ آخر «ووقف بين يديه وكفّر وسجدَ ثمّ استوى قائما وسكت ....»[6]

فقد كان حريّ بالنّاقد قراءة هذه العلامات لما لها من دور في دعم المسار الحجاجي لبيدبا، «إذْ يطابق "شارل بيرلمان" بين البلاغة والحجاج L'argumentation معتبرًا أنّ كلّ المكوّنات الأسلوبية الموجودة

---

[1]- ينظر: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص49.

[2]- المصدر نفسه، ص50.

[3]- المصدر نفسه، ص52-53.

[4]- المصدر نفسه، ص66.

[5]- عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، دت، ص14.

[6]- المرجع نفسه، ص14.

في رسالة ما (مكتوبة أو مقروءة أو مشاهدة أو حتى إشارية)، هي عبارة عن مستويات معيّنة من مستويات الحجاج بما في ذلك التّضمين والشواهد والأمثلة، حتى السّخرية والمفارقة فهي عبارة عن .. حجة في ذاتها ...»[1]

وفي مرحلة "مابعد المواجهة" يُثمّن الملك مشروع "بيدبا" وينخرط في قيمه الأساسية ويُحدث قطيعة مع ما مضى بنفي الجهل وتثبيت المعرفة:[2]

وفي ختام هذه الدّراسة يمكن استخلاص النتائج التالية:

1- سدَّ النّاقد بهذه الدّراسة، النّقص الذّي لاحظه في المقاربات النّقدية لخرافات كليلة ودمنة التي لا تحكم الصّلة بين الحكاية الإطار وبقية الحكايات الأخرى، فالحكاية الإطار هي التي تغذّي دلاليا بقية الحكايات، وفيها شرّع "بيدبا" مجموعة من القيّم تشكّل العالم الدّلالي لخرافات "كليلة ودمنة".

2- انفتح "رشيد بن مالك" في هذه الدّراسة على مسألة التّلفظ التي تعتبر آلية تبنّاها "جوزيف كورتيس"، وذلك برصده لاستراتيجيات الحجاج التي وظّفها "بيدبا" في محاججته للملك.

3- لم يستثمر النّاقد في هذه الإستراتيجية الحجاجية لغة الجسد باعتبارها هي الأخرى آلية من آليات الحجاج التي لجأ إليها "بيدبا" في مواجهته للملك .

3-2- قراءته لكتاب "المقريزي" "إغاثة الأمّة في كشف الغمّة":

النّص التّراثي الثاني الذي سنقف عنده، مستكشفين الطّريقة المنتهجة في تحليله من قبل النّاقد، هو نص "المقريزي" الموسوم بـ: "إغاثة الأمّة بكشف الغمّة أو تاريخ المجاعات بمصر"، وقد أنجز حوله النّاقد دراسة نشرها في مجلّة اللّغة والأدب* ووسمها بـ: مشروع قراءة سيميائية في: إغاثة الأمّة بكشف الغُمّة .

أوضح النّاقد في مفتتح دراسته هدفها ومسوّغات اختيارها، يتلخّص الهدف في فحص المستويات الدّلالية للنّص من منظور سيميائي، أمّا مسوّغاتها فتتمثل في:[3]

- غياب الدّراسات التي تُعنى بتحليل الخطابات السياسية والاجتماعية .
- إثبات الدّراسات الأوربية لفعّالية التّوجه السيميائي في كثير من الحقول المعرفية .
- اختبار مدى مشروعية تناول نص تراثي بأدوات منهجية حديثة .

---

[1]- عبد الرحمن عبد السلام محمود، تعالقات الخطاب السردية والمقالية، ص29-30.

[2]- ينظر، رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص68.

*- رشيد بن مالك، مشروع قراءة سيميائية في إغاثة الأمة بكشف الغمة، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر2، مجلد9، عدد1، 2001، ص251 ومابعدها.

[3]- المرجع نفسه، ص251.

والحقيقة أنّ مقاربة النّصوص التراثية بأدوات منهجية حداثية قد أثبتت فعاليتها عند نقاد عديدين «ويعود ذلك إلى استقرار النّص التراثي بوصفه نصًا راكزا يحظى باحترام الذائقة النقدية، بل يمكن أن نُعده من أهم منطلقاتها التطبيقية، وصمام أمانها بصحّة تلك التطبيقات ونجاعتها، وكأن استجابة النص التراثي لهذه الإجراءات هو جواز دخولها إلى النقد العربي الحديث»[1].

وقصد تفعيل الأدوات الإجرائية الحديثة في مقاربة هذا النّص، اقترح النّاقد خطة تقوم على المراحل التالية:[2]

– الاعتماد على المعاجم العربية التي ارتهن إليها خطاب المقريزي في قراءة النص .

– حصر المستويات الدّلالية وضبط الإطارين المتميزين في النص .

ضبط في الإطار الأول الهيئة اللاّفظة وبعدها التّلفظي ومقاصدها في مقاربة ظاهرة المجاعات في مصر بوصفها حدثًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا اعتمادا على ما قاله "المقريزي": من تأمل هذا الحادث من بدايته إلى نهايته وعرفه من أوله إلى غايته، علم أنّ ما بالنّاس سوى سوء تدبير الزّعماء والحكام وغفلتهم عن النّظر في مصالح العباد"[3].

وعن طريق تحديد الهيئة اللاّفظة في النّص، بتحديد طرفي الخطاب (المقريزي والزعماء والحكام) استطاع النّاقد «إدراك الآليات التي تحتكم إليها السّلطة في تسييرها للفعل السياسي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد توصّل إلى ضبط برنامج الرّعية الأساس الذي يهدف من خلاله "المقريزي" إلى تحريك متلقّي الرّسالة أو الخطاب بهدف تأسيسه فاعلا منفذا في برنامج تتحدّد غايته في التّحرر من السّلطة السياسية القمعية وتحقيق قيم سياسية جديدة تعمل على إعادة الصّلة بين الحكام والرّعية» [4].

وحلّل في الإطار الثاني البرامج السّردية مركّزا على الممثّلين السياسيين الذين يتصدّرهم أهل الدولة.[5]

أمّا في عنصر النّظام السّيميائي للنّص، فقد كشف النّاقد البنية الجدلية في تأويل أسباب حدوث المجاعات بين هيئتين مختلفتين، الهيئة الأولى ترى الآفات السّماوية «حدثا تحدثه الذات الإلهية بهدف تقويم برامج البشر "جزاء بما كسبت أيديهم" وأداء صادر عن تأويل أعمالهم»[6].

---

[1]– محمد فليح الجبوري، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السرد العربي القديم، ص71.

[2]– ينظر، رشيد بن مالك، مشروع قراءة سيميائية في إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص252.

[3]– المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، دراسة وتحقيق، كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2007، ص78.

[4]– فايد محمد، سحنين علي، أبحاث في الرواية ونظرية السرد، ص161.

[5]– ينظر، رشيد بن مالك، مشروع قراءة سيميائية في إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص252.

[6]– المرجع نفسه، ص253.

أمّا الهيئة الثانية فهي على مذهب "المقريزي" الذي أوضحه سابقًا فالمصائب والمجاعات التي حلّت بالناس إنّما هي من آثار سوء تدبير السّاسة والزعماء، والملاحظ أن قول "المقريزي" المذكور آنفا يتشكل من ثلاثة أفعال مفتاحية (تأمل، معرفة، علم)، وقد رصد النّاقد الوحدات المعنوية التي تدخل في تشكيل التّأمل والمعرفة والعلم من خلال الاستناد إلى "لسان العرب" مستنتجا أنّ "المقريزي" الذي يقوم بدور المرسل في هذا الخطاب «يسعى إلى إقناع القارئ بأنّ المصيبة التي نزلت على الفاعل الجماعي (أهل مصر) محصلّة لسوء تسيير الحكام، وبالتّالي فإنّ فهم آليات تسيير السّلطة مرهون سلفا بتأسيس فاعل يمتلك لكفاءة ترتكز أساسا على التّأمل والمعرفة»[1]

وفي سبيل ضبط العلاقات بين الفعلين السياسي والاقتصادي، شرع النّاقد في تحليل نص هذا الملفوظ «السّبب الأول وهو أصل الفساد، ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدّينية بالرشوة، كالوزارة والقضاء ونيابة الأقاليم وولاية الحسبة وسائر الأعمال، بحيث لا يمكن التّوصل إلى شيء منها إلا بالمال الجزيل: فتخطى لأجل ذلك كلّ جاهل ومفسد وظالم وباغٍ إلى ما لم يكن يأمله من الأعمال الجليلة والولايات العظيمة، لتوصيله بأحد حواشي السلطان، ووعده بحال للسلطان على ما يريده من الأعمال»[2]

ويلاحظ النّاقد أنّ المناصب الإدارية انطلاقًا مما يفصح عنه النص، هي موضوع قيمه، يتحقّق عبر أدوار موضوعاتية قوامها الجهل والفساد والظلم والطّغيان، ومن ثمّ يفتقر العامل الذي ينضوي تحت هذه الأدوار إلى الكفاءة والتّسيير.

ويتحقّق البرنامج الثاني عن طريق السّلطان وحواشيه، فهو يبيع المناصب لمن يدفع ومن ثم «فإنّ السلطان يحتلّ موقع المحرّك بالفعل الذي يمارسه على حاشيته، وذلك في سبيل تفعيلهم من أجل إبرام صفقات خاصّة ببيع المراكز الحكومية التي تشكّل موضوع قيمة أساسي في النص»[3]

وعليه يفتقر الفاعل السياسي إلى الكفاءة التي تمكّنه من تسيير شؤون الدولة، فتكون الأزمات الاقتصادية المؤدية إلى المجاعات «محصلة لفعل سياسي/اقتصادي صادر عن دوائر سياسية لا تملك من الكفاءة ما يؤهّلها لتسيير شؤون الرّعية»[4]

ويقترح النّاقد تقسيما مختلفا للفئات السّبع المتضرّرة من الغلاء التي رصدها "المقريزي" مبني أساسا على الملك والمعرفة والسّلطة وعلى ضوئه اقترح جدولاً مبنيا على ثنائية الموت/الحياة ويستخلص النّاقد من خلال ذلك:

[1]- رشيد بن مالك، مشروع قراءة سيميائية في إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص256.

[2]- المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص410.

[3]- رشيد بن مالك، مشروع قراءة سيميائية في إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص260.

[4]- المرجع نفسه، ص262.

«نلاحظ أن أهل الدولة أسسوا نظاما يحتكم فيه الاقتصادي إلى السياسي، ويخضع له سلم اجتماعي يعكس التوزيع المجتمعي القائم على أساس (الملك/المعرفة/السلطة).

إنّ أهل الدولة لا يقتصرون فقط على إقصاء الفئة المثقّفة من مجال اهتمامهم ومن مراكز النّفوذ في النّظام السياسي، بل يعمدون أيضا إلى تجويعهم وقتلهم»[1]

إنّ انتماء "المقريزي" إلى الفئة المثقفة الواعية، جعله يقوم بدور المحرّك لإيقاظ فئات النّاس ولفت انتباههم إلى أنّ تردّي أحوالهم سببه الأساس فساد أهل السياسة. ويجسّد النّاقد عنصر الصّراع في نص"المقريزي" في مربع سيميائي يتجلّى فيه مساران:

أهل الدّولة الذين يكرّسون الجهل وينفون العلم هو المسار الأول، بينما يتمثّل المسار الثاني في سعي "المقريزي" إلى دعوة النّاس إلى التّأمل لمعرفة أوضاعهم واكتشاف أسباب المجاعات والأوبئة، ومن ثمّ فإستراتيجية المقريزي منبنية في الأساس على بناء الكفاءة العلمية للفئات الشّعبية، كونه الطّريق الأمثل للقضاء على الجوع والبؤس .

وعليه يتجسّد المربّع السّيميائي في التّرسيمة التالية:[2]

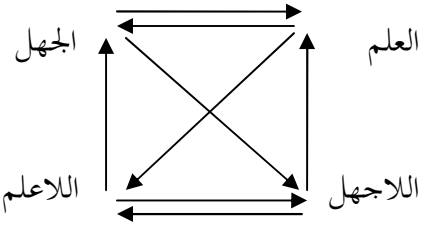

ختامًا يمكن إجمال نتائج هذا التّحليل في النّقاط التالية:

1- أثبت النّاقد فعالية المنهج السّيميائي وطواعيته لتحليل النّصوص الاجتماعية السياسية، وقدرته على كشف الدّلالات المضمرة في النّصوص التراثية .

2- أشار النّاقد في خطته لقراءة هذا النّص التّراثي إلى اعتماده على المعاجم العربية في ضبط الوحدات المعجمية الموضوعة قيد التّحليل، ولكنّه لم يستخدم سوى معجم واحد هو "لسان العرب" مرّة واحدة لا غير .

3- رغم التّمثل الجيّد من لدن النّاقد لسيميائيات "غريماس"، إلّا أنّه كثيرا ما تغيب الجوانب الجمالية والحس الفني عن تحليلاته، فهو يقدم المنهج على النّص وليس العكس .

[1]- رشيد بن مالك، مشروع قراءة سيميائية في إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص263.

[2]- المرجع نفسه، ص264.

4- إنّ هذه المقاربة، رغم جدّيتها وتمكّن النّاقد من منهجه وآلياته، وتحكّمه في المصطلح، تثير الكثير من التّساؤلات عن مدى قدرتها على استيعاب هذا النّص الموسوعي المتشعّب، دون سقوط في الانتقائية والابتسار .

ومن خلال معاينتنا للدّراسات السّابقة نستخلص مايلي:

- اختلف المنجز النّقدي الّذي قارب الحكايات الخرافية والنّص التّراثي من ناقد لآخر، تبعًا لثقافة كل ناقد وتوجهاته المعرفية، إلاّ أنّ المشترك في هذه المقاربات هو استثمار السيميائيات الغريماسية بآلياتها ومصطلحاتها وإجراءاتها.

- تعدّدت الرّوافد المعرفية التي استعان بها بعض النّقاد في مقاربة نصوص الحكايات الخرافية من وظائفية "بروب" إلى سيميائية "غريماس" إلى "أنثروبولوجية كلود ليفي شتراوس"، ويتّضح ذلك جليًّا في مقاربات "عبد الحميد بورايو".

- لم تبق بعض هذه الدراسات حبيسة المنجز الغريماسي، بل انفتحت على إضافات تلامذته، وخاصّة "كورتيس" في اهتمامه بعملية التّلفظ وآليات المحاججة، ويتجلّى ذلك خصوصًا في مقاربة "رشيد بن مالك" لنص الحكاية الإطار في كتاب "كليلة ودمنة".

- تعدّدت طرق الاستفادة من سيميائيات "غريماس" وتباينت من ناقد لآخر وكلّ يختار آلية أو مجموعة آليات يراها أصلح من غيرها لتحليل النص واستكناه معناه.

- تقدّم بعض المقاربات المنهج على النّص بخضوعها لخطوات التّحليل التي اقترحها "غريماس" دون إنصات إلى جمالياته، مما وسمها بالميكانيكية والآلية، ونمثّل لذلك بتحليل "نادية بوشفرة" لخرافة "الأرنب والأسد" من "كليلة ودمنة".

- استطاعت بعض هذه المقاربات أن تتجاوز الحكايات الخرافية لتختبر آليات المنهج السيميائي على نصوص تراثية، وقد أثبتت هذه المقاربات فعاليتها تبعًا لتمكّن النّاقد وثقافته وتنوّع أدواته، ولا أدل على ذلك من مقاربتي "رشيد بن مالك" لنصّي "الحكاية الإطار" في "كليلة ودمنة" و"إغاثة الأمة بكشف الغمّة" لـ"المقريزي".

- يبدو المصطلح النّقدي في جلّ هذه المقاربات مستقرًّا، فكأنّما الممارسة النّقدية الطويلة جعلت هذا المصطلح أداة طيّعة بين أيدي هؤلاء النّقاد يوظفونه بفعالية واقتدار.

- استعان هؤلاء النّقاد بالجداول والمخطّطات والأشكال والترسيمات وقد تفاوت اهتمامهم بها ومدى فعاليتها في إضاءة التّحاليل وإيضاح قضاياها.

- تستهل هذه المقاربات –في الغالب- بتمهيد نظري يُقدم فيه النّاقد مسار الدّراسة وأهدافها.

- لم تتوقّف جُلّ هذه الدّراسات عند البنيتين الزّمانية والفضائية بل توجّه اهتمامها إلى المكوّنين السّردي والخطابي في البنية السّطحية ورصد تمظهرات الدّلالة من خلال المربع السيميائي في البنية العميقة، نستثني من ذلك دراسة "نادية بوشفرة" في تحليلها لخرافة "الأرنب والأسد".

المبحث الخامس: إشكاليّة المنهج والمصطلح

بعد هذه الوقفة الطّويلة نسبيا مع الخطابات النّقدية الجزائرية التي قاربت مختلف المتون النّصية بتطبيق آليات السّيميائية، نتفحّص في هذا العنصر إشكالية المنهج والمصطلح، وهي إشكالية يعانيها النّقد العربي المعاصر لأنّ المناهج التي تُحلّل بها النّصوص وافدة من الغرب بحمولتها المعرفية ومصطلحاتها وآلياتها التّحليلية، وقلّما تساءل هذا النّقد عن فعاليتها الإجرائية ومدى ملاءمتها للنص العربي المنتمي إلى لغة مختلفة وحضارة مختلفة ورؤية مغايرة للكون.

1- إشكالية المنهج:

إذا كان المصطلح مفتاح المعرفة وأداة التّحكم في مفاهيمها، فإنّ المنهج هو المسلك الّذي يلتزمه النّاقد في سبيل إضاءة النّص بالوقوف على جمالياته وتوضيح مقاصده، و«بين المنهج والمصطلح علاقة قرابة وثيقة يجدرُ بالنّاقد وصلها، إنّهما صنوان ليس في وسع أحدهما أن يستغني عن الآخر أثناء الفعل النّقدي، ودون ذلك يهتزّ الخطاب النّقدي وتذهب ريحه ويفشل في القيام بوظيفته»[1]

ولعلّ المعاني المعجمية لكلمة "نهج" وقرينتاها، منهج ومنهاج والّذي ينصرف إلى «الطّريق والوضوح والجهد المبذول، وهي معانٍ لصيقة بالبحث العلمي وبطريقة التّفكير ... وبالوضوح الّذي ينتج عن الفهم والاستيعاب والإدراك ...»[2]

لعلّ هذه المعاني تفصح عن أهمية المنهج باعتباره «طريقة في التّعامل مع الظاهرة موضوع الدّراسة، تعتمد على أسس نظريّة ذات أبعاد فلسفية وإيديولوجية بالضّرورة، وتملك —هذه الطّريقة- أدوات إجرائية دقيقة ومتوافقة مع الأسس النّظرية المذكورة وقادرة على تحقيق الهدف من الدّراسة»[3]

فالمنهج يرتكز على النّظرية والنّظرية تتأسّس على أبعاد فلسفية وإيديولوجية، ومن ثمّ لا جدوى من استيراد المنهج جاهزًا دون وعي بالأصول النّظرية والفلسفية التي انبثق عنها، بل إنّ غياب هذا الوعي المنهجي من أسباب الأزمات التي يتخبّط فيها نقدنا العربي المعاصر ذلك «لأنّ المنهج يتضمّن جانبين، جانب (مرئي طاهر)، يتمثّل في وجود أدوات إجرائية تضمن إدراك الحقيقة والتّدليل عليها، وجانب (لامرئي)، خفي، يتمثّل في الرّؤية المعرفية

[1]- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص56.

[2]- محمد عبيد الله وآخرون، ناصر الدين الأسد الفكر والمنهج، جامعة فيلاديلفيا، عمان، دط، 2014، ص25-26.

[3]- سيد بحراوي، البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات، ط1، 1993، ص9.

والخلفية النّظرية المؤطّرة له ونزعم أنّ الجانب الظّاهر للمنهج ليس سوى التّرجمة العمليّة والإجرائية والإجابة الصّريحة على الأسئلة الضّمنية التي يطرحها قسمه الخفي اللاّمرئي»[1].

وسعيًا إلى إدراك هذا الجانب اللاّمرئي، ألحَّ "رشيد بن مالك" وهو أحد روّاد النّقد السّيميائي في الجزائر على ضرورة تمثّل النّظرية السيميائية بالعودة إلى أصولها وروافدها مع التّركيز على «ترجمة البحوث اللّسانية في المعجميّة والدّلالية، التي كان لها عميق الأثر في ترقية البحث السيميائي الرّاهن والتي بدونها لا نستطيع أن ندرك الفروقات الجوهرية بين كلّ تيار، ومن الواضح أنّ ترجمة نصوص السيميائيين الرّواد إلى اللغة العربية، تهدف إلى تبليغ المعرفة السيميائية، في مصدرها وفتح آفاق جديدة في البحث أمام القارئ العربي وتنمية حسّه النّقدي وتوسيع دائرة اهتمامه بصورة تجعله ينظر إلى الموضوعات السيميائية فلا يقنع بما هو سطحي، ولا يكتفي بنتيجة علمية إلاّ بعد التّحقق من سلامة فرضياتها وصحّة التّفكير الّذي أفضى إليها»[2].

إنّ العودة إلى الأصول النّظرية التي ينبثق عنها المنهج ومعاينة تطبيقاته وأدواته الإجرائية في لغته الأصلية وتمثّلها —من شأنه أن يخفف من حدّة الإشكالية المنهجية التي يعانيها النّقد العربي المعاصر عامّة والجزائري بصورة خاصّة، وتأتي على رأسها هيمنة النّموذج الغربي وغياب رؤية نقدية عربية بديلة، مما أوقع النّقد العربي المعاصر في أزمة سببها الرّئيسي «تسليم كثير من نقّادنا بالطابع المطلق للمناهج النّقدية الغربية، وزعمهم أنّها معارف علمية و"عالمية" و"مطلقة" ينبغي ألاّ نتردّد في استيرادها وتوظيفها دونما أيّ نقد أو مساءلة، ونظرتهم التّجزيئية إليها بوصفها مجرّد أدوات إجرائية، تضبط خطوات الباحثين في تعاملهم مع قضاياهم المدروسة، مما جعلهم يحدّدون قيمة المنهج بما يختزنه من طاقة إجرائية، ويستبعدون خلفياته التّاريخية والمعرفية، وأسسه العلمية والفلسفية واللاّهوتية»[3].

ومن الأسباب الأخرى التي فاقمت الإشكالية المنهجية في النقد الجزائري المعاصر انفتاحه على المناهج النّسقية الغربية على اختلافها وتنوّعها في فترة زمنيّة وجيزة عرف خلالها البنيوية والسيميائية والأسلوبية دون فاصل زمني يذكر بين منهج وآخر، ولاشك أنّ هذا التدافع لم يمكّن النّاقد الجزائري من التّمثّل الجيّد لهذه المناهج واختبار جهازها الاصطلاحي ومدى فعاليّة إجراءاتها التّطبيقية، «إذ إنّ من شروط الاستنبات الحي، ألاّ يكتفي المستورد بالنّقل، بل إنّ عليه، كيما يضمن حضور المناهج وفعاليتها وتأثيرها، أن يوفّر لها التّربة الملائمة، وذلك بإعادة إنتاج ما يستورده من مناهج بطريق الجدل معها، واستنباط مفاصل جديدة فيها، وإمكانات متاحة، وذلك بالشّغل

[1]- فاطمة شرشار، تجليات المهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر، ص102.

[2]- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص15-16.

[3]- علي صديقي، المناهج النقدية الغربية في النقد العربي المعاصر، عالم الفكر، العدد4، المجلد41، أبريل- يونيو 2013، ص115.

على وقع النّصوص الأدبية العربية التي تنطوي على خصوصيّة وتميّز، من شأنهما أن يقودا إلى ترشيح معطيات جديدة غير تلك التي رشحت عن تلك المناهج ضمن جدل علاقتها بأدبها الخاص المتميّز وآلية اشتباكها معه»[1]

ونعتقد أنّ تدافع هذه المناهج إلى النقد الجزائري المعاصر لم تتح للنّقاد الجزائريين توفير تربة ملائمة لهذه المناهج لاستنباتها بعد محاورتها وتطبيقها على نصوص محلية متميّزة، بل إنّ هذا التّدافع سيفيدنا «في فهم التّركيب المنهجي في الممارسة النّقدية لدى نقّادنا الرواد في الانفتاح على الحداثة النّقدية»[2]

اكتفى النّاقد العربي عامّة والجزائري خاصّة إزاء هذه المناهج بموقف المتابع الملاحق لا المسائل المحاور «فثمة نوع من الانبهار بالحضارة الغربية والإعجاب بها يعمي عن إدراك نقائصها، وتهافت على مناهجها ومفاهيمها النقدية من دون مساءلة أو نقد، ومن دون هضم أو استيعاب، أو حتى فهم في بعض الأحيان، ثم هناك الانتقائية في التعامل مع المناهج الغربية والارتحال السريع بينها، كما أن هناك التلقي المتأخر للمناهج الغربية من قبل الناقد العربي، ما يعني أن هذا الناقد متعثر حتى في محاولته متابعة ما يستجد في الغرب من مناهج ومفاهيم وإتباعها».[3]

لقد انفتح النقد الجزائري على النقد الغربي النسقي نهاية السبعينيات مع بحث "عبد الحميد بورايو" الموسوم بـ: "القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية"، وهذا الانفتاح يمثل عدولا عن النقد السياقي «لأنه لا يمتلك آليات وأدوات إجرائية تمكنه من إعادة بناء النص وتحديد مكوناته عبر تفكيكه» [4]

وقد كان المنهج السيميائي من أكثر المناهج شيوعا في النقد الجزائري، فقد اعتمده النقاد في تحليل النصوص مهما اختلفت أجناسها، ناهيك عن الترجمات الكثيرة التي حاولت التأصيل لهذا المنهج والتعريف به وإيضاح الروافد المعرفية التي يمتح منها. وقد راج هذا المنهج في النقد العربي عامة لأسباب عديدة، إذ لم يلق المنهج الأسلوبي الرواج ذاته لأنه طرح كبديل للبلاغة العربية، وهذا ما أثار حفيظة النقاد المحافظين، أما المنهج البنيوي فقد دخل النقد العربي بعد أن خبا بريقه في الغرب مما سهل انتقاده، كما أن هيمنة المناهج السياقية على الساحة النقدية العربية عجلت بانحساره لأنه منهج منغلق مكتف بشبكة العلاقات المنسوجة داخل النص .

---

[1]- صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، أسئلة ومقاربات، دار نينوى، سوريا، ط1، 2015، ص14.

[2]- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، قراءة في مشاريع – عبد المالك مرتاض، عبد الحميد بورايو، رشيد بن مالك، ص112-113.

[3]- علي صديقي، المناهج النقدية الغربية في النقد العربي المعاصر، مجلة، عالم الفكر، ص123.

[4]- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، ص57-58.

وقد استعذب الناقد العربي هذا التطابق اللفظي والمعنوي بين كلمتي "سيمياء" العربية و"السيميائية" الغربية، بالإضافة إلى وجود إشارات سيميائية في التراث النقدي العربي، مما جعله يستشعر قرابة معرفية بين تراثه النقدي وهذا المنهج الغربي الدخيل .

ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في رواج المنهج السيميائي في النقد العربي المعاصر انفتاحه على المرجعيات الخارجية التي أقصتها البنيوية وفعاليته الإجرائية في قراءة النصوص السردية وتحليلها.[1]

كل هذه العوامل ساهمت في إقبال النقاد العرب والجزائريين على هذا المنهج، محاولين إرساء قواعد علمية صحيحة تنأى بالعمل النقدي عن الانطباعية والذاتية والأحكام المعيارية، ولعل الخطوة التي نالها هذا المنهج عند النّقاد الجزائريين كان سببها «كفاءته الإجرائية، وقدرته على تلمّس مختلف مستويات الخطاب النصي، وهو فضلا عن ذلك يتميّز بالصّرامة والمرونة معا، ما يعني أنّه يمنح النّاقد فسحة للاجتهاد والإضافة من جعبته، ويسمح بالتّركيب من جهة أخرى، يضاف إلى ذلك أنّ نقادنا لمسوا في مقولاته وأدواته امتدادا لكثير من المفاهيم التراثية ولذلك لم يستشعروا غربته»[2]

ولم يتبلور الخطاب السيميائي في النقد المغاربي عامة سوى بداية الثمانينيات عن طريق احتكاك بعض الباحثين المغاربة بأساتذة السيميائيات ومنظريها في الجامعات الفرنسية «حيث شكل الدرس السيميائي الفرنسي على وجه الخصوص خطوة مهمة على درب التطبيقات السيميائية في مجال الدراسات الأدبية، كما أنّ السيميولوجيا في دول المغرب العربي، قد بدأت عبر محاضرات الأساتذة الجامعيين، وعن طريق نشر كتب ودراسات ومقالات تعريفية بالسيميولوجيا ومفاهيمها ومصطلحاتها وتطبيقاتها المنهجية»[3]

وقد قُوبل الخطاب السيميائي في المؤسسات الأكاديميّة أثناء ظهوره بداية الثمانينيات بالجزائر بنوع من الرّفض والرّيبة، فقد لاقى "رشيد بن مالك" صعوبات جمّة وهو يُلقي الدّروس الأولى في تحليل الرّواية الجزائرية سيميائيًّا على طلبة معهد اللّغة والأدب العربي بجامعة "تلمسان" عام 1983، «وكانت تلك الصّعوبات ناجمة أصلاً عن نقص في الاستعداد لدى الطّلبة للتّعامل مع هذا المنهج الجديد في غمرة طغيان المناهج التّقليدية المألوفة، وعن تخوّف بعض الدّوائر العلميّة في الجامعة الجزائرية حينئذ من هذا التيار "الوافد من الغرب" وسُرعان ما تحوّل هذا التّخوف إلى رفض ثمّ عداء ثمّ إقصاء. وبقدر ما كان إقصاء هذا التيار الجديد عنيفًا، كان التّشبث

[1]- ينظر، محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص160.

[2]- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص319.

[3]- هامل بن عيسى، إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي، (دراسة في نقد النقد)، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ.د أحمد مسعود، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، 2012-2013، ص93-94.

بالمناهج الكلاسيكية قويًّا إلى درجة الانصهار فيها دون أي مبرّر علمي مؤسّس سلفًا ودون بذل أي مجهود لفهم أفكار هذا التّوجه الجديد في القراءة النّقدية»[1]

ورغم هذه المواقف العدائية، شقّ المنهج السيميائي طريقه بثبات في النّقد الجزائري المعاصر، وانفتحت الجامعة الجزائرية على المعرفة السيميائية بتنظيم الملتقيات، وتوجيه الطلبة في بحوثهم الأكاديمية للنّهل من مَعينه إضافةً إلى استغراق روّاده في الترجمات بُغية تأصيله وملاحقة جديده، ورغم ذلك بقي البونُ شاسعا بين الخطاب السيميائي المغاربي عامّة ونظيره الغربي «كون الخطاب الغربي يُنتج المعرفة من نظريات ومناهج ومفاهيم ومصطلحات، ويقوم بتصديرها إلى السّاحة النّقدية العربية، فتستهلكها تحت ضغط الخصاص المعرفي الحاد في هذا المجال، ويتلقّاها نقّادنا ومُثقّفونا، وغالبًا ما تكون مصدر خلاف وتصادم بين الجميع»[2]

وقد اختلف النّقاد الجزائريون في تفاعلهم مع المنهج السيميائي واتّضح اختلافهم في طرق التّعامل مع إجراءاته ومصطلحاته في ممارساتهم التّطبيقية، فمنهم من زاوج بينه وبين مناهج أخرى ومنهم من أخلص لمقولاته ولم يرض عنها بديلا.

ويُعدُّ النّاقد "عبد الحميد بورايو" من أوائل النّقاد الجزائريين الّذين لفتوا الانتباه إلى أهمية المنهج في الدّراسات النّقدية، وكان ذلك في بداية الثمانينيات في دراسة ضمّنها كتابه "منطق السّرد" بعنوان "نحو منهج لدراسة النّص الأدبي" جاء فيها:

«إنّ أوّل سؤال يُطرح على دارس الأدب هو: كيف تتم مواجهة النّصوص الأدبية؟ وماهي الوسائل الكفيلة بمعالجة صائبة لنص أدبي معيّن؟ لاشكّ أنّ المناهج النّقدية المختلفة المطروحة في السّاحة الأدبية تثبتُ جدارتها وتفوّقها أو العكس، بحيث تقلّ فعاليتها ويتأتّى فشلها من خلال تعاملها مع النّص الأدبي ومواجهتها له»[3]

لقد كان النّاقد على بيّنة بأنّ فعالية المنهج تتّضح من خلال قدرته على فكّ مغاليق النّص وكشف بؤره المعتمة، ولن يتأتّى له ذلك ما لم ينطلق من أسس معرفية تدرك خصوصيات النّص الأدبي في لغته وبنيته ومقاصده وسياقاته، والمتتبّع للمشروع النّقدي عند "بورايو" يجدُهُ منفتحًا على عديد المناهج النّقدية الحديثة، بِدْءًا من المنهج السّوسيولوجي ووصولا إلى مناهج تحليل السّرد وعلى رأسها المنهج السيميائي السّردي.

---

[1] – رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص10.

[2] – هامل بن عيسى، إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي، دراسة في نقد النقد، ص51.

[3] – عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ص2.

ففي منتصف السّبعينيات كان يميل إلى النّقد السوسيولوجي المتوائم مع قناعاته الإيديولوجية آنذاك وبخاصّة كتابات "جورج لوكاتش" وتحليلاته للرّواية الواقعية، لكنّه اكتشف «عجز المنهج السوسيولوجي عن مقاربة النّص التّراثي الشّعبي العربي عامّة والجزائري خاصّة، بسبب صعوبة الحصول على المعطيات السوسيولوجية المتحكّمة في إنتاجه، بسبب علاقته بحقب تاريخية موغلة في القِدم، لا تتوفّر عنها حاليّا أي معلومات سوسيولوجية»[1].

فكان لابدّ من التّحول إلى مناهج أخرى بعد أن تخصّص أكاديميّا في ميدان الأدب والثّقافة الشّعبية منذ سنة 1978، تاريخ مناقشته لبحث الماجستير الّذي أنجزه بمصر تحت إشراف الدكتورة "نبيلة إبراهيم" والموسوم بـ: "القصص الشّعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية" يقول عن هذه التّجربة «في مثل هذا الوضع وجدت نفسي في حاجة ماسّة إلى العودة إلى الدّراسات الميثولوجية والأنثروبولوجية والشّكلانية التي قدّمت نتائج هامّة في محاولة الاقتراب من الأشكال السّردية التّراثية، وهي مناهج لا أرى أنّها مخالفة تماما للمنهج السوسيولوجي، بل أجد فيها عناية كبيرة بالظروف الاجتماعية التي أنتجت المادّة الثقافية، غير أنّها ترجيء عادة التّفسير الاجتماعي، إلى مرحلة تالية للمرحلة الأولى المتعلّقة برصد الخصائص الشّكلية والطّبيعة الفنية للعمل المدروس»[2].

هذه الدّراسات الميثولوجية والأنثربولوجية والشكلانية، تمتحُ من معين غربي متعدّد الرّوافد، من التّحليل الوظائفي "لفلاديمير بروب" إلى البنيوية الأنثروبولوجية لـ"كلود ليفي شتراوس" و"البنيوية التكوينية" لـ"لوسيان غولدمان" إلى سرديات "كلود بريمون" وسيميائيات "غريماس" والجامع بين هذه الرّوافد تأثّرها بلسانيات "دي سوسير" وابتعادها عن النّقد الانطباعي وسعيها إلى علمنة الدّراسة النّقدية وذلك ما كان متوائمًا مع طموح النّاقد "عبد الحميد بورايو" السّاعي رفقة ثُلّة من رفاقه الجامعيين إلى إحداث نقلة نوعيّة في مجال الدّرس الأدبي «سوف يكون لها عميق الأثر في تطوير البحث الأدبي ونشر الوعي العلمي بأهميته وبآلياته، وربط جسوره بمختلف مستوياته ومناهجه في البلاد العربية وفي العالم، لعلّنا بذلك نستطيع أن نحقّق ما نصبو إليه من إحداث قطيعة مع التّعاملات الانطباعية الاختزالية والتّبسيطية للآثار الأدبية»[3].

ويبدو التّعدّد المنهجي واضحًا في بحثه الرّائد: "القصص الشّعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية" وهو طليعة بحوثه الأكاديمية في ميدان القصص الشّعبي إلاّ أنّه شهد «غياب تسميّة كثير من المناهج، مع توسّله

---

[1]- حمزة بسو، آليات التحليل النقدي عند عبد الحميد بورايو، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب الجزائري، جامعة سطيف2، كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية: 2012-2013، ملحق/ حوار مع عبد الحميد بورايو، أجراه الدكتور: علي ملاحي، ص149. نقلا عن الرابط: www.amaktaba.com

[2]- المرجع نفسه، ص149.

[3]- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص6.

بإجراءاتها من ذلك "البنيوية التّكوينية" السّيميائية السّردية، الشّعرية السّردية، الأنثربولوجيا البنيوية، ويُضاف إلى ذلك غياب مصطلحات نقديّة كثيرة مثل "المربع السيميائي" و"النّموذج العاملي"»[1].

وبالعودة إلى مقدّمة هذا البحث نجد النّاقد قد صرّح بالمنهج البنيوي حين قال: «وفي المرحلة الأخيرة من البحث قام الدّارس بتحليل نماذج من النّصوص، فكشف عن البنية التّركيبية لنموذج من كل نمط قصصي وبيّن علاقة هذه البنية بالبنية الأم التي تولدت عنها وهي البنية الاجتماعية، مستعينا في ذلك بالمنهج البنيوي»[2].

ولكن الرّبط بين بنية النّص والبنية الاجتماعية التي أفرزتها من صميم البنيوية التّكوينية، ولعلّ غياب التّسمية الصّريحة لهذه المناهج التي استثمر آلياتها في بحثه يعود إلى ريادة هذا البحث وعدم استقرار هذه المناهج والمصطلحات حتى في مظانّها الغربية[3].

والملاحظ أنّ هذا النّاقد كثيرًا ما يلجأ إلى التّركيب المنهجي في مقارباته التّطبيقية، فقلّما يُقصر دراسة من دراساته على منهج واحد «فالمناهج الغربيّة بإجراءاتها تمثّل بالنّسبة له مفاتيح لولوج النّص، ليتعامل معها فيما بعد بحرية ومرونة تامّتين، فيُخضع تلك الآليات المنهجية لتصوّره الخاص، لا لتصوّر المنظر الّذي أوجدها ومن ثم فتلك المناهج وآلياتها وسيلة لا غاية، فالغاية دائمًا وأبدًا بالنّسبة لبورايو هي النّص واستنطاقه والكشف عن بنياته ودلالاته ومضمراته»[4].

بعبارة أخرى، يُخضع النّاقد "عبد الحميد بورايو" المنهج للنّص ولا يتقيّد بإجراءاته تقيّدا صارمًا، فلا طاعة لمنهج —عنده– في معصيّة النّص، إنّه يتعامل بوعي نقدي مع هذه المناهج والنّظريات الغربية «وما الوعي النّقدي إلاّ إدراك للفوارق والمسافات التّاريخية القائمة بين بيئات نشأة هذه النّظريات وبيئات تطبيقها، وبذلك نكون قد وفّرنا التّربة الصّالحة لاستنبات هذه المفاهيم وتأصيلها في واقعنا العربي، بكلّ ما تحمله هذه الصّفة من خصوصيات حضارية وفكريّة متميّزة، بدل الاقتصار على استيرادها واستهلاكها فقط»[5].

وقد كان تفاعل "بورايو" مع المناهج الغربية باديّا في مقارباته النّقدية للحكايات الخرافية والشّعبية حين خالف "بروب" في تحليله الوظائفي بربط الوظيفة بالشّخصية وعدم الالتزام بترتيب الوظائف الّذي اقترحه. «ولم يكن للنّاقد أن يحقّق هذه الكفاءة الممارساتية الواعية، لو جعل السّلطة للمنهج على حساب النّص، فالنّصوص

[1]– حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص170.

[2]– عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986، ص6.

[3]– حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص170.

[4]– المرجع نفسه، ص186.

[5]– عبد العالي بوطيب، إشكالية تأصيل المنهج في النقد الروائي العربي، مجلة، عالم الفكر، المجلد السابع والعشرون، العدد الأول، يوليو/ سبتمبر 1998، ص20.

تتفاوت بنائيًّا وثقافيًّا، ومن ثمّ فمن الحكمة أن ينطلق النّاقد في المقاربة من معطيات النّص لا من معطيات المنهج وهذا الّذي ألفيناه في كيفية تعامل "يورايو" مع إشكالية المنهج، حين تصطدم صرامة المنهج بخصوصية النّص»[1]

وقد استثمر النّاقد "عبد الحميد بورايو" آليات المنهج السيميائي الغريماسي بوضوح في كتابه "المسار السردي وتنظيم المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة"، ولم يعْمَد في هذه الدّراسة إلى التّركيب المنهجي، فقد استمدّ أدواته المنهجية من المدرسة الغريماصيّة.[2]، فالكِتاب في أصله أطروحة دكتوراه خَضعت لصرامة المنهج وآلياته وشروط النّقد الأكاديمي.

ويلتزم النّاقد "رشيد بن مالك" في جميع دراساته إجراءات السيميائية السّردية الغريماسية على اختلاف المدوّنات النّصية التي اشتغل عليها، من قصص قصيرة وروايات وخرافات ونصوص تراثيّة، بحكم تلقّيه للمعرفة السيميائية من مظانّها حيث أُتيحت له فرصة متابعة دراسته بجامعة السّوربون: «أين تحصّل على شهادة الدّراسات المعمّقة سنة 1982 وشهادة الدكتوراه من الجامعة ذاتها سنة 1984، وقد كان سجّل آنذاك بإشراف الأستاذة "ندى طوميش" والتي كان لها الفضل هي والأستاذ "دانيال ريغ" في توجيهه إلى دروس "غريماس" والاستفادة من طروحاته النّظرية وأدواته المنهجيّة»[3]

كما اختلف هناك إلى دروس جهابذة السّرديات أمثال: "جوزيف كورتيس"، "جيرار جينيت"، "جوليا كريستيفا" وغيرهم من النّقاد والدّارسين. ويُصرّح "رشيد بن مالك" بخياراته المنهجية في مستهلّ الدّراسات التّطبيقية التي يقارب فيها نصوصًا سردية وفق إجراءات المنهج السيميائي هادفًا من خلال ذلك «تثبيت قواعد البحث العلمي وتجاوزها المعالجات الكلاسيكية للنّصوص التي جمّدت الفكر وحصرته في أطر لا تتجاوز الأحكام المعيارية»[4]

وهو في كلّ مرّة يُنوّه بفعالية هذا المنهج وتميّزه عن المناهج التّقليدية كما في قوله: «تهدف هذه الدّراسة إلى إلقاء حزمة أخرى من الضّوء على السيميائية، بوصفها خيارًا منهجيا مغايرًا للمناهج النّقدية التّقليدية، بما يُساعد على تطوير "سيميائية عربية" ليست نسخة حرفيّة أو مطابقة للسيميائية في الغرب»[5]

[1] – حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص179.

[2] – ينظر، عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، ص5.

[3] – حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص294.

[4] – رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص49.

[5] – رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص7.

ورغم أنّ هذا النّاقد لم يتجاوز المنجز النّقدي الغريماسي في بحوثه ودراساته، إلاّ أنّه استطاع أن يرسّخ هذا الاتجاه في تحليل النّصوص السّردية بالخصوص «بحثًا عن تمفصلات الدّلالة وكشفًا عن آليات اشتغالها انطلاقا من القواعد التي أرساها "غريماس" ومشايعو توجّهه»[1]

إلاّ أنّ الحصريّة المنهجية التي ميّزت تجربته النّقدية إشكاليّة في حدّ ذاتها «لأنّه ما من منهج إلاّ وتعتوره نقائص، لاتُجبرُ إلاّ بما تملكُه مناهج أخرى من مستويات تحليلية»[2]

وقد أشار النّاقد "عبد القادر شرشار" في كتابه "تحليل الخطاب السّردي وقضايا النّص" إلى وجود اتّجاهين كبيرين لتحليل النّصوص السّردية في المقاربات النّقدية للنّص الرّوائي العربي:

– **الاتجاه الأول:** لا ينطلق من مرجعيّة محدّدة وتصوّرات مُسبقة لتحليل النّص، بل يعتمد عدّة مناهج بحثا عن مدلولات هذه النّصوص، وهو اتّجاه مرن يتأقلم مع مختلف النّصوص ويتواءم مع متطلبات النّص واستدعاءاته.

–أما **الاتجاه الثاني**، فيعلن عن انتمائه إلى منهج بعينه، ويلتزم بخلفياته الفلسفية والنّقدية ومفاهيمه الأساسية.[3]

وقد سلك "رشيد بن مالك" الاتجاه الثّاني الّذي يتيح للقارئ «سُبل العودة إلى المصادر والمراجع المعتمدة كما يتيح إمكانية الاستمرار في المغامرة والبحث، غير أنّ هناك من رأى في هذا المنهج عِلَلاً بارزة منها: إخضاعه النّص لرؤية مسبقة، تُفقده خصوصيته المتميّزة ليندرج في إطار مرسوم سلفًا، يسقِطُ منه ما لا يتّفق مع شبكة رؤاه وهواجسه، وهو باختصار، عملية قسر خطيرة لا تستبعد البتر أو التحوير، تضخيمًا أو تقزيمًا يُهدّد الاتجاه المنهجي العام»[4]

ومما لاشكّ فيه أنّ النّاقد "رشيد بن مالك" تمثّل المنهج السيميائي في اتّجاهه الغريماسي بخلفياته النّظرية والفلسفية ومصطلحاته ومفاهيمه وإجراءاته التّحليلية، إلاّ أنّ التزامه الصّارم بأسس السيميائية السّردية «واتخاذه إيّاها منهجًا وحيدًا وخيارًا فريدًا، جعل مقارباته للنّصوص السردية متشابهة متقاربة، فالمرجعيّة واحدة والإجراءات ثابتة، كما أنّ إغراق النّموذج التّحليلي في التّجريدية وإمعانه في اصطناع الخطاطات والأشكال، وسم تلك المقاربات بنوع من الشّكلنة والجفاف، وهو ما أفقد النّصوص المعالجة كثيرًا من طاقتها الجماليّة والرمزيّة والدّلالية والمرجعيّة»[5]

---

[1]– حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص274.

[2]– المرجع نفسه، ص288.

[3]– ينظر، عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السّردي وقضايا النص، ص205-206.

[4]– المرجع نفسه، ص207.

[5]– حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص305.

وهي حالة لا يختصّ بها النّاقد الجزائري "رشيد بن مالك" فقط، بل تكادُ تشمل النّقد العربي المعاصر عامّة، فهذه النّظرة المنبهرة بالمناهج النّقدية الغربية «حصرت غاية النّاقد العربي في التّطبيق الحرفي والصّارم والدّقيق لهذه المناهج، من دون حذف أو إضافة أو تعديل أو اختيار لما يتناسب مع طبيعة النّص المدروس، كأنّ المناهج الغربية مثلٌ أعلى يجبُ أن يُحتذى، فيكون بذلك الحذف والتّعديل مساسًا بحرمته وانتقاصًا من قيمته، أو كأنّ هذه المناهج معرفة مقدّسة لا يصحّ المساس بقداستها»[1].

إنّ الإشكالات المنهجيّة في النّقد العربي المعاصر نابعة في الأساس من كون هذا النّقد وافد من حضارة مغايرة ولغات مختلفة، وأنّ الوضع المتردّي الّذي تعيشه الأمّة العربية في حاضرها جعلها عاجزة عن تقديم بدائل منهجيّة مقنعة ترتكز على تراثها النّقدي الباذخ، بدلاً من هذا السّعي لاستيراد مناهج جاهزة قد لا تنسجم وخصوصيات النّص العربي المختلف ثقافةً ورؤيةً ومقصدًا، لذا كانت المقاربات النّقدية العربية المعاصرة على اختلاف مناهجها «محاطة بسياج إشكالية المنهج، فأحادية المنهج إشكالية، والتّركيب المنهجي كذلك، والتّطبيق الآلي إشكالية منهجية، والممارسة التّطبيقية الحرّة بشكل مطلق إشكالية أيضا، وذلك لغياب الضّوابط المؤطّرة لتلك الممارسة، ناهيك عن إشكالية غربة المنهج وانبثاقه عن نصوص ذات خصوصية حضاريّة وثقافيّة وفنيّة ومرجعيّة مُغايرة للنّص العربي وخصوصياته، يُضاف إلى كلّ ذلك إشكالية المصطلح النّقدي وهي إشكالية سليلة إشكالية المنهج»[2].

ومن النّقاد الجزائريين الآخرين الذين لامسُوا هذه الإشكالية المنهجية، النّاقد "السعيد بوالطاجين" في مقدّمة دراسته "الاشتغال العاملي"، فقد لاحظ أنّ «المناهج كلّها في حركة مستمرّة بحثًا عن ذاتها، وعن طريقة مُثلى لامتلاك النّص، أضف إلى ذلك التّطبيقات المكرّرة لأدوات إجرائية تدفع إلى التّساؤل عن ديمومتها ومآلها وعن مدى قدراتها على الإلمام بإنتاجنا المعرفي وخصوصياته»[3].

والملاحظ أنّ النّاقد قد أحاط بأبرز تجلّيات الإشكالية المنهجية، فالمناهج الغربية التي يجتهد النّاقد العربي في تمثلها وتطبيقها في حركة مستمرّة وتحوّل دائم، وما يكاد المنهج يستقرّ في السّاحة النّقدية العربية حتى تفاجئنا الدّوائر النّقدية الأكاديمية الغربية بمنهج بديل يتجاوز المنهج الأول ويكشف هناته وقصوره وينتصب بديلاً عنه و«لا شيء يوضّح تواضع التّجربة النّقدية العربية في مجال المثاقفة، أكثر من المقارنة بين التّردّد الّذي يعيشه النّاقد

[1]- علي صديقي، المناهج النقدية الغربية في النقد العربي المعاصر، مجلة عالم الفكر، العدد4، المجلد41، أفريل- يونيو 2013، ص135.

[2]- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص313.

[3]- السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "إذا يوم جديد" لابن هدوقة عينة، ص9.

والمفكّر العربي في مراجعة منهج من المناهج المتبنّاة من الغرب، والجُرأة التي يقوم بها مفكّر غربي بمراجعة لا المناهج فحسب، وإنّما العلوم التي تعود إليها تلك المناهج»[1].

كما نبّه النّاقد إلى خطورة التّطبيق الميكانيكي للمناهج النّقدية الغربية، التي قد لا تتواءم مع خصوصيات النّص العربي، وهي الانتقادات ذاتها التي وُجّهت إلى التّطبيقات السيميائية العربية من طرف باحثين آخرين والتي «تشترك في كون معظمها عبارة عن تمارين شكليّة جاءت تحاكي الدّرس السيميائي الغربي، تغفل الجوانب المرجعيّة والمضمونيّة والأبعاد الإيديولوجية، حيث كثيرًا ما تخلط بين المناهج ومرجعياتها تلفيقًا وانتقاءً. أمّا النّتائج المتوقّعة فغالبًا ما تأتي من قبيل تحصيل الحاصل، نتيجة للإفراط في عملية تسويد الأوراق المرفقة بالأشكال العديدة والجداول واللوغاريتمات والرّسومات الهندسية والأسهم التّواصلية، ولكن الفائدة قليلة جدًّا، تتمثّل في لعبة التفكيك والتّركيب، وغموض المصطلحات دون الحصول على معارف جديدة، ماعدا القليل من الدّراسات والأبحاث الجادّة التي حاولت أن تتحرّر من إسار التّقليد»[2].

ولعلّنا من خلال ما سبق نكون قد رصدنا بعضًا من تجليات الإشكالية المنهجية في النّقد الجزائري المعاصر في مجال السيميائيات السّردية، فقد اختلف النّقاد في تفاعلهم مع هذا المنهج ولجأ بعضهم إلى اعتناق آلياته وإجراءاته دون نقد أو تحوير فيما اعتمده بعضهم بتكييفه مع خصوصيات النّص وتطعيمه بمناهج أخرى من أجل إضاءة كافية للنّص تكشف تمفصلاته وتغوص على المعنى فيه.

2- إشكالية المصطلح:

لا نُريد الخوض في هذا السّياق في تعاريف المصطلح ومفاهيمه فقد اضطلع الباحثون في مختلف التّخصصات بهذه المهمّة، وتقاربت رؤاهم في هذا الشّأن، ومن تعريفاته التي تنسجم مع مقتضى الحال تعريف "يوسف وغليسي" القائل: «وعموما فإنّ المصطلح علامة لُغوية خاصّة تقوم على ركنين أساسيّين، لا سبيل إلى فصل دالّها التّعبيري عن مدلولها المضموني، أو حدّها عن مفهومها أحدهما الشّكل (forme) أو التّسمية (dénomination)، والآخر المعنى (sens)، أو المفهوم (notion) أو التّصور (concept) يوحّدهما "التّحديد" أو التّعريف" (définition)، أي الوصف اللّفظي للمتصوّر الذّهني»[3].

---

[1]- سعيد البازعي، استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص186.

[2]- هامل بن عيسى، إشكالية الخطاب السيميائي في النّقد الأدبي المغاربي، ص95.

[3]- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد، ص27-28.

ولعلّ ما يميّز هذا التّعريف إلى جانب إيجازه، هو تركيزه على الخصائص الشّكلية البنيوية للمصطلح بغض النّظر عن ارتباطه بحقل معرفي مُعيّن، فالجامع بين المصطلحات، كونها علامات لغويّة لها دالٌّ ومدلول يوحّد بينهما تعريفا أو مفهومًا، وهي إلى اختلافها يوحّدُها الحقل الّذي تنتمي إليه أو المجال المعرفي الّذي تتداول فيه، فهي لغة متخصّصة تتداول بين متخصّصين وتكتسب قيمتها من مدى فعاليتها في تحديد المفاهيم وتوضيحها، ومن هنا يتوضّح الفرق بينها وبين الكلمات فهذه الأخيرة «تنتمي إلى اللّغة العاميّة وتستقي قيمتها ليس من العالم الخارجي الّذي تدلّ عليه، وإنّما من العلاقة التي تربطها فيما بينها بمعزل عن العالم الخارجي الّذي تدلُّ عليه»[1].

إنّ التّحكم في اللّغة المصطلحية هو تحكّم في المعرفة وأنساقها، ومظهر من مظاهر النّضج الحضاري لدى الأمم والشّعوب، فبمقدار حرصها على تحديد مصطلحاتها وتدقيقها يتحدّد موقعها على درجات سلم الحضارة «فالمصطلح هو تعميم أو تجريد ذهني لظاهرة أو حالة أو إشكالية علمية أو ثقافية، ولذا فهو يقترن بنضج ظاهرتي التّعريفات والتّصنيفات العلمية في أية ثقافة إنسانية، وهو من الجانب الآخر مظهر مهم من مظاهر الوحدة الذّهنية والثقافية للأمّة، كما يمثّل في الجانب الآخر قاسمًا مشتركًا بين الثّقافات الإنسانية المختلفة»[2].

فالمصطلحات –شأنها شأن بقية المعارف الإنسانية– تُهاجر من لغة إلى أخرى عن طريق الترجمة، فتغدو إرثا ثقافيا إنسانيا يتلوّن بألوان اللغات والثّقافات التي تحتضنه وتتعدّد بتعدّد العلوم والمعارف التي تتداوله ومن المفيد التّذكير في هذا السّياق، بأنّ المصطلح أداة تقنيّة يستعين بها الباحث على تحليل النص، ومن ثم لن يكون بديلاً عن المعرفة «فما يميّز هذا المحلّل أو ذاك، هو هذه المعرفة، وليس مصطلحات لا تسمن ولا تُغني من جوع، فقراءة نصّ ما لا تحتاج إلى أدوات تقنيّة فحسب، بل تستدعي كشرط لكلّ تحليل جيّد، معرفة تسمح للمحلِّل بتحديد ما لا يراه غيره من غير المختصّين»[3].

ولاشكّ أنّ الإلمام بالنّظريات المعرفية التي أفرزت المصطلح، ومعرفة جذوره الاشتقاقية وسياقات تداوله في ثقافته الأصليّة، يمكّن الباحث من توظيفه توظيفًا سليمًا يسِمُ معرفته بالدّقة المنهجيّة والوثوقية ووضوح القصد.

---

[1]– ماري كلود لوم، علم المصطلح، مبادئ وتقنيات، تر/ ريما بركه، مراجعة: بسام بركه، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، حزيران (يونيو) 2012، ص18.

[2]– فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص170.

[3]– قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص226.

ومادام النّقد معرفة لها أصولها وقواعدها ومناهجها واصطلاحاتها، فمن الضّروري مقاربة إشكاليّة المصطلح النّقدي التي ما فتئت تتفاقم في ميدان البحوث السيميائية بالخصوص، ولابُدّ بداية من تحديد مفهوم للمصطلح النّقدي، ومن ثمّ نستعرض ملابسات هذه الإشكالية وأسبابها ومظاهرها وسبل تجاوزها.

فقد عرّفه "يوسف وغليسي" بأنّه: «رمز لغوي (مفرد أو مركّب) أحادي الدّلالة، مُنزاح نسبيًّا عن دلالاته المعجميّة الأولى، يُعبّر عن مفهوم نقدي محدّد وواضح، مُتفق عليه بين أهل هذا الحقل المعرفي، أو يُرجى منه ذلك»[1].

وإذا أسقطنا هذه الخصائص على المصطلح النّقدي العربي المعاصر، واختبرنا مدى اتّصافه بالمواصفات المذكورة سنقف على تجلّيات الاشكالية الاصطلاحية من حيث ضبابية المفهوم، وتشتّت جهود المترجمين واختلاف مصادرهم المعرفية، وعدم اتّفاق النّقاد على مفهوم واحد للمصطلح الواحد، وغيرها من مظاهر هذه الإشكالية.

وتتعدّد أسباب هذه الاشكالية وتتنوّع، فمن البديهي أنّ من يُنتج المعرفة هو مَنْ يُنتج المصطلح والمصطلح جزء من المنظومة المعرفية التي أنتجته «ذلك أنّ أي مفهوم يمثّل في حقيقته خلاصة أفكار ونظريات وفلسفات معرفية في النّسق المعرفي الّذي أوجَدَهُ وينتمي إلى بنائه الفكري، إذْ غالبًا ما يتجاوز المفهوم بناءه اللّفظي ويتخطّى جذره اللّغوي ليعكس كوامن فلسفة الأمّة التي أنتجته ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها وما استبطنته ذاكرتها المعرفية من محمولات إيديولوجية»[2].

فالمصطلح إذًا، جزءٌ لا يتجزّأُ من المنظومة المعرفيّة التي أنتجته، ولابدّ أن يكون النّاقد على وعي بهذه الخلفية المعرفيّة وهو يقوم بترجمته إلى لُغةٍ أخرى أو يختبر كفاءته الإجرائية في مقاربة نص من النّصوص، «إذْ تكتسي مسؤولية تقديم المصطلح من حقل معرفي أجنبي غربي إلى حقل عربي أهميّة بالغة لدى الدّارسين، ولذا وجب على الباحث إدراك أنّه يُقدّم مصطلحا جديدًا، وعليه السّعي إلى توضيحه وتبسيطه توضيحًا وتبسيطًا منهجيًا مقصودًا، ذلك أنّ كلّ مصطلح أو منهج إلاّ ويحمل في طياته مجموعة من القناعات، وهذا يعني وجود خلفية فكريّة تختصر نفسها ورؤيتها وتفسيرها من خلال المصطلح النّقدي»[3].

---

[1]- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص24.

[2]- لحسن دحو، كاريزما المصطلح النّقدي العربي، تأملات في الوعي النّقدي وصياغة المفهوم، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السابع، 2011، ص213.

[3]- العبدي فتيحة، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، دراسة في مصطلحات التحليل السيميائي، رسالة ماجستير، إشراف: عبد القادر شرشار، جامعة وهران، السانية، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2014/2013، ص27.

وبما أنّ النّقد العربي المعاصر يعيش تبعية للنّقد الغربي، كانت الترجمة هي المعبر الّذي سلكته المناهج والمصطلحات الغربية إلى النّقد العربي، وكانت هذه التّرجمة من أهم أسباب الإشكالية الاصطلاحية التي يعيشها هذا النّقد راهنًا «فهذه الأزمة المصطلحاتية، إنّما ترجع في الواقع، إلى عملية ترجمة المصطلح، ومحاولة إيجاد اسم لم يُنتجه الفكر الهدف، ذلك أنّ التّرجمة هي تعبير عن المفهوم الخاص بواسطة دال ثانٍ، يعمل في نظام لغوي مختلف»[1].

وأمام تشتّت جهود المترجمين واختلاف مصادرهم المعرفيّة وتنوّع اللّغات التي يترجمون عنها، ألفينا تفاقما للإشكالية الاصطلاحية «لأنّها ذات أبعاد متعدّدة، فالبعد الأساسي يكمن في تحديد مفاهيم قطعيّة حول المصطلحات النّقدية، والتّذبذب الواقع في ضبط المفاهيم مرجعه إلى إشكالية التّرجمة، فكُلٌّ يُترجم حسب مرجعيته الخاصّة، فغياب ترجمة جماعية واعية، ولّدت فوضى عارمة في المفهوم، وهذا أحدث بدوره تراكمًا في المصطلحات دون التّمييز بين الحدود الفاصلة بين كلّ منها فظَهَرَ عدم التّحكم في آلية الإجراء»[2].

لقد جنت هذه الفرديّة على المصطلح النّقدي العربي، فألفينا مقابلات عربية عديدة للمصطلح الأجنبي الواحد، وهذه المقابلات تتعدّد أحيانًا مفاهيمها حسب فهم المترجم ودرجة تمثّله للخلفيات المعرفية التي يتأسّس عليها المصطلح الّذي يترجمه.

ومن مظاهر هذه الفرديّة أيضا، تجاهل بعض النّقاد للمصطلحات الشّائعة المكرّسة عند غيرهم صنيع "عبد الملك مرتاض" «الّذي يعمد إلى نحت مصطلحات مغايرة لما أَلِف الدّارسون التّعامل معه، فقد اقترح مصطلح "سردانية" للإحالة على (Narratologie) ومصطلح سرديات للإحالة على Récit، وهو ما يدعو إلى تنافر جهود الباحثين والمترجمين العرب في سعيهم في توحيد المصطلح النّقدي»[3].

ومعلوم أنّ المقابل العربي السّائد لمصطلح "Narratologie" هو علم السّرد، أمّا مصطلح "Récit" فيُقَابل في العربية بحكاية.

ويشير النّاقد "رشيد بن مالك" إلى هذه الفرديّة التي طبعت ترجمة المصطلحات السيميائية وانعكاساتها السّلبية على تلقّي هذه المعرفة بقوله: «وقد لاحظت من خلال اطلاعاتي المتواضعة على مختلف الإنجازات السيميائية العربية، التي تكاد تكون محدودة في مجال التّرجمة، وغير دقيقة ومبهمة ومتضاربة في أغلب الأحيان، أنّها

[1] – زهيرة قروي، التأسيس النظري لعلم المصطلح، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، عدد 29، جوان 2008، ص282.

[2] – بوفادنية مصطفى، المصطلح السردي بين جاهزية المفهوم وإشكالية الترجمة، مجلة دراسات معاصرة، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، المركز الجامعي، تيسمسيلت، الجزائر، السنة 02، المجلد 02، العدد 03، يناير 2018، ص184.

[3] – سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص193.

تفتقد إلى الحوار والتّنسيق والتّماسك المفهومي والمقاربة النّسقية في التّفكير في ترجمة المصطلح، وتأبى الإصغاء إلى الآخر، وحتى أصحابها لا يملكون الاستعداد لبناء مشروع منخرط في إطار التحري الجماعي»[1]-

إنّ هذا الانفصال بين الباحثين والمترجمين العرب على الصّعيدين الوطني والقومي زاد من تفاقم إشكالية المصطلح، وأثّر سلبا على تلقّي هذه المعرفة وتداولها، «حيث كثرت البحوث الفردية التي تعدّدت معها الخطابات النّقدية واختلفت في مقاصدها العلميّة وأصبحنا إزاء ترسانة من المصطلحات، تعبُرُها سيميائيات لا يَتبيّن القارئ حدودها ولا معالمها، وهي في جميع الحالات لا ترقى لأن تمثّل تراكمات تُقرأ كأحسن ما تكون القراءة»[2]-، ويبدو النّاقد "رشيد بن مالك" من خلال بحوثه ودراساته وترجماته، مُنفتحًا على النّقاد المشتغلين بالدّرس السيميائي عربًا وعجمًا و«يمكن لأيّ متصفّح لمؤلّفات هذا النّاقد اكتشاف التّلاقح والتّخاطب بين آراء الباحثين وبينه في كثير من الأحايين خاصة فيما يتعلّق بالتّرجمة، يتجلّى ذلك في محاوراته واشتراكه في إعداد ترجمات عديدة مع كلّ من: عبد الحميد بورايو، عبد القادر بوزيدة، السعيد بنكراد، عز الدين المناصرة، آن إينو، برنار بوتيي، جان كلود كوكي، وعبد القادر هني ... الذين كثيرًا ما مُنيُوا (كذا) بالشّكر والعرفان من النّاقد»[3]-

وبدلاً من أن تكون الترجمة وسيلة لتيسير التّواصل بين المصطلح السيميائي الغربي والقارئ العربي، صارت عائقا يحول دون بث وتلقي المعرفة بطريقة سلسة وصحيحة «فالقارئ العادي، يستنتج بسهولة أنّ علّة وجود عملية التّواصل غير قائمة، مادامت التّرجمة لا تؤدّي وظيفتها الطّبيعية وهي نقل المعرفة والمفاهيم المستجدّة في الدّوائر العلميّة من اللغة الأصليّة إلى اللّغة الهدف، في مصطلحيّة شفّافة وموحّدة»[4]-، ولكي تؤدّي التّرجمة وظيفتها الأساسية، كونها وسيطًا معرفيًّا بين اللّغات والثّقافات لابُدّ أن تنطلق «من قراءة النّص الأصل وتمثُّله وفهم مصطلحاته الأساسية في ضوء الإحاطة بأسبقيتها النّظرية والنّظر إليها من زاوية تتيح الوقوف عليها في علاقتها بالمصطلحية المعتمدة في التّوجه السيميائي»[5]-

---

[1]- رشيد بن مالك، المصطلح السيميائي من خلال مشروع مدرسة باريس السيميائية، المعجم المعقلن لنظرية اللغة/ أ.ج كريماس نموذجا، مجلة بحوث سيميائية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، مجلد6، عدد9، ص10.

[2]- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص24.

[3]- سهام أوصيف، تأصيل المصطلح السيميائي في النقد المغاربي، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ.د السعيد بوطاجين، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الآداب واللغة العربية، السنة الجامعية 2018/2017، ص116.

[4]- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص72.

[5]- رشيد بن مالك، إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية، مجلة علامات في النّقد، تصدر عن النادي الثقافي بجدّة، السعودية، الجزء53، المجلد14، رجب 1425هـ سبتمبر 2004م، ص326.

وقد كانت التّرجمة غير الدّقيقة إذن من أبرز العوائق التي حالت بين القارئ العربي والمعرفة السيميائية الغربية، لاسيّما وأنّ هذه الأخيرة مستعصية الفهم حتى في لغتها وبين روّادها، فكيف إذا تُرجمت ترجمة غير أمينة وغير دقيقة إلى لُغة أخرى، إنّها تصير أشبه بالمعمّيات والألغاز.

وقد استشعر "رشيد بن مالك" هذه الصّعوبة وهو يقرأ "المعجم المعقلن لنظرية اللّغة" لمؤلفيه "أ.ج. كريماس" و"ج.كورتيس" فيقول: «إنّي أتوقّع أن تكون هذه الرّحلة العلميّة مع القارئ العربي شاقّة، وهذا لضروب المعرفة الغزيرة التي ينهض عليها المعجم، ولصرامة خطابه العلمي الّذي جاء في لغة متماسكة، ولكنّها مستعصيّة على الفهم حتى عند المتخصّصين الفرنسيين في الدّرس السيميائي المعاصر»[1]

وإزاء هذه الخطاب المبهم، تفاقمت الإشكالية الاصطلاحيّة في النّقد العربي المعاصر واتّخذت مظاهر مختلفة تكشف جميعها حالة من الارتباك والفوضى ويتّضح ذلك من خلال:

«أ- الترجمات العديدة للمصطلح الواحد: تُرجم مصطلح connotation إلى: التّضمّن/ الدّلالة الحافّة/ الطاقة الإيحائية/ الدّلالة المتحوّلة.

ب- التّرجمة الواحدة لمصطلحين مختلفين: "ترجم ج. بوهاس"، "ج.ب.غيوم" و"جمال الدين كولوغلي" مصطلحي "Narration" و"Récit" بالسّرد و"يوسف غازي" "Sémiologie" و"Sémiotique" بالأعراضة.

ج- التّرجمتان المختلفتان للمصطلح الواحد: ترجم "عبد العزيز طليمات" مصطلح "Disjonction" بالانفصالات والانفكاكات دون أن يلزم نفسه بترجمة واحدة، وكذلك فعل "سامي سويدان" الّذي ترجم " Histoire" بالحكاية والخبر»[2]

وبالعودة إلى دراسة "يوسف وغليسي" "فقه المصطلح السيميائي – قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنّصوص أنموذجا-"، نُلْفي النّاقد "رشيد بن مالك" «قد وقع فيما كان نبّه إليه من تجليات اضطراب الفعل الاصطلاحي فقد تَرجم مصطلح Immanence بالملازمة والمحايثة. وهما ترجمتان مختلفتان لمصطلح واحد وترجم مصطلحي (Ellipse) و(Virtualisation) بمقابل عربي واحد هو "إضمار"»[3]

وليس ببعيد عمّا رصده النّاقد "رشيد بن مالك" من اضطراب للفعل الاصطلاحي العربي، يحصر النّاقد "يوسف وغليسي" تجليات الإشكالية الاصطلاحية في كون: «المصطلح الأجنبي قد يُنقل بمصطلح عربي مُبهم الحد والمفهوم، أو أن المفهوم الغربي الواحد قد يُنقل بعشرات المصطلحات العربيّة المترادفة أمامه، أو أنّ المصطلح الغربي

[1]- رشيد بن مالك، المصطلح السيميائي من خلال مشروع مدرسة باريس السيميائية، مجلة بحوث سيميائية، مجلد6، عدد9، ص9.

[2]- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص71-72.

[3]- يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2009، ص327، 328.

الواحد قد يردُ مقابلا لمفهومين عربيّين –أو أكثر– في الوقت ذاته، أو أنّ الناقد العربي الواحد قد يصطنع مصطلحًا فيه كثير من التصرّف –زيادة أو انتقاصًا في مقابله الأجنبي، وما إلى ذلك من المظاهر الإشكالية»[1].

ومن مظاهر الاشكالية الاصطلاحية الأخرى، تذبذب الباحث الواحد في اعتماد ترجمة واحدة حاسمة للمصطلح الأجنبي الواحد، يقول "رشيد بن مالك" مسوّغا توظيفه مصطلح "التحريك" في مقابل المصطلح الأجنبي Manipulation «تراجعنا في هذه الدّراسة عن ترجمة الاستعمال بوصفه مقابلا لـ: Manipulation، ذلك أنّنا أدركنا من خلال معاينتنا للوضع المصطلحي في الدّراسات اللّسانية والسيميائية العربية الرّاهنة، أنّ مصطلح الاستعمال يوضع في الأعم الأغلب كمقابل لـ Usage، وتبنّينا بعديًّا مصطلح "الإيعاز" للدكتور "عبد الحميد بورايو"، وقد تبيّن لنا أنّه يحيلُ فقط على جانب مفهومي واحد في المصطلح [الأمر] ولا يُغطّي مساراته الدّلالية الفرعيّة، ولحلّ هذا الإشكال مِلنا إلى استعمال مصطلح التحريك للدكتور "بن كراد سعيد" في كتابه الموسوم "مدخل إلى السيميائيات السردية، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، المغرب 1994"، وهي الترجمة نفسها التي وضعها أستاذنا الدّكتور "دانييل ريغ" في قاموس السّبيل (لاروس، باريس 1983)، وإذا دقّقنا النّظر في هذه التّرجمة نلاحظ أنّ التحريك يحقّق الفاعلية من جانب واحد المحرّك، ولا يشمل اللّحظة التي قد تمّ فيها التّواصل المبني على الخطاب البرهاني الّذي سخّر فيه وسائل الإقناع، سواء تعلّق الأمر بالمحرّك أو فاعل الحالة، لهذه الاعتبارات النّظرية نتحفّظ في استعمال التّحريك ونقترح على السّادة الأساتذة المتخصّصين مصطلح "التّفعيل" المشتق من فعّل الّذي يغطّي المسارات الدّلالية لفعل الفعل Faire-faire، وقد عرضنا هذه التّرجمة على الأساتذة: بورايو عبد الحميد، بوزيدة عبد القادر، وبيرنار بوتي (مؤخرا في جلسة علمية جمعتني به بتاريخ 2000/11/4 في باريس) فأبدوا موافقتهم المبدئية على هذه التّرجمة»[2].

وقد نقلنا هذا النّص على طوله لتبيين المسار الّذي قطعه مصطلح واحد عند ناقد واحد قبل أن يستقرّ على مقابل عربي لا يلقى الإجماع عند كل المشتغلين بحقل المصطلح السيميائي.

يتوضّح هذا المسار في الخطاطة التالية:

Manipulation ← الاستعمال ← الإيعاز ← التّحريك ← التّفعيل.

[1]– يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص55.

[2]– رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، السداسي الأول، 2001، هامش الصفحة 27.

والملاحظ أنّ النّاقد ينتهي إلى اقتراح التّفعيل كمقابل للمصطلح الأجنبي ولكنّه يوظّف في متن الدّراسة مقابلا آخر هو "التحريك"[1] دون مسوّغ واضح.

كما يكشف النّص الجهود التي يبذلها هذا النّاقد في سبيل مصطلح محكم الدّلالة واضح المفهوم دقيق الصّياغة، ويكشف في الوقت ذاته تجرّده من النّزعة الفرديّة وإصغاؤه إلى الآراء الأخرى من أجل تجاوز الإشكالية الاصطلاحيّة.

ولم يكتفِ النّاقد الجزائري باستعراض تجليات الإشكالية دون السّعي إلى تجاوزها وإيجاد الحلول لها، ويقدّم "رشيد بن مالك" تجربته في هذا السّياق، فقد قرأ المصطلح السيميائي في لغته وتابع التّلوينات التي يأخذها أثناء التّطبيق بقراءة ما كتبه "غريماس" ورفاقه طيلة خمسين عامًا حول المصطلح أو الفكرة، من أجل محاصرة السّياقات النّظرية أو التّطبيقية التي وردت فيها هذه الفكرة أو المصطلح، كما أنّه اجتهد في قراءة التّرجمات العربية لهذه المصطلحات والأفكار بغية اكتشاف مدى مطابقتها للمفاهيم التي تحملها في لغتها الأصلية.[2]

ولاشك أنّ العودة إلى الأصول المعرفيّة التي أفرزت المصطلح والإلمام بالسّياقات النّظرية والتّطبيقية التي تداولته يجعل التّعاطي معه –ترجمة وتوظيفًا– عن دراية ووعي، ذلك لأنّ: «توفّق المصطلح في أدائه لمفهوم معيّن، يوكل أمرهُ إلى الاستعمال أولاً، ثمّ إلى مدى توافر شرطي الصّحة والملاءمة الاصطلاحيين، أمّا شرط الصّحة فيتمثّل في الضّبط المفهومي للمصطلح، أي القيام بالتّعريفات المرجعية الضّرورية، إذ المتبقي من العلوم معانيها، أمّا الملاءمة فتحصل بحيازة اللّفظ المقترح للاصطلاح الاستساغة اللاّزمة»[3]

فالتّداول والصّحة والملاءمة هي العناصر التي ينبغي توافرها في المصطلح ليؤدي دوره المعرفي وفعاليته الإجرائية، ولن تتأتّى للمصطلحات هذه الفعالية الإجرائية إلاّ إذا ارتكزت على مفهوم واضح في لغتها الأصلية وتوافقت مع إحالاتها الدّلالية في اللّغة الهدف والتّأكد من اطراد هذه المصطلحات في التّداول والاستعمال.[4]

ويقترح النّاقد "رشيد بن مالك" خطّة لترجمة المصطلح السيميائي تبدأ أوّلا: «بحصر المصطلحية في المعاجم والبحوث العربية المتخصّصة، ونجنح ثانيا إلى ترجمة ما استعصى نقله وفق عمليات التوليد والاشتقاق والتعريب

[1] – ينظر، رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص27.

[2] – ينظر، رشيد بن مالك، المصطلح السيميائي من خلال مشروع مدرسة باريس السيميائية، مجلة بحوث سيميائية، مجلد6، عدد9، ص10.

[3] – زهيرة قروي، التأسيس النظري لعلم المصطلح، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، عدد29، جوان 2008، ص288.

[4] – يُنظر، رشيد بن مالك، إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية، ص318.

ينبغي أن تندرج هذه الخطوة المنهجية ضمن مشروع عملي لا يملك قيمته الحقيقية إلاّ إذا تحوّل إلى موضوع تحرّ جماعي»[1]

وهكذا تتوضّح خطّة "رشيد بن مالك" لتجاوز الإشكالية الاصطلاحية في مجال السيميائيات السّردية خصوصًا وذلك بالعودة إلى هذه المصطلحات في مظانها ومساءلة السّياقات التي وُظّفت فيها، والاستعانة بالترجمات العربية المتخصّصة، واللّجوء إلى التّعريب والتّوليد والاشتقاق لترجمة ما استعصى منها، وهي خطة لن يُكتب لها النّجاح إلاّ إذا تضافرت جهود الباحثين العرب وانخرطت في مشروع تحرّ جماعي. وتُلخّص الباحثة "سهام أوصيف" سمات مُنجز "رشيد بن مالك" في ميدان ترجمة المصطلح في النّقاط التّالية:

1- اشتغال النّاقد على المصطلح بجدّية وأصالة مكّنه من وضع منظومة اصطلاحية متينة أهّلته لاحتلال الريادة في هذا المجال.

2- تراوحت منهجيته في نقل المصطلحات بين التّرجمة السياقية والتّرجمة الحرفية والاشتقاق والتّعريب.

3- قد يورد مقابلات عربية متعدّدة للمصطلح الأجنبي الواحد فقد قابل Manipulation بـ: تحريك استعمال، تفعيل ...

4- لجوؤه أحيانا إلى التّعريب كما في مصطلح Isotopie الذي عرّبه بـ: إيزوتوبيا وTopique طوبيقي ...

5- قد ينحو أحيانًا منحى التّرجمة الحرفية مثل Fonction: وظيفة، Objet: موضوع Contradiction: تناقض ...[2]

ويطرح النّاقد "السّعيد بوطاجين" الإشكاليّة الاصطلاحيّة في مقدّمة بحثه الموسوم بـ: الاشتغال العاملي دراسة سيميائية "غدًا يوم جديد لابن هدوقة، عيّنة"، فهو يشير إلى جذور الإشكالية الاصطلاحية بين المنظّرين الغربيين أنفسهم، إضافة إلى وجود ترجمات عربيّة لهذه المصطلحات التي لم تستقر مفاهيمها في مظانّها بعد والتي اتّسمت باختلاف مستويات التّلقي بين ناقدٍ وآخر، مما جعلها مشتّتة ومتناقضة.[3]

ويُقرّ هذا النّاقد باستفادته من جهود النّقاد العرب في ترجمة المصطلحات، ولجوؤه إلى اقتراح مقابلات عربيّة للمصطلحات التي لم يجد ترجمةً لها بتوظيف جمل كاملة أحيانًا بهدف تقريب المعنى من المتلقّي[4]، وتتوضّح أصالة هذا النّاقد من خلال ثبت المصطلحات الذي أثبته في نهاية كتابه "الاشتغال العاملي"، إذ لم يلجأ

[1]- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص72.

[2]- ينظر، سهام أوصيف، تأصيل المصطلح السيميائي في النقد المغاربي، ص130.

[3]- ينظر، السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة عينة، ص09.

[4]- المصدر نفسه، ص09.

إلى تعريب أي مصطلح أجنبي بل أوجد له مقابلاً عربيًّا مبينًا مخالفًا في ذلك بعض مجايليه من النّقاد الجزائريين المهتمّين بوضع المصطلحات وترجمتها، وإنْ لجأ أحيانًا إلى وضع مقابلين عربيّين للمصطلح الأجنبي الواحد، فقد ترجمة مصطلح Adjuvant بـ: مساعد، ظهير* وكان بوسعه الاكتفاء بالمقابل العربي المكرّس "مساعد".

وقد عمد في مرّات عديدة إلى اقتراح مقابلات لبعض المصطلحات التي لم يجد لها مُقابلاً في الكتب والقواميس التي كانت بحوزته مثل: ترجمة مصطلح Sémiotisation بـ: سميأة، وترجمة Dé-contruction بـ: هدم وبناء "هدبناء" وإن كان هذا المقابل العربي المنحوت بادي العجمة لم يتم تداوله عند النّقاد الجزائريين والعرب –في حدود مانعرف– إذ فضّلوا عليه المقابل العربي المكرّس (التّفكيك).

ويختلف النّاقد "عبد الحميد بورايو" عن النّاقدين السّابقين في عدم إيراده المصطلحات الأجنبية في كُتبه ودراساته إلاّ في حالات نادرة، إذ يستعيض عنها مباشرة بالمقابل العربي وقد لاحظنا ذلك جليًّا في كتابه "منطق السّرد" وكتابه الآخر "الحكايات الخرافية للمغرب العربي"، وكتابه الثّالث "المسار السّردي وتنظيم المحتوى"، رُغم إحالاته الكثيرة في هذه الكتب إلى مصادر ومراجع أجنبية.

وترصد الباحثة "سهام أوصيف" خصائص الجهاز المصطلحي في المدونة النّقدية السّيمياية لـ"عبد الحميد بورايو"، فهو يحيل مباشرة إلى مصدرين ينهل منهما وهما: "مورفولوجيا الحكاية الخرافية" لـ"بروب" و"المعجم المعقلن لنظرية الكلام" لـ"غريماس وكورتيس"، وكثيرًا ما يُورد مقابلات عربيّة متعدّدة للمصطلح الأجنبي الواحد، فمصطلح Manipolation قابله بـ: تحريك، استعمال، تفعيل، ومصطلح Isotopie قابله بـ: تشاكل، قطب دلالي إيزوتوبيا، ويستعيض أحيانًا بترجمات غير ملائمة، فقد قابل مصطلح "Acteur" بممثّل، ثمّ استعاض عنه بشخصية، ومصطلح "Actant" قابله بالفاعل أو القائم بالفعل، ثمّ استعاض عنه بشخصيّة، كما أورد مصطلحًا أجنبيا لم يرد بهذه الصّيغة في أصل وضعه هو Implacation والأصح هو Implication الذي اختار له المقابل العربي "استتباع"، ويلجأ أحيانًا إلى التّعريب مباشرة فقد عرّب المصطلح الأجنبي Morhpologie بـ"مورفولوجيا"[1].

*– يُنظر، السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص168.

[1]– ينظر: سهام أوصيف، تأصيل المصطلح السيميائي في النقد المغاربي، ص150-151.

ولا يفوتنا في هذا السّياق التّطرق إلى جهود ناقد جزائري آخر من رواد النّقد السيميائي وهو "عبد الملك مرتاض" الذي يعدّ بكتابه "ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد"* صاحب أوّل محاولة لتطبيق هذا المنهج في الجزائر، والمتمعّن في المصطلحات التي يوظّفها "مرتاض" يستكشف كثرتها وتنوّعها وتعدّد مصادرها ويكتشف في الآن ذاته تعرّض المقابل العربي المقترح للمصطلح الأجنبي للتّغير والاختلاف بين كتاب وآخر، يقول في كتابه "القصة الجزائرية المعاصرة" معلّقا على المصطلح الأجنبي "Le monologue interieur" «تحدّثنا عن هذا المصطلح غير مرّة في كتابنا المنصرف إلى السّرديات، وخلاصة رأينا أنّ اللّغة العربية تُطلق على الحديث إلى الذّات "النّجوى" و"المناجاة"، ومن أجل ذلك اقترحنا أحد هذين اللّفظين مقابلاً للمصطلح الأجنبي الذي كلف به نقّاد الرّواية العرب، فاستعملوه كما هو، وذلك للتّخلص من عُجمة المصطلح الغربي مادام معناه موجودًا في العربية»[1]- ولاشكّ أنّ النّجوى أو المناجاة أوجز وأوثق صلة بالعربية من المصطلح المعرّب "مونولوج".

ولكنّه يستعيض عن هذين المقابلين بمقابل آخر في كتابه "في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السّرد" في سياق حديثه عن الرّواية الأمريكية الجديدة، حيث يقول «وتلك المدرسة نفسها هي التي أفضت إلى إنشاء تقنية المناجاة الذاتية وهذا المصطلح المعرّب من اقتراحنا وهو ما يعرف في اللّغة الفرنسية تحت مصطلح Le monologue intérieur»[2]-، فمن النّجوى والمناجاة إلى المناجاة الذّاتية، وإذا كانت المناجاة هي الحديث إلى الذّات، فإنّ صفة الذّاتية حشوٌ، يستقيم الكلام صيغة ودلالة من دونها. ويلجأ "مرتاض" –كما أشرنا سابقًا– إلى اصطناع مُقابلات عربية مختلفة عمّا تكرّس في المدوّنة الاصطلاحية النّقدية العربية، يقول في كتابه "في نظرية الرّواية" «لكن هل الكتابة السّردية القائمة على اصطناع ضمائر المتكلّم بتطلّعها المحدود والمشبّع بالذّاتية الضيّقة هي في حقيقة أمرها شكل منافٍ للشّعرانية Poétique»[3]-، ومعلوم أنّ المصطلح العربي المكرّس لمقابلة مصطلح Poétique هو شعريّة وهو الأكثر تداولاً والأخفّ على اللّسان من شعرانيّة، وفي سياق آخر من الكتاب ذاته يقول: «... وإنّما نشأ ذلك مع التّطور المذهل الذي عرفته السّردانية Narratologie منذ أن

*– نشر الكتاب في طبعته الأولى بدار الشؤون الثقافية العامة بغداد، سنة 1989، تحت عنوان "ألف ليلة وليلة، دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمّال بغداد"، وأعاد ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، نشره عام 1993، تحت عنوان "ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد".

[1]– عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط4، 2007، هامش ص112.

[2]– عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص38-39.

[3]– المرجع نفسه، ص83.

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها»[1]-، والمقابل العربي المتداول لمصطلح "Narratologie" هو: "علم السّرد"، ومن حقّ الدّارس أن يتساءل مع "سليمة لوكام" عن هذا الولوع بالابتداع والغرابة في اجتراح المصطلح فـ«ما الذي دفع مرتاض إلى تجاهل المصطلحات التي شاع استعمالها وجعله ينحت مصطلحات مغايرة لما درج الدّارسون على التّعامل معه، فقد اقترح مصطلح "سّردانية" للإحالة على Narratologie ومصطلح "سرديات" للإحالة على Récit، وهو بهذا يذهب بعيدًا عن كلّ ما وُضع في هذا الشّأن ويختطُّ لنفسه طريقًا منافرًا غير آبه بالجهود التي أنفقها الدّارسون العرب في سعيهم إلى توحيد المصطلحات واستقرارها»[2]-

ولاشكّ أنّ المترجمين أكثر إحاطة من غيرهم بإشكالات المصطلح وتجلّياتها ويؤمن "جمال حضري" بإمكانية تجاوزها بالانفتاح والتّواضع والحوار[3]-، ويشير هذا المترجم إلى اقتراح تقدّم به أحد الدّارسين ينصّ على أن لا يشتغل بالتّرجمة ووضع المصطلحات سوى الممارسين للتّحليل ومعالجة النّصوص لأنّهم أكثر وعيا من غيرهم بضوابط التّرجمة وأسس الاصطلاح.

أمّا الباحثة "نادية بوشفرة"، فتشير إلى مظاهر الإشكالية الاصطلاحية في مجال السّرديات، والتي تتمثّل في البعد عن الدّقة والتّوحّد والشّيوع، حتى أضحت أقرب إلى اللّغة العامية منها إلى لغة العلم لما سادها من ترادُف وتعدّد لمدلولات اللّفظ الاصطلاحي الواحد.[4]-، وتردّ الباحثة أسباب هذه الإشكالية إلى «ظروف خاصّة بمجال النّقد القصصي ذاته وإلى الظّروف العامّة التي يعيشها العالم العربي، كالتّبعيّة التي ألزمته أن يكون أسير الفكر الغربي من جهة ومن جهة أخرى وجود عامل البيئات الثّقافية الذي يسدُّ سُبل التّواصل بين الأقطار العربية»[5]-، وتمثّل الباحثة لظاهرة تعدّد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الوافد بـ: Récit الذي قوبل في العربية بـ: الحكاية القصة، الرّواية، السّرد، المروي، النّص، الخطاب، المحكي ...[6]-

ورغم هذه الجهود وغيرها تبقى الإشكالية مطروحة بحدّة «وعند استقراء واقع المصطلحية السيميائية العربية، ومدى محظوظية المصطلح من هذا التّداخل والانتقال بالمصطلح الفرنسي إلى النموذج العربي، تبدو

---

[1]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص152.

[2]- سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص193.

[3]- ينظر، جوزيف كورتيس، سيميائية اللغة، ترجمة جمال حضري، المقدمة، ص05.

[4]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص06.

[5]- المصدر نفسه، ص06.

[6]- المصدر نفسه، هامش ص06.

الاختلافات بين الباحثين العرب أنفسهم، وتؤثّر سَلْبًا في تبليغ الرّسالة العلميّة، وتفسّر جانبًا من جوانب الفشل في عملية التّواصل بين القارئ العربي (المتلقي) وباث المعرفة السيميائية في أصولها المتجذّرة»[1]

إنّ انتفاء التّواصل بين المتلقي العربي والدّرس السيميائي المعاصر، يكشف بعدًا آخر من أبعاد الإشكالية الاصطلاحية، فمعيار فعاليّة المصطلح يتجلّى في رواجه وتوظيفه وفعاليته الإجرائية «فالمصطلح يُبتكر، فيوضع ويُبث، ثمّ يُقذف به في حلبة الاستعمال، فإمّا أن يروج فيثبت وإمّا أن يكسد فيمّحي، وقد يُدلى بمصطلحين أو أكثر لمتصوّر واحد فتتسابق المصطلحات الموضوعة وتتنافس في "سوق الرّواج" ثمّ بحكم الاستعمال للأقوى فيستبقيه، ويتوارى الأضعف»[2]

ويعدُّ واضعو القواميس جنود الصّفوف الأماميّة في معركة الإشكالية الاصطلاحيّة، لذلك ما فتئوا يقترحون الخطط لتجاوزها أو كسر حدّتها صنيع "سيدي محمد بن مالك" الّذي شرح خُطّته في وضع قاموسه "السّرديات" انطلاقا من خبرته العملية في مواجهة المصطلح الغربي واعتمادًا على خطوات تتلخّص في العودة إلى مظان المصطلح في الكتب الأجنبيّة المكتوبة منها بالفرنسية بوجه خاص، على اعتبار أنّ النّقد الفرنسي هو نواة البحث النّسقي البنيوي السيميائي، والاستناد على قواميس المصطلحات اللّسانية لأنّ جلّ المصطلحات النّقدية المعاصرة تنحدر من أصول لسانيّة، ثم العودة إلى معاجم اللّغة العربية والمصطلحات التّراثية بحثًا عمّا يُلائم منها المصطلحات المعاصرة، وكذا اعتماد مبدأ شيوع المصطلح، لأنّ هذا الشّيوع علامة على الاستحسان والقَبول والاكتفاء بالتّرجمات المقترحة من لَدُن النّقاد والمترجمين العرب ثقة بأنّ هؤلاء بذلوا جهودهم في صياغة المصطلح وختامًا، التقليل من الاقتراض في وجود مقابلات عربية تدلّ على معنى المصطلح الدّخيل.[3]

وهي خطّة وإن كانت أكثر فعالية في سياقها المعرفي –التّأليف القاموسي" إلاّ أنّها تُقلّل بعض الشيء من حدّة المشكلة الاصطلاحية، باعتماد المصطلحات الرّائجة بين النّقاد والمترجمين العرب، وضرورة تأصيل المصطلح باستثمار المعاجم العربية والمصطلحات التّراثية وكذلك التّقليل من الاقتراض في وجود بدائل عربية تدلّ على ما يدلّ عليه المصطلح الدّخيل.

ويرى عالم اللغة "تمام حسان" أنّ وضع المصطلحات واختيارها ينبغي أن يخضع للمعايير التّالية:

---

[1]– مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءوي، الإشكالية والأصول والامتداد، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص120.

[2]– عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، عربي–فرنسي، فرنسي–عربي، مع مقدّمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، دط، دت، ص27.

[3]– ينظر، سيدي محمد بن مالك، قاموس السرديات، مصطلحات الشكلانية والبنيوية الأدبية والبنيوية الشعرية والسرديات البنيوية والسيميائية السردية، فرنسي–عربي، المنظمة العربية للترجمة، دط، دت، ص10.

«- أنّ هذا الاصطلاح المستعمل لا يدلّ إلاّ على مدلولٍ واحد.

- أنّ دلالته عليه إنّما هي بطريق الحقيقة العُرفية لا المجاز.

- أنّ هذه الدّلالة جامعة مانعة، لا تحتمل التوسّع أو الحصر على نحو ما يحدث أحيانًا في المفردات والأساليب غير العلمية، أي أنّ الدّلالة لابدّ أن تحدّد قبل الاستعمال.

- أن يكون لفظ الاصطلاح مُختصرًا حتى يسهل تداولُه.

- أن يكون منسجمًا قدر الطّاقة مع طرق صياغة الكلمات في اللّغة التي يُستخدم فيها»[1]

وانطلاقا من هذه الشّروط نستشفّ أنّ عملية وضع المصطلح لا تخضع للإرتجال والاعتباطية، بل هي عمليّة دقيقة يضطلع بها المختصّون وتفرضها عملية المثاقفة والتّفتّح على معارف الآخر والتّفاعل معها بهدف علمنة العملية النّقدية والنّأي بها عن الميوعة الاصطلاحية وإنشائيات النّقد الانطباعي التّأثّري، ولن يتحقّق هذا الهدف إلاّ إذا انبنت التّرجمة «على تمثّل وفهم المصطلح في اللّغة الأصل وإدراك سياقاته، والنّظر في النّصوص النّظرية التي تغذّيه وضبطه بما يتوافق والإطار العام الّذي يندرج ضمنه البحث، ويؤدي الابتعاد عن التّوجهات الأساسية في العمل التّرجمي إلى اضطراب في الفهم ينعكس سلبًا في عملية تلقّي الرّسالة»[2]

ورغم اجتهادات النّقاد ومحاولاتهم لتجاوز الإشكالية الاصطلاحية بالبحث في أسبابها وتجلياتها والدّعوة إلى ضرورة التّحري الجماعي أثناء ترجمة المصطلح من أجل التّأسيس لخطاب نقدي علمي يحقّق شرط التّواصل بين النّص والقارئ العربي، فإنّ فعاليّة المصطلح الوافد لا تتأتّى إلاّ بقراءته قراءة منتجة تنطلق من رصد خلفياته وسياقات توظيفه ولا تكتفي بمجرّد النّقل، ولتجاوز هذه الإشكالية لابدّ من إنتاج المعرفة، فمن يُنتج المعرفة هو من يُنتج المصطلح، وما إشكالية المصطلح سوى مظهر من مظاهر إشكالية التبعية للآخر والعجز في أغلب الأحيان عن مسايرته ومُساءلته.

[1]- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوظيفية، عالم الكتب، القاهرة، دط، 2001، ص155.

[2]- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص30.

خاتمـــــة

في ختام هذا البحث نستخلص النّتائج التّالية:

1- تنوعت الرّوافد اللّسانية والمعرفيّة التي غذّت السّيميائيات السّردية وأمدّتها بالمعطيات النّظرية والمصطلح وآليات التحليل، وكان هذا التّنوع سببًا في تضخّم المنظومة الاصطلاحية لهذا المنهج وتداخلها وغموضها أحيانًا.

2- يستند المنهج السّيميائي السّردي على آليات تحليلية يقارب وفق خطواتها النّصوص السّردية وتستند هذه الآليات على مستويين، مستوى البنية السّطحية بمكوّنيه السّردي والخطابي ومستوى البنية العميقة.

يتشكّل المكوّن السّردي في البنية السّطحية من تلك الحالات والتّحويلات المرتبطة بعلاقات الاتصال والانفصال بين الفاعل وموضوع القيمة وما يتولّد عن ذلك من ترسيمة عاملية بعناصرها السّت المعروفة، ثمّ البرنامج السّردي القائم على التّحريك والكفاءة والإنجاز والتقويم، والمكوّن الخطابي يهتم بدراسة الأنظمة الصّورية ومساراتها والموضوع والدور الموضوعاتي والقائم بالفعل أو الممثِّل والبنية الزّمانية وبنية التّفضية.

أمّا في مستوى البنية العميقة فيهتم المحلّل بدراسة الوحدات الدّلالية الدّنيا (السّيميمات) ثمّ النّظائر لما لها من دور في نفكيك شفرات النّصوص وتوضيح مقاصدها وتحقيق انسجامها، ثمّ الكشف عن البنية الأساسية للدّلالة التي يتشكّل على ضوئِها المربع السّيميائي.

3- تعدّدت المسارب وقنوات الاتّصال بين المنهج السّيميائي السّردي الغريماسي والخطاب النّقدي الجزائري المعاصر، وقد كانت البعثات العلمية التي تولّت الجامعة الجزائرية إرسالها إلى فرنسا مطلع الثّمانينيات وتتلمذ طلبة هذه البعثات على روّاد السّيميائيات السّردية هنالك أبرز القنوات التي تلقّى عبرها النّاقد الجزائري المعرفة السّيميائية الغريماسية، فلقد تلقّى هذا المنهج من مظانه وبلغته الأصلية، وقد باشر هؤلاء الطلبة بعد عودتهم إلى الجزائر نشر هذا المنهج والتّرويج له في محاضراتهم وملتقياتهم، وعبر تأطيرهم للرّسائل الأكاديمية وكتابة المقالات وتأليف الكتب وغيرها من الأنشطة، كما أنّ الكتاب المتخصّص بلغته الأصلية أو مترجمًا إلى العربية من الرّوافد الأخرى التي ساهمت في إشاعة هذا المنهج ونشر أسسه المعرفية، ولا ننسى في هذا السياق الدّوريات العربيّة التي ما فتئت تخصص أعدادًا وملاحق لهذا المنهج.

وقد دار جدل بين النّقاد والدّارسين الجزائريين حول ريادة المناهج النّسقية في المنظومة النّقدية الجزائرية المعاصرة وعلى رأسها المنهج السّيميائي، ويبدو أنّ الكفّة رجحت للنّاقد "عبد الحميد بورايو" في بحثه الذي أنجزه بالقاهرة وناقشه عام 1978 والموسوم بـ"القصص الشّعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية"، فرغم تصريحه في المقدّمة بأنّه طبّق المنهج البنيوي في هذا البحث، إلاّ أنّ متن الكتاب يكشف استثماره لمناهج أخرى يأتي على رأسها المنهج السّيميائي السّردي.

4- سعى النّقاد الجزائريون الرّواد الذين اعتنقوا هذا المنهج -"رشيد بن مالك" و"عبد الحميد بورايو" على وجه الخصوص- إلى وصل القارئ العربي عامّة والجزائري خاصّة بالمعرفة السّيميائية، فقدّموا هذه المعرفة في مؤلّفاتهم بُغية التّأصيل لها والتّعريف بها وإضاءة بؤرها المعتمة وجعلها في متناول القرّاء العرب وقد نسج على منوالهم نقّاد آخرون نذكر منهم: "نصر الدين بن غنيسة" و"نادية بوشفرة" ولكنّ هؤلاء المتأخّرين لم يكادوا يضيفون جديدًا إلاّ ما تعلّق بسلاسة العرض والتّحكم أكثر في المصطلح صياغة وتوظيفًا.

5- لم يكتف النّقاد الجزائريون بخطاب التّعريف والتّأصيل فحسب بل مكّنتهم اللّغة الفرنسية التي يجيدونها من العودة إلى مظانّ هذا المنهج ونقل أصوله وعيون مصادره إلى اللغة العربية، وقد التفت بعض هؤلاء النّقاد إلى منجز تلامذة "غريماس" فنقلوه إلى العربية صنيع "جمال حضري" في ترجمته لكتابي "جوزيف كورتيس" "مقدّمة في السّيميائية السّردية والخطابية" و"سيمياء اللّغة" والملاحظ أنّ خطاب التّرجمة طغت عليه التّرجمات النّظرية، كما اتّسم هذا الخطاب عند الرّواد الأوائل بفكرة التّحري الجماعي من أجل ترجمة علمية متقنة، واقتصرت هذه التّرجمات في أغلبها على سيميائيات "مدرسة باريس"، فيما انفتحت ترجمات "بورايو" على السّرديات عامّة.

6- اضطلع خطاب النّقد والتّقويم برصد هنات هذا المنهج سواءً في نسخته الغربيّة الأصليّة أم في نسخته العربيّة فقد ألفينا "رشيد بن مالك" في أكثر من مؤلّف يشير إلى ما يشوب السّيميائية في العالم العربي من نقائص في ترجماتها ومصطلحاتها وممارساتها التّطبيقية، وامتدّ نقده إلى السّيميائيات في نسختها الأصلية "الغريماسية" خاصّة قصورها في جانب البنيات الزّمانية والفضائية، والملاحظة اللاّفتة للانتباه أنّ "رشيد بن مالك" رغم تمرّسه الطّويل بالسّيمائية السّردية الفرنسية تعريفًا وترجمة وتطبيقًا، قلّما وجّه انتقاداته إلى هذه النّظرية، على العكس من "عبد الملك مرتاض" الذي تتبّع نقائص هذه النّظرية وكشف تهافت آلياتها واستصغر منجزها رغم قلّة تطبيقاته لإجراءاتها في جلّ أبحاثه التي وَسمها بالسيميائية. وقد اقتصر "عبد القادر شرشار" في نقده للسّيميائية السّردية بتحليل بعض الأعمال الأكاديمية الجزائرية التي تبنت هذا المنهج ممّا جعل عمله يندرج في إطار نقد النّقد.

ويُعدّ "قادة عقاق" رائدًا لخطاب النّقد والتّوجيه بكتابه "مأزق السّيميائية" الذي خصّصه للانتقادات التي وُجّهت للنّظرية السّيميائية من لدُن النّقاد الغربيين والعرب على السّواء، ولو أنّ نواة هذا الكتاب موجودة في كتابه الأول "الخطاب السّيميائي في النّقد المغاربي".

7- مارس النّقاد الجزائريون المنضمون تحت لواء المنهج السّيميائي النّقد التّطبيقي بداية بتأليف قواميس ثنائية اللّغة أو ثلاثيتها للحدّ من الإشكالية الاصطلاحية وتفعيل الممارسة النّقدية، فألّف "رشيد بن مالك" قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص" وهو قاموس ثلاثي اللّغة، وألّف "فيصل الأحمر" "معجم السّيميائيات"

الثّنائي اللّغة، إلاّ أنّ المعجم الثاني شابته نقائص معرفيّة ومنهجيّة رغم موسوعيته وغزارة مادّته المعرفيّة، فيما كان قاموس "رشيد بن مالك" أكثر حضورًا في الدّراسات الأكاديمية وأكثر حظوة بين الدّارسين والباحثين.

8- من الأجناس الأدبيّة التي قاربها النّاقد الجزائري بتوظيف المنهج السّيميائي القصّة القصيرة، ويبدو "رشيد بن مالك" في تحليلاته لهذا الجنس السّردي أكثر وفاءً من غيره لسيميائيات السّرد الغريماسية فيما لجأ نقّاد آخرون إلى التّركيب المنهجي وانشغلوا بربط العمل القصصي بسياقاته الخارجية صنيع "عبد الملك قجور" في تحليله لقصّة "في المقهى" لـ"محمد ديب"، فيما استثمر "عبد الحميد بورايو" منجزات الشّكلانية والبنيويّة والسّيميائية في تحليل النّصوص القصصية محاولا من وراء ذلك تطويع المنهج للنّص واستنطاقه وكشف بنياته ودلالاته.

9- استقطب الخطاب الرّوائي اهتمام النّاقد الجزائري، فطبّق إجراءات المنهج السّيميائي على أعمال روائية عربية وجزائرية وقد لامست هذه الدّراسات مجتمعة أغلب مستويات التّحليل السّيميائي مثل: "العنوان والفضاء والتّرسيمة العاملية والمربّع السّيميائي"، وقد تنوّعت هذه الدّراسات من حيث مرجعياتها ونتائجها، كما أنّ أغلبها زاوجت بين سيميائيات "مدرسة باريس" وسرديات "بروب" و"جيرار جنيت" وغيرهم، فالجمع بين السّرديات والسّيميائيات سمة غالبة نجدها في جلّ المقاربات المهتمة بتحليل النّصوص السّردية ولعلّ ذلك يعود إلى تقارب هذه المناهج مصطلحا وإجراءً.

10- كانت الحكاية الخرافية والنّص التّراثي موضوعين أثيرين لدى النّاقد الجزائري في سعيه لاختبار فعاليّة المنهج السّيميائي ونجاعة آلياته، وقد اختلف المنجز النّقدي الذي قارب هذين الجنسين تبعًا لثقافة النّاقد وتوجّهاته المنهجية، إلاّ أنّ الجامع بين هؤلاء النّقاد هو توظيفهم لآليات التّحليل الوظائفي البروبي وسيميائيات غريماس وأنثروبولوجية شتراوس، كما قدّمت بعض هذه المقاربات المنهج على النّص دون إصغاء لخصوصيات المتن النصي وجمالياته، كما استعان هؤلاء النّقاد بالجداول والمخططات والأشكال والتّرسيمات لإضاءة تحاليلهم وإيضاحها، إلاّ أنّ جلّ هذه الدّراسات لم تتوقّف عند البنيتين الزّمانية والفضائية باستثناء دراسة "نادية بوشفرة" التي حلّلت فيها خرافة "الأرنب والأسد".

11- تطرّق النّقاد الجزائريون في مدوّناتهم النّقدية السّيميائية إلى إشكالات المنهج، ودعوا إلى العودة إلى الأصول التي انبثق عنها وتمثُّلها لأجل ممارسة تطبيقية ناجعة وفعّالة، وقد كان التّدافع المنهجي الذي عرفه النّقد الجزائري بداية الثّمانينيات وراء فكرة تعدّد المناهج في تحليل النّص الواحد أو التّركيب المنهجي على حدّ تعبير البعض، وقد اكتفى بعض النّقاد بمنهج واحد ولم يرضوا عنه بديلا صنيع "رشيد بن مالك" في اعتناقه لسيميائيات السّرد الغريماسية مصطلحًا وإجراءً.

12- لامس النّقاد الجزائريون الإشكالية الاصطلاحية وكشفوا تمظهراتها واقترح بعضهم فكرة التحرّي الجماعي في سبيل توحيد المصطلحات وتكريس ماهو شائع منها والابتعاد عن الفردية في ترجمتها وصياغتها والتّأكيد على أنّ عملية وضع المصطلح لا تخضع للارتجال والاعتباطية، بل هي عملية دقيقة يضطلع بها المختصّون وتفرضها عملية المثاقفة والتّفتّح على معارف الآخر والتّفاعل معها بهدف علمنة العملية النّقدية والنّأي بها عن الميوعة الاصطلاحية وإنشائيات النّقد الانطباعي التّأثري.

ملحـــق

تنويه: اقتصرنا في هذا الملحق على المصطلحات السّيميائيّة السّردية التي تمّ توظيفها في سياق هذا البحث، وقد استعنّا في ترجمتها بـ:

- قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص لـ"رشيد بن مالك".
- ثبت المصطلحات الذي أثبته النّاقد "رشيد بن مالك" في ختام القسم النّظري من كتابه "مقدّمة في السّيميائية السّردية".
- ثبت المصطلحات "فرنسي- عربي" الذي ذَيّلَ به "السعيد بوطاجين" كتابه "الاشتغال العاملي".
- ما أثبتته الباحثة "نادية بوشفرة" من مصطلحات سيميائيّة أجنبية مرفُوقة بمقابلها العربي في كتابها "مباحث في السّيميائيّة السّردية".

الملحق:

ثبت المصطلحات فرنسي – عربي:

A

Actant	عامل
Acteur	ممثل
Adjuvant	مساعد
Agresseurs	معتدي
Argumentation	حِجاج
Axe sémantique	محور دلالي
Carré sémiotique	مربع سيميائي

C

Code	نظام
Compétence	كفاءة
Composante discursive	مكوّن خطابي
Concept	مفهوم
Configuration discursive	تجمعات خطابية
Conte populaire	حكاية شعبية
Contenu	محتوى
Contradiction	تناقض
Contrariété	تضاد

D

Définition	تعريف
Dénomination	تسمية
Destinataire	مُرسَل إليه
Destinateur	مُرسِل
Devoire-faire	وجوب الفعل
Dimension congnitive	بُعد معرفي
Donateur	مانح

E

Epreuve glorifiante	اختبار تمجيدي
Epreuve principale	اختبار أساسي
Epreuve qualifiante	اختبار تأهيلي
Espace hétérotopique	فضاء خارجي
Espace topique	فضاء الفعل
Espace utopique	فضاء وهمي
Expression	التعبير
Extra diégétique	(شخصية) غائبة عن القصة

F

Fable	خرافة
Figures	صوّر
Fonction	وظيفة
Fonction désignative	وظيفة تعيينية
Fonction expressive	وظيفة تعبيرية
Fonction impressive	وظيفة إفهامية
Fonction métalinguistique	وظيفة ما وراء اللغة (وظيفة واصفة)
Fonction phatique	وظيفة إنتباهية
Fonction poétique	وظيفة شعرية
Fonction référentielle	وظيفة مرجعية
Fonction séductrice	وظيفة إغراء
Forme	شكل

G

Grammaire	نحو

H

Héros	بطل

I

Implication	تضمين
Incommunicabilité	اللاتواصل
Intra diégétique	(شخصية) حاضرة في القصة

Isotopie	نظيرة، قطب دلالي
Isotopie sémantique	تناظر دلالي

J

Judicateur	مقوّم

L

L'auxiliaire	أداة
L'interprétation sémiotique	التفسير الدلالي
La composante discursive	المكون الخطابي
Langue	لغة
Les structure discursive	البنية النصية (الكلامية)
Lexème	المفردة المعجمية

M

Manipulateur	محرّك
Manipulation	تحريك
Methemes	(مثيم) العناصر المكرّرة في الأساطير من ثقافات مختلفة
Modalités de virtualité	موجهات الإضمار
Mondateur	مفوض
Morphème	وحدة صرفية
Morphologie du conte	مورفولوجيا الحكاية

N

Narrativité	سرديّة
Narratologie	علم السّرد

O

Objet de valeur	موضوع القيمة
Opposant	معارض

P

Paradigmatique	استبدالي
Parcours figuratifs	مسارات صورية
Parole	كلام
Performance	إنجاز

Performance conjonctive	إنجاز اتصالي
Performance disjonctive	إنجاز انفصالي
Phonème	جزيء صوتي
Pouvoir-faire	القدرة على الفعل
Programme narratif	برنامج سردي

R

Récit	حكاية
Rôle thématique	دور موضوعاتي

S

Sanction	تقويم
Savoir-faire	معرفة الفعل
Sème contextuel	سيم سياقي
Sème nucléaire	سيم نواتي
Sémème	معنم
Sémiologie	علم العلامات
Sémiotisation	سميأة
Sémiotique narrative	سيميائية سرديّة
Sens	معنى
Son interprétation phonétique	التفسير الصّوتي للجملة
Structuralisme	بنيوية
Structure de surface	بنية سطحية
Structure élémentaire de la signification	بنية أولية للدلالة
Structure profonde	بنية عميقة
Structures spatiaux	بنيات فضائية
Structures temporelles	بنيات زمانية
Sub-contrariété	مافوق الضّدية
Subordination inéversible	تبعية غير معكوسة
Sujet	موضوع
Sujet d'état	فاعل الحالة
Sujet de faire	فاعل الفعل

Syntagmatique	تراصفية
Système axiologique	منظومة القيّم

T

Thème	موضوع
Traduction texte	ترجمة سياقيّة
Traitre	غادِر

V

Voloire-faire	إرادة الفعل

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا– المصادر:

أ–المصادر العربية:

1. الأحمر فيصل، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

2. بن غنيسة نصر الدين، فصول في السيميائيات، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2001.

3. بن مالك رشيد ، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة للنشر، الجزائر، دط، 2000.

4. بن مالك رشيد، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، دط، السداسي الأول، 2001.

5. بن مالك رشيد، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.

6. بن مالك رشيد، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي، إنجليزي، فرنسي، دار الحكمة، دط، فيفري 2000.

7. بن مالك رشيد، من المعجميات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014/2013.

8. بورايو عبد الحميد، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، دراسة تحليلية في "معنى المعنى" لمجموعة من الحكايات، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1992.

9. بورايو عبد الحميد، المسار السردي وتنظيم المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات "ألف ليلة وليلة"، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر العاصمة، دط، دت.

10. بورايو عبد الحميد، منطق السّرد، دراسات في القصة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1994.

11. بوشفرة نادية، مباحث في السيميائية السردية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2008.

12. بوشفرة نادية، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، دط، 2011.

13. بوطاجين السعيد، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة عينة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، أكتوبر 2000.

14. خمري حسين ، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002.

15. شرشار عبد القادر، مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، ط1، 2015.

16. عقاق قادة، مأزق السيميائية، قراءة نقدية في جهازها المفهومي والإجرائي، دراسة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

17. قجور عبد المالك، مقاربة النص وفق بعض الطرائق الحديثة (قراءاتان في نصين سرديين)، مؤسسة البحر الأبيض المتوسط الدولية للإعلان والنشر والإشهار، الجزائر، ط1، 2008.

ب–المصادر المترجمة:

18. غريماس. أ.ج. وآخرون، الكشف عن المعنى في النص السردي، النظرية السيميائية السردية، ترجمة عبد الحميد بورايو، دار السبيل للنشر والتوزيع، دط، 2008.

19. غريماس. أ.ج. ، ج.كورتيس وآخرون، المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، ترجمة عبد الحميد بورايو، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2014.

20. إينو آن وآخرون، السيميائية الأصول والقواعد والتاريخ، ترجمة رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008.

21. كورتيس جوزيف، سيميائية اللغة، ترجمة جمال حضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

22. كورتيس جوزيف، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة د.جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

23. مرسلي دليلة وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص/صورة)، ترجمة عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1995.

ثانيا– المراجع:

أ– المراجع العربية:

24. الإدريسي يوسف، عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2015.

25. الأوزعي سليمان، هواجس الرواية الأردنية الجديدة، الآن، ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2015.

26. البازعي سعيد، استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.

27. بحراوي سيد، البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات، القاهرة، مصر، ط1، 1993.

28. بلال عبد الرزاق، مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2000.

29. بن المقفع عبد الله، كليلة ودمنة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، دت.

30. بن ستيتي سعدية، الإطار المفاهيمي للفضاء الروائي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2017.

31. بنكراد سعيد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، الرباط، دط، 2001.

32. بنكراد سعيد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط3، 2012.

33. بوخاتم مولاي علي، مصطلحات النقد العربي السيمياءاوي، الإشكالية والأصول والإمتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005.

34. بورايو عبد الحميد، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986.

35. بومزبر الطاهر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

36. تاوريريت بشير، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية، دار الفجر للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2006.

37. تمّام حسان، اللغة بين المعيارية والوظيفية، عالم الكتب، القاهرة، دط، 2001.

38. تنفو محمد، قالت شهرزاد، البنيات الحكائية في مئة ليلة وليلة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015.

39. ثامر فاضل، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.

40. الجبوري محمد فليح، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات ضفاف، لبنان، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

41. الجبوري محمد فليح، تجليات النقد السيميائي في مقاربة السرد العربي القديم، منشورات ضفاف لبنان، دار الأمان الرباط، كلمة للنشر والتوزيع تونس، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2016.

42. الجرماني آراء عابد، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، منشورات ضفاف، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2012.

43. الحبي لطبفة، الخطاب السردي مقاربة سيميائية، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس، المملكة المغربية، ط2، 2016.

44. حمداوي جميل، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، مكتبة المثقف، مؤسسة المثقف العربي، سيدني، أستراليا، ط1، 2015.

45. حمداوي جميل، السيميوطيقا السردية من سيميوطيقا الأشياء إلأى سيميوطيقا الأهواء، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، دط، 2013.

46. الحميداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000.

47. خالد حسين خالد، في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين، دمشق، سوريا، دط، دت.

48. خمري حسين، سرديات النقد في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011.

49. الداهي محمد، سيميائية الكلام الروائي، شركة النشر والتوزيع الدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006.

50. زعموش عمار، النقد الأدبي المعاصر في الجزائر، قضاياه واتجاهاته، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، دط، 2001/2000.

51. شرشار عبد القادر، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2009.

52. عبيد الله محمد وآخرون، ناصر الدين الأسد الفكر والمنهج، جامعة فيلادلفيا، عمان، دط، 2014.

53. العجيمي محمد الناصر، في الخطاب السردي، نظرية غريماس (Grémas)، الدار العربية للكتاب، تونس، دط، 1991.

54. عقاق قادة، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2014.

55. العلوي شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004.

56. فايد محمد، حسين علي، أبحاث في الرواية ونظرية السرد، طكسيج.كم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، دط، 2014.

57.لمرابط عبد الواحد، مدخل إلى السيمياء، الأسس اللسانية والامتداد المعرفي، مركز الأبحاث السيميائية والدراسات الثقافية، المغرب، ط1، 2018.

58.لوكام سليمة، تلقي السرديات في النقد المغاربي، دار سمر للنشر والتوزيع، تونس، دط، ديسمبر 2009.

59.مبارك حنون ، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1987.

60.محمود عبد الرحمن عبد السلام، تعالقات الخطاب السردية والمقالية (طه حسين أنموذجا)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2005.

61.مرتاض عبد الملك، الألغاز الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2007.

62.مرتاض عبد الملك، ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية "حمال بغداد"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993.

63.مرتاض عبد الملك، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط4، 2007.

64.مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 1998.

65.المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، دراسة وتحقيق/ د.كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2007.

66.مونسي حبيب، نقد النقد، المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، منشورات دار الأديب، السانيا، وهران، دط، 2007.

67.ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1986.

68.هويدي صالح، المناهج النقدية الحديثة، أسئلة ومقاربات، دار نينوى، سوريا، ط1، 2015.

69.وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

70.وغليسي يوسف، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، دط، 2002.

71.وغليسي يوسف، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2009.

ب– المراجع المترجمة:

72. بروب فلاديمير، مورفولوجية القصة، ترجمة/ د. عبد الكريم حسن ود. سميرة بن عمو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996.

73. دي سوسور فردينان ، دروس في الألسنية العامة، تعريب/ صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، دط، 1985.

74. ستروك جون، البنيوية وما بعدها، من ليفي شتراوس إلى ديريدا، ترجمة/ محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، فبراير 1996.

75. غريماس ألجيرداس جوليان، في المعنى، دراسات سيميائية، تعريب/ أ.د. نجيب غزاوي، مطبعة الحداد، اللاذقية، سوريا، دط، دت.

76. فريق إنتروفرن، التحليل السيميائي للنصوص، مقدمة، نظرية، تطبيق، ترجمة وتقديم/ حبيبة جرير، مراجعة/ أ.د. عبد الحميد بورايو، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دط، 2012.

77. كلينكنبرغ جان ماري، الوجيز في السيميائية العامة، ترجمة/ أد جمال حضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2015.

78. كيللر جوناثان، فردينان دوسوسور وتأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، ترجمة وتقديم/ محمود حمدي عبد الغني، مراجعة/ محمود فهمي حجازي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، دط، 2000.

79. لوم ماري كلود، علم المصطلح، مبادئ وتقنيات، ترجمة/ ريما بركة، مراجعة/ بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، حزيران (يونيو) 2012.

80. هامون فليب، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة/ سعيد بنكراد، تقديم/ عبد الفتاح كليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2013.

ت– المعاجم والقواميس:

81. بن مالك سيدي محمد، قاموس السرديات، مصطلحات الشكلانية والبنيوية الأدبية والبنيوية الشعرية والسرديات البنيوية والسيميائية السردية، فرنسي– عربي، المنظمة العربية للترجمة، دط، دت.

82. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، يناير 1984.

83. جورنو ماري تيريز، معجم المصطلحات السّنيمائية، ترجمة/ فائز بشور، دط، دت.

84. علوش سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

85.علوش سعيد، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، (فرنسي- عربي)، دار الكتاب الجديد، المتحدة، لبنان، ط1، مارس 2019.

86.القاضي محمد وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2010.

87.كوستانزو ويليام قي، السينما العالمية من منظور الأنواع السينيمائية، ترجمة/ زياد إبراهيم، مراجعة/ مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي، سي أي سي، بريطانيا، دط، 2017.

88.مارتن برونوين ورينجهام فليزيتاس، معجم مصطلحات السيميوطيقا، ترجمة/ عابد خزندار، مراجعة/ محمد بريري، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2008.

89.المسدي عبد السلام، قاموس اللسانيات، عربي- فرنسي، فرنسي- عربي، مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، دط، دت.

90.نوال ماري وبريور غاري، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة/ عبد القادر فهيم الشيباني، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007.

ث- الرسائل الجامعية:

91.أوصيف سهام، تأصيل المصطلح السيميائي في النقد المغاربي، أطروحة دكتوراه علوم، إشراف/ أ.د السعيد بوطاجين، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم الآداب واللغة العربية، السنة الجامعية 2018/2017.

92.بسو حمزة، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، قراءة في مشاريع: عبد الحميد بورايو، عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك، أطروحة دكتوراه، إشراف/ أ.د محمد عزوي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، السنة الجامعية 2019/2018.

93.بسو حمزة، آليات التحليل النقدي عند "عبد الحميد بورايو"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف/ أ.د محمد عزوي، جامعة سطيف2، كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية 2013/2012.

94.بن عيسى هامل، إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي، دراسة في نقد النقد، أطروحة دكتوراه، إشراف/ أ.د أحمد مسعود، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2013/2012.

95.بن منصور رجاء، الأسطورة في الرواية الجزائرية، دراسة نقدية أسطورية مقارنة، أطروحة دكتوراه علوم، إشراف/ د الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2015/2014.

96. جريوي آسيا، السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة، دراسة في ثلاثية "حكاية بحار" لـ"حنا مينة"، رسالة دكتوراه، إشراف/ أ.د بن غنيسة نصر الدين، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم الأدب العربي، السنة الجامعية 2013/2012.

97. شرشار فاطمة زهرة، تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر، أطروحة دكتوراه، إشراف/ أ.د محمد بلوحي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2018/2017.

98. العبدي فتيحة، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، دراسة في مصطلحات التحليل السيميائي، رسالة ماجستير، إشراف/ أ.د عبد القادر شرشار، جامعة وهران، السانيا، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2014/2013.

99. عيلان عمر، النقد الجديد والنص الروائي العربي، دراسة مقارنة للنقد الجديد في فرنسا وأثره في النقد الروائي العربي من خلال بعض نماذجه، أطروحة دكتوراه، إشراف/ أ.د عبد الحميد بورايو، جامعة منتوري، قسنطينة، قسم اللغة والأدب العربي، العام الجامعي 2006/2005.

100. لعجال لكحل، المقاربة السيميائية عند "رشيد بن مالك"، رسالة دكتوراه، إشراف/ د هاجر مدقن، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، قسم اللغة والأدب العربي، السنة الجامعية 2017/2016.

101. مسكين دايري، سيميائيات "جوزيف كورتيس" أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية، مذكرة ماجستير، إشراف/ أحمد يوسف، جامعة وهران، السانيا، كلية الأداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2008/2007.

ج- المجلات والدوريات والملتقيات:

102. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد الأمين دباغين، سطيف2، مجلد 12، عدد 02، ديسمبر 2015.

103. مجلة أيقونات، منشورات رابطة "سيما" للبحوث السيميائية، سيدي بلعباس، مجلد 03، عدد 03، ماي 2012.

104. مجلة الباحث، جامعة الأغواط، مجلد 01، عدد 02، جوان 2009.

105. مجلة بحوث سيميائية، يصدرها مخبر عادات وأشكال التّعبير الشّعبي بالجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ومركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر، المجلد 03، العدد 03.

106.مجلة بحوث سيميائية، يصدرها مخبر عادات وأشكال التّعبير الشّعبي بالجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ومركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر، المجلد 06، العدد 09.
107.مجلة بحوث سيميائية، يصدرها مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر، المجلد 04، العدد 01.
108.مجلة البدر، جامعة بشار، مجلد 11، عدد 07.
109.مجلة التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، عدد 03، جويلية 2017.
110.مجلة جسور المعرفة تصدر عن مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب بجامعة الشلف، مجلد 04، عدد 01، مارس 2018.
111.مجلة دراسات معاصرة، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، المركز الجامعي، تيسمسيلت، السنة 02، المجلد 02، العدد 03، يناير 2018.
112.مجلة رفوف، يصدرها مخبر المخطوطات، جامعة أدرار، المجلد 06، العدد 02، ديسمبر 2018.
113.مجلة "سيمات" البحرين، مجلد 01، عدد 01، ماي 2013.
114.مجلة السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، باجي مختار، 17/15 ماي 1995.
115.مجلة عالم الفكر (الكويت)، العدد 03، المجلد 35، يناير، مارس 2007.
116.مجلة عالم الفكر (الكويت)، العدد 04، المجلد 41، أفريل- يونيو 2013.
117.مجلة عالم الفكر (الكويت)، المجلد 27، العدد 01، يوليو/ سبتمبر 1998.
118.مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد 41، العدد 04، أبريل – يونيو 2013.
119.مجلة علامات الثقافية، محكمة، مكناس، المغرب، عدد 47، 2017.
120.مجلة علامات في النقد، تصدر عن النادي الثقافي بجدة، السعودية، جزء 53، مجلد 14، رجب 1425هـ، سبتمبر 2014.
121.مجلة العلامة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 04، جوان 2017.
122.مجلة العلوم الإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقفي، الجزائر، العدد 02، ديسمبر 2014.
123.مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، عدد 29، جوان 2008.
124.مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد 19، شتاء 2017.

125.مجلة فتوحات، كلية الآداب واللغات، جامعة "عباس لغرور"، خنشلة، العدد 01، جانفي 2015، ص138.

126.مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، مجلد 01، عدد 03، أفريل 1981.

127.مجلة اللغة العربية، تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، المجلد 21، العدد 44، جوان 2019.

128.مجلة اللغة الوظيفية، تصدر عن مخبر اللغة الوظيفية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، المجلد 05، العدد 02.

129.مجلة اللّغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2، مجلد 09، عدد 01، 2001.

130.مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، مجلد 08، عدد 01، ديسمبر 1999.

131.مجلة المترجم، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، عدد 11، جانفي- جوان 2005.

132.مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 07، 2011.

133.مجلة مقاليد، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، العدد 04، جوان 2013.

134.مجلة النص، تصدر عن كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، ملجد 01، عدد 02، ديسمبر 2015.

135.محاضرات الملتقى الدولي الخامس، السيمياء والنص الأدبي، 17/15 نوفمبر 2008، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم الأدب العربي.

136.محاضرات الملتقى الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي، 16/15 أفريل 2002، جامعة محمد خيضر، بسكرة، قسم الأدب العربي.

137.مسارب أدبية، مجلة ثقافية أدبية شهرية جامعة، تصدر إلكترونيا بريدها الإلكتروني: masaribdrt2019@gmail.com، العدد 10، يونيو 2020.

ج- المواقع الإلكترونية:

138.موقع قنطرة على الرابط http://ar-quantara.De/mod/9140 تاريخ الزيارة 04 جوان 2020، الساعة: 00:56.

ملخص

ملخّص:

سعى هذا البحث إلى رصد تجليّات المنهج السّيميائي السّردي في النّقد الجزائري المعاصر، عبر قراءة وتحليل المدوّنة النّقدية الجزائرية التي تبنّت هذا المنهج تنظيرًا وتطبيقًا، وفي سبيل ذلك كان لابدّ من رصد الرّوافد اللّسانية والمعرفيّة التي غذّت هذا المنهج في لغته الأصلية، ثمّ كشف آليات التّحليل التي اقترحها لمقاربة النّصوص السّردية وتوضيح المسارب وقنوات الاتصال التي عبر عن طريقها هذا المنهج إلى النّقد الجزائري المعاصر وحصر المستويات النّظرية لهذا الخطاب متمثّلة في خطاب التّأسيس والتّعريف وخطاب التّرجمة والتّعريب وخطاب النّقد والتّقويم.

ولأنّ فعاليّة المنهج وكفاءته تتّضح في الممارسة التّطبيقية رصدنا تطبيقات هذا المنهج على أجناس أدبية مختلفة كالقصّة القصيرة والخطاب الرّوائي والحكاية الخرافية والنّص التّراثي، وأبرزنا جهود هؤلاء النّقاد في ميدان التّأليف القاموسي رغبة منهم في الحدّ من الإشكالية الاصطلاحية. ولم نتجاوز إشكالات المنهج والمصطلح بل رصدنا أسبابها وتمظهراتها وطرق تجاوزها.

الكلمات المفتاحية: المنهج السّيميائي السّردي – آليات التّحليل – النّص السّردي – المستويات النّظرية – المنهج – المصطلح – الممارسة التّطبيقية.

Résumé :

L’objectif de cette étude est de relever les manifestations du courant sémiotique et naratif à travers la lecture et l’analyse des œuvres de la critique littéraire Algérienne qui a adapté ce courant du point de vue théorique et pratique. Pour atteindre cet objectif il a fallu mobiliser les affluents sémantiques et intellectuels qui ont alimenté ce courant dans sa langue initiale, puis, il a fallu également extraire les mécanismes d’analyse qui ont été proposés pour abordes les textes narratifs et éclairer les pistes et les canaux du contact qui a été exprime par le biais de ce courant pour la critique moderne en Algérie. Il s’agit en ce sens de limiter les niveaux théoriques pour faire connaitre ce discours et son fondement, à savoir la discors de présentation, d’interpritation , d’arabisation et d’évaluation. L’efficacité de cette méthode et ses résultats se concrétise dans sa pratique effective. Nous avons appliqué des pratiques de ce courant sur des genres littéraires différentes comme la nouvelle, le discours romancier , la fable et le texte classique. Nous avons montré les efforts de certains critique dans le dommaine de l’ecriture encyclopétique. Qui veulent limiter la problématique conceptuelle . Nous n’avons pas ignoré les problématique des méthodes et des

concepts et nous avons plutôt signalé les causes de cette problématique et ses manifestations en vue de trouver les moyens de la dépasser.

Les mots clés : le courant sémiotique narratif - le texte narratif - les paramètres méthodiques - le courant - le consepte - la pratique.

Abstract :

This research seeks to monitor the manifestations of the narrative semiotic approach in contemporary Algerian criticism, by reading and analyzing the Algerian Criticism Code, which adopted this approach in theory and application. To this end, it was necessary to monitor the linguistic and cognitive tributaries that nourished this approach in its original language, then reveal the analysis mechanisms that he proposed to approach the narrative texts and clarify the paths and channels of communication through which this approach has crossed into contemporary Algerian criticism and the theoretical levels of this discourse represented In the discourse of establishment and introduction, the discourse of translation and Arabization, and the discourse of criticism and evaluation. And because the effectiveness and efficiency of the curriculum is evident in practical practice, we monitored the applications of this approach to different literary genres such as the short story, the narrative discourse, the fairy tale and the heritage text, and we highlighted the efforts of some of these critics in the field of dictionary authorship in their desire to reduce the idiomatic problem, and we did not go beyond the problems The method and terminology, but rather we monitored the causes of these problems and their manifestations and ways to overcome them.

Keywords: Narrative semiotic approach - narrative text - theoretical levels - method - term - applied practice

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأوّل:روافد السّيميائيات السّرديّة وآليات التحليل السّيميائي في مقاربة النّص السّردي	
المبحث الأول: روافد السّيميائيات السّرديّة	**12**
1- الروافد اللسانية	**12**
1-1- جهود "دي سوسور" De Saussure	**12**
1-2- لويس هيلمسليف (Louis Hjelmslev) ومدرسة "كوبنهاغن"	**14**
1-3- رومان جاكبسون "Roman jackobson" وحلقة "براغ"	**16**
1-4- تأثيرات "تشومسكي": Chomsky	**18**
2- الرّوافد المعرفية	**20**
2-1- فلاديمير بروب Vladimir propp	**20**
2-2- كلودليفي شتراوس (C.Levi-strauss)	**22**
2-3- إتيان سوريو (E,Sourieau)	**24**
2-4- تنيير (L,Tesniére)	**25**
2-5- جورج دوميزيل (George Dumézil)	**26**
المبحث الثاني: آليات التحليل السيميائي في مقاربة النص السّردي	**28**
1- مستوى البنية السّطحية	**28**
1- 1- المكوّن السّردي	**29**
1-1-1- النموذج العاملي	**30**
1-1-2- التحليل السّردي بين الحالات والتحويلات	**33**
1-1-3- البرنامج السّردي	**34**
1-1-4- المقطوعة السّردية ومراحل البرنامج السّردي	**35**
أ-التّحريك	**35**
ب-الكفاءة	**35**
ج- الأداء (الإنجاز)	**37**

د- الجزاء	**38**
1-2- المكوّن الخطابي	**39**
1-2-1- الأنظمة الصوريّة	**39**
أ- الصّور	**39**
ب- المسارات الصورية والتجمعات الخطابية	**40**
1-2-2- الموضوع والدّور الموضوعاتي	**40**
1-2-3- القائم بالفعل (الممثل)	**41**
1-2-4- البنيات الزّمنية	**41**
1-2-5- بنية التّفضية	**42**
2- مستوى البنية العميقة	**43**
2-1- السّيميم (المعنم)	**43**
2-1-1- السّيم النّواتي	**44**
2-1-2- السّيم السّياقي	**44**
2-2- النّظيرة أو القطب الدّلالي (التّشاكل)	**45**
2-2-1- التشاكل الدلالي	**45**
2-2-2- التشاكل السيميائي	**45**
2-3- البنية الأساسية للدّلالة	**46**
الفصل الثاني: المستويات النظرية للخطاب السيميائي السردي في النقد الجزائري المعاصر	
المبحث الأول: استقبال الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر للمنهج السيميائي	**53**
المبحث الثاني: خطاب التأسيس والتعريف	**62**
المبحث الثالث: خطاب التّرجمة والتعريب	**84**
المبحث الرابع: خطاب النّقد والتّقويم	**112**
1- تجليات خطاب النّقد والتّقويم في المدوّنة النّقدية لـ "رشيد بن مالك"	**113**
2- نقد سيميائيات "غريماس" في كتاب "عبد الملك مرتاض" "في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السّرد"	**120**

3- تجربة "عبد القادر شرشار" في النّقد السيميائي الأكاديمي	**124**
4- نقد وتقييم "نادية بوشفرة" لأعمال "غريماس"	**130**
5- قراءة "قادة عقاق" النّقدية للجهاز المفهومي والإجرائي للسيميائية	**131**
الفصل الثالث: الممارسات التّطبيقية لسيميائيات "مدرسة باريس" في الخطاب النّقدي الجزائري المعاصر	
المبحث الأول: سيميائية التأليف القاموسي	**137**
1-قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص لـ"رشيد بن مالك"	**137**
2- معجم السيميائيات لـ "فيصل الأحمر"	**142**
2-1- هنات اصطلاحية	**144**
2-2- هنات منهجية	**147**
2-3- هنات لغويّة	**149**
المبحث الثاني: سيميائية القصّة القصيرة	**152**
المبحث الثالث: سيميائية الخطاب الروائي	**163**
1- الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة، عيّنة	**164**
2- سيميائية الفضاء في رواية "ريح الجنوب"* لـ"رشيد بن مالك"	**176**
2-1- دراسة تحليلية لرواية "نوار اللوز"	**178**
2-2- قراءة سيميائية في رواية "عواصف جزيرة الطيور"	**182**
3- سيميائية الخطاب الروائي، تحليل "حسين خمري" لرواية "صوت الكهف" لـ"عبد الملك مرتاض"	**184**
4- مقاربة سيميائية قصصية، التركيب العاملي في رواية "نهاية الأمس" لـ"عبد الحميد بن هدوقة"	**190**
5- تحليل سيميائي لرواية "الصحن" للروائية الأردنية "سميحة خريس"	**193**
6- التحليل السيميائي للبنى السردية، رواية "حمامة السّلام" للدكتور "نجيب الكيلاني" أنموذجًا	**196**
7- رواية "مثلث الرافدين" للروائية السورية "سها جلال جودت" دراسة سيميائية سردية	**199**
المبحث الرابع: سيميائية الحكاية الخرافية والنّص التّراثي	**204**
1- سيميائية الحكاية الخرافية	**204**
1-1- المقاربة السيميائية للحكاية الخرافية عند "عبد الحميد بورايو"	**206**

1-1-1- مقاربته لخرافة "ولد المتروكة"	**206**
1-1-2- مقاربة "عبد الحميد بورايو" لخرافة "التّاجر والعفريت" من "ألف ليلة وليلة"	**211**
1-1-3- مقاربته لخرافة "الحمامة المطوّقة" من كتاب "كليلة ودمنة"	**216**
2- الاشتغال السيميائي على الحكاية الخرافية لدى "نادية بوشفرة"	**221**
3- سيميائية النّص التّراثي في مدوّنة "رشيد بن مالك"	**229**
3-1- قراءته لنص "الحكاية الإطار" في كتاب "كليلة ودمنة"	**229**
3-2- قراءته لكتاب "المقريزي" "إغاثة الأمة في كشف الغمّة"	**233**
المبحث الخامس: إشكالية المنهج والمصطلح	**239**
1- إشكالية المنهج	**239**
2- إشكالية المصطلح	**249**
خاتمة	**263**
ملحق	**268**
قائمة المصادر والمراجع	**274**
ملخص	**285**
فهرس المحتويات	**288**